

المجلة العربية

لِلدِّرَاسَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ

علمية - دورية - محكمة - إقليمية
تصدر عن المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب



AI SA

ISSN: 2537-0405
eISSN: 2537-0413

المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية

Jasis

دورية - علمية - محكمة - إقليمية - متخصصة

تصدر عن

المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب

عضو الاتحاد النوعي لجمعيات البحث العلمي وبندك المعرفة المصري

رقم الايداع بدار الكتب المصرية : ٢٤٣٥١ / ٢٠١٧

ISSN: 2537-0405

eISSN: 2537-0413

<http://jasis.journals.ekb.eg>

Doi: 10.33850/jasis.

Impact Factor: 1.38 / 2023

المجلد الثامن - العدد (٢٩) يوليو ٢٠٢٤

يتم النشر الإلكتروني على المنصات الآتية



أكاديمية البحث
العلمي والتكنولوجيا
Academy of Scientific
Research & Technology



Egyptian Knowledge Bank
بنك المعرفة المصري



Directory of Academic and Scientific Journals



إدارة المجلة غير مسؤولة عن الأفكار والآراء الواردة بالبحوث
المنشورة في أعدادها وإنما فقط تقع مسؤوليتها في التحكيم
العلمي والضوابط الأكاديمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السيد الأستاذ الدكتور / رئيس تحرير:

المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية

تهانينا! لقد تم اختيار المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية، (ترقيم دولي 0405-2537) لإدراجها ضمن الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية.

وسوف يقوم موثر البيانات الخاص بالكشاف بالاتصال بكم لمتابعة ما يخص الحصول على أعداد المجلة لتحميلها في صيغة XML، والتي يتم استضافتها عبر منصة كلاريفيت Clarivate's Web of Science™. وبمجرد استكمال تجهيز الملفات وتحميل الأعداد، سيصبح المحتوى جاهزاً للعرض.

ولمزيد من التفاصيل عن صلية اختيار المجلات لإدراجها في الكشاف، وللمزيد عن الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية، فيما يلي بعض الروابط الهامة:

عن الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية:

<http://arcival.ekb.eg/?page=aboutar.html>

دليل كلاريفيت للكشاف العربي للإستشهادات المرجعية:

<https://clarivate.libguides.com/webofscienceplatform/arci#>

معلومات عن الكشاف العربي للإستشهادات المرجعية على منصة شبكة العلوم:

<https://clarivate.com/webofsciencegroup/solutions/arabic-citation-index/>

الدليل الإرشادي للمجلات المحكّمة				
١٣	مجلة الآداب	كلية الآداب - جامعة بغداد	1994-473x	العراق
١٤	مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإسلامية	الجامعة الإسلامية - غزة	2410-3160	فلسطين
١٥	مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية	الجامعة الإسلامية - غزة	2410-8715	فلسطين
١٦	مجلة جامعة الأزهر - غزة للعلوم الإسلامية	جامعة الأزهر - غزة	1810-343X	فلسطين
١٧	مجلة جامعة الأقصى - غزة للعلوم الإسلامية	جامعة الأقصى - غزة	2070-3147	فلسطين
١٨	مجلة جامعة القدس للفنون للدراسات الإسلامية والاجتماعية	جامعة القدس للفنون	9835-2616	فلسطين
١٩	مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية	جامعة فطر	2305-5545	قطر
٢٠	مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية	مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت	1029-8908	الكويت
٢١	مجلة الحقوق	جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي	1029-6069	الكويت
٢٢	مجلة آفاق	كلية الآداب - جامعة سوت	2518-5985	ليبيا
٢٣	مجلة كلية الآداب	جامعة مصراتة، كلية الآداب	2664-1674	ليبيا
٢٤	مجلة الحديث	الجامعة الإسلامية العالمية	1823-1926	ماليزيا
٢٥	مجلة الدراسات الفقهية والأدبية	كلية اللغة - جامعة المدينة العالمية	2180-1665	ماليزيا
٢٦	مجلة إسراء الدولية للدراسات الإسلامية	الأكاديمية العالمية للبحوث الشرعية، كوالالمبور، ماليزيا	2231-7325	ماليزيا
٢٧	مجلة العالمية للدراسات الفقهية والأصولية	الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا	2600-8408	ماليزيا
٢٨	مجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية	المؤسسة العربية للدراسات والعلوم والآداب، القاهرة	2537-0405	مصر

هيئة التحرير

أ.د/ حسن حسن كامل إبراهيم	جامعة الملك سعود سابقاً	مديراً للتحرير
أ.د. حمد بن ناصر العمار	جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	عضواً
أ.د/ خالد بن حسن العبري	جامعة الملك فهد للبترول - السعودية	عضواً
أ.د/ محمد علي قاسم العمري	جامعة اليرموك - الأردن	عضواً
أ.د/ سيد محمد الطبطبائي	جامعة الكويت	عضواً
أ.د/ ياسر محمد عبد الرحمن طرشاني	جامعة المدينة	عضواً

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ عبد الله بن سليمان الغفيلي	الجامعة الإسلامية	السعودية
أ.د/ زيد عمر عبد الله	مركز بيانات للدراسات القرآنية	الأردن
أ.د/ مبارك جزاء الحربي	جامعة الكويت	الكويت
أ.د/ علي محمد حسين الموسى	الجامعة الأردنية	الأردن
أ.د/ عبد الناصر موسى أبو البصل	جامعة اليرموك	الأردن
أ.د/ العربي بن محمد الإدريسي	جامعة الملك سعود	السعودية
أ.د/ عبد الله بن عبد العزيز السبيعي	جامعة الإمام محمد بن سعود	السعودية
أ.د/ محمود أحمد محمد خفاجي	جامعة الأزهر	مصر
أ.د/ ربيع خليفة عبد الصادق بيومي	جامعة الأزهر	مصر
د. حسين عبده حسين أحمد	جامعة عين شمس	مصر

ميثاق أخلاقيات النشر :

تنشر المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب من خلال إصداراتها البحوث العلمية الأصيلة والمحكمة، بهدف توفير جودة عالية لقُرَّائها من خلال الالتزام بمبادئ مدونة أخلاقيات النشر و منع الممارسات الخاطئة. وتصنف المدونة الأخلاقية ضمن لجنة أخلاقيات النشر (COPE : Committee on Publication Ethics) وهي الأساس المرشد للمؤلفين والباحثين والأطراف الأخرى المؤثرة في نشر البحوث بالمجلات من مراجعين، بحيث تسعى المجلات لوضع معايير موحدة للسلوك؛ وترغب المجلات على أن يقبل الجميع بقوانين المدونة الأخلاقية، وبذلك فهي ملتزمة تماما بالحرص على تطبيقها في ظل القبول بالمسؤولية والوفاء بالواجبات والمسؤوليات المسندة لكل طرف.

١- مسؤولية الناشر:

قرار النشر: يجب مراعاة حقوق الطبع وحقوق الاقتباس من الأعمال العلمية السابقة، بغرض حفظ حقوق الآخرين عند نشر البحوث بالمجلات، و يعتبر رئيس التحرير مسؤولاً عن قرار النشر والطبع ويستند في ذلك إلى سياسة المجلات والتقيد بالمتطلبات القانونية للنشر، خاصة فيما يتعلق بالتشهير أو القذف أو انتهاك حقوق النشر والطبع أو القرصنة، كما يمكن لرئيس التحرير استشارة أعضاء هيئة التحرير أو المراجعين في اتخاذ القرار.

النزاهة: يضمن رئيس التحرير بأن يتم تقييم محتوى كل مقال مقدم للنشر، بغض النظر عن الجنس، الأصل، الاعتقاد الديني، المواطنة أو الانتماء السياسي للمؤلف.

السرية: يجب أن تكون المعلومات الخاصة بمؤلفي البحوث سرية للغاية وأن يُحافظ عليها من قبل كل الأشخاص الذين يمكنهم الاطلاع عليها، مثل رئيس التحرير، أعضاء هيئة التحرير، أو أي عضو له علاقة بالتحرير والنشر وباقي الأطراف الأخرى المؤتمنة حسب ما تتطلب عملية التحكيم. الموافقة الصريحة: لا يمكن استخدام أو الاستفادة من نتائج أبحاث الآخرين المتعلقة بالبحوث غير القابلة للنشر بدون تصريح أو إذن خطي من مؤلفها.

٢- مسؤولية المحكم (المراجع):

المساهمة في قرار النشر: يساعد المحكم (المراجع) رئيس التحرير وهيئة التحرير في اتخاذ قرار النشر وكذلك مساعدة المؤلف في تحسين البحث وتصويبه.

سرعة الخدمة والتقيد بالآجال: على المحكم المبادرة والسرعة في القيام بتقييم البحث الموجه إليه في الآجال المحددة، وإذا تعذر ذلك بعد القيام بالدراسة الأولية للبحث، عليه إبلاغ رئيس

التحرير بأن موضوع البحث خارج نطاق عمل المحكم، تأخير التحكيم بسبب ضيق الوقت أو عدم وجود الإمكانيات الكافية للتحكيم.

السرية: يجب أن تكون كل معلومات البحث سرية بالنسبة للمحكم، وأن يسعى المحكم للمحافظة على سريتها ولا يمكن الإفصاح عليها أو مناقشة محتواها مع أي طرف باستثناء المرخص لهم من طرف رئيس التحرير.

الموضوعية : على المحكم إثبات مراجعته وتقييم الأبحاث الموجهة إليه بالحجج والأدلة الموضوعية، وأن يتجنب التحكيم على أساس بيان وجهة نظره الشخصية، الذوق الشخصي، العنصري، المذهبي وغيره.

تحديد المصادر: على المحكم محاولة تحديد المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع (البحث) و التي لم المؤلف، و أي نص أو فقرة مأخوذة من أعمال أخرى منشوره سابقا يجب تهميشها بشكل صحيح، وعلى المحكم إبلاغ رئيس التحرير وإنذاره بأي أعمال متماثلة أو متشابهة أو متداخلة مع العمل قيد التحكيم.

تعارض المصالح: على المحكم عدم تحكيم البحوث لأهداف شخصية، أي لا يجب عليه قبول تحكيم البحوث التي عن طريقها يمكن أن تكون هناك مصالح للأشخاص أو المؤسسات أو يلاحظ فيها علاقات شخصية.

٣- مسؤولية المؤلف :

معايير الإعداد: على المؤلف تقديم بحث أصيل وعرضه بدقة وموضوعية، بشكل علمي متناسق يطابق مواصفات البحوث المحكمة سواء من حيث اللغة، أو الشكل أو المضمون، و ذلك وفق معايير و سياسة النشر في المجلات، وتبيان المعطيات بشكل صحيح، و ذلك عن طريق الإحالة الكاملة، ومراعاة حقوق الآخرين في البحث ؛ وتجنب إظهار المواضيع الحساسة وغير الأخلاقية، الذوقية، الشخصية، العرقية، المذهبية، المعلومات المزيفة وغير الصحيحة وترجمة أعمال الآخرين بدون ذكر مصدر الاقتباس في البحث.

الأصالة و القرصنة: على المؤلف إثبات أصالة عمله وأي اقتباس أو استعمال فقرات أو كلمات الآخرين يجب تهميشه بطريقة مناسبة وصحيحة ؛ والمجلة تحتفظ بحق استخدام برامج اكتشاف القرصنة للأعمال المقدمة للنشر.

إعادة النشر: لا يمكن للمؤلف تقديم العمل نفسه (البحث) لأكثر من مجلة أو مؤتمر، وفعل ذلك يعتبر سلوك غير أخلاقي وغير مقبول.

الوصول للمعطيات والاحتفاظ بها: على المؤلف الاحتفاظ بالبيانات الخاصة التي استخدمها في بحثه، وتقديمها عند الطلب من قبل هيئة التحرير أو المقيّم.

مؤلفي البحث: ينبغي حصر (عدد) مؤلفي البحث في أولئك المساهمين فقط بشكل كبير وواضح سواء من حيث التصميم، التنفيذ، مع ضرورة تحديد المؤلف المسؤول عن البحث وهو الذي يؤدي دوراً كبيراً في إعداد البحث والتخطيط له، أما بقية المؤلفين يُذكرون أيضاً في البحث على أنهم مساهمون فيه فعلاً، ويجب أن يتأكد المؤلف الأصلي للبحث من وجود الأسماء والمعلومات الخاصة بجميع المؤلفين، وعدم إدراج أسماء أخرى لغير المؤلفين للبحث؛ كما يجب أن يطلع المؤلفون جميعاً على البحوث جيداً، وأن يتفقوا صراحة على ما ورد في محتواها ونشرها بذلك الشكل المطلوب في قواعد النشر.

الإحالات والمراجع: يلتزم صاحب البحث بذكر الإحالات بشكل مناسب، ويجب أن تشمل الإحالة ذكر كل الكتب، المنشورات، المواقع الإلكترونية و سائر أبحاث الأشخاص في قائمة الإحالات والمراجع، المقتبس منها أو المشار إليها في نص البحث. الإبلاغ عن الأخطاء: على المؤلف إذا تنبّه و اكتشف وجود خطأ جوهرياً و عدم الدقة في جزئيات بحثه في أي زمن، أن يشعر فوراً رئيس تحرير المجلات أو الناشر، ويتعاون لتصحيح الخطأ.

شروط النشر :

- يجب أن لا يتجاوز البحث المقدم للنشر عن (٤٠) صفحة ، متضمنة المستخلصين : العربي ، والإنجليزي على أن لا تتجاوز كلمات كل واحد منهما (٢٠٠) كلمة، والمراجع.
- يلي المستخلصين : العربي ، والإنجليزي ، كلمات مفتاحية (Key Words) لا تزيد على خمس كلمات (غير موجودة في عنوان البحث)، تعبر عن المجالات التي يتناولها البحث؛ لتستخدم في التكشيف.
- تكون أبعاد جميع هوامش الصفحة الأربعة (العليا، والسفلى، واليمنى، واليسرى) (٣) سم، والمسافة بين الأسطر مفردة.
- يكون نوع الخط في المتن للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٣).

- يكون نوع الخط في الجداول للبحوث العربية وللبحوث الإنجليزية (Times New Roman)، بحجم (١٠).
- تستخدم الأرقام العربية (١-٢-٣... Arabic) في جميع ثنايا البحث.
- يكون ترقيم صفحات البحث في منتصف أسفل الصفحة.
- يكتب عنوان البحث ، واسم الباحث ، أو الباحثين ، والمؤسسة التي ينتهي إليها، وعنوان المراسلة، على صفحة مستقلة قبل صفحات البحث. ثم تتبع بصفحات البحث، بدءاً بالصفحة الأولى حيث يكتب عنوان البحث فقط متبوعاً بكامل البحث.
- يراعى في كتابة البحث عدم إيراد اسم الباحث، أو الباحثين، في متن البحث صراحة، أو بأي إشارة تكشف عن هويته، أو هوياتهم، وإنما تستخدم كلمة (الباحث، أو الباحثين) بدلاً من الاسم، سواء في المتن، أو التوثيق، أو في قائمة المراجع.
- يتأكد الباحث من سلامة لغة البحث، وخلوه من الأخطاء اللغوية والنحوية.
- توضع قائمة بالمراجع العربية بعد المتن مباشرة، مرتبة هجائياً حسب الاسم الأول أو الأخير للمؤلف (اختياري) ، وفقاً لأسلوب التوثيق المعتمد في المجلة.
- لهيئة التحرير حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.
- في حال قبول البحث للنشر تؤول كل حقوق النشر للمجلة، ولا يجوز نشره في أي منفذ نشر آخر ورقياً أو إلكترونياً، دون إذن كتابي من رئيس هيئة التحرير.
- الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.
- رسوم النشر للمصريين داخل مصر (١٥٠٠ جنيه) ورسوم النشر لغير المصريين والعاملين في جهات غير مصرية (٢٠٠ دولار).
- يتم تقديم البحوث إلكترونياً من خلال موقع المجلة أو بريد المجلة الإلكتروني:

<https://jasis.journals.ekb.eg>

search.aiesa@gmail.com



محتويات العدد	
-	افتتاحية العدد
٢٦ - ١	أفنان بنت ناصر بن صالح الخليفة..... الهدايا المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه
٥٦ - ٢٧	نوره بنت سعود آل رقيب..... الرواة المتكلم في اتصال سماعاتهم من كتاب "جامع التحصيل" للعلائي دراسة التراجم (٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦)
٨٠ - ٥٧	د. أم هانئ المرضي الشيخ علي..... آثار هجر القرآن الكريم وأسبابه
١٠٤ - ٨١	حمد بن محمد بن عبد الله الجميلة..... الأحكام الفقهية المتعلقة بالعين البشرية في مقدار دية الزاهب من البصر
١٤٨ - ١٠٥	سميع الحق بن محمد كبير..... دراسة حديث عبد الله بن عمرو - رضي الله عنه - :«عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولا يقتل صاحبه» دراسة حديثة فقهية
١٧٤ - ١٤٩	د. طلال بن فواز الحسان الشمري..... اسم الله القدوس - دراسة عقدية.
٢٠٠ - ١٧٥	عبد الله بن أحمد بن علي أبو مهيف..... مسائل الإجماع في آداب القول - جمعا ودراسة
٢٢٦ - ٢٠١	عبد الله بن عبدالعزيز بن عبد الله القاضي..... الطلاق عبر وسائل التقنية

٢٥٢ - ٢٢٧	عتيق بن سليمان بن عبدالله العتيق الدار قطني ومنهجه في إلزام الشيخين وأسباب عدم إخراجهما لما أُلزم به
٣١٤ - ٢٥٣	علي بن محمد بن مانع النعمي تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي
٣٣٨ - ٣١٥	فهمي الفيان نورمانشاه مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة
٣٧٨ - ٣٣٩	معاذ بن محمد المهنا منهج الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ
٤٠٨ - ٣٧٩	هديل بنت حامد بن عوض السُّحيمي - د. هبة الله بنت صادق أبو عرب الشَّواهدُ الشَّعريةُ وأثرها في تفسير القرآن الكريم من خلال ديوان الحماسة - دراسة نظرية تطبيقية -
٤٣٨ - ٤٠٩	هلا بنت مناور العتيبي المقاصد التحسينية و أثرها في الدعوة إلى الله
٤٦٠ - ٤٣٩	هلا بنت علوش العتيبي الرواة الواردين في السنن الأربعة وقال فيهم ابن حجر لين الحديث - عرض وتحليل
٤٧٤ - ٤٦١	أيمن بن محمد بن عمر سخاخي منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة

افتتاحية العدد :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد
فيقول علي بن أبي طالب (عليه السلام):

ما الفضلُ إلا لأهل العلمِ إنهم .. على الهدى لمن استهدى أدلاءً

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه .. والجاهلون لأهل العلم أعداء

فقم بعلمٍ ولا تطلب به بدلاً .. فالناس مَوْتى وأهل العلم أحياء

تم بفضل الله وعونه إصدار هذا العدد من المجلة العربية للدراسات الإسلامية
والشرعية والتي تصدر ضمن سلسلة من المجالات العلمية المتخصصة عن المؤسسة
العربية للتربية والعلوم والآداب عضو الاتحاد النوعي لجمعيات البحث العلمي، وقائمة
الاستكشافات المرجعية العربية ، وقد دخلت تحت رعاية أكاديمية البحث العلمي
والتكنولوجيا وبنك المعرفة المصري ، وقد خضعت الأبحاث المنشورة في هذا العدد
للتحكيم من قبل أساتذة متخصصين ومتميزين في مجال تخصصهم، وحرصا من هيئة
تحرير المجلة ومجلس إدارتها على المستوى العلمي لها سوف يتم نشر الأبحاث المتميزة دائما
بها لتكون منارة جديدة للمتخصصين والباحثين في مجال الدراسات الإسلامية والشرعية ،
وقبلية علمية للباحثين العرب من مختلف أرجاء وطننا العربي الكبير من الخليج إلى
المحيط، وإذ ندعو الباحثين الراغبين في نشر أبحاثهم بها الالتزام بمعايير النشر بالمجلة
والحرص على إجراء التعديلات والملاحظات التي يبدونها المحكمين، ونأمل أن تكون الإعداد
القادمة من المجلة أكثر ثراء وجدة بفضل الله وعونه، والله ولي التوفيق.

هيئة التحرير



الهدايا المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه

The gifts extracted from Abraham's dialogue with his father

إعداد

أفنان بنت ناصر بن صالح الخليفة

Afnan Nasser Saleh Al-Khalifa

جامعة جدة

Doi: 10.21608/jasis.2024.367231

٢٠٢٤ / ٤ / ١٧

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٣

قبول البحث

الخليفة، أفنان بنت ناصر بن صالح (٢٠٢٤). الهدايا المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨ (٢٩)، ١ - ٢٦.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الهدايات المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه

المستخلص:

يُعد موضوع الحوار من أبرز الأساليب البليغة والحكيمة التي استعملها القرآن الكريم؛ لما له من أثر في حياة الفرد والمجتمع، فهو سبيل للإقناع، ومفتاح للقلوب، ومنهج أساسي في الدعوة والإصلاح، بدءًا من الجماعة الأولى للفرد وهي الأسرة، التي يعيش فيها وينتمي إليها، لذا فقد اقتصر في هذا البحث على هذا الأسلوب، واخترت منه نموذجًا قرآنياً وهو حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه الذي هو أحق الناس بدعوته، لدراسته دراسة تحليلية موضوعية؛ وذلك بتحليل أحداثه، وإلقاء الضوء على الهدايات المستنبطة منه؛ رغبة في تلمس نهجه القويم في هذا الشأن، وإيماناً بأن ما جاء به القرآن الكريم هو الطريق الأقوم والأكمل؛ لأننا مطالبون بتأسيس قيمة الحوار وثقافته داخل الكيان الأسري؛ للحد من تطور المشاكل الأسرية.

الكلمات المفتاحية: تفسير - تدبر - تربية - أسرة - أزر.

ABSTRACT:

The subject of dialogue is considered one of the most eloquent and wise methods used by the Holy Quran, due to its impact on individual and societal life. It is a path to persuasion, a key to hearts, and a fundamental approach in calling for reform, starting from the primary community of the individual, which is the family, where one lives and belongs. Therefore, this research has focused on this method, choosing a Quranic model, namely the dialogue of Ibrahim (peace be upon him) with his father, who is the most deserving of his invitation, for a comprehensive analytical study. This is done by analyzing its events and shedding light on the guidance derived from it, aiming to understand its righteous approach in this matter and believing that what the Holy Quran presents is the most perfect and comprehensive path. We must establish the value of dialogue and its culture within the family entity to mitigate the development of familial problems.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، المنزل كتابه هدى للمتقين، يأخذهم به إلى الطريق المستقيم، والصلاة والسلام على أحسن الناس خلقاً، وأطيبهم نفساً، معلم البشرية، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

يُعد الحوار من الأساليب التربوية التي تأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام المربين؛ بحثاً عن المنهج الأفضل الذي يُمكن تقديمه للأسر؛ لِيُساعدهم على التواصل الإيجابي فيما بينهم، ويدعم بناء نموهم النفسي، ويُخفف من مشاعرهم المكبوتة، ويمنحهم حرية في طرح آرائهم، وإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي يمرون بها.

كما يُساعد الحوار في بناء جو أسري سليم، يُساهم في دعم العلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء، التي تقوم على الحوار وحسن التعامل، فهو يُعطي إحساساً بالصدقة والألفة، مما يزيد من الاحترام المتبادل بين أفراد الأسرة، وزيادة الثقة والمحبة والتعاون فيما بينهم.

وهذا لا يعني أن يستجيب الطرف الآخر لهذا الحوار دائماً، فنحن علينا السعي، وبذل الجهد، والتوكل على الله، والدعاء المستمر لهم، وأما التوفيق في الحوار والقدرة على الإقناع فشيء آخر ليس بأيدينا، ولا أدلّ على ذلك من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه كما سيأتي.

مشكلة الدراسة:

ستجيب الدراسة بإذن الله عن الأسئلة التالية:

- (١) ما هو الحوار؟
- (٢) كيف حوار إبراهيم عليه السلام أبيه؟
- (٣) ما الأسلوب الحوارى الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام؟
- (٤) ما الهدايات المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام أبيه؟

أهداف البحث:

تبرز الأهداف المرجوة من هذا البحث في النقاط التالية:

- (١) تدبر القرآن الكريم، وتعلم أدب الحوار منه، والمنهج الصحيح فيه؛ لتفادي المشاكل الأسرية.
- (٢) خدمة الأسر المسلمة في هذا الزمان، في كيفية التعامل داخل الكيان الأسري.
- (٣) استلهام الهدايات التي تؤثر على سيرنا الأسري، وتوظيف عوامل القوة فيها، ونبذ عوامل الضعف.

الدراسات السابقة:

من المعلوم أن القرآن الكريم حظي بعناية لم تحظ بكتاب قبله، ولن يحظى بها كتاب بعده، فقد سخر الله له من العلماء من ينظر به ويتأمل ويدرس ويفسر ويستنبط، والحديث عن الآيات التي حاور فيها إبراهيم عليه السلام أبيه لم يكن حظها أقل من حظ غيرها من الآيات، فأني لمتلي أن يأتي بجديد في هذا الموضوع، وإنما هي محاولة متواضعة اختصت في موضوع الهدايات المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ولم تجد الباحثة من خصص هذا الموضوع، وإنما وجدت بعض الجزئيات منه، منها:

١. نبي الله إبراهيم "عليه السلام" ابناً وأباً في القرآن الكريم، للباحثين: دياسر حسين مجباس، و د. عمار محمد صالح، مقال نُشر في المجلة العراقية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، الصفحات (١١٣-١٤١)، ٢٠١٦م.

ذكر الباحث في أحد المطالب تفسيراً تحليلياً لحوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه الوارد في سورة مريم عليها السلام، وبحثنا هذا درس الحوار بتفصيل أكثر.

٢. الحوار العقدي في القرآن الكريم: حوار إبراهيم عليه السلام أنموذجاً، للباحث: أحمد عبد الصمد، مقال نُشر في مجلة جامعة تبوك للعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تبوك، الصفحات (٧٣-٥٥)، ٢٠٢١م.

ذكر الباحث موضوع الحوار العقدي في القرآن الكريم، فعرف الحوار وذكر الألفاظ ذات الصلة به، ثم تعريف الحوار العقدي وبيان أصوله، وأهدافه ومقاصده، كما تناولت الدراسة حوار نبي الله إبراهيم عليه السلام أنموذجاً من نماذج الحوار العقدي في حوارات مع الملك الكافر النمرود، وحواره مع ربه، وحواره مع قومه، وحواره مع أبيه، يتشبه مع بحثنا هذا في تعريف الحوار، لكننا هنا نفتصر على حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ودرسته بطريقة مختلفة.

منهج البحث:

هذه الدراسة سوف تعتمد على المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، وسوف أتبع ما يلي أثناء كتابة البحث:

- (١) تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً.
- (٢) جمع الآيات القرآنية المتعلقة بحوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، وترتيبها بحسب ترتيب المصحف، ودراستها على النحو التالي:
 - أ- دراسة الآيات دراسة تحليلية، والرجوع لأقوال المفسرين في كتب التفسير المعتمدة، القديم منها والمعاصر، مع ذكر الآيات السابقة واللاحقة إذا لزم الأمر؛ كي يتضح المعنى العام للآيات.
 - ب- دراسة أسلوب الحوار الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام مع أبيه.
 - ت- استنباط الهدايات من الآيات محل الدراسة وربطها بالواقع.

- أما ما يتعلق بتوثيق المادة العلمية، فإني اتبعت الآتي:
- (٣) كتابة الآيات القرآنية وفق الرسم العثماني، ووضعها بين قوسين مزهرين، ويذكر بعدها في المتن اسم السورة ورقم الآية محصوراً بين قوسين معكوفين [].
- (٤) كتابة الأحاديث النبوية وضبطها بالشكل، ووضعها بين قوسين « »، ثم عزوها إلى مصادرهما المعتمدة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، أو خرجته من بقية الكتب الستة.
- (٥) التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في متن البحث تعريفاً موجزاً، بحيث يُترجم لكل علم منهم عند ذكره لأول مرة، باستثناء مشاهير الأعلام وهم: الأنبياء π، والمشهورين من الصحابة ﷺ، وأصحاب الكتب الستة، وأصحاب المذاهب الفقهية الأربعة؛ فلا تذكر ترجمتهم لشهرتهم.
- (٦) توثيق الأقوال المنقولة عن العلماء وذلك بذكر الكتاب والمؤلف ورقم الصفحة والجزء إن وجد.
- (٧) كتابة (المصدر نفسه) في الحاشية في حال تكرار استخدام المصدر في الحاشية التي قبلها.
- (٨) عند النقل غير المباشر أُشير قبل المصدر بـ: (يُنظر).
- المطلب الأول: تعريف الحوار لغةً واصطلاحاً**
- أولاً: تعريف الحوار لغةً:**
- يطلق الحوار في اللغة ويراد به أحد معنيين:**
- الأول: الرجوع^(١)؛ يقال: حار، بمعنى: رجع، ومنه قوله تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَخُورَ} [سورة الانشقاق: ١٤]. أي: "لا يرجع إلينا حياً مبعوثاً فيحاسب، ثم يثاب أو يعاقب"^(٢).**
- وفي الحديث عن أبي ذر ﷺ، أنه سمع الرسول ﷺ يقول: «وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكَفْرِ»، أَوْ قَالَ: «عَدُوُّ اللَّهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ»^(٣)، أي: رجع عليه إثم ذلك^(٤).

(١) يُنظر: ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. (١١٧/٢)، الرازي. مختار الصحاح. (ص: ٨١)، ابن منظور. لسان العرب. (٢١٧/٤)، الفيروزآبادي. القاموس المحيط. (١٥/٢).

(٢) يُنظر: الطبري. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (٣١٧/٢٤)، القرطبي. الجامع لأحكام القرآن. (٢٧٣/١٩)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٨٢/٨).

(٣) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث: (٣٥٠٨)، كتاب المناقب، باب: نسبة اليمن إلى إسماعيل، (١٨٠/٤)، بمعناه بدون لفظ (حار عليه)، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (٦١)، كتاب الإيمان، باب حال إيمان من رغب عن أبيه، (٧٩/١) بلفظه.

وفي الحديث أيضاً عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَرْجَسٍ ^(٥). قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذَا سَافَرَ، يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُقْلَبِ، وَالْحَوَرِ بَعْدَ الْكُونِ ... ^(٦)، يعني بذلك: "الرجوع من الإيمان إلى الكفر، أو من الطاعة إلى المعصية" ^(٧).

الثاني: التجاوب؛ يُقال: استحاره أي: استنطقه ^(٨)، ومنه قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [سورة المجادلة: ١]. قال الطبري ^(٩): "إن الله سميع لما يتحاورانه، وما يتجاوبانه" ^(١٠).

ولو تتبعنا مادة الحوار في القرآن الكريم لوجدنا أنه لم يرد إلا في أربعة مواضع فقط؛ وهي:

الأول: قوله تعالى: {وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا} [سورة الكهف: ٣٤].

الثاني: قوله تعالى: {قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا} [سورة الكهف: ٣٧].

(٤) الحمزي. مطالع الأنوار على صحاح الآثار. (٣٦٤/٢).

(٥) هو: عبد الله بن سرجس المزني المخزومي. قال عاصم الأحول: أنه رأى النبي ﷺ ولم يكن له صحبة. وقال أبو عمر: لا يختلفون في ذكره في الصحابة، ويقولون: له صحبة على مذهبهم في اللقاء والرؤية والسماع، وأما عاصم الأحول فأحسبه أراد الصحبة التي يذهب إليها العلماء، وأولئك قليل. قال البيهقي: لا أدري أين سكن ولا أين توفي ٧. يُنظر: ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. (٩١٦/٣). الحنفي. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. (٣٧٧/٧).

(٦) جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: (١٣٤٣)، كتاب الحج، باب ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره، (٩٧٩/٢)، بلفظه.

(٧) الترمذي. سنن الترمذي. (٤٩٨/٥).

(٨) ابن منظور. لسان العرب. (٢١٨/٤).

(٩) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر. ولد بطبرستان سنة (٢٢٤هـ). كان رحمه الله أحد الأئمة المجتهدين؛ جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره؛ فقد كان عالماً في فنون كثيرة، منها: التفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وهو من ثقات المؤرخين، من مصنفاته: (جامع البيان في تأويل أي القرآن) في التفسير، (اختلاف الفقهاء) في علوم الدين. توفي ببغداد سنة (٣١٠هـ). يُنظر: ابن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. (١٩٢، ١٩١/٤). ابن كثير. البداية والنهاية. (٨٤٦/١٤ - ٨٥٠).

(١٠) الطبري. جامع البيان. (٢٢٧/٢٣).



الثالث: قوله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكَِي إِلَى اللَّهِ وَلِلَّهِ يَسْمَعُ تَحَاوَرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} [سورة المجادلة: ١].
الرابع: قوله تعالى: {إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ} [سورة الانشقاق: ١٤].
وكل المواضع تدور حول معنى التجاوب في الحديث، والرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

وبناء على ما سبق: فإن الحوار في اللغة هو: تراجع الكلام والتجاوب فيه.

ثانياً: تعريف الحوار اصطلاحاً:

تطرق العلماء والباحثون إلى تعريف الحوار في الاصطلاح، وقد اتفقت تعاريفهم في المعنى وإن اختلفت عباراتهم، ومن تلك التعاريف ما يلي:
قال ابن عطية^(١١): "المحاورة: هي مراجعة القول ومعاطاته"^(١٢).
وقال ابن عاشور^(١٣) في تفسيره: "والمحاورة: مراجعة الكلام بين متكلمين... ودل فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه في الإيمان والعمل الصالح، فراجعه الكلام بالفخر عليه، والتطاول شأن أهل الغطرسة والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء"^(١٤).

(١١) هو: عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي. أبو محمد. ولد سنة: (٤٨١هـ). كان رحمه الله فقيهاً، مفسراً بارعاً، عارفاً بالأحكام والحديث والتفسير والأدب بصيراً بلسان العرب، واسع المعرفة. من مصنفاته: (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) في التفسير، و(المجموع) في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. توفي سنة: (٥٤٦هـ). يُنظر: الذهبي. سير أعلام النبلاء. (١٣٣/٢٠-١٣٤).

(١٢) ابن عطية. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. (٢٧٢/٥).

(١٣) هو: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي. ولد بتونس سنة (١٢٩٦هـ). كان رحمه الله مفسراً، لغوياً، أدبياً، عُيِّن رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه، وكان له باع كبير في النهضة العلمية والفكرية، فقد نشر الكثير من الأبحاث والدراسات والمقالات في كبريات المجالات بتونس ومصر. من مصنفاته: (التحرير والتنوير) في التفسير، و(هدية الأريب) حاشية على القطر لابن هشام في النحو. توفي بتونس سنة: (١٣٩٣هـ). يُنظر: العلانة. ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء المستعربين والمستشرقين. (١٧٤/٦). نويهض. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر». (٥٤١/٢-٥٤٢).

(١٤) ابن عاشور. التحرير والتنوير. (٣١٩-٣٢٠).

وعرفه بعض المعاصرين بقوله: الحوار هو: "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر به، ويغلب عليه الهدوء، والبعد عن الخصومة والتعصب"^(١٥).
أو هو: "مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، ورد الفاسد من القول والرأي"^(١٦).
العلاقة بين التعريف اللغوي والاصطلاحي:

يظهر مما سبق: أنه لا فرق بين التعريف الاصطلاحي والتعريف اللغوي في المعنى، فكلاهما يتفقان في كونه عبارة عن مناقشة أو محادثة بين شخصين أو أكثر، إلا أن التعريف الاصطلاحي جعل الحوار أداة أسلوبية تُستخدم لمعالجة موضوع من الموضوعات المتخصصة بهدوء، وبلا خصومة أو منازعة.

المطلب الثاني: حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه.
• المسألة الأولى: قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه:
دعا إبراهيم عليه السلام قومه لعبادة الله، وخصَّ أباه بالدعوة في موضعين؛ الأول مجمل، والثاني مفصّل.

الموضع الأول: قوله تعالى: { وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ اتَّخِذْ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } [سورة الأنعام: ٧٤].

افتتح الله تعالى هذا الموضع بقوله: { لم لي } بتقدير: اذكر يا محمد^(١٧)، وقول إبراهيم عليه السلام كان موجه لأبيه آزر، واختلف أهل العلم في المراد بـ (آزر)، وما هو، اسم أم صفة؟ وإن كان اسماً، فمن المسمى به على ثلاثة أقوال^(١٨) :
القول الأول: أنه اسم لأبي إبراهيم، وبه قال السدي^(١٩)، ومجاهد^(٢٠)، ومحمد بن إسحاق^(٢١).

(١٥) في أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (ص: ١١). ط ٥.

(١٦) ابن حميد. أصول الحوار وآدابه في الإسلام. (ص: ٦).

(١٧) يُنظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير (٧/ ٣١٠).

(١٨) يُنظر: الطبري. جامع البيان. (١١/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٥٨/٣).

(١٩) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد الكوفي. وهو السدي الكبير. كان رحمه الله تابعياً، إماماً، مُفسِّراً، صاحب المغازي والسير، سمي السدي؛ لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له السد، قال عنه يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير، كما أنه قد حسن حديثه جماعة من المحدثين: منهم النسائي قال: صالح الحديث.

القول الثاني: أنه اسم لصنم، فأما اسم أبي إبراهيم فتارح، وبه قال: مجاهد في رواية أخرى، والضحاك^(٢٢)، وعكرمة^(٢٣) عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال: "إن أبا إبراهيم لم يكن اسمه أزر، وإنما كان اسمه تارح".

وسبب إطلاق اسم أزر عليه كأنه غلب عليه أزر لخدمته ذلك الصنم. القول الثالث: أنه ليس باسم، ولكنه سب بعب، فمعنى أزر ذم في لغتهم، أي: مُعوج، كأنه عابه بزبغته واعوجاجه عن الحق، فيُصبح معنى الآية: وإذ قال إبراهيم لأبيه الزائغ، قاله ابن جرير ولم يسنده ولا حكاه عن أحد.

والراجح والله أعلم هو ما رجحه ابن جرير، وابن كثير أن أزر اسم له؛ لأن الله عز وجل صرح بذلك في القرآن الكريم، فقد يكون له اسمان (أزر، وتارح)، مثل يعقوب عليه السلام فهو (إسرائيل، ويعقوب) وهذا حاصل لكثير من الناس في دهرنا هذا، أو يكون أحدهما لقباً يلقب به.

توفي سنة (١٢٨هـ). يُنظر: ابن أبي حاتم. الجرح والتعديل. (٢/ ١٨٤). ابن حجر. تقريب التهذيب. (ص: ١٠٨).

(٢٠) هو: مجاهد بن جبر المكي الأسود، أبو الحجاج. كان رحمه الله فقيهاً، عالماً، كثير الحديث، وكان من أعلم التابعين، وأكثرهم في التفسير. قال ابن سعد: مجاهد: ثقة. من مصنفاته: له كتاب في التفسير باسمه. توفي وهو ساجد، اختلف في تاريخ وفاته ما بين سنة (١٠٠ - ١٠٨هـ)، وله من العمر ثلاث وثمانين سنة. يُنظر: ابن سعد. الطبقات الكبرى. (٢٧/ ٢٨). الذهبي. سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٤٩ - ٤٥٠).

(٢١) هو: محمد بن إسحاق بن يسار المدني، أبو عبد الله. ولد سنة (٥٨٥هـ). كان رحمه الله علامةً، حافظاً، شغوفاً بعلم الحديث، أول من دون العلم في المدينة، ورأى بعض الصحابة المعمرين، أمثال: أنس بن مالك. من مصنفاته: (المبتدأ)، و(المغازي). توفي سنة (١٥٠هـ). يُنظر: ابن سعد. الطبقات الكبرى (المقدمة/ ١٩)، الذهبي. سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣).

(٢٢) هو: الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم. ولد بخراسان سنة: (٢٠هـ). كان رحمه الله عالماً، مفسراً، فقيهاً، له باع كبير في التفسير والقصص، يُعلم الناس ولا يأخذ أجراً. قال ابن حجر عنه: صدوق كثير الإرسال. من مصنفاته: له كتاب في التفسير باسمه. توفي بخراسان سنة: (١٠٥هـ). يُنظر: ابن سعد. الطبقات الكبرى (٨/ ٤١٧، ٤١٨)، المزي. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. (٢٩٦، ٢٩١/ ١٣).

(٢٣) هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله. مولى عبد الله بن عباس. ولد بالمدينة المنورة سنة (٢٥هـ). كان رحمه الله تابعياً، عالماً بالتفسير والمغازي، كثير التطواف والجولان في البلاد، مثل خراسان وأصيبهان ومصر وغيرها من البلاد. توفي بالمدينة المنورة سنة (١٠٥هـ). يُنظر: ابن سعد. الطبقات الكبرى (٧/ ٢٠٧)، ابن خلكان. وفیات الأعيان (٣/ ٢٦٥ - ٢٦٦).

عودة إلى الحوار على لسان إبراهيم عليه السلام وهو يخاطب أباه: { أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا } أي: هل تتخذ أصنامًا تعبد وتتخذ رباً من دون الله وهو الذي خلقك؟ وهو استفهام فيه معنى الإنكار، والأصنام: جمع (صنم): وهو تمثال في صورة إنسان، يُصنع من الجمادات كالحجر أو الخشب أو غيرها، وهو الوثن. ويطلق كذلك على الصورة المصوّرة على صورة الإنسان في الحائط وغيره: صنم أو وثن^(٢٤).
وقد تضمن كلام إبراهيم عليه السلام لأبيه إنكار شيئين: الأول: اتخاذ الصور إلهاً من دون الله، مع أنها لا تستحق هذه الصفة، والثاني: تعدد الآلهة، لذا قال أصناماً ولم يقل صنماً^(٢٥).

ثم قال: { إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } أي: إني أراك والذين يعبدون معك الأصنام ويتخذونها آلهة في ضلال مبين، أي: زوال عن محبة الحق، ويعني بذلك: ضلالهم عن توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، الذي أوجب عليهم إخلاص العبادة له، دون غيره من الأوثان، فالضلال في عبادة هذه الأصنام بين واضح لكل ذي عقل صحيح^(٢٦).

الموضع الثاني: قوله تعالى: { اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا } (٤١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (٤٥) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا (٤٧) وَأَعْتَرِلُكُم مَّا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا } [سورة مريم: ٤١-٤٨].

هذا هو الموضع الثاني المفصل لحوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه، حيث قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: { وَاذْكُرْ } يا محمد في كتاب الله نبأ إبراهيم عليه السلام على قومك الذين يعبدون الأصنام، وهم من ذريته، ويدعون أنهم على ملته. ثم وصف الله ﷻ إبراهيم عليه السلام بصفتين جليلتين، وهذا مما يميز الأسلوب القرآني، أنه يمدح الأولياء، ويصفهم

(٢٤) يُنظر: الطبري. جامع البيان (١١/ ٤٦٩)، القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (٧/ ٢٣).

(٢٥) يُنظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير (٧/ ٣١٣).

(٢٦) يُنظر: الطبري. جامع البيان (١١/ ٤٦٩)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٣/ ٢٨٩).

بصفات تُقدمهم عند من يدعونهم، فهو كما وصفه ربه، أي: جمع الله له بين الصديقية والنبوة، و(الصديقية) بتشديد الدال تعني: صيغة مبالغة في الاتصاف، أي: الصديق الكثير الصدق، القائم عليه، وإبراهيم عليه السلام ك كان صادقاً في حديثه، لا يكذب أبداً^(٢٧). وصفه الله بذلك لفرط صدقه، ومبادرته إلى امتثال أوامر الله تعالى، وأقرب مثال على صدقه مع الله حين رأى في المنام أن الله يأمره بذبح ابنه، فامتنحه الله بأشد الأشياء حباً له، فامتنل أمره، وأثر مرضاة ربه، وقد قيل: "من صدق الله في وحدانيته، وصدق أنبياءه، ورسله، وصدق بالبعث، وقام بالأوامر فعمل بها، فهو الصديق"^(٢٨).

والصفة الثانية التي امتدح الله بها خليله إبراهيم عليه السلام هي: النبوة. وقد نبأ الله إبراهيم عليه السلام وأوحى إليه، والنبى: العالي في الرتبة، فقد جعله الله واسطة بينه وبين عباده، وإبراهيم عليه السلام هو أفضل الأنبياء كلهم بعد محمد ﷺ، فقد دعا الخلق إلى عبادة الله، وناله من الأذى ما ناله فصبر، وأكمل دعوته، وبذل جهده في دعوة أبيه، وأثبت الله تعالى دعوته إياه في كتابه^(٢٩).

بدأ أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام دعوته بأقرب الناس إليه، فأحق الناس بالدعوة العشيرة^(٣٠) والأقربين، كما قال الله تعالى: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [سورة الشعراء: ٢١٤]، ولذلك كانت الخطوة الأولى في تبليغه للرسالة أن يدعو أباه إلى عبادة الله ﷻ، باعتباره الأقرب إليه، وهو ارتباط فطري يعكس ارتباط الابن بأبيه وحيه له، رجاء هدايته لما فيه الخير والصلاح؛ فقد كان والده في مقدمة عابدي الأصنام، وقد عزَّ على إبراهيم عليه السلام فعل والده، ورأى أن من واجبه أن يدعو ويخصه بالنصيحة؛ فخطبه بلهجة تسيل أدباً، ورحمة، وشفقة، مبيّناً له بالأدلة والبراهين بطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام.

فأقبل عليه يقول له: {إِنِّي أَرَاكَ} افتتح إبراهيم عليه السلام خطابه لأبيه بالنداء، مع أن حضوره يغني عن ندائه، بهدف إحضار سمع والده وذهنه لتلقي ما سيلقيه إليه، ثم بدأ إبراهيم عليه السلام حوار الدعوي بدعوته إلى إخلاص العبادة لله، ونبد الشرك، فقال: إِنِّي

(٢٧) يُنظر: الطبري. جامع البيان (٢٠٢/١٨)، البغوي. معالم التنزيل في تفسير القرآن. (٣/ ٢٣٦). ابن كثير. تفسير القرآن العظيم (٢٠٨/٥)، ابن عاشور. التحرير والتنوير (١١٢/١٦).

(٢٨) البغوي. معالم التنزيل (٢٣٦/٣).

(٢٩) يُنظر: الطبري. جامع البيان (٢٠٢/١٨)، البغوي. معالم التنزيل (٢٣٦/٣)، الرازي. مفاتيح الغيب. (٥٤٢/٢١) ..

أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} أي: يسأله لم تعبد أصنامًا، لا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك نفعًا ولا ضرًا لنفسها ولا لعبادها، فعبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً، والذي يستحق العبادة من له الكمال، فيُعطي عبده النعم، ويدفع عنه النقم، يسمعه إذا دعاه، ويستجيب له (٣١).

"ثم انتقل إلى دفع ما يخالج عقل أبيه من النفور عن تلقي الإرشاد من ابنه بنداء آخر، وفي إعادة ندائه بوصف الأبوة تأكيد لإحضار الذهن، ولإمحاء النصيحة المستفادة من النداء الأول" (٣٢).

قال الزمخشري (٣٣): "ثم ثنى بدعوته إلى الحق مترققاً به متلطفاً، فلم يسم أباه بالجهل المفرط، ولا نفسه بالعلم الفائق، ولكنه قال: إن معي طائفة من العلم ليست معك، وذلك علم الدلالة على الطريق السوي، فلا تستكف، وهب أني وإياك في مسير وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني أنجك من أن تضل وتتيه" (٣٤).

ثم بدأ بإقناعه، فلا يغره أنه ولده، وأصغر منه، فقد أعطاه الله من العلم به، وبما يكون بعد الموت من حساب وجزاء ما لم يعط أبوه، ثم يطلب منه اتباعه إلى ما يدعوه إليه، أي: طريقاً مستقيماً يوصلك إلى جنات النعيم، وينجيك من عذاب الجحيم. حتى يوصله إلى جنات النعيم، ولا يعبد غيره كي لا يُعذب عذاب الجحيم، فإن عبادة لأصنام هي عبادة للشيطان؛ لأنه سولها لك، وغرك عليها، ومن أطاع شيئاً في معصية فقد عبده (٣٥)، ثم علل سبب نهيه عن عبادة الشيطان وعبادة آثار وسوسته

(٣٠) عشيرة الرجل: بنو أبيه الأذنون، وقيل: هم القبيلة. يُنظر: ابن منظور. لسان العرب (٥٧٤/٤).

(٣١) يُنظر: الطبري. جامع البيان (٢٠٣/١٨)، السمين الحلبي. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. (٦٠٣/٧). السعدي. تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٩٤)، ابن عاشور. التحرير والتنوير (١١٣/١٦).

(٣٢) ابن عاشور. التحرير والتنوير (١١٤/١٦).

(٣٣) هو: محمود بن عُمر بن محمد الزمخشري، أبو القاسم. ولد في زمخشري -أحد قرى خوارزم- سنة: (٤٦٧هـ). كان رحمه الله مفسراً، محدثاً، متكلفاً، نحوياً، مفسراً، لغوياً، وكان معتزلي المعتقد. من مصنفاته: (الكشاف) في تفسير القرآن، و(الفائق) في غريب الحديث. توفي بالجرجانية من قرى خوارزم سنة (٥٣٨هـ). ينظر: ابن خلكان. وفيات الأعيان (١٦٨/٤ - ١٧٤)، الذهبي. سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠ - ١٥٦).

(٣٤) الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. (١٩/٣).

(٣٥) يُنظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (١١١/١١)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٠٨/٥)، الألوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. (٤١٥/٨).

وذكر وصف عصيًا يعني بذلك المبالغة في العصيان وزاد فعل (كان) الدال على الماضي، أي أن العصيان متمكن منه لا يفارقه، فلا غرابه من أمره بما ينافي الرحمة، ويؤدي إلى النقمة، ثم ختم الآية بوصف الرحمن، لأن عبادة غيره توجب غضبه، وتحرم من رحمته، فجدير ألا يُعبد غيره.

وإظهار اسم الشيطان في المرتين، مع أنه المقام في الثانية يكون إضمار، حتى يزيد من التنفير منه، ويوقظ النفس للموعظة، و(عصيًا): العصي: هو ذو العصيان، أو العاصي، أي: أنه مخالف مستكبر عن طاعة الله، لذلك أصيب بالطرد والإبعاد، ومن اتبعه سار على طريقه، وهنا بين إبراهيم عليه السلام أن العلة في منعه عبادته بسبب عصيانه للرحمن فلا نطيع من يعصي الله بأي حال، وخصص عصيانه من بين أفعاله؛ لأنه أول ذنب عادى فيه بني آدم، فذكر أبيه به حتى يجنب موالاته وطاعته (٣٦).

وبعد ذلك خوفه من سوء العاقبة إن استمر على ذلك فقال: {يَأْتِ بِإِِيٍّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [سورة مريم: ٤٥] (٣٧).

وفي النداء بقوله: يا أبت أربع مرات ادعى إلى قبول الموعظة؛ وناسب المقام ذلك فهو مقام إطناب وبه متسع من الوقت (٣٨)، يشبه في ذلك؛ تكرار لقمان قوله: (يا بُني) ثلاث مرات، أما قصة نوح مع ابنه، فقد كان المقام لا يسمح بذلك فاقترض الإيجاز ولم يناده إلى مرة واحد فقط، {وَهِيَ تَجْرِي بِهَمٍّ فِي مَوْجٍ كَأَجْالٍ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ، وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يُبَيِّ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ} [سورة هود: ٤٢] (٣٩).

ومعنى خوف إبراهيم عليه السلام على أبيه: إما أن يكون بمعنى العلم، كما أن الخشية هي العلم، كما في قوله: {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا

(٣٦) يُنظر: الطبري. جامع البيان (٢٠٤ / ١٨)، القشيري. لطائف الإشارات. (٢ / ٤٣١). ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٠٨ / ٥)، الألوسي. روح المعاني (٤١٥ / ٨)، ابن عاشور. التحرير والتنوير (١١٧ / ١٦).

(٣٧) البيضاوي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. (١٢ / ٤).

(٣٨) والإطناب: أن يزيد اللفظ على المعنى لفائدة، وهو يقابل الإيجاز، وتتوسطهما المساواة، يُنظر: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. (٥٦٧ / ٢).

(٣٩) ابن عاشور. التحرير والتنوير (١١٤ / ١٦).

وَكُفِّرًا} [سورة الكهف: ٨٠]^(٤٠)، أو أن الخوف هنا محمول على ظاهره؛ لأن إبراهيم لا يعلم الغيب، ولا يدري أيموت أبوه على الكفر أو لا، فلو كان يعلم لما نصحه^(٤١). وفي هذا تأدب مع الله تعالى بأن لا يثبت أمرًا فيما هو من تصرف الله، وإبقاء للرجاء في نفس أبيه؛ لينظر في التخلص من ذلك العذاب بالإقلاع عن عبادة الأوثان، ونسب الخوف إلى نفسه دون أبيه، شفقة عليه، وقال: {وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ} أي: يصيبك عذاب من الرحمن، فذكر لفظ (المس) ألطف من غيره، ثم ذكر {ير}، ولم يقل الجبار ولا القهار، وهذا غاية اللطف والرفق^(٤٢). وعذاب الرحمن إنما يصيبك بسبب شركك بالله تعالى، وعصيانك لما أمرك به، فتموت على الكفر فيمسك العذاب^(٤٣).

{لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}: "وولاية الشيطان تعني: ألا يكون لك مولى ولا ناصرًا ولا مغنيًا إلا إبليس، وليس إليه ولا إلى غيره من الأمر شيء، بل اتباعك له موجب لإحاطة العذاب بك، كما قال تعالى: {تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَرِئَنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [سورة النحل: ٦٣]"^(٤٤).

ومن هنا تدرك كيف تدرج الخليل عليه السلام بدعوة أبيه، فبدأ بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، الذي هو السبب لطلبه باتباعه، الاتباع الذي يهديه إلى الصراط المستقيم، ثم نهاه عن عبادة الشيطان، لما فيها من أضرار، ثم حذره عقاب الله ونقمته إن بقي على وضعه، وأنه يكون وليا للشيطان^(٤٥).

ثم انظر كيف رتب الخليل عليه السلام الكلام في غاية الحسن؛ "لأنه ذكر أولاً ما يدل على المنع من عبادة الأوثان، ثم أمره باتباعه في النظر، والاستدلال، وترك التقليد، ثم ذكر أن طاعة الشيطان غير جائزة في العقول، ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما ينبغي، ثم إنه عليه السلام أورد هذا الكلام الحسن مقروناً باللطف والرفق؛ فإن

(٤٠) يُنظر: الطبري. جامع البيان (٢٠٤/١٨).

(٤١) يُنظر: الشوكاني. فتح القدير. (٣٩٦/٣).

(٤٢) يُنظر: ابن القيم. تفسير القرآن الكريم. (ص: ٣٧١). ابن عاشور. التحرير والتنوير (١١٨/١٦).

(٤٣) يُنظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (١١١/١١)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٠٨/٥).

(٤٤) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٠٨/٥).

(٤٥) يُنظر: السعدي. تيسير الكريم المنان (ص: ٤٩٤).

قوله في مقدمة كل كلامه: { يا أَبَتِ { دليل على شدة الحب، والرغبة في صونه عن العقاب، وإرشاده إلى الصواب، وختم الكلام بقوله: { إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ { وذلك يدل على شدة تعلق فيه بمصالحه" (٤٦).

وقد أجاد من فسر هذه الآية حين قال: "فلما مرت هذه النصائح النافعة والمواظب المقبولة بسمع آزر، قابلها بالغلظة والفظاظة والقسوة، { لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ { والاستفهام للتقريع والتوبيخ والتعجيب، والمعنى: أمعرض أنت عن ذلك ومنصرف إلى غيره؟" (٤٧).

وأضاف الألّهة إلى ضمير نفسه لقصد تشريف المضاف إليه، وقد قابل أبو إبراهيم رفق ولده بمنتهى الجفاء، فلم يقل له (يا بني) بل قال: { يا إبراهيم {، فدل ذلك على أنه كان قاسي القلب، بعيد الفهم، شديد التصلب في الكفر" (٤٨).

ثم أمره أن ينتهي عن سب الألّهة وشتمها وهدده فقال: { لَنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ {، أي: وتهديده توعده بعقوبتين، الرجم والهجر، والمراد بالرجم هنا: إما بالحجارة، أو بالقول؛ أي: الشتم، أو بالضرب، أو بإظهار أمره، وهذا هو ديدن الطغاة الذين لا يجدون حجة على أقوالهم فيلجؤون للقوة (٤٩).

والعقوبة الثانية الهجر، والمراد بها: قطع الكلام، والمعاشرة، وأمره بذلك ليشعره بتحقيقه، ففيها معنى الطرد والخلع، وكان بإمكانه أن يُبادر هو بالهجر (٥٠).

ووصف الهجر بـ (ملئاً)، أي: دهرًا، أو زمانًا طويلاً (٥١)، وذهب ابن عباس رضي الله عنه إلى أن المعنى: "اجتنبني سالمًا قبل أن يصيبك مني عقوبة" (٥٢)، ورجحه ابن جرير الطبري رحمه الله وغيره من العلماء (٥٣).

(٤٦) الرازي. مفاتيح الغيب (٢١/٥٤٥).

(٤٧) الشوكاني. فتح القدير (٣/٣٩٧).

(٤٨) ينظر: الرازي. مفاتيح الغيب (٢١/٥٤٥)، ابن عاشور. التحرير والتنوير (١٦/١١٧-١١٨).

(٤٩) يُنظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (١١/١١١)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٠٨/٥).

(٥٠) يُنظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير (١٦/١٢٠).

(٥١) يُنظر: الطبري. جامع البيان (١٨/٢٠٦)، ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٥/٢٠٩).

(٥٢) الطبري. جامع البيان (١٨/٢٠٦).

(٥٣) يُنظر: المصدر نفسه (١٨/٢٠٧).

أتى رد إبراهيم ﷺ على أبيه بكل لطف فقال: { قَالَ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا } [سورة مريم: ٤٧]. فلم يعارضه إبراهيم ﷺ بسوء الرد، لأنه لم يؤمر بقتاله على كفره، بل قال: { سَلَّمَ عَلَيْكَ }، سلام توديع وبتاركة^(٥٤).

وعلى هذا فلا يُبدأ الكافر بالسلام، وقال آخرون: هو تحية مفارق، وعلى هذا القول تجوز تحية الكافر وأن يبدأ بها^(٥٥). وبادره بالسلام قبل الكلام الذي أعقبه به، إشارة إلى أنه لا يسوؤه ذلك الهجر في ذات الله تعالى ومرضاته^(٥٦).

ومن حلم إبراهيم ﷺ وإحسانه بأبيه، حرصه على هداة فقال: { سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا }، أي: أطلب من الله أن يغفر لك هذه العبادة، ويهديك إلى عبادته، فيغفر لك الشرك الماضي حينئذ، وكان وقتها لم ينهه الله عن الاستغفار للمشرك، وهذا ظاهر ما في قوله تعالى: { مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ } [سورة التوبة: ١١٤]^(٥٧).

{لَأَوْاهُ حَلِيمٌ}، أي: لطيفاً، أي: في أن هداني لعبادته والإخلاص له، وقال مجاهد وقتادة^(٥٨): وعده الإجابة، وقال السدي: "الحفي": الذي يهتم بأمره^(٥٩). وظل إبراهيم ﷺ يستغفر لأبيه مدة من الزمن، حتى بعد أن ذهب إلى الشام وبنى المسجد الحرام، ورزقه الله بالأبناء إسماعيل وإسحاق ، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: { رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ } [سورة إبراهيم: ٤١]^(٦٠).

(٥٤) يُنظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (١١١/١)، ابن عاشور. التحرير والتنوير (١٢١/١٦).

(٥٥) القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (١١٢/١١).

(٥٦) يُنظر: ابن عاشور. التحرير والتنوير (١٢١/١٦).

(٥٧) المصدر نفسه.

(٥٨) هو: قتادة بن دِعامَة بن عزيز السدوسي، أبو الخطاب. ولد سنة (٦٠هـ). كان رحمه الله تابعياً وعالمًا كبيراً، ومُفسِّراً حافظاً، عالماً باختلاف العلماء، ضريراً أكمه، وكان من أوعية العلم، يضرب به المثل في قوة الحفظ. قال عنه محمد بن سيرين: قتادة أحفظ الناس. توفي بواسط سنة: (١١٧هـ). ينظر: ابن سعد. الطبقات الكبرى (٧/ ١٧١)، ابن خلكان. وفيات الأعيان (٨٥/٤، ٨٦).

(٥٩) يُنظر: الطبري. جامع البيان (٢٠٧/١٨).

وتبعه بذلك المسلمون في بداية الإسلام، واستغفروا للمشركين من أهلهم وأقاربهم، وذلك اقتداء بإبراهيم الخليل في ذلك حتى أنزل الله تعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمَا نَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ} [سورة الممتحنة: ٤]. يعني: إلا في هذا القول، فلا تقتدوا به. ثم بين تعالى أن إبراهيم عليه السلام ترك ذلك، ورجع عنه، فقال تعالى: {مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ} إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ} [سورة التوبة: ١١٤] (٦١).

وبعد هذا الحوار الذي جرى بين إبراهيم عليه السلام وأبيه، قرر الخليل عليه السلام اعتزالهم، فهاجر منها إلى الأرض المقدسة، وظل مستمراً في دعاء ربه، {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيحًا} [سورة مريم: ٤٨] (٦٢).

"عبر عن الله بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه للإشارة إلى انفراده من بينهم بعبادة الله تعالى، فهو ربه وحده من بينهم، فالإضافة هنا تفيد معنى القصر الإضافي، مع ما تتضمنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إياه والتشريف لنفسه بذلك" (٦٣).

وحتى لا يستوحش بالاعتزال عن قومه خص في دعائه أن يهبه الله تعالى أهلاً وذرية، ولهذا قال: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا} [سورة مريم: ٤٩]، أي: عوضناه عن الأهل الذين فارقهم بهؤلاء (٦٤).

(٦٠) يُنظر: ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. (٢٠٩/٥).

(٦١) المصدر نفسه

(٦٢) يُنظر: البغوي. معالم التنزيل (٢١٨/٦).

(٦٣) ابن عاشور. التحرير والتنوير (١٢٣/١٦).

(٦٤) يُنظر: القرطبي. الجامع لأحكام القرآن (١١٣/١١)، الشوكاني. فتح القدير (٣٩٧/٣).

• المسألة الثانية: أسلوب حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه

استخدم القرآن الكريم في تصوير هذا المشهد الحواري بين إبراهيم عليه السلام وأبيه أسلوب الحوار الجدلي وإثبات الحجة، وقد هدَف إبراهيم عليه السلام من ذلك إيصال الحق إلى والده، بأسلوب راقٍ، ومتدرج، وما أحوجنا اليوم إلى الاستفادة من هذا النموذج البناء الذي يصوره الابن المحسن البار بوالده الكافر الرافض للحق وأهله.

وهذا الأسلوب من الحوار يُعرَف بأنه: "حوار يجري فيه نقاش، أو جدال غايته إثبات الحجة على المشركين للاعتراف بضرورة الإيمان بالله وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر، وببطلان آلهتهم"^(٦٥).

ومن خلال التعريف السابق نجد أن هناك نقاط اتفاق بين أسلوب الحوار الجدلي والأسلوب الذي نهجه إبراهيم عليه السلام مع أبيه، في كلا الموضعين، ففي سورة مريم بدأت القصة بلفت نظر القارئ إلى طرفي الحوار، إبراهيم عليه السلام وأبيه، مع ذكر صفتين اتصف بهما الطرف الأول، وهو إبراهيم عليه السلام وهما: الصديقية والنبوة، قال تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا} [سورة مريم: ٤١].

ثم ذكر إبراهيم عليه السلام الحجج والبراهين التي تؤيد دعوته لوالده، بعد أن تودد إليه وتحبب بندائه بادئاً بالبرهان العقلي بصيغة الاستنكار، فقال: {إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} [سورة مريم: ٤٢]. فالعاقل لا يمكن أن يعبد إلهاً بقدرات أقل من قدراته البشرية لا ينفع ولا يضر، ثم ثنى بعد أن ناداه بالصورة المحببة واستخدم قضية العلم بتواضع منه، فقال: {يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا} [سورة مريم: ٤٣]. أي: جاءني شيء من العلم لا كله، قاصداً بذلك النبوة، فكانت غاية إبراهيم عليه السلام هداية أبيه إلى الصراط السوي، واستخدم هنا الصورة الذهنية، وكأن الصراط هو الطريق الممهد الأسرع والأيسر في الوصول.

ثم ثلث بنداء أبيه بنفس الصورة السابقة مصرحاً بما يريده منه وهو ترك عبادة الأصنام، فقال: {يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا} [سورة مريم: ٤٤]. وعبادة الشيطان هنا طاعته في غير ما أمر الله به.

(٦٥) النحلاوي. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع.

(ص: ١٨١).

ثم رَّبَّعَ بِنْدَاءِ أَبِيهِ المتوَدِّد، ثم ترهيبه من عذاب الله بصورة محترمة موقرة له، فقال: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [سورة مريم: ٤٥]. والمس شيء قليل مقارنة بالإلقاء والإحراق، ثم نكَّرَ العذاب، وذلك يُفيد التقليل، ثم قال: (الرحمن) مع أن الأسلوب ترهيب، إلا أنه اختار كلماته بعناية ولطف. يأتي بعد ذلك رد الطرف الآخر من الحوار، وهو أبو إبراهيم عليه السلام والذي يُنتظر منه الرد على هذه الحجج والبراهين التي طرحها ابنه، إلا أنه أنكر على ابنه عدم رغبته في آلهته، وأقسم إن لم ينته عن دعوته ليعذبه بعقوبتين: الرجم والهجر، قال تعالى: {قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَّمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [سورة مريم: ٤٦]. فلم يُجب على الأدلة التي قالها ابنه، بل هده وتوعده، فأتى الرد من إبراهيم عليه السلام بقوله: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا} [سورة مريم: ٤٧]. فاستغفر له حتى تبين له أنه لن يؤمن، فتوقف عن ذلك. ومن خلال ما سبق: يُلاحظ أن هذا الأسلوب من الحوار يتميز بعدة مميزات، من أهمها ما يلي^(٦٦):

أولاً: يُربي الحوار الجدلي الحماسة للحق، وتحري الصواب، والرغبة في تعلّم الحجة الدامغة، وهذه الحماسة في الحق يجب الحرص عليها وعلى تنميتها عند المتربين.

ثانياً: يُربي الحوار الجدلي، عن طريق الإيحاء، كره الباطل والأفكار الشريكية والإلحادية التافهة الباطلة.

ثالثاً: يُربي الحوار الجدلي العقل على التفكير السليم، والوصول إلى الحقائق بأسلوب صحيح.

ومن هنا كان الحوار الجدلي وسيلة من وسائل نشر الدين الإسلامي، الهدف منه إثبات الحجة والبرهان على المشركين، للإيمان بالله وتوحيده، والاعتراف باليوم الآخر، والاعتراف بالأنبياء ﷺ، وبطلان ما هم عليه من عبادة غير الله تعالى، كما يُمكن من خلال هذا الحوار بيان العديد من الأمور وتوضيحها، لمختلف أصناف الناس.

● المسألة الثالثة: الهدايات المستنبطة من هذا الحوار

١. أحق الناس بالدعوة العشيّرة والأقربون؛ لذلك بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بأبيه، فهو أقرب الناس إليه وأحقهم ببره، ومن أعظم البر والإحسان بالأب دعوته إلى الحق،

(٦٦) النحلوي. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. (ص: ١٨٢).

- وإرشاده إلى الخير، وتحذيره من المعصية، وذلك بسلوك أحسن الطرق، وأرق الأساليب.
٢. الأسلوب الحوارى الجميل الذي اتبعه إبراهيم عليه السلام مع أبيه، فقد كان حذرًا من الوقوع في الغلظة، أو فيما نهى الله عنه، فامتلاً حواراه بالتأدب والرفقة واللفظ في الدعوة، والوعظ الحسن.
٣. ابتدأ إبراهيم عليه السلام خطابه بتلك الكلمة الرقيقة اللطيفة، قاصداً استمالة قلب أبيه واستعطافه وتذكيره بمكانته، فقال: { يَا أَبَتِ } [سورة مريم: ٤٢]. فلم يقل يا كافر، أو يا فاجر، أو يا آزر، أو يا هذا، بل حتى لم يقل يا أبى، فاستبدل الياء بالتاء توقيراً لمقام الأب، واحتراماً له وتودداً.
٤. نسب إبراهيم عليه السلام أباه إليه رغبةً منه أن يكون أقرب الناس إليه لا بعدهم.
٥. تكرر ندائه قبل كل نصيحة يُسديها إليه؛ حتى تكون سبباً في تقرب قلب المدعو من الداعية.
٦. لنا في إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة، فلم يكن مجافياً قط في مخاطبة أبيه، ولم ينس لحظة واحدة أنه أبوه، وله حقوقه، فالإشفاق على المدعوي أمر يجب أن يتصف به الداعية.
٧. نلاحظ من خلال سياق الآيات حكمة إبراهيم عليه السلام في دعوة أبيه من أقرب الطرق وأيسرها في الدعوة، فبدأ بتقديم البرهان العقلي؛ تمهيداً منه لبيان بطلان هذه العبادة، ثم أخبره بالرسالة وهي العلم، ثم عاد إلى تقرير خطر المسلك الذي يسير عليه أبوه، عن طريق تحذيره من سلوك سبيل الشيطان، حتى يُبين أنه خائف عليه، فذكر المصير والمآل إن استمر على هذا الطريق.
٨. من أقوى الطرق وأنجحها لاستجابة المحاور: ذكر سبب إنكار العمل، وتدعيم القول بالحجج المادية والمعنوية، كما فعل إبراهيم عليه السلام.
٩. لا بد أن يتسلح المحاور بالعلم والصدق، والعلم رزق من الله لا يتوقف على عُمر أو جنس، وإبراهيم عليه السلام آتاه الله رشداً مذ كان صغيراً، كما قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ} [سورة الأنبياء: ٥١].
١٠. الأصل تبعية الولد لوالديه، أي: أن الولد هو من يتبع أباه^(٦٧)، لكن هنا حدث العكس، فالأب مأمور بأن يتبع ابنه؛ لما شرفه الله به من العلم.

(٦٧) يُنظر: ابن القيم. أحكام أهل الذمة. (ص: ٣٣٩).

١١. تأدّب إبراهيم عليه السلام في حوارهِ مع والده حين قال: وصلني علم لم يصل إليك، فلم يقل مثلاً: أنا عالم وأنت جاهل، أو ليس عندك شيء من العلم، حتى لا تنفر نفس أبيه منه.

١٢. الصراط السوي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه هو أسهل وأسرع طريق للفوز بكل مرغوب، والنجاة من كل مرهوب، وهو عبادة الله وحده، فإبراهيم عليه السلام كان في دعوته وسطاً بين الخوف والرجاء.

١٣. من الواضح أن إبراهيم عليه السلام قد شق طريق دعوته لأبيه بتدرج موزون، حتى حين أظهر الشفقة على أبيه، قال: {يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا} [سورة مريم: ٤٥]. ، فلم يجزم أن العذاب لاحق بأبيه، فذكر الخوف والمس، ونكّر العذاب، كما قال الألوسي^(٦٨): "ويكفي في مراعاة الأدب والمجاملة عدم الجزم بالحق"^(٦٩).

١٤. رقة قلب إبراهيم عليه السلام وحنانه على أبيه، فلم يقل: (يُصِيبُكَ)؛ لأن الإصابة تكون قوية وشديدة، بل قال: (يَمَسُّكَ)، يعني بذلك: لا أريد أن يمسك أدنى مسيس من النار، فضلاً عن أن تُحرق أو تُقَذَّفَ فيها، فخوفي مما هو أعظم من المس أشد وأشد.

١٥. الأصل أن يتخير الداعية من أسماء الله ما يتوافق مع كلامه، كما فعل الخليل عليه السلام حين قرن بين العذاب واسم الله الرحمن، وكأنه يطلب أن يكون عذاب والده -إن مات على كفره- عذاب رحمان لا عذاب منتقم، كما ينبغي على الداعية أن يُذكر المدعو برحمة الله، وأنه رحمان، فرحمته سبقت غضبه، يتوب عليك إن تبت، ويقبل عليك إن أقبلت عليه، مع اليقين بأن رحمته لا تمنع حلول عذابه.

١٦. فظلاظة ردّ والد إبراهيم عليه السلام الذي يغلب عليه الجفاء، دون أي احترام لذاته، فضلاً عن يُحاوره، فلم يقل مثلاً: أشكرك على أدبك معي، وابق أنت على دينك،

(٦٨) هو: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، أبو الثناء. ولد ببغداد سنة: (١٢١٧هـ). كان رحمه الله سلفي الاعتقاد، شافعي المذهب، مجتهداً، مفسراً، فقيهاً، أديباً، لغوياً، نحوياً، محدثاً، جمع كثيراً من العلوم حتى أصبح علامة في المنقول والمعقول، فهامة في الفروع والأصول. من تصانيفه: (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، و(حاشية الألوسي على شرح القطر) في النحو. توفي ببغداد سنة: (١٢٧٠هـ). يُنظر: البيطار. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. (ص: ١٤٥٣-١٤٥٤). الذهبي. التفسير والمفسرون. (٢٥٠/١-٢٥١). ابن القيم. أحكام أهل الذمة. (ص: ٣٣٩). (٦٩) الألوسي. روح المعاني (٤١٦/٨).

وأنا على ديني، بل رد عليه بكل عنف ونكران وإظهار للعداونية؛ فهدهد بعقوبتين: بدنية/ ونفسية، البدنية: الرجم، واختاره لأنه يعم جميع البدن، وكذلك اختار عذاباً نفسياً شاملاً وهو الهجر والبراءة منه أبداً، وهذه عادة الطغاة عندما يعجزون عن مقارعة الحجة بالحجة، يلجؤون إلى القوة.

١٧. من مظاهر قسوة (آزر) أنه نسب الآلهة إلى نفسه، ولم ينسب ابنه إليه، مع أنه لم يكن لدى الأب حجة ولا برهان، بل تقليد واتباع.

١٨. صفو مودة ما في قلب الولد على أبيه، حين رد على أبيه بقوله: سلام عليك.

١٩. الداعية لا بد أن يرحم المدعويين ويشفق عليهم، يُظهر محبتهم ويحرص على هدايتهم، ويقابل السيئة بالحسنة^(٧٠)، كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام، لا يستعمل العنف في أسلوبه؛ وإلا كان سبباً في إعراض المستمع.

٢٠. وجوب بر الوالد، كما فعل إبراهيم عليه السلام مع والده؛ لأن معصية الوالد أو كفره لا يمتنعان من بره.

٢١. على الداعية ألا ييأس من استجابة المدعويين، فيدعو لهم، ويسأل الله لهم الهداية، وينشغل بإصلاح نفسه، ويرجو القبول من ربه، قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمُ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ } [سورة يوسف: ٨٧].

٢٢. حكى الله تعالى قصة إبراهيم عليه السلام لنبيه محمد ﷺ ليخفف على قلبه ما كان يحدث له من الأذى، فيعلم أن الذين آذوا الأنبياء قبله موجودون على مر العصور والأزمان^(٧١).

النتائج والمناقشة:

فيفضل من الله وإعانته وتوفيقه، تمت كتابة هذا الموضوع: "الهدايات المستنبطة من حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه" الذي تناول بين طياته تعريف الحوار، ودراسة آيات حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه دراسة تحليلية، وأبرز طريقتهم في أسلوب الحوار، وأظهر الهدايات المستنبطة منها، ليتم بعد ذلك الخلوص إلى أهم النتائج وأبرز التوصيات التي يتأمل تحقيقها؛ وذلك كما يأتي:

(٧٠) يُنظر: القحطاني. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري. (١٠٩/١).

(٧١) يُنظر: الرازي. مفاتيح الغيب (٥٤٥/٢١).

أولاً: النتائج:

١. يتمحور مفهوم الحوار في أنه عبارة عن مناقشة أو محادثة بين شخصين أو أكثر، يتم فيه تداول موضوع من الموضوعات المتخصصة بهدوء وبلا خصومة أو منازعة.
٢. يحظى الحوار بمنزلة عالية في الأسرة، فهو اللبنة الأهم والركيزة الأساسية لتماسك الأسرة وتآلفها، ونموها نموًا صحيحًا.
٣. الداعية لا بد أن يكون لطيفًا رقيقًا، يُظهر المحبة ويحرص على هداية المدعو، ويقابل السيئة بالحسنة.
٤. من أقوى الطرق وأنجحها لاستجابة المحاور: ذكر سبب إنكار العمل، وتدعيم القول بالحجج المادية والمعنوية، كما فعل إبراهيم الخليل.
٥. من صفات الداعية: رحمة المدعويين، والشفقة عليهم، وإظهار محبتهم، والحرص على هدايتهم، وعدم اليأس من استجابتهم، والدعاء لهم، ومقابلة السيئة بالحسنة، والانشغال بإصلاح نفسه.
٦. الأسرة المسلمة اليوم أحوج ما تكون إلى تعلم أسلوب الحوار، حتى تستطيع تمكين دين الله في المجتمعات الإسلامية، ويساعدها على التواصل الإيجابي بين الأفراد، ويدعم كذلك العلاقات الأسرية.

ثانيًا: التوصيات:

١. الالتفات إلى ما في كتاب الله تعالى من المسائل الحوارية ذات الدلالات التربوية العظيمة، ففيها كنز عظيم ومنهل كريم لا تنفذ عجائبه، ولا تنقضي.
٢. ألا يقتصر دور الوعاظ والواعظات في الحديث عن حقوق الأسرة وواجباتها، بل لابد لهم أن يتحدثوا عن الأساليب التربوية اللازمة في إدارة الأسرة، التي من أهمها أسلوب الحوار، الذي من خلاله يتلافى المرء الكثير من المشكلات، فتكون حينئذ الوقاية خيرٌ من العلاج.
٣. استخراج دراسة علمية تجمع الحوارات في القرآن الكريم وتدرسها وتستخرج الهدايات منها.

المراجع:

- الألوسي. محمود بن عبد الله الحسيني. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الكتب العلمية، ط١. بيروت.
- البغوي. الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن. دار إحياء التراث العربي، ط١. بيروت – لبنان.
- البيضاوي. عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي. أنوار التنزيل وأسرار التأويل. دار إحياء التراث العربي، ط١. بيروت – لبنان.
- البيطار. عبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر. دار صادر، ط٢. بيروت – لبنان.
- الذهبي. محمد بن أحمد بن عثمان. التفسير والمفسرون. مكتبة وهبة. القاهرة.
- الترمذي. محمد بن عيسى. سنن الترمذي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢. مصر.
- أبو حاتم. عبد الرحمن محمد بن إدريس بن المنذر. الجرح والتعديل. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١. حيدر آباد الدكن – الهند.
- ابن حجر. أحمد بن علي بن محمد. تقريب التهذيب. دار الرشيد، ط١. سوريا.
- الحمزي. إبراهيم بن يوسف بن إبراهيم. مطالع الأنوار على صحاح الآثار. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. ط١. دولة قطر.
- ابن حميد. صالح بن عبد الله. أصول الحوار وأدابه في الإسلام. دار المنارة للنشر والتوزيع، ط١. جدة – مكة.
- الحنفي. علاء الدين مغلطي بن قليج بن عبد الله. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. دار الكتب العلمية، ط١. بيروت – لبنان.
- ابن خلكان. شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. دار صادر، ط١. بيروت – لبنان.
- الذهبي. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان. سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة. ط٣، أ. الأدنه وي.
- الرازي. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني. معجم مقاييس اللغة. دار الفكر.
- الرازي. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. مختار الصحاح. الدار النموذجية، طه. بيروت – صيدا،
- الرازي. محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين. مفاتيح الغيب. دار إحياء التراث العربي، ط٣. بيروت – لبنان.
- الزمخشري. محمود بن عمر بن أحمد. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. دار الريان للتراث، ط٣. القاهرة.

- ابن سعد. محمد البغدادي. الطبقات الكبرى. مكتبة الخانجي، ط١. القاهرة – مصر.
- السعدي. عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. مؤسسة الرسالة، ط١.
- السمين الحلبي. أحمد بن يوسف بن عبد الدائم. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. (٦٠٣/٧). دار القلم، دمشق.
- السيوطي. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. طبقات المفسرين. مكتبة العلوم والحكم، ط١. السعودية.
- الشوكاني. محمد بن علي بن محمد. فتح القدير. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، ط١. دمشق، بيروت.
- الطبري. محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. دار التربية والتراث، مكة المكرمة- السعودية.
- ابن عاشور. محمد الطاهر بن محمد. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد». الدار التونسية للنشر – تونس.
- ابن عبد البر. يوسف بن عبد الله بن محمد. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. دار الجيل، ط١. بيروت – لبنان.
- ابن عطية. عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. دار الكتب العلمية، ط١. بيروت – لبنان.
- العلالونه. أحمد. ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء المستعربين والمستشرقين. دار المنارة للنشر والتوزيع. ط١.
- الفيروزآبادي. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط٨. بيروت – لبنان.
- القحطاني. سعيد بن وهف. فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد. ط١.
- القرطبي. محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. دار الكتب المصرية، ط٢. القاهرة – مصر.
- القشيري. عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك. لطائف الإشارات. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣. مصر،
- ابن القيم. محمد بن أبي بكر بن أيوب. تفسير القرآن الكريم. دار ومكتبة الهلال، ط١. بيروت.
- ابن القيم. محمد بن أبي بكر بن أيوب. أحكام أهل الذمة. دار رمادي للنشر، ط١. الدمام – السعودية.

- ابن كثير. إسماعيل بن عمر الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. دار الكتب العلمية، ط١. بيروت - لبنان.
- ابن كثير. إسماعيل بن عمر الدمشقي. البداية والنهاية. دار هجر للطباعة، والنشر، والتوزيع، والإعلان. ط١.
- مجمع اللغة العربية بالقاهرة. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية، ط٢. القاهرة. المزي. جمال الدين أبو الحجاج يوسف. تهذيب الكمال في أسماء الرجال. مؤسسة الرسالة، ط١. بيروت - لبنان.
- ابن منظور. محمد بن مكرم بن علي. لسان العرب. دار صادر، ط٣. بيروت. النحلاوي. عبد الرحمن. أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع. دار الفكر. ط٢٥.
- نويهض. عادل. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر». مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط٣. بيروت - لبنان.



الرواة المتكلم في اتصال سماعتهم من كتاب "جامع التحصيل" للعلائي

دراسة التراجم (٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦)

Narrators speaking with their headphones connected from
the book "Jami' al-Tahseel" by Al-Ala'i
Study of translations (401, 402, 404, 405, 406)

إعداد

نوره بنت سعود آل رقيب
Noura Saud Al Raqib

مسار التفسير والحديث – قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية – جامعة الملك
سعود

Doi: 10.21608/jasis.2024.367232

٢٣ / ٤ / ٢٠٢٤

استلام البحث

٣ / ٥ / ٢٠٢٤

قبول البحث

آل رقيب، نوره بنت سعود (٢٠٢٤). الرواة المتكلم في اتصال سماعتهم من كتاب "جامع التحصيل" للعلائي دراسة التراجم (٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦). *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٢٧-٥٦.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الرواة المُتَكَلِّم في اتصال سماعاتهم من كتاب "جامع التحصيل" للعلائي
دراسة التراجم (٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦)

المستخلص:

ومن الكتب التي اعتنت بالنظر في أحوال الرواة والحكم عليهم، وبالتحديد في جانب "الإرسال" - وهو رواية الشخص عن من لم يسمع منه ، كتاب "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" للإمام صلاح الدين العلائي، فقد جمع فيه كل من وصل إلى علمه ممن قيل فيه أنه مُرسِل، مرتبًا ذلك على حروف المعجم، معتضدًا في الحكم عليهم على أقوال من سبقه من العلماء ممن لهم عناية بالمراسيل، كأبي حاتم الرازي، وغيره . نظرًا لما للإرسال من أهمية ، حيث يترتب عليه الحكم على الحديث بالصحة أو ما دونها ، تحقيق خمسة سماعات من كتاب "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" للإمام صلاح الدين العلائي . ولقد استخدمت المنهج الاستقرائي التحليلي في عرض موضوعات هذا البحث . ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة :

- لم يسمع عبد الله بن نُجَي الحَضْرَمي من علي ﷺ .
 - قد سمع عبد الله بن نيار من خاله عمرو بن شَاس .
 - لم يسمع عبد الله بن أبي الهذيل من أبي بكر الصديق ﷺ .
- الكلمات المفتاحية : الرواة - الإرسال - يسمع - المراسيل .

Abstract:

Among the books that focused on examining the conditions of narrators and judging them, specifically in the aspect of "Irsal" - which is a person's narration from someone he did not hear from, was the book "Jami' al-Tahseel fi Ahkam al-Marasil" by Imam Salah al-Din al-Ala'i, in which he collected everything that came to his knowledge from those who were said to be Mursil. He arranged it according to the letters of the dictionary and based his judgment on them on the statements of the scholars who preceded him who had an interest in Marasil, such as Abu Hatim al-Razi and others. In view of the importance of transmitting, as it results in judging the hadith as authentic or less authentic, five readings from the book "Jami' al-Tahseel fi Ahkam al-Marasil" by Imam Salah al-Din al-Ala'i. I used the inductive and analytical method in presenting the topics of this

research. Among the most prominent results reached by the researcher:

- Abdullah bin Naji Al-Hadrami did not hear from Ali, may Allah bless him and grant him peace.
- Abdullah bin Niyar heard from his uncle Amr bin Shas.
- Abdullah bin Abi Al-Hudhayl did not hear from Abu Bakr Al-Siddiq, peace be upon him.

Keywords: narrators - transmission - listens - Marasil.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ نبي الهدى المصطفى الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فإن السنة النبوية – على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، فصل الله تعالى بها ما أجمله في كتابه، وبين بها ما أحكمه في خطابه، وقد جعل سبحانه طاعة رسوله ﷺ من طاعته: {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠].

ولقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم ما لسنة رسول ﷺ من أهمية، فحرصوا كل الحرص على المحافظة عليها، حفظاً، وتعلماً، وتعليماً، وألفوا الكتب التي جمعت وحفظت السنة النبوية.

ولم يقتصر الأمر على ما سبق، بل انبرى جمع من أهل العلم إلى الاحتياط في المرويات الحديثية بالبحث في الأسانيد، والحكم على الرواة والسؤال عن أحوالهم، حتى بلغ ببعضهم أن يسافر من بلد لآخر متكبداً عناء ومشقة، في سبيل أن يسأل عن رواية أو يتبين أحوالهم، وكل ذلك احتياطاً لسنة رسول الله ﷺ، وذنباً للخطأ عنها.

فألفت في ذلك المؤلفات، وقعدت القواعد، وظل الكثير من الأحاديث حتى يومنا مجاًلاً للنظر فيها لمزيد يقين وتوثق، وليس ذاك إلا لكون هذا العلم قائم على الدليل والحجة والنظر، فلا يُقبل قول لمجرد أنه قيل، وإنما لا بد من دليل وقرينة لهذا القول.

ومن الكتب التي اعتنت بالنظر في أحوال الرواة والحكم عليهم، وبالتحديد في جانب "الإرسال" – وهو رواية الشخص عن من لم يسمع منه-^(١)، كتاب "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" للإمام صلاح الدين العلائي، فقد جمع فيه كل من وصل إلى علمه ممن قيل فيه أنه مُرسِل، مرتباً ذلك على حروف المعجم، معتزداً في

(١) التبيين لأسماء المدلسين، سبط ابن العجمي (ص: ١٣).

الحكم عليهم على أقوال من سبقه من العلماء ممن لهم عناية بالمراسيل، كأبي حاتم الرازي، وغيره.

أهمية البحث وأسباب اختياره :

نظرا لما للإرسال من أهمية ، حيث يترتب عليه الحكم على الحديث بالصحة أو ما دونها ، فقد استعنت بالله في تحقيق خمسة سماعات من كتاب "جامع التحصيل"

حدود البحث :

تحقيق خمسة سماعات من كتاب "جامع التحصيل في أحكام المراسيل" للإمام صلاح الدين العلائي .

منهج البحث:

المنهج الاستقرائي التحليلي .

إجراءات البحث:

- ١/ الترجمة للراوي الموسوم بالإرسال.
- ٢/ الترجمة للراوي المتكلم في سماع المرسل منه.
- ٣/ ذكر نص "جامع التحصيل" في الراوي كاملاً.
- ٤/ تحقيق النص والقرائن المؤيدة للإرسال.
- ٥/ ذكر الأدلة المضادة لحكم العلائي في الراوي من حيث كونه مرسل.
- ٦/ مناقشة الأدلة والترجيح.
- ٧/ الرجوع لكتب أهل الحديث، واستخراج أقوال الأئمة منها.
- ٨/ ذكر المعلومات والأدلة من أقدم المصادر التي أوردتها قدر المستطاع.
- ٩/ ذكر ثلاثة من الشيوخ والتلاميذ في كل ترجمة، من كتاب "تهذيب التهذيب" لابن حجر -رحمه الله-، وذلك لتأخر وفاة مؤلفه ووجود عدد كبير من الرواة فيه.
- ١٠/ ترتيب أسماء الشيوخ والتلاميذ على حروف المعجم، مقدمة من ذكر باسمه على من ذكر بكنيته.
- ١١/ تقديم أقوال المعدلين على المجرحين عند الإيراد، مرتبة لهم بحسب الأقدم وفاة.
- ١٢/ ذكر أقوال العلماء في الجرح والتعديل لا على سبيل الاستقصاء، خاصة فيمن اشتهرت ثقته عند العلماء، أو العكس ممن اشتهر ضعفه.
- ١٣/ لن أحشو أقوال العلماء في الجرح والتعديل بذكر الأسانيد.
- ١٤/ قد تختلف بعض العناوين الفرعية في ترجمة الرواة، بحيث يوجد في بعضها ما لا يوجد في الآخر، فذاك دليل على عدم وقوفي على ما يدرج تحته، فلم أفرد لها بعنوان لأشهر إلى ذلك.

- ١٥ / الترجمة للصحابة من كتاب "تهذيب الكمال في أسماء الرجال" للمزي - رحمه الله- وذلك لتأخر وفاته، واستقصائه في تراجمه، وكثرة الصحابة الواردين فيه ، ولا أخرج عنه إلا في حالة عدم وقوفي على الصحابي فيه.
- ١٦ / تشكيل أسماء الرواة قد المستطاع.
- ١٧ / عند تخريج حديث أكتفي بتخريجه من أحد الكتب التسعة، إلا إذا دعت الحاجة الخروج عنها إلى غيرها من المصادر.
- ١٨ / أورد الأحاديث دون ذكر الحكم عليها، لأن مجال ورودها هو ذكر موضعها من الكتب، لا الحكم على الحديث.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وخمسة مباحث، وخاتمة، وملحق، على النحو التالي:

- ❖ المقدمة.
- ❖ المبحث الأول: عبد الله بن نجّي الحَضْرَمي، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: ترجمة الراوي.
 - المطلب الثاني: سماعه من علي بن أبي طالب عليه السلام.
- ❖ المبحث الثاني: عبد الله بن نيار، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: ترجمة الراوي.
 - المطلب الثاني: سماعه من عمرو بن شاس.
- ❖ المبحث الثالث: عبد الله بن أبي الهذيل، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: ترجمة الراوي.
 - المطلب الثاني: سماعه من أبي بكر الصديق عليه السلام.
- ❖ المبحث الرابع: عبد الله بن يزيد الخطمي، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: ترجمة الراوي.
 - المطلب الثاني: سماعه من النبي صلى الله عليه وسلم.
- ❖ المبحث الخامس: عبد الله بن أبي نجّيح يسار المكي، وفيه مطلبان:
 - المطلب الأول: ترجمة الراوي.
 - المطلب الثاني: سماعه من مُجاهد بن جبر.
- ❖ الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- المبحث الأول: عبد الله بن نجّي الحَضْرَمي :
- المطلب الأول : ترجمة الراوي :

اسمه ونسبه: عبد الله بن نُجَيِّ بن سلمة بن حِشْم بن أسد بن خُلبية الحضرمي الكوفي^(٧).

كنيته: كناه النسائي، أبا لقمان^(٣).

بلده: هو كوفي - كما في نسبه -.

من شيوخه^(٤):

■ حذيفة بن اليمان.

■ عمار بن ياسر.

■ نُجَيِّ بن سلمة - أبوه - وغيرهم.

من تلاميذه^(٥):

■ الحارث العُكْلِي،

■ شَرْحِبِيل بن مُذْرَك،

■ أبو زُرعة بن عمرو بن جرير. وغيرهم.

من أقوال علماء الجرح والتعديل فيه:

■ قال العجلي: عبد الله بن نُجَيِّ: تابعي، ثقة، من خيار التابعين^(٦).

■ قال النسائي: ثقة^(٧).

■ ذكره ابن حبان في الثقات^(٨).

■ قال ابن حجر: صدوق^(٩).

■ روى له أبو داود، والنسائي، وابن ماجه^(١٠).

■ قال الشافعي: عبد الله بن نُجَيِّ مجهول^(١١).

■ قال الدارقطني: ليس بقوي في الحديث^(١٢).

طبقة: من الثالثة^(١٣).

^٢ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢١٩/١٦، ٢٢٠/٢٢٠ رقم ٣٦١٤).

^٣ تهذيب التهذيب، ابن حجر (٥٥/٦ رقم ١٠٤).

^٤ المرجع السابق.

^٥ المرجع السابق.

^٦ تاريخ الثقات، العجلي (٢٨٢).

^٧ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٢٠/١٦ رقم ٣٦١٤).

^٨ الثقات، ابن حبان (٣٠/٥).

^٩ تقريب التهذيب، ابن حجر (٣٢٦/٣٢٦ رقم ٣٦٦٤).

^{١٠} تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٢٠/١٦ رقم ٣٦١٤).

^{١١} تهذيب التهذيب، ابن حجر (٥٥/٦).

^{١٢} العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني (٢٥٨/٣).

المطلب الثاني: سماعه من علي بن أبي طالب ؑ :

أولاً: ترجمة الراوي المتكلم في سماعه منه^(١٤):

اسمه ونسبه: علي بن أبي طالب، واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي، أبو الحسن الهاشمي أمير المؤمنين ابن عم رسول الله ﷺ. كنيته: كناه رسول الله ﷺ أبا ثراب، والحديث في ذلك مشهور. طبقته: من الصحابة ؓ.

من فضائله: شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ما خلا تبوك. روى عنه:

■ الأحنف بن قيس التميمي.

■ وأسماء بن الحكم الفزاري،

■ والأسود بن يزيد النخعي، وغيرهم.

وفاته: قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي، ليلة الجمعة لثلاث عشرة، وقيل: لإحدى عشرة ليلة خلت، وقيل: بقيت، من رمضان سنة أربعين للهجرة.

ثانيًا: نص الدراسة في عدم السماع:

"عبد الله بن نجّي الحَضْرَمي قال ابن معين: لم يسمع من علي ؑ" ^(١٥).

ثالثًا: توثيق النص المُستدل به وتحليله:

ورد تصريح من الإمام يحيى بن معين في عدم سماع الراوي من علي ؑ، في "مراسيل ابن أبي حاتم"، والنص بتمامه هو: "ذكره أبي عن إسحاق بن منصور قال: قلت ليحيى بن معين: عبد الله بن نجّي سمع من علي؟ قال: لا بينه وبين علي: أبوه" ^(١٦).

ومن الأدلة المؤيدة لذلك:

١/ قال ابن عدي بعد أن أورد عددا من الأحاديث عن عبد الله بن نجّي، عن علي، ومنها: "حدثنا أحمد بن الحسن السكوني الكوفي، حدثنا أحمد بن بديل، حدثنا مفضل يعني ابن صالح، حدثنا جابر بن يزيد الجعفي عن عبد الله بن نجي، قال: سمعت عليا يقول صليت مع رسول الله ﷺ ستين صلاة قبل أن يصلي معه أحد...": (ولعبد الله بن نجّي عن علي غير ما ذكرت من الحديث، وأخباره فيها نظر) ^(١٧).

^(١٣) تقريب التهذيب، ابن حجر (٣٢٦/٣٦٦٤).

^(١٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٤٧٢/٢٠-٤٨٨/٤٠٨٩).

^(١٥) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، العلاني (٢١٧/٤٠١).

^(١٦) المراسيل، ابن أبي حاتم (١١٠).

^(١٧) الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي (٣٨٨/٥-١٠٥٨).

٢/ قال الدارقطني في حديث عبد الله بن نُجَيٍّ، عن علي، عن النبي ﷺ: "إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تمثال". ويقال: إن عبد الله بن نُجَيٍّ لم يسمع هذا من علي، وإنما رواه عن أبيه، عن علي^(١٨).

٣/ قال المزي: عبد الله بن نُجَيٍّ الحَضْرَمِي الكوفي، عن علي - ولم يذكره^(١٩).

٤/ قال ابن حجر في الإتحاف، بعد أن ذكر حديث: "كانت لي من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، منزلة لم تكن لأحد ... " ... عن عبد الله بن نُجَيٍّ، عن علي. (ليس في سماعنا). وروي عن عبد الله بن نُجَيٍّ، عن أبيه، عن علي^(٢٠).

٥/ إيراد أحاديث عند البعض بواسطة بينه وبين علي بن أبي طالب ﷺ. فقد أخرج أبو داود في سننه:

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن علي بن مدرك، عن أبي زرة بن عمرو بن جرير، عن عبد الله بن نجي، عن أبيه، عن علي، عن النبي ﷺ قال: "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة ولا كلب ولا جنب"^(٢١).

وأخرج النسائي في سننه:

أخبرنا القاسم بن زكريا بن دينار، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثني شرحبيل يعني ابن مدرك، قال: حدثني عبد الله بن نجي، عن أبيه، قال: قال لي علي: كانت لي منزلة من رسول الله ﷺ لم تكن لأحد من الخلائق، فكنت أتبه كل سحر، فأقول: السلام عليك يا نبي الله، "فإن تتحنح انصرفت إلى أهلي، وإلا دخلت عليه"^(٢٢).

وأخرج أحمد في مسنده:

حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا شرحبيل بن مدرك، عن عبد الله بن نجي، عن أبيه، أنه سار مع علي، وكان صاحب مطهرته، فلما حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفين، فنادى علي: اصبر أبا عبد الله، اصبر أبا عبد الله، بشط الفرات...^(٢٣).

^(١٨) العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني (٢٥٧/٣، ٢٥٨).

^(١٩) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، المزي (٤١٦/٧).

^(٢٠) إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، ابن حجر (١١/٥٢٠/رقم ١٤٥٥٠).

^(٢١) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب الطهارة، باب الجنب يؤخر الغسل، ١/١٦٢/ح ٢٢٧)،

والنسائي في سننه (كتاب الطهارة، باب في الجنب إذا لم يتوضأ، ١/١٤١/ح ٢٦١)، وابن

ماجه في سننه (أبواب اللباس، باب الصور في البيت، ٤/٦٢٣/ح ٣٦٥٠).-إلا أنه لم يذكر

لفظ "جنب"، وأحمد في مسنده (٦٥/٢/ح ٦٣٢).

^(٢٢) أخرجه النسائي في سننه (كتاب السهو، باب التحنح في الصلاة، ٣/١٢/ح ١٢١٣)،

وأحمد في مسنده (٧٧/٢/ح ٦٤٧).

^(٢٣) أخرجه أحمد في مسنده (٧٧/٢/ح ٦٤٨).

القرائن المتعلقة بعدم السماع:

- ١/ نص صريح من الإمام يحيى بن معين بعدم السماع. - وهذا من أقوى الوسائل في كشف عدم السماع.
 - ٢/ قول ابن عدي بأن أخباره فيها نظر، بعد ما ذكر بعض الأحاديث التي بين عبد الله بن نُجَيٍّ وعلي عليه السلام.
 - ٣/ تصريح الإمام المزي بأن عبد الله لم يدرك علي عليه السلام.
 - ٤/ نفي ابن حجر سماع عبد الله من علي عليه السلام، في حديث " كانت لي من رسول الله، عليه السلام، منزلة لم تكن لأحد ...".
 - ٥/ ورود أحاديث بواسطة أبيه- بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام.
- رابعاً: الأدلة المضادة:

- ١/ قال ابن سعد في الطبقات: روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٢٤).
 - ٢/ قال ابن أبي حاتم: عبد الله بن نُجَيٍّ الحضرمي روى عن علي سمعت أبي يقول ذلك ^(٢٥).
 - ٣/ قال البزار: عبد الله بن نُجَيٍّ وأبوه سمعا من علي بن أبي طالب عليه السلام ^(٢٦).
 - ٤/ قال ابن حبان: عبد الله بن نُجَيٍّ الحضرمي يروي عن علي. روى عنه أهل الكوفة ويروي أيضا عن أبيه عن علي ^(٢٧).
 - ٥/ إيراد أحاديث عند البعض بدون واسطة بينه وبين علي بن أبي طالب عليه السلام.
- أخرج النسائي في سننه:
- أخبرني محمد بن عبيد، قال: حدثنا ابن عياش، عن مغيرة، عن الحارث العكلي، عن ابن نجي، قال: قال علي: كان لي من رسول الله ﷺ مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار، فكنت "إذا دخلت بالليل تتحنن لي" ^(٢٨).
- أخرج أحمد في مسنده:
- حدثنا أسود بن عامر، حدثنا إسرائيل، عن جابر، عن عبد الله بن نجي، عن علي، قال: " نهى رسول الله ﷺ أن يضحى بعضباء القرن، والأذن " ^(٢٩).

^(٢٤) الطبقات الكبرى ابن سعد (٢٥٢/٦).

^(٢٥) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم (١٨٤/٥).

^(٢٦) البحر الزخار، مسند البزار (١٠١/٣).

^(٢٧) الثقات، ابن حبان (٣٠/٥).

^(٢٨) أخرجه النسائي في سننه (كتاب السهو، باب التتحنن في الصلاة ١٢/٣ ح ١٢١٢)، وابن ماجه في سننه أبواب الأدب، باب الاستئذان ٦٥٧/٤ ح ٣٧٠٨، وأحمد في مسنده ٤٣/٢ ح ٦٠٨.

^(٢٩) أخرجه أحمد في مسنده (٢١٦/٢ ح ٨٦٤).

القرائن المتعلقة بإثبات السماع:

- ١/ قول بعض الأئمة – أبو حاتم، ابن سعد، ابن حبان- بأن عبد الله روى عن علي عليه السلام.
- ٢/ قول البزار بأنه سمع من علي عليه السلام.
- ٣/ ورود أحاديث بدون واسطة بينه وبين علي عليه السلام.

خامساً: الترجيح، مع بيان أسبابه:

من خلال استعراض أدلة الفريقين، نلاحظ أن الأدلة المؤيدة لعدم السماع أقوى من الأدلة المضادة، للأسباب التالية:

- ١/ تصريح إمام معتبر من أئمة الجرح والتعديل، وهو: (يحيى بن معين) في عدم السماع. – وهذا يعتبر من أقوى الوسائل في كشف عدم السماع.
 - ٢/ ما ذكره الإمام المزي في عدم إدراك الراوي لعلي عليه السلام.
 - ٣/ أما ما ورد عن أبي حاتم، وابن سعد، وابن حبان، في أن عبد الله روى عن علي عليه السلام، فكأنه مجرد إخبار عنه بأنه روى عن علي عليه السلام، وليس فيه إثبات بالسماع.
 - ٤/ أما تصريح البزار بأن عبد الله سمع من علي عليه السلام، فإن البزار لا يعتبر بمثل مكانة الإمام يحيى في الجرح والتعديل.
 - ٥/ نلاحظ من النظر في الأحاديث التي ورد فيها رواية عبد الله عن علي عليه السلام بدون واسطة، لم يكن فيها تصريح بسماع أو دلالة على سماعه، سوى فقط ما رواه ابن عدي ففيه تصريح من عبد الله بسماعه من علي عليه السلام، ومع ذلك عقب عليه ابن عدي بقوله: "أخبره فيها نظر".
- بعد ذلك يمكن أن أرجح أن: عبد الله بن نُجَيِّ الحَضْرَمي لم يسمع من علي عليه السلام -والله أعلم-.

المبحث الثاني : عبد الله بن نيار :

المطلب الأول: ترجمة الراوي :

اسمه ونسبه: عبد الله بن نيار بن مُكْرَم الأسلمي^(٣٠).

بلده: الحجاز^(٣١).

من شيوخه^(٣٢):

- عروة بن الزبير.
- نيار بن مُكْرَم -أبوه-.
- أبو هريرة رضي الله عنه. وغيرهم.

^(٣٠) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٦/٢٣١/ رقم ٣٦٢١).

^(٣١) المرجع السابق (١٦/٢٣٢/ رقم ٣٦٢١).

^(٣٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر (٦/٥٨/ رقم ١١٣).

من تلاميذه^(٣٣):

- عبد الرحمن بن حرملة
- الفضيل ابن أبي عبد الله
- القاسم بن عباس. وغيرهم.
- من أقوال الجرح والتعديل فيه:
- قال النسائي: ثقة^(٣٤).
- ذكره ابن حبان في الثقات^(٣٥).
- قال الذهبي: ثقة^(٣٦).
- قال ابن حجر: ثقة^(٣٧).
- روى له الجماعة، سوى البخاري^(٣٨).
- طبقة: من الثالثة^(٣٩).

المطلب الثاني: سماعه من عمرو بن شاس.
أولاً: ترجمة الراوي المتكلم في سماعه منه^(٤٠):
اسمه ونسبه: عمرو بن شاس بن عبيد بن ثعلبة الأسدي الأسلمي.
من فضائله: شهد بيعة الرضوان.
طبقة: له صحبة.

ثانياً: نص الدراسة في عدم السماع:
"عبد الله بن نيار عن خاله عمرو بن شاس أحد الصحابة، قال ابن معين: ليس هو متصل ولا يشبه أن يكون رآه"^(٤١).

ثالثاً: توثيق النص المُستدل به وتحليله:
قال الدوري في "تاريخ ابن معين": "سمعت يحيى يقول حديث عبد الله بن نيار عن عمرو بن شاس^(٤٢) ليس هو متصل لأن عبد الله بن نيار يروى عنه بن أبي ذئب، أو

^(٣٣) المرجع السابق.

^(٣٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٣٢/١٦) رقم (٣٦٢١).

^(٣٥) الثقات، ابن حبان (٢٤٤/٣) رقم (٧٩٩).

^(٣٦) الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي (٦٠٤/٢٦) رقم (٣٠٢٦).

^(٣٧) تقريب التهذيب، ابن حجر ٣٢٧/٣٦٧١ رقم.

^(٣٨) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٣٢/١٦) رقم (٣٦٢١).

^(٣٩) تقريب التهذيب، ابن حجر ٣٢٧/٣٦٧١ رقم.

^(٤٠) تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ابن حجر (٦٥/٢) رقم (٧٩٤).

^(٤١) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، العلاني (٢١٧/٤٠٢) رقم.

^(٤٢) جاء في كتاب "جامع التحصيل" وفي "تعجيل المنفعة" (شاس).

قال: يروى عنه القاسم بن عباس -شك أبو الفضل- لا يشبه أن يكون رأى عمرو بن شاس^{(٤٣)(٤٤)}.

تحليل النص:

نفى الإمام يحيى بن معين سماع عبد الله من خاله عمرو، مستدلاً بطبقة تلاميذ عبد الله -حيث طبقتهم متأخرة^(٤٥)- بأنه صغير ولم يمكنه إدراك خاله.

رابعاً: الأدلة المضادة:

١/ قال ابن أبي حاتم: "عبد الله بن نيار بن مكرم سمع أباه وعروة وعمرو بن شاس...سمعت أبي يقول ذلك"^(٤٦).

٢/ إيراد أحاديث عند البعض بدون واسطة بينه وبين خاله عمرو. ما أخرجه أحمد في مسنده:

حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، حدثنا محمد بن إسحاق، عن أبان بن صالح، عن الفضل بن معقل بن سنان، عن عبد الله بن نيار الأسلمي، عن عمرو بن شاس الأسلمي، قال: وكان من أصحاب الحديبية، قال: خرجت مع علي إلى اليمن، فجفاني في سفري ذلك، حتى وجدت في نفسي عليه، فلما قدمت أظهرت شكايته في المسجد، حتى بلغ ذلك رسول الله ﷺ، فدخلت المسجد ذات غداة، ورسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فلما رأني أبدني عينيه - يقول: حدد إلي النظر - حتى إذا جلست، قال: "يا عمرو، والله لقد آذيتني" قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله، قال: "بلى من آذى علياً فقد آذاني"^(٤٧).

القرائن المتعلقة بإثبات السماع:

١/ تصريح من أبي حاتم الرازي بسماع عبد الله من خاله عمرو.

٢/ ورود الحديث بدون واسطة بينه وبين خاله.

خامساً: الترجيح، مع بيان أسبابه:

الذي يظهر لي -والله أعلم- ترجيح سماع عبد الله بن نيار من خاله عمرو، للاعتبارات التالية:

^(٤٣) تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، (١٢١/٣/رقم ٥٠٤).

^(٤٤) جاء في كتاب "جامع التحصيل"، و"تعجيل المنفعة": (شاس) بدون همزة.

^(٤٥) ابن أبي ذئب من السابعة (تقريب التهذيب، ٤٩٣/رقم ٦٠٨٢)، والقاسم بن عباس من السادسة (التقريب ٤٥٠/رقم ٥٤٦٦).

^(٤٦) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم (١٨٥/٥/رقم ٨٦٠).

^(٤٧) أخرجه أحمد في مسنده (٣٢٠/٢٥/ح ١٥٩٦٠).

١/ تصريح إمام معتبر من أئمة الجرح والتعديل "وهو أبو حاتم الرازي" بسماع عبد الله من خاله عمرو. - من أقوى الوسائل -.

٢/ عدم وجود نص صريح ينفي السماع، أما قول ابن معين، فليس بصريح، حيث أنه استدل بطبقة تلاميذ عبد الله المتأخرة في عدم إدراكه لخاله، وهذا ليس كقوة التصريح.

٣/ ثبتت رواية عبد الله لعدد من الصحابة -كأبي هريرة ؓ-^(٤٨)، وهذا يعني أنه أدرك عددا من الصحابة ؓ.

٤/ ورود الحديث بدون واسطة بينه وبين خاله، وإن كان بصيغة العننة، إلا أن الراوي ثقة لم أقف على من ذكره بجرح، أو وصفه بالتدليس.

المبحث الثالث : عبد الله بن أبي الهذيل :

المطلب الأول: ترجمة الراوي :

اسمه ونسبه: عبد الله بن أبي الهذيل العنزي، الكوفي^(٤٩).

كنيته: أبو المغيرة^(٥٠).

بلده: هو كوفي -كما في نسبه-.

من شيوخه:

- عبد الله بن مسعود ؓ.
- علي بن أبي طالب ؓ.
- عمر بن الخطاب ؓ. وغيرهم^(٥١).

من تلاميذه:

- إسماعيل بن رجاء.
- مسلم بن سالم الجهني.
- واصل الأحذب. وغيرهم^(٥٢).
- من أقوال الجرح والتعديل فيه:
- قال العجلي: كوفي، تابعي، ثقة^(٥٣).
- قال النسائي: ثقة^(٥٤).
- ذكره ابن حبان في الثقات^(٥٥).

^(٤٨) كما هو مذكور في شيوخه.

^(٤٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٦/٢٤٤/رقم ٣٦٢٩).

^(٥٠) المرجع السابق.

^(٥١) تهذيب التهذيب، ابن حجر (٦٢/٦/رقم ١٢٢).

^(٥٢) المرجع السابق.

^(٥٣) تاريخ الثقات، العجلي، (٢٨٢/رقم ٩٠٤).

^(٥٤) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (١٦/٢٤٥/رقم ٣٦٢٩).

- قال الذهبي: ثقة^(٥٦).
- قال ابن حجر: ثقة^(٥٧).
- روى له البخاري في "القراءة خلف الإمام"، وفي "الأدب". ومسلم، والترمذي، والنسائي^(٥٨).
- وفاته: توفي في ولاية خالد القسري^(٥٩) على العراق^(٦٠). طبقته: من الثانية^(٦١).
- سماعه من أبي بكر الصديق ﷺ.
- أولاً: ترجمة الراوي المتكلم في سماعه منه^(٦٢):
- اسمه ونسبه: عبد الله بن عثمان، بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة الفرشي التميمي، أبو بكر الصديق ﷺ.
- كنيته: أبو بكر الصديق ﷺ.
- طبقته: من الصحابة ﷺ.
- من فضائله:
- خليفة رسول الله ﷺ، وصاحبه في الغار.
- أول الناس إسلاماً.
- هاجر مع رسول الله ﷺ، وشهد معه بدرًا وأحداً، والمشاهد كلها.
- روى عنه:
- أسلم مولى عمر بن الخطاب.
- أنس بن مالك.
- البراء بن عازب. وغيرهم.
- وفاته: توفي جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.
- ثانياً: نص الدراسة في عدم السماع:
- (عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال أبو زرعة:

^{٥٥} (الثقات، ابن حبان (٣١/٧) رقم ٨٨٦٩).

^{٥٦} (الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، الذهبي (٦٠٥/٣٠٣٤).

^{٥٧} (تقريب التهذيب، ابن حجر (٣٢٧/٣٦٧٩).

^{٥٨} (تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٤٥/١٦) رقم ٣٦٢٩).

^{٥٩} (تهذيب التهذيب، ابن حجر (٦٢/٦) رقم ١٢٢).

^{٦٠} (تقريب التهذيب، ابن حجر (٣٢٧/٣٦٧٩).

^{٦١} (المرجع السابق (٣٢٧/٣٦٧٩).

^{٦٢} (تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٢٨٥-٢٨٢/١٥) رقم ٣٤١٨).

مرسل^(٦٣).

ثالثاً: توثيق النص المُستدل به وتحليله:

جاء في كتاب "المراسيل" لابن أبي حاتم: "قال أبو زرعة عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: مرسل"^(٦٤). وصف أبو زرعة الرازي رواية عبد الله عن أبي بكر الصديق عليه السلام بالإرسال، وهذا تصريح منه بعدم السماع. ومن الأدلة المؤيدة لذلك:

١/ قال الدارقطني لما سُئل عن حديث عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي بكر الصديق، عن النبي ﷺ حين سأله أين موضع الإزار فأخذ بنصف العضلة... الحديث. قال: هو حديث يرويه أبو سنان ضرار بن مرة، عن عبد الله بن أبي الهذيل، واختلف عنه؛

فرواه زياد بن عبد الله البكائي، وأبو كدينة يحيى بن المهلب، عن أبي سنان، عن عبد الله بن أبي الهذيل، عن أبي بكر.

ورواه أبو يحيى التيمي، وجريير بن عبد الحميد، وغيره، عن أبي سنان، عن ابن أبي الهذيل، عن أبا بكر مرسلًا وهو الصحيح^(٦٥).

٢/ قال المزي^(٦٦) وابن حجر^(٦٧): روى عن أبي بكر الصديق، وفي سماعه منه نظر. القرائن المتعلقة بعدم السماع:

١/ تصريح إمام معتبر من أئمة الجرح والتعديل، وهو "أبو زرعة الرازي" بالإرسال.

٢/ ترجيح الدارقطني للرواية المرسلة، عن عبد الله عن أبي بكر ﷺ.

٣/ التشكيك من الإمامين المزي وابن حجر، في سماع عبد الله من أبي بكر ﷺ، وهذا يفهم من قولهما: "وفي سماعه نظر".

رابعاً: الأدلة المضادة:

١/ ورد الحديث عند البعض بدون واسطة بينه وبين أبي الصديق ﷺ^(٦٨):

فقد أخرج ابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٦/٥/ح ٢٤٨١٧):

^(٦٣) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، العلاني (٢١٧/رقم ٤٠٤).

^(٦٤) المراسيل، ابن أبي حاتم (١١٢).

^(٦٥) العلل الواردة في الأحاديث النبوية، الدارقطني (٢٧٨/١/رقم ٧٠).

^(٦٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٦/٢٤٥/رقم ٣٦٢٩).

^(٦٧) تهذيب التهذيب، ابن حجر (٦٢/٦/رقم ١٢٢).

^(٦٨) وقفت على روايات كثيرة للراوي عبد الله بن أبي الهذيل، إلا أنني لم أجد له رواية عن أبي بكر الصديق ﷺ إلا هذه الرواية الواحدة فقط التي أخرجها ابن أبي شيبة.

حدثنا جرير، عن أبي شيبان، عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: سأل أبو بكر رسول الله ﷺ، عن موضع الإزار، فقال: "مسبق الساق، لا خير فيما أسفل من ذلك، ولا خير فيما فوق ذلك".

خامساً: الترجيح، مع بيان أسبابه:

أمامنا ٣ قرائن في نفي السماع، -وإن كانت العبرة ليست بالعدد- إلا أنني أرجح: عدم سماع عبد الله بن أبي الهذيل من أبي بكر الصديق ﷺ، للأسباب التالية:

١/ تصريح إمام معتبر من أئمة الجرح والتعديل، وهو "أبو زرعة الرازي" بالإرسال، في رواية عبد الله عن أبي بكر ﷺ، وهذا إثبات بعدم السماع.

٢/ ترجيح الدارقطني للإرسال في رواية عبد الله عن أبي بكر ﷺ.

٣/ التشكيك من المزي وابن حجر، في سماع عبد الله من أبي بكر ﷺ.

٤/ لم أفق في الأحاديث التي رواها عبد الله على رواية له عن أبي بكر ﷺ إلا فقط الرواية التي أخرجها ابن أبي شبيه، وهي ليست صريحة في السماع، بالإضافة إلى أن الدارقطني رجح الإرسال فيها لما سئل عن هذا الحديث في علله.

٥/ لم يرد أي نص يثبت سماع عبد الله من أبي بكر ﷺ، سوى فقط الحديث المذكور بدون واسطة بينه وبين أبي بكر ﷺ، وقد بينت ما فيه في الفقرة السابقة.

المبحث الرابع : عبد الله بن يزيد الخطمي :

المطلب الأول: ترجمة الراوي : اسمه ونسبه: عبد الله بن يزيد بن زيد بن حصين بن عمرو بن الحارث بن خطمة، واسمه: عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس الأنصاري، الخطمي^(٦٩).

كنيته: أبو موسى^(٧٠).

من فضائله: شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، وهو ابن سبع عشرة سنة^(٧١). من شيوخه:

- البراء بن عازب.
 - زيد بن ثابت.
 - قيس بن سعد بن عبادة. وغيرهم^(٧٢).
- من تلاميذه:
- عدي بن ثابت الأنصاري.

^(٦٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٦/٣٠١، ٣٠٢/رقم ٣٦٥٦).

^(٧٠) المرجع السابق.

^(٧١) المرجع السابق.

^(٧٢) تهذيب التهذيب، لابن حجر (٦/٧٨/رقم ١٥٦).

- محمد بن سيرين.
- محمد بن كعب القرظي. وغيرهم^(٧٣).
- من أقوال الجرح والتعديل فيه:
- ذكره ابن حبان في الثقات^(٧٤).
- روى له الجماعة^(٧٥).
- وفاته: مات: قبل السبعين^(٧٦).

المطلب الثاني: سماعه من النبي ﷺ :

أولاً: نص الدراسة في عدم السماع:

(عبد الله بن يزيد الخطمي قال أحمد بن حنبل: ليست له صحبة صحيحة، هو شيء يرويه أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي بردة، عن عبد الله بن يزيد، قال: سمعت النبي ﷺ، وضعفه، وقال: ما أرى ذلك شيئاً حكاها الأثرم عنه، وكذلك قال مصعب الزبيري أيضاً: ليست له صحبة. وقال أبو حاتم: كان صغيراً على عهد النبي ﷺ فإن صحت روايته فله صحبة. قلت: أخرج له البخاري أن النبي ﷺ نهى عن المثلة والنهي وذلك يقتضي صحة سماعه، وقد قيل: إنه شهد الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة والله أعلم^(٧٧)).

ثانياً: توثيق النص المُستدل به وتحليله:

١/ جاء في كتاب "المراسيل" لابن أبي حاتم: "كتب إلي علي بن أبي طاهر نا أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم قال: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل ليست لعبد الله بن يزيد صحبة صحيحة، فقال: أما صحيحة فلا، ثم قال: شيء يرويه أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي بردة، عن عبد الله بن يزيد قال: سمعت النبي ﷺ، وضعفه أبو عبد الله، وقال: ما أرى ذلك بشيء"^(٧٨).

٢/ وقال ابن أبي حاتم: عبد الله بن يزيد الخطمي روى عن النبي ﷺ كان صغيراً على عهد النبي ﷺ فإن صحت روايته^(٧٩) فذاك... سمعت أبي يقول ذلك^(٨٠).

^(٧٣) المرجع السابق.

^(٧٤) الثقات، ابن حبان (٧٣٠/٢٢٥/٣).

^(٧٥) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (٣٠٤/١٦/٣ رقم ٣٦٥٦).

^(٧٦) سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٩٨/٣ رقم ٤٠).

^(٧٧) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، العلائي (٢١٧/٢ رقم ٤٠٥).

^(٧٨) المراسيل، ابن أبي حاتم (١٠٢).

^(٧٩) جاء في "جامع التحصيل"، وفي "تهذيب الكمال"، وفي "تهذيب التهذيب": بلفظ

(روايته).

^(٨٠) الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم (١٩٧/٥ رقم ٩١٦).

٣/ وقال أبو داود: "سمعت مصعبا الزبيري يقول: عبد الله بن يزيد الخطمي ليس له صحبة^(٨١)."

من النصوص يتضح:

١/ أن الإمام أحمد بن حنبل نفى عن عبد الله بن يزيد الصحبة الصحيحة، وقد ذكر حديث يرويه عبد الله عن النبي ﷺ وقد ضعفه الإمام أحمد.

و الحديث الذي يقصده الإمام أحمد هو ما أخرجه الحاكم في المستدرک^(٨٢):

حدثنا أبو العباس، ثنا أحمد بن عبد الجبار، ثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي حصين، عن أبي بردة، قال: كنت عند عبيد الله بن زياد فأُتي برءوس خوارج، فكلما مروا عليه برأس قال: إلى النار، فقال له عبد الله بن يزيد: ألا تدري سمعت رسول الله ﷺ يقول: (عذاب هذه الأمة جعل بأيديها في دنياها).

٢/ أما أبو حاتم فقد ذكر أنه عبد الله قد روى عن النبي ﷺ، وأنه كان صغيراً في عهده، فإذا صحت رؤيته فله صحبة وإلا فليست له صحبة.

٣/ نفى مصعب الزبيري أن تكون لعبد الله صحبة.

ومن الأدلة المؤيدة لذلك:

١/ إيراد أحاديث بواسطة بينه وبين النبي ﷺ:

ما أخرجه البخاري:

حدثنا حجاج بن منهال، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرني عدي بن ثابت، قال: سمعت عبد الله بن يزيد، عن أبي مسعود عن النبي ﷺ قال: «إذا أنفق الرجل على أهله يحتسبها فهو له صدقة»^(٨٣).

- وهناك أحاديث أخرى غير هذا الحديث ولكنني أقتصرت على حديث واحد.

القرائن المتعلقة بعدم السماع:

١/ نفى من الإمام أحمد أن تكون له صحبة صحيحة.

٢/ نفى صريح من مصعب الزبيري أن تكون لعبد الله صحبة.

٢/ علق أبو حاتم إثبات الصحبة له إن صحت رؤيته للنبي ﷺ.

٣/ ورود الحديث بواسطة بينه وبين النبي ﷺ.

^(٨١) سؤالات أبي عبيد الأجرى أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل (٢٠١)

^(٨٢) (٤/٢٨٣ ح ٧٦٥٠).

^(٨٣) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب ما جاء أن الأعمال بالنية (١/٢٠ ح ٥٥)، ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ٢/٦٩٥ ح ١٠٠٢، والترمذي في سننه، أبواب البر والصلة على رسول الله ﷺ، باب ما جاء في النفقة على أهل

٤/٣٤٤ ح ١٩٦٥، وأحمد في مسنده ٢٨/٣١٢ ح ١٧٠٨٢

ثالثاً: الأدلة المضادة:

ذكر العلائي بعد نقله لكلام الأئمة: "قلت: أخرج له البخاري أن النبي ﷺ نهى عن المثلة والنهبي وذلك يقتضي صحة سماعه، وقد قيل: إنه شهد الحديبية وهو ابن سبع عشرة سنة والله أعلم".
ومن الأدلة المؤيدة لكلام العلائي:

١/ ما أخرجه البخاري:
حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا شعبة، قال: أخبرني عدي بن ثابت، قال: سمعت عبد الله بن يزيد، عن النبي ﷺ: «أنه نهى عن النهبة والمثلة»^(٨٤).
٢/ قال العجلي: عبد الله بن يزيد الأنصاري: من أصحاب النبي ﷺ^(٨٥).
٣/ قال أبو عبيد: قلت لأبي داود: عبد الله بن يزيد الخطمي له صحبة؟ قال: رؤية، يقولون. قال أبو داود: "سمعت يحيى بن معين يقول هذا"^(٨٦).
٤/ قال البرقاني: قلت موسى بن عبد الله بن يزيد بن زيد، قال: "ثقة وأبوه وجده صحابي" ^(٨٧).

٥/ عده عدد من المشتغلين بالحديث ورجاله، من طبقة الصحابة، مثل:
ابن عبد البر^(٨٨).
ابن الأثير^(٨٩).
ابن حجر^(٩٠).

٦/ ما ذكر في ترجمته أنه شهد الحديبية مع رسول الله ﷺ، وهو ابن سبع عشرة سنة.
٧/ إيراد الحديث عند البعض بدون واسطة بينه وبينه النبي ﷺ:
ما أخرجه أبي داود في سننه

حدثنا الحسن بن علي، حدثنا يحيى بن إسحاق السيلحيني، حدثنا حماد بن سلمة، عن أبي جعفر الخطمي، عن محمد بن كعب عن عبد الله الخطمي قال: كان النبي ﷺ - إذا أراد أن يستودع الجيش قال: "أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم"^(٩١).

^(٨٤) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجتمعة

(٩٤/٧ح/٥٥١٦)، وأحمد في مسنده ٣٩/٣١ح/١٨٧٤٢

^(٨٥) تاريخ الثقات، العجلي (٢٨٣/رقم ٩١٠).

^(٨٦) سؤالات أبي عبيد الأجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل (٢٠١).

^(٨٧) سؤالات البرقاني للدارقطني (٦٧/رقم ٥٠٣).

^(٨٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٠٠١/٣/رقم ١٦٨٥).

^(٨٩) أسد الغابة في تمييز الصحابة (٤١٣/٣/رقم ٣٢٥١).

^(٩٠) الإصابة في تمييز الصحابة (٢٧٧/٤/رقم ٥٠٤٨).

^(٩١) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في الدعاء عند الوداع (٢٤٣/٤ح/٢٦٠١).

القرائن المتعلقة بإثبات السماع:

١ / إثبات الصحبة له من قبل عدد من الأئمة، منهم: (العجلي، أبو داود، الدارقطني)، وكذلك من عدد من الأئمة المشتغلين برجال الحديث من طبقة الصحابة، ومنهم: (ابن عبد البر، ابن الأثير، ابن حجر).

٣ / ورود أحاديث بدون واسطة بينه وبين النبي ﷺ.

رابعاً: الترجيح، مع بيان أسبابه:

مما سبق يتضح أنه اختلف في صحبة عبد الله بن يزيد، على ٣ أقوال:

١ / نفى الصحبة الصحيحة (فكانه لم يثبتها ولم ينفها)، ومنهم: الإمام أحمد، وأبو حاتم.

٢ / نفى الصحبة صراحة، كمصعب الزبيري.

٣ / أثبت له الصحبة، ومنهم: العجلي، أبو داود، وغيرهم. والذي أرجحه - والله أعلم - أن لعبد الله بن يزيد رؤية، ولكن ليس له سماع من النبي ﷺ، للاعتبارات التالية:

١ / أن من أثبت له صحبة، وعدّه من الصحابة، فعل ذلك على مذهب بعض العلماء في شرطهم للصحبة أنهم يكتفون بمجرد اللقاء بالنبي ﷺ مؤمناً به والموت على الإسلام^(٩٢).

٢ / أما ما ورد من أحاديث ليس فيها واسطة بينه وبين النبي ﷺ، فالملاحظ أنها بصيغة لا تحتل السماع، ما عدا الحديث الذي أخرجه الحاكم ففيه تصريح بالسماع، وقد ضعفه الإمام أحمد وقال فيه: "ما أرى ذاك بشيء".

٣ / لم يصرح أحد من الأئمة بسماعه من النبي ﷺ، فكل ما جاء من تصريح فقد لإثبات صحبته.

المبحث الخامس: عبد الله بن أبي نجيح يَسَار المكي :

المطلب الأول: ترجمة الراوي :

اسمه ونسبه: عبد الله بن أبي نجيح، واسمه يَسَار الثقفي. مولى الأخنس بن شريق الثقفي^(٩٣).

كنيته: أبو يسار^(٩٤).

بلده: مكة.

^{٩٢} قال ابن حجر: الصحابي: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على الإسلام. (الإصابة، ١٥٨/١).

^{٩٣} تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٦/٢١٥/رقم ٣٦١٢).

^{٩٤} المرجع السابق (١٦/٢١٥/رقم ٣٦١٢).

من شيوخه:

- عطاء .
- طاووس.
- عكرمة. وغيرهم^(٩٥).

من تلاميذه:

- إبراهيم بن نافع.
- شبيل بن عباد
- محمد بن مسلم الطائفي. وغيرهم^(٩٦).

من أقوال الجرح والتعديل فيه:

- قال ابن سعد^(٩٧)، وابن معين^(٩٨)، وعلي المديني^(٩٩)، والعجلي^(١٠٠)، والسدوسي^(١٠١)، وأبو زرعة^(١٠٢)، وأبو حاتم^(١٠٣)، والنسائي^(١٠٤): ثقة.
- ذكره ابن حبان^(١٠٥)، ابن شاهين^(١٠٦) في الثقات.
- ذكره في الثقات.
- ذكره ابن الجوزي في الضعفاء^(١٠٧).
- قال الذهبي: وهو من الأئمة الثقات^(١٠٨).
- قال ابن حجر: ثقة رمي بالقدر وربما دلس^(١٠٩).
- روى له الجماعة^(١١٠).

^{٩٥} تهذيب التهذيب، ابن حجر (٥٤/٦/رقم ١٠٢).

^{٩٦} تهذيب التهذيب، ابن حجر (٥٤/٦/رقم ١٠٢).

^{٩٧} الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣٢/٦/رقم ١٥٨٢).

^{٩٨} تاريخ ابن معين رواية الدوري (٧٣/٣/رقم ٢٨٩).

^{٩٩} سؤالات ابن أبي شعبة لعلي بن المديني (٩٧/رقم ٩٩).

^{١٠٠} تاريخ الثقات، العجلي (٢٨١/رقم ٨٩٨).

^{١٠١} سير أعلام النبلاء، الذهبي (١٢٥/٦/رقم ٣٨).

^{١٠٢} الجرح والتعديل، ابن أبي حاتم (٢٠٣/٥/رقم ٩٤٧).

^{١٠٣} المرجع السابق.

^{١٠٤} تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي (٢١٧/١٦/رقم ٣٦١٢).

^{١٠٥} الثقات، ابن حبان (٥/٧/رقم ٨٧٥٩).

^{١٠٦} تاريخ أسماء الثقات، ابن شاهين (١٢٤/رقم ٦٢٠).

^{١٠٧} الضعفاء والمتركون، ابن الجوزي (١٤٧/٢/رقم ٢١٤٦).

^{١٠٨} ميزان الاعتدال، الذهبي (٥١٥/٢/رقم ٤٦٥١).

^{١٠٩} تقريب التهذيب، ابن حجر (٣٢٦/رقم ٣٦٦٢).

وفاته: قال علي بن المديني: مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة. وقال سفيان بن عيينة؛ مات ابن أبي نجيح سنة إحدى وثلاثين ومائة^(١١١).
طبقته: من السادسة^(١١٢).

المطلب الثاني سماعه من مجاهد بن جبر :

أولاً: ترجمة الراوي المتكلم في سماعه منه^(١١٣):

اسمه ونسبه: مجاهد بن جبر ، ويقال: ابن جبير، والأول أصح، المكي، القرشي المخزومي، مولي السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى ابنه عبد الله بن السائب، ويقال: مولي قيس بن السائب المخزومي.
كنيته: أبو الحجاج
بلده: مكة.

وفاته: قيل مات سنة ١٠٠، وقيل: ١٠١، وقيل: ١٠٢، وقيل: ١٠٣هـ.

ثانياً: نص الدراسة في عدم السماع:

(عبد الله بن أبي نجيح يسار المكي ذكره ابن المديني فيمن لم يلق أحدا من الصحابة رضي الله عنهم وقال إبراهيم بن الجنيد: قلت ليحيى بن معين أن يحيى بن سعيد -يعني القطان- يزعم أن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد وإنما أخذه من القاسم بن أبي برة، فقال ابن معين: كذا قال بن عيينة، ولا أدري أحق ذلك أم لا^(١١٤)).

ثالثاً: توثيق النص المُستدل به وتحليله:

قال ابن الجنيد: قلت ليحيى بن معين: إن يحيى بن سعيد القطان يزعم أن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد، وإنما أخذه من القاسم بن أبي برة، فقال يحيى بن معين: "كذا قال ابن عيينة، ولا أدري أحق ذلك أم باطل، زعم سفيان بن عيينة أن مجاهداً كتبه للقاسم بن أبي برة ولم يسمعه من مجاهد أحد غير القاسم"^(١١٥).
تحليل النص:

سأل ابن الجنيد شيخه الإمام يحيى ، عن سماع عبد الله من مجاهد حيث أنه ابن القطان

^(١١٠) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزي (١٦/٢١٩/رقم ٣٦١٢).

^(١١١) التاريخ الكبير، البخاري (٥/٢٣٣/رقم ٧٦٧).

^(١١٢) تقريب التهذيب، ابن حجر (٣٢٦/رقم ٣٦٦٢).

^(١١٣) تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٧/٢٢٨-٢٣٦/رقم ٥٧٨٣).

^(١١٤) جامع التحصيل في أحكام المراسيل، العلاني (٢١٨/رقم ٤٠٦).

^(١١٥) سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين (٤٣/رقم ٢٩٢).

يقول بعدم سماعه، فأجابه الإمام بأن سفيان بن عيينه يقول بذلك أيضا.
ومن الأدلة المؤيدة لذلك:

١/ قال أبو حاتم: ابن أبي نجيح وابن جريح نظرا في كتاب القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في التفسير فرويا عن مجاهد من غير سماع^(١١٦).

٢/ قال ابن حجر: عبد الله بن أبي نجيح المكي المفسر أكثر عن مجاهد وكان يدلس عنه وصفه بذلك النسائي^(١١٧).

القرائن المتعلقة بعدم السماع:

١/ تصريح من الإمام يحيى بن سعيد القطان، ومن سفيان بن عيينة أنه لم يسمع من مجاهد.

٢/ قول الإمام أبو حاتم بأن رواية عبد الله عن مجاهد كانت من كتاب القاسم، وليست سماعا منه.

٢/ وصف النسائي له بالتدليس عن مجاهد.

رابعاً: الأدلة المضادة:

١/ قال البخاري: سمع طاووساً، وعطاء، ومجاهداً، وأباه^(١١٨).

٢/ ورود أحاديث بدون واسطة بينه وبين مجاهد:

ما أخرجه البخاري:

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قال لي ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً، قال: كنا عند النبي ﷺ فأتي بجمار، فقال: «إن من الشجر شجرة، مثلها كمثل المسلم»، فأردت أن أقول: هي النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، فسكت، قال النبي ﷺ: «هي النخلة»^(١١٩).

^(١١٦) الثقات، ابن حبان (٥/٧/رقم ٨٧٥٩).

^(١١٧) تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، ابن حجر (٣٩/رقم ٧٧).

^(١١٨) التاريخ الكبير، للبخاري (٥/٢٣٣/رقم ٧٦٧).

^(١١٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب الفهم في العلم (١/٢٥/ح ٧٢)، ومسلم

في صحيحه كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب مثل المؤمن مثل النخلة

(٤/٢١٦٥/ح ٦٤).

- ولعبد الله أحاديث أخر عن مجاهد في كتب الحديث - (١٢٠).

القرائن المتعلقة بإثبات السماع:

١/ تصريح من البخاري بالسماع.

٢/ أحاديث وردت بدون واسطة.

خامساً: الترجيح، مع بيان أسبابه:

الراجح هو : عدم سماع عبد الله بن أبي نجیح من مجاهد، للأسباب التالية:

١/ تصريح إمامان من أئمة الجرح والتعديل بعدم السماع وهما: يحيى بن سعيد القطان، وابن عيينه، مقابل إمام واحد صرح بالسماع وهو البخاري.

٢/ أيضاً: تصريح أبو حاتم بأن روايته كانت من كتاب القاسم، وليست سماعاً.

٢/ وصفه بالتدليس عن مجاهد من قبل النسائي.

٣/ الأحاديث التي وقفت عليها جاءت بصيغة لا تحتمل السماع.

٤/ قد يكون السبب في قول من أثبت له بالسماع، لأنه كان من أخص الناس بمجاهد، كما قال بذلك الذهبي: "هو من أخص الناس بمجاهد" (١٢١).

الخاتمة : تشتمل علي أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة :

١/ لم يسمع عبد الله بن نجّي الحَضْرَمِي من علي ؓ.

٢/ قد سمع عبد الله بن نيار من خاله عمرو بن شّاس.

٣/ لم يسمع عبد الله بن أبي الهذيل من أبي بكر الصديق ؓ.

٤/ ثبوت رؤية لعبد الله بن يزيد الخطمي، لكنه لم يسمع من النبي ﷺ.

٥/ لم يسمع عبد الله بن أبي نجیح من مجاهد بن جبر.

التوصيات:

١/ الصبر على مشقة البحث، واحتساب الأجر في ذلك، لا سيما إن كان في خدمة دين

الله تعالى.

(١٢٠) صحيح البخاري (٨١٨١، ح٢٤٧٨، ح٣٦٣٦، ح٤١٥٩، ح٤٢٨٧، ح٤٥٣١) وفي صحيح مسلم (ح١٢٠١، ح١٢١١، ح١٣١٧، ح١٤٣٨)، وفي سنن أبي داود (ح١٦٧، ح١٧٦٤، ح١٩٩٧، ح٢١٧٠) وفي سنن الترمذي (ح٩٥٣، ح١١٣٨، ح١٧٨١، ح١٨٢٤) وفي سنن النسائي (ح٢٤٠، ح١٩٢٢، ح٥٣١٦). وله أحاديث لم أقف عليها.

(١٢١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٢٦/٦/٣٨).

- ٢/ الرجوع إلى المصادر الأصلية قدر المستطاع في البحوث، وعدم الاعتماد على المصادر الوسيطة.
- ٣/ التأكد من صحة فهم العبارة قبل اتخاذ موقف ما، فربما فهم الباحث من نص ما خلاف ما يقصد منه، فينبني على ذلك نتائج خاطئة.

المصادر والمراجع :

- ١/ إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق : مركز خدمة السنة والسيرة ، بإشراف د زهير بن ناصر الناصر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف (بالمدينة) ومركز خدمة السنة والسيرة النبوية (بالمدينة)، الطبعة : الأولى ، ١٤١٥ هـ.
- ٢/ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.
- ٣/ أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٤/ الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
- ٥/ تاريخ ابن معين (رواية الدوري)، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي، تحقيق: د. أحمد محمد نور سيف، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ هـ.
- ٦/ تاريخ أسماء الثقات، أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن محمد بن أيوب بن أزداد البغدادي المعروف بـ ابن شاهين، تحقيق: صبحي السامرائي، الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.
- ٧/ تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ.
- ٨/ تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي، دار الباز الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ.
- ٩/ التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.

- ١٠/ التبيين لأسماء المدلسين، برهان الدين الحلبي أبو الوفا إبراهيم بن محمد بن خليل الطرابلسي الشافعي سبط ابن العجمي، تحقيق: يحيى شفيق حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٦ هـ.
- ١١/ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزني، تحقيق: عبد الصمد شرف الدين، المكتب الإسلامي، والدار القيمة، الطبعة: الثانية: ١٤٠٣ هـ.
- ١٢/ تحفة التحصيل في ذكر رواة المراسيل، أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي، تحقيق: عبد الله نواره، مكتبة الرشد – الرياض.
- ١٣/ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. إكرام الله إمداد الحق، دار البشائر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م.
- ١٤/ تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عاصم بن عبدالله القريوتي، مكتبة المنار – عمان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ١٥/ تقريب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ.
- ١٦/ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزني، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ هـ.
- ١٧/ الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البستي، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ.
- ١٨/ جامع التحصيل في أحكام المراسيل، صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلي بن عبد الله الدمشقي العلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ.

- ١٩/ الجامع الصحيح، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ.
- ٢٠/ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٢١/ الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، الطبعة: الأولى، ١٢٧١ هـ.
- ٢٢/ رجال صحيح مسلم، أحمد بن علي بن محمد بن إبراهيم، أبو بكر ابن منجويه، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ.
- ٢٣/ السنن، ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- ٢٤/ سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- ٢٥/ سؤالات ابن الجنيد لأبي زكريا يحيى بن معين، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي، تحقيق: أحمد محمد نور سيف، مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ٢٦/ سؤالات أبي عبيد الأجري أبا داود السجستاني في الجرح والتعديل، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، تحقيق: محمد علي قاسم العمري، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ.
- ٢٧/ سؤالات البرقاني للدارقطني رواية الكرجي عنه، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني، تحقيق: عبد الرحيم محمد أحمد القشقر، كتب خانه جميلي - لاهور، باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ.

٢٨/ سوالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر السعدي بالولاء المديني، البصري، أبو الحسن، تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

٢٩/ سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥هـ.

٣٠/ شرح علل الترمذي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار- الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ.

٣١/ الضعفاء والمتروكون، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

٣٢/ الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٣/ العلل الواردة في الأحاديث النبوية، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني، المجلدات من ١-١١، تحقيق وتخريج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥هـ، والمجلدات من ١٢-١٥، علق عليه: محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار ابن الجوزي – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

٣٤/ العلل ومعرفة الرجال، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٢هـ.

٣٥/ الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: محمد عوامة أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ.

٣٦/ الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٧/ الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.

٣٨/ المجتبى من السنن = السنن الصغرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.

٣٩/ المراسيل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، تحقيق: شكر الله نعمة الله قوجاني، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٩٧.

٤٠/ المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.

٤١/ مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م.

٤٢/ مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٤٣/ المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة.

٤٤/ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.



آثار هجر القرآن الكريم وأسبابه

The effects of abandoning the Holy Quran and its causes

إعداد

د. أم هانئ المريضي الشيخ علي
Dr. Umm Hani al-Mardi Sheikh Ali
جامعة القصيم - كلية الشريعة

Doi: 10.21608/jasis.2024.367233

٢٠٢٤ / ٤ / ٢٣

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٣

قبول البحث

علي، أم هانئ المريضي الشيخ (٢٠٢٤). آثار هجر القرآن الكريم وأسبابه. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشريعة*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٥٧ - ٨٠.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

آثار هجر القرآن الكريم وأسبابه

المستخلص:

تناولت في هذا البحث أثر هجر القرآن وأسبابه ، وما دعاني للخوض في هذا الموضوع أهميته البالغة ، حيث ظاهرة هجر القرآن أصبحت متفشية في كل البلاد الإسلامية بلا استثناء وبالخصوص لدى الجيل الناهض، الذي يواجه الكثير من التحديات من الأفكار الدخيلة على المجتمع الإسلامي وأيضاً الإسلامية المتطرفة التي ربما تأتي بنتائج عكسية لما يراد بها، صغت هذا البحث من ثلاثة فصول وكل فصل به ثلاثة مباحث، واعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي ، لتحقيق أهداف الدراسة، كما اتبعت المقابلة العلمية مع المتخصصين والعلماء ، طريقة تحليل المحتوى ، للإجابة على أسئلة الباحثة : ما هي جوانب هجر القرآن؟ وما الآثار النفسية لهجر القرآن على حياة الفرد المسلم؟ ما الذي دفع المسلمين إلى هجر القرآن؟ ما هي الخطة العلاجية لمعالجة الآثار السلبية لهجر القرآن؟

وقد توصل البحث إلى أن من أهم مظاهر الهجر القرآني : أعراض المسلم وهجر وترك تلاوة القرآن ، ونسيان القرآن بعد حفظه ، إما أن يفعل ذلك عمداً أو دون قصد وهو أحد أهم الآثار النفسية التي يمكن أن تؤدي إلى قسوة القلب.

حقق البحث العديد من التوصيات أبرزها:

- أوصي العاملين بالمؤسسات التعليمية تحفيز من يقومون بتعليمهم تلاوة القرآن والاهتمام به.

- أوصيهم ببيان فضل القرآن لمن يجهله، كي يقوي الاهتمام بالقرآن ويعلي شأنه.

- أوصي أولياء أمور الأبناء بالعمل جاهدين على تحبيب القرآن في نفوس أبنائهم.

الكلمات المفتاحية : هجر القرآن – تلاوة القرآن – قسوة القلب

Abstract:

The research addressed the impact of the desertion of the Koran and causes, what led me to dig into this issue it is extremely important, as the phenomenon of desertion of the Qur'an has become rampant in all Islamic countries without exception and in particular among the rising generation, which faces many challenges from ideas that are alien to Islamic society as well as extremist Islam that may be counterproductive to what it is intended to, researcher composed this research out of three chapters, and each chapter has three topics. the researcher adopted the descriptive analytical method, to achieve

the objectives of the study also followed the scientific interview with specialists and scholars, content analysis method, to answer the researchers' questions: What aspects of abandonment of Koran? And the psychological effects of abandonment of the Koran on the lives of individual Muslim? What cause Muslims to abandon Koran? What remedial plan to address the negative effects of the abandonment of the Koran?, The research achieved that one of the most important manifestations of abandonment Koran: The Muslim by abandoning the recitation of the Qur'an, and forgetting the Qur'an after memorizing Qur'an, intentionally or unintentionally, is one of the most important psychological effects that can lead to a harsh heart. The research achieved many recommendations most notable of are:

- Workers on educational institutions those who teach Koran encourage, give bounces and incentives.
- To reveal the merits of Koran to those who are ignorant about Koran.
- Parents must encourage their children to recite Koran , absorb, understand and keep by hard.

Keywords : Desertion of the Koran-recitation of the Koran-harsh heart

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين.. والصلاة والسلام على خير الانام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام وبعد:

فإن القرآن الكريم خير كتاب أنزل على أشرف رسول إلى خير أمة أخرجت للناس بأفضل الشرائع وأسمحها وأكملها، وهو كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المتلو بالأسنة المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة

المختتم بسورة الناس قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١).
أنزله الله تعالى ليكون دستوراً للأمة (٢) وهداية للخلق وليكون آية على صدق الرسول ﷺ وبرهاناً ساطعاً على نبوته ورسالته وحجة قاطعة قائمة إلى يوم الدين: ﴿قُلْ لَنِي اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (٣) أنزل القرآن ليقراه المسلم فيثاب عليه بكل حرف عشر حسنات كما جاء في الحديث (٤) عن النبي ﷺ، أنزل القرآن ليتدبر المسلم آياته ويتفكر في معانيه وأوامره فيمتثلها ونواهيها فيجتنبها وليتذكر ما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب قال تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٥).

أنزل القرآن ليعلم به المسلم فيحل حلاله ويحرم حرامه ويعمل بمحكمه ويؤمن بمتشابهه (٦) ويتلوه حق تلاوته فيكون حجة له عند ربه وشفيعاً له يوم القيامة قال ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك» (٧)، وقد تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ هَدَىٰ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (٨)، وقد سماه الله روحاً لتوقف الحياة الحقيقية عليه، ونواراً لتوقف الهداية عليه قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ (٩).
مقدمة:

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب رسول الله ﷺ، ودعانا إلى تدبره وفهمه والعمل به كما أراد وبَيَّن في محكم التنزيل. وأول مراحل التعامل الرباني مع القرآن الكريم هي التلاوة والقراءة. حيث كان أول ما أوحى به إلى الحبيب محمد عليه الصلاة والسلام قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ

(١) سورة الشعراء: ١٩٢-١٩٥

(٢) الدستور عبارة عن القواعد الأساسية للحكم.

(٣) سورة الإسراء: ٨٨

(٤) الذي رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) سورة ص: ٢

(٦) ويتعظ بمواعظه ويعتبر بأمثاله.

(٧) رواه مسلم.

(٨) سورة طه: ١٢٣

(٩) سورة الشورى: ٥٢

وَرُبُّكَ الْأَكْرَمُ^(١٠) ، وقد أمر الله تعالى عباده بتلاوة القرآن الكريم في آيات كثيرة قال تعالى : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا^(١١) .

إن القرآن الكريم كتاب الله الذي منه بدأ وإليه يعود، نزل به الروح الأمين على قلب محمد ﷺ بلسان عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزّل من حكيم حميد، تكفل الله بحفظه فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ^(١٢) ، تعبدنا الله بتلاوته وتدبر آياته ومعانيه ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا^(١٣) ، كتاب جمع الله فيه خيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا^(١٤) ، من تمسك به نجا ومن أعرض عنه فقد ضل وفاز بالردى قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى^(١٥) ، كتاب معجز بسوره وآياته وحروفه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(١٦) .

وحين سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيف كان؟ وكيف تصفه؟! قالت كلمتها الحكيمة الوجيزة العظيمة: "كان خلقه القرآن". وهذا الذي قالته عائشة رضي الله عنها يمكن تعميمه في جميع جوانب الحياة. فإذا سألنا عن اعتقاد رسول الله ﷺ؟ فقد كانت عقيدته القرآن. وإذا سألنا عن تصوّره؟ فقد كان تصوّره القرآن. وإذا سألنا عن علمه؟ فقد كان علمه القرآن. وإذا سألنا عن عبادته؟ فقد كانت عبادته القرآن. وإذا سألنا عن سنّته وسيرته؟ فإنّ سنّته وسيرته هي القرآن.. فالقرآن المجيد كان حاضراً مهيمناً بقوة في كل شأن من شؤون رسول الله ﷺ جليلاً كان أم دقيقاً، وكان حاضراً في كل شأن بحيث لا يمكن تجاهله أو تناسيه أو الإعراض عن استدعائه في أيّ شأن من الشؤون دون تفريق بين ما يعد شأناً دنيوياً أو شأناً أخروياً، غيبياً أو من عالم الشهادة فكانت حياته ﷺ وحياة أهل بيته وآله وصحابته بصفة عامة

(١٠) سورة العلق: الآيات ١ - ٣

(١١) سورة الأنعام: ١١٥

(١٢) سورة الحجر: ٩

(١٣) سورة محمد: ٢٤

(١٤) سورة الإسراء: ٩

(١٥) سورة طه: ١٢٤

(١٦) سورة النساء: ٨٢

القرآن، منه وبه يستمد النور، وبه تصاغ الحياة، وبآياته المحكمة ترسي دعائم المدنية والحضارة، وتبنى الأمة وتحقق شهودها الحضاري.

فجاءت النصوص الكريمة من الكتاب والسنة ترشد الأمة إلى تعاقد القرآن بالتلاوة والتدبر، وتحذر كل الحذر من التقصير في حقّه، أو هجران تلاوته والعمل به، ولقد حكى الله عز وجل شكوى الرسول الله ﷺ لربه هجران قومه للقرآن فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(١٧)، وتوعد الله سبحانه الذين يعرضون عنه فقال: ﴿... وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا، مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾^(١٨)، ثم صوّر حالة ذلك المعرض يوم القيامة فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١٩).

أسباب اختيار البحث:

- التحفيز على الاهتمام بالقرآن من حيث قراءته وتدبره وإدراك معانيه وتلاوته.
- إهمال الكثير من القرآن والانشغال عنه بغيره ((الأغاني إلي نحو ذلك))
- حاجة المسلمون اليوم لدراسة متعمقة للتعامل مع القرآن الكريم ورسم طريق للتخلص من حالة الهجر التي هم عليها فيعودوا إلي القرآن أو يعود القرآن لهم.

مشكلة البحث:

- الانشغال بغير القرآن عن القرآن.
- عدم التهيئة الذهنية والقلبية عند قراءة القرآن الكريم.
- عدم القراءة المتأنية والتركيز معها.
- عدم التجاوب مع القراءة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في:

بيان أحكام هجر القرآن حسب نوع الهجر سواء كان من قراءته وإدراك معانيه. أن هجر القرآن المقصود هنا هجر تلاوته وعدم تدبره وعدم إدراك معانيه لأنه أخف، وليس المقصود هجر حفظه أي نسيانه بعد حفظه لأنه أقوى والإنسان مجبول على النسيان وقد سمي إنساناً لكثرة نسيانه .

فروض البحث:

كيف يكون هجر القرآن؟

^(١٧) سورة الفرقان / ٣٠ .

^(١٨) سورة طه من الآية ٩٩ - ١٠٠ .

^(١٩) سورة طه لآية ١٢٤ .

ما أنواع هجر القرآن؟

ما هي آثار هجر القرآن؟

منهج البحث:

الوصفي التحليلي.

هيكل البحث:

يتكون البحث من ثلاثة فصول ، ويحتوي كل فصل على ثلاث مباحث:

الفصل الأول : معنى الهجر

المبحث الأول : الهجر لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني : معنى القرآن

المبحث الثالث : حكم هجر القرآن

الفصل الثاني : أنواع هجر القرآن

المبحث الأول : النوع الأول : عدم الإيمان به

المبحث الثاني : النوع الثاني : عدم قراءته

المبحث الثالث : النوع الثالث : عدم تدبره وقبوله

الفصل الثالث : أسباب هجر أو مظاهر هجر القرآن وآثاره وأقوال العلماء الواردة

فيه

المبحث الأول : مظاهر هجر القرآن

المبحث الثاني : أسباب هجر القرآن

المبحث الثالث : الآثار وأقوال العلماء والمفسرين في هجر القرآن

الفصل الأول : معنى الهجر

المبحث الأول: الهجر لغةً واصطلاحاً:

الهجر لغةً: وهو مأخوذ من مادة (هـ ج ر) التي تدل على القطيعة ، ومن هذا:

الهجر ضد الوصل وكذلك الهجران، وهاجر القوم من دار إلى دار، تركوا الأولى

للثانية كما فعل المهاجرون حين هاجروا من مكة إلى المدينة، وتهجر الرجل

وتمهجر: أي تشبه بالمهاجرين، ومن الباب الهجر بمعنى الهذيان، والهجر أيضا

الإفحاش في المنطق والخنا^(٢٠).

ورماه بالهاجرات، وهي الفضائح، وسمي هذا كله (هجرا) لأنه من المهجور

الذي لا خير فيه وأهجرت بالرجل: استهزأت به. وقلت فيه قولا قبيحا.

^(٢٠) مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ٣٩٥ ، الطبعة الأولى الجزء ،

المكتبة المصرية ، دار العلوم ، ١٤١١ هـ - ١٩٦١ م ، ص ٢.

قال ابن منظور: يقال: هجره يهجره هجرا وهجرانا: صرمه. وهما يهتجران ويتهاجران والاسم الهجرة: والتهاجر: التقاطع. وهجر الشيء وأهجره: تركه. والهجر: الاسم من الإهجار. يقال هجر المريض يهجر هجرا بالضم فهو هاجر والكلام مهجور. قال أبو عبيد: يروى عن إبراهيم النخعي ما يثبت هذا القول في قوله تعالى ... ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٢١). قال: قالوا فيه غير الحق. ألم تر إلى المريض إذا هجر قال غير الحق، وعن مجاهد نحوه. والهجر: الكلام المهجور لقبه.

وفي الحديث: ((إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا)). وأهجر فلان: إذا أتى بهجر من الكلام عن قصد. وهجر المريض: إذا أتى بذلك من غير قصد^(٢٢).

وقال ابن الأثير: وفي الحديث ((لا هجرة بعد ثلاث)) يريد به الهجر ضد الوصل، يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة، أو تقصير يقع في حدود العشرة والصحبة، دون ما كان من ذلك في جانب الدين، فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مر الأوقات ما لم تظهر منهم التوبة، والرجوع إلى الحق، ومن ذلك أيضا ما جاء في الحديث لا يذكر الله إلا هجرا، يريد الترك له والإعراض عنه، يقال: هجرت الشيء إذا تركته وأغفلته، أما ما رواه ابن قتيبة من قوله ﷺ «ولا يسمعوا القول إلا هجرا» (بالضم) فالمراد الخنا، والقبيح من القول، وقول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾^(٢٣).

أي في المنام توصلا إلى طاعتهم^(٢٤)، وقال القرطبي في تفسير هذه الآية: قيل الهجر في المضاجع ألا يضاجعها ويوليها ظهره ولا يجامعها، وقيل: جنبوا مضاجعهم، أي أبعدوها من الهجران وهو البعد. وقيل: واهجروهن مأخوذ من الهجر

^(٢١) سورة الفرقان / ٣٠ .

^(٢٢) لسان العرب لأبن منظور ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري .

^(٢٣) سورة النساء : الآية ٣٤ .

^(٢٤) النهاية / لأبن الأثير : هو الإمام محمد الدين السعداني المبارك بن محمد الخدي ٥٦٤ - ٦٦٠ هـ .

وهو القبيح من الكلام، أي غلطوا عليهن في القول، وقيل غير ذلك وهذا الهجر غايته عند العلماء شهر^(٢٥).

الهجر اصطلاحاً: قال المناوي: الهجر والهجران: مفارقة الإنسان غيره. إما بالبدن. أو اللسان. أو القلب^(٢٦).

قال الكفوي: الهجر بالفتح: الترك والقطيعة. والهجر بالضم: الفحش في المنطق^(٢٧).

المبحث الثاني: معنى القرآن وهجره

المطلب الأول: القرآن لغة: القرآن لغة:

قال القرطبي: القرآن اسم لكلام الله تعالى وهو بمعنى المقروء، ويسمى المقروء قرآناً على عادة العرب في تسميتها المفعول باسم المصدر ثم اشتهر الاستعمال في هذا واقترن به العرف الشرعي فصار القرآن اسماً لكلام الله وقيل: هو اسم علم لكتاب الله غير مشتق كالتوراة والإنجيل^(٢٨).

ضحوا بأشمط عنوان السجود به

يُقَطَّع الليل تسبيحاً وقرآناً

وقال الجرجاني: القرآن: هو المنزل على الرسول، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلاً متواتراً بلا شبهة^(٢٩).

قال أبو إسحاق النحوي: يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه ﷺ، كتاباً وقرآناً وفرقاً ومعنى القرآن معنى الجمع، وسمى قرآناً لأنه يجمع السور، فيضمها^(٣٠).

قال الحافظ ابن كثير: عليه رحمة الله:- كان الكفار إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعون، فهذا من هجرانه، وترك الإيمان به. وترك

^(٢٥) تفسير القرطبي / الجامع لأحكام القرآن / لأبي عبد الله محمد بن الأنصاري، الجزء الخامس، الصفحة ١١٢، المتوفى (٦٧١هـ - ١٢٧٣م)، بيروت - الناشر مؤسسة

^(٢٦) التوفيق على مهمات التعاريف / لزين العابدين محمد المدعو بعيد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهرة / المتوفى ١٠٣١هـ، الناشر عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، الجزء الأول، ص ٢٤٢.

^(٢٧) الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية / لأيوب بن موسى الحسين القرشي الكفوي أبو البقاء الحنفي المتوفى ١٠٩٢هـ، الناشر عدنان درويش محمد المصري مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الأولى.

^(٢٨) مرجع سابق / المجلد الثاني، ص ١٩٨

^(٢٩) التعريفات للجرجاني / علي بن محمد الزين الشريف، المتوفى ٨١٦هـ / (الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م الجزء الأول، ص ١٨١ دار الكتب العلمية (بيروت - لبنان)

^(٣٠) لسان العرب / الجزء الأول ص ١٨٢.

تصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجه من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره من هجرانه.^(٣١)

وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يسمعون كما قال تعالى: **چ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ** چ ^(٣٢) فكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغو والكلام في غيره حتى لا يسمعون، فنسأل الله الكريم ما يشاء ، أن يخلصنا مما يسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه من حفظ كتابه وفهمه والقيام بمقتضاه أثناء الليل والنهار وأطراف النهار على الوجه الذي يحبه ويرضاه إنه كريم وهاب^(٣٣).

المطلب الثاني : القرآن اصطلاحاً:

المطلب الثالث : هجر القرآن اصطلاحاً:

لم تذكر كتب المصطلحات «هجر القرآن» مصطلحاً ويمكن في ضوء ما أوردته كتب اللغة وما ذكره المفسرون أن هجر القرآن له جانبان: أحدهما يتعلق بالقرآن دون أخذ له، وهذا صنيع الكفار والمنافقين، والآخر يتعلق به بعد الإقرار بأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا صنيع بعض المسلمين الذين لا يقرءون القرآن، أو يقرءونه لا يجاوز حناجرهم، فلا يعملون به، ومن هؤلاء صنف يحفظ القرآن أو شيئاً منه ثم يهجر القراءة حتى ينسى ما قد يكون حفظه منه. وعلى ذلك فإن هجر القرآن: هو الإعراض عنه أو اللغو فيه والقول فيه بغير الحق- كالزعم بأنه سحر أو شعر ونحو ذلك من سيئ القول- وترك تلاوته أو العمل به أو نسيانه بعد الحفظ^(٣٤).

الآيات الواردة في هجر القرآن:

١ ث ت چ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجَارُونَ (٦٤) لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّا كُنَّا لَا تَنْصَرُونَ (٦٥) قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ (٦٦) مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ (٦٧) أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ چ ^(٣٥)

^(٣١) تفسير القرآن العظيم، للإمام الجليل عماد الدين أبو الفراء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ المجلد الثالث، ص ٣٢٩.

^(٣٢) سورة فصلت الآية : ٢٦

^(٣٣) لسان العرب / الجزء الأول ، ص ١٨٢

^(٣٤) تفسير القرآن العظيم / للإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى ٧٧٤ هـ المجلد الثالث ص ٣٥٩.

^(٣٥) سورة المؤمنون الآيات : ٦٤ – ٦٨.

قال : مستكبرين بالبلد سامراً مجالس تهجرون ، قال: القوة التي في القرآن غير الحق.
٢- وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا^(٣٦).

يقول تعالى ذكره : وقال الرسول يوم بعض الظالم على يديه وبأن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلي التوحيد قد اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا فقال بعضهم : كأن اتخاذه ذلك هجراً ، قولهم فيه السوء من القول، وزعمهم أنه سحر وأنه شعر^(٣٧).

الآيات الواردة في هجر القرآن معنى : عن ابن عباس في قوله:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٣٨) يقول كل مال أعطيته عبداً من عبادي قل أو كثر لا يأتيه ، فلا خير فيه ، وهو الضنك في المعيشة ، ويقال أيضاً : إن قوماً ضللاً أعرضوا عن الحق وكانوا أولى في الدنيا مكثرين. ينبغي أن نعرف معنى الهجر للقرآن ذكره الله تعالى بقوله ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٣٩) . ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾^(٤٠) وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعون إليه ، وكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللفظ والكلام في غيره حتى لا يسمعه فهذا من هجره وترك تفهمه من هجرته وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره أو غناء أو كلام أو طريقة مأخوذة من عبره من هجرته.

المبحث الثالث: حكم هجر القرآن:

يختلف حكم هجر القرآن باختلاف نوع الهجر، فإن كان الهجر بالإعراض عنه واللغو فيه فهذا كفر صراح، وإن كان الهجر بمعنى الترك المؤدي إلى النسيان بعد الحفظ فقد ذكر ابن حجر أنه من الكبائر، وقال بأن ذلك هو ما ذهب إليه الرافعي وغيره، ونقل عن بعض العلماء أن محل كون نسيان القرآن كبيرة عند من قال به مشروط بأن يكون عن تكاسل وتهاون، وهذا احتراز عما لو اشتغل عنه بمرض مانع من القراءة، وعدم التأثيم بالنسيان حينئذ واضح، لأنه مغلوب عليه لا اختيار له فيه. أما إذا كان الهجر متعلقاً بعدم العمل به فذلك معصية يتوقف كونها كبيرة أو صغيرة على نوع المخالفة ذاتها، وأما إذا كان الهجر بمعنى ترك التلاوة، فإن كان يقدر عليها ولم يفعل فهو كالبيت الخرب وإن لم يكن قادراً فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، هذا إلا فيما تصح به صلاته فإنه واجب على كل مسلم ولا يجوز تركه بحال.

^{٣٦} سورة الفرقان/ ٣٠ .

^{٣٧} تفسير الطبري .

^{٣٨} سورة طه لآية ١٢٤ .

^{٣٩} سورة الفرقان/ ٣٠ .

^{٤٠} سورة فصلت الآية : ٢٦

في ذم نسيان القرآن على ترك العمل به لأن النسيان هو الترك لقوله تعالى: **ج. وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ قَنُوسٍ وَلَمْ تَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ^(٤١)
فللقرآن يوم القيامة حالتان: إحداهما الشفاعة لمن قرأه ولم ينسى العمل به.
والثاني: الشكاية على من نسيه : أي تركه تهاونا به ولم يعمل بما فيه قال
ولا يبعد أن يكون تهاون به حتى نسي تلاوته كذلك انتهى وهذا الذي زعم أنه لا يبعد
هو المتبادر من النسيان الواقع في الأحاديث السابقة فهو المراد منها خلافاً لما زعمه
وسياتي في حديث البخاري في كتاب الصلاة تشديد عظيم وعذاب أليم لمن أخذ القرآن
ثم رفقه ونام عن الصلاة المكتوبة وهذا ظاهر النسيان ^(٤٢).

الفصل الثاني: أنواع هجر القرآن

المبحث الأول: النوع الأول: عدم الإيمان به:

هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه و هجر العمل به والوقوف عند
حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به . هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين
وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم .
عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : دخل النبي ﷺ المسجد فإذا فيه قوم
يقرءون القرآن قال: ((أقرءوا القرآن وابتغوا به الله - عز وجل- من قبل أن يأتي
قوم يقيمونه إقامة القرح يتعجلونه ولا يتأجلونه)) ^(٤٣)

أي الابتعاد عن سماع القرآن بين الحين والحين وتحاشي ذلك ، وأن يضيق
صدر الإنسان عند سماعه القرآن والعياذ بالله تعالى من ذلك، وهذا مؤشر خطير
وواضح عن فساد قلب هذا الإنسان وسيطرة الشيطان عليه فمن علامات المؤمن
الصالح إلا يمل سماع القرآن وإن يشاقق إليه إذا شغله عن سماعه شاغل.

المبحث الثاني : النوع الثاني : عدم قراءته:

هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به: أي أن النوع
الثاني من أنواع هجر القرآن الكريم هو الوقوف عند تلاوة القرآن الكريم فقط تلاوة
لفظية فقط ، أي من دون أن يُجاوز الحناجر إلى القلوب، ومن دون أن يطبق ما في
القرآن الكريم من أوامر، ومن دون أن ينتهي عما فيه من نواهي ومحذورات وإن كان
يؤمن بأن ما فيه من نواهي محرم على المسلم أن يقع بها.. فهذا محرم وهو من هجر
القرآن.

^(٤١) سورة طه الآية : ١١٥.

^(٤٢) الزواجر عن اقتران الكبائر/ للإمام ابن حجر المكي الهيتمي (١) دار الشعب ١٤٠٠م.

١٩٨٠م ، إذا كان (الزواجر) ص ١٥٧

^(٤٣) رواه أحمد ٣/ ٣٥٧ واللفظ له قال سنده حسن.

قال ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الذي ليس في جوفه شئ من القرآن كالبيت الخرب))^(٤٤)

وعن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليست قراءتهم بشيء ، ولا صلاتكم إلي صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلي صيامهم بشيء ، يقرءون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم ، ولا تجاوز صلاتهم تراقيم^(٤٥) يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية))

عن علي- رضي الله عنه- قال: ^(٤٦) من الناس من يؤتى الإيمان ولا يؤتى القرآن، ومنهم من يؤتى القرآن ولا يؤتى الإيمان، ومنهم من يؤتى القرآن والإيمان، ومنهم من لا يؤتى القرآن ولا الإيمان، ثم ضرب لهم مثلاً، قال: فأما من أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله مثل التمرة حلوة الطعم لا ربح لها، وأما مثل الذي أوتي القرآن، ولم يؤت الإيمان فمثل الآس، طيبة الريح مرة الطعم، وأما الذي أوتي القرآن والإيمان فمثل الأترجة^(٤٧) طيبة الريح حلوة الطعم، وأما الذي لم يؤت القرآن ولا الإيمان، فمثل الحنظلة مرة الطعم لا ربح لها^(٤٨)

المبحث الثالث: النوع الثالث: عدم تدبره وتفهمه:

هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها ، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى : **﴿ قَدْ قَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾**^(٤٩)

قالوا فيه غير الحق ألم تر إلي الحريفه إذا هدى قال غير الحق عن زيد بن وهب الجهني، أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي – رضي الله عنه- الذين ساروا إلي الخوارج ، فقال علي – رضي الله عنه - : أيها الناس ، أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج قوم من أمتي يقرءون القرآن ليست قراءتهم بشيء ، ولا

^(٤٤) رواه أحمد ١٩٤٧

^(٤٥) لا يتجاوز صلاتهم تراقيمهم : المراد بالصلاة هنا ، القراءة ، لأنها جزؤها

^(٤٦) رواه مسلم ورواه البخاري مختصراً ٥٠٥٨١٨ من رواية سعيد .

^(٤٧) الأترجة: هي تمر جامع لطيب الطعم والرائحة وحسن اللون يشبه البرتقال أكبر منه ويسميه بعضهم الكباد .

^(٤٨) البخاري الفتح ٨ (٥٠٢٠) ومسلم (٧٩٧) ، واللفظ له وفي رواية ومثل الفاجر ((الموضعين ، أخرجه الجماعة إلا الموطأ ، إلا أن الترمذي قال في الحنظلة :)) (وريحها مر) .

^(٤٩) سورة الفرقان الآية : ٣٠

صلاتكم إلي صلاتهم بشيء ، ولا صيامكم إلي صيامهم بشيء ، يقرؤون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم ، ولا تجاوز صلاتهم تراقيم^(٥٠) يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية))

وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْهَجَرِ أَهْوَنَ مِنْ بَعْضٍ وَكَذَلِكَ الْحَرْجُ الَّذِي فِي الصُّدُورِ مِنْهُ فَإِنَّهُ تَارَةٌ يَكُونُ حَرْجًا مِنْ أَنْزَالِهِ وَكَوْنُهُ حَقًّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ التَّكَلُّمِ بِهِ أَوْ كَوْنُهُ مَخْلُوقًا مِنْ بَعْضِ مَخْلُوقَاتِهِ أَلْهَمَ غَيْرَهُ أَنْ تَكَلَّمَ بِهِ وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كِفَايَتِهِ وَعَدَمِهَا وَأَنَّهُ لَا يَكْفِي الْعِبَادَ بَلْ هُمْ مُحْتَاجُونَ مَعَهُ إِلَى الْمَعْقُولَاتِ وَالْأَفْئِيسَةِ أَوْ الْآرَاءِ أَوْ السِّيَاسَاتِ وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ دَلَالَتِهِ وَمَا أُريدُ بِهِ حَقَائِقُهُ الْمَفْهُومَةُ مِنْهُ عِنْدَ الْخُطَّابِ أَوْ أُريدُ بِهِ تَأْوِيلُهَا وَإِخْرَاجُهَا عَنْ حَقَائِقِهَا إِلَى تَأْوِيلَاتٍ مُسْتَكْرَهَةٍ مُشْتَرَكَةٍ وَتَارَةٌ يَكُونُ مِنْ جِهَةِ كَوْنِ تِلْكَ الْحَقَائِقِ وَإِنْ كَانَتْ مُرَادَةً فَهِيَ ثَابِتَةٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ أَوْ أَوْهَمَ أَنَّهَا مُرَادَةٌ لَضَرْبِ الْمَصْلَحَةِ^(٥١)

عن الحسن قال: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ولم يتأولوا الأمر مزاولاً. قال الله- عز وجل : وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ۞ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞^(٥٢) وما تدبر آياته إلا اتباعه والله يعلم، وأما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نفس واحد والله ما هؤلاء ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء^(٥٣)

فكل هؤلاء في صدورهم حرج من القرآن وهم يعلمون ذلك من أنفسهم ويجدون في صدورهم ولا تجد مبتدعاً في دينه قط إلا وفي قلبه حرج من الآيات التي تخالف بدعته كما أنك لا تجد ظالماً فاجراً إلا وفي صدره حرج من الآيات التي لا تحول بينه وبين إرادته فيتدبر هذا المعنى ثم أرض لنفسك بما تشاء.

وقد قال أهل العلم : (من لم يقرأ القرآن فقد هجره ، ومن قرأ القرآن ولم يتدبر معانيه فقد هجره ومن قراه وتدبره ولم يعمل بمعانيه فقد هجره ومن قراه وتدبره ولم يعمل بما فيه فقد هجره . يقول الإمام الغزالي:

^(٥٠) لا يتجاوز صلاتهم تراقيمهم : المراد بالصلاة هنا ، القراءة ، لأنها جزؤها

^(٥١) سورة الفرقان الآية : ٣٠

^(٥٢) سورة ص الآية ٢٩

^(٥٣) الفوائد لأبن القيم محمد بن أبي بكر أيوب سعد بن القيم الجوزية المتوفى ٧٥١ هـ ط الثانية ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م ، ص ١٠٨ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثانية الجزء الأول.

تلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فخط اللسان تصحيح الحروف بالتزبيق، وخط العقل تفسير المعاني وخط القلب والاتعاظ والتأثر بالنترجاز والاتمار فالسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ (قال خالد : يا رسول الله: كم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه إلخ.

وهذا كان بعض الهجر : أي أن على المسلم أن يستشفي بالقرآن الكريم ما استطاع فعليه الشفاء وأفضل الدواء والفهوية ولكن ليس كل يستشفي به ينقطع ويبري ذلك لأن الاستشفاء بالقرآن الكريم هذا شفاء من عند الله تعالى.

الفصل الثالث:

مظاهر هجر القرآن وأسبابه وبعض أقوال العلماء الواردة فيه:

المبحث الأول: مظاهر هجر القرآن:

المطلب الأول: مظاهر هجر القرآن

القول فيه بغير الحق، وهذا صنيع الكفار الذين حكي عنهم في قوله تعالى: (وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) ^(٥٤) قال القرطبي: أي قالوا فيه غير الحق من أنه سحر أو شعر . يقول تعالى ذكره: قال الرسول يوم يعضّ على يديه : يا رب إن قومي الذين بعثتني إليهم لأدعوهم إلي دينك اتخذوا هذا القرآن مهجوراً.

واختلف أهل التأويل في معنى اتخاذهم القرآن مهجوراً ، فقال بعضهم : كان اتخاذهم ذلك هجراً ، قولهم فيه السوء من القول ، وزعمهم أنه سحر ، وأنه شعر ^(٥٥) .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : لقد عشت برهة من دهرى وإنّ أحدا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم فيتعلم حلالها وحرامها. وما ينبغي أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن، ثمّ لقد رأيت رجلاً يؤتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته، ما يدري ما أمره ولا زاجره، وما ينبغي أن يقف عنده منه، ينثره نثر الدقل ((^(٥٦)

عن إياس بن عمر يقول: أخذ علي بن أبي طالب بيدي ثم قال: إنك إن بقيت سيقراً القرآن ثلاثة أصناف: فصنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا، ومن طلب به أدرك ^(٥٧)

وقال الطبري:

^(٥٤) سورة الفرقان الآية ٣٠:

^(٥٥) تفسير القرطبي ص ٢٠ الجزء ١٣.

^(٥٦) الهيثمي في المجمع ١ (الإعراض عن القرآن واللغو فيه: ١٦٥) وقال : رواه

الطبراني في الصحيح

^(٥٧) الدرامي ٣٣٢٩

يعني قولهم فيه السئ من القول فقالوا غير الحق ^(٥٨)

المطلب الثاني: الإعراض عن القرآن واللغو فيه

وقد ورد هذا المعنى في تفسير الآية السابقة : يقول الطبري وذلك أن الله أخبر عنهم بأنهم قالوا : (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ) ^(٥٩)

قال آخرون : بلا معنى يؤكد الخبر عن المشركين أنهم هجروا القرآن وأعرضوا عنه ولم يسمعوا له.

(وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا) ^(٦٠) لا يريدون أن يسمعه ، وإن دعوا إلي الله قالوا لا وقرأ : ^(٦١) وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ^(٦٢) ينهون : أي يبعدون عنه .

قال أبو جعفر: وهذا القول أولى بتأويل ذلك، وذلك أن الله أخبر عنهم أنهم قالوا: لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ ^(٦٣) ^(٦٤) وذلك هجرهم إياه.

عن علي- رضي الله عنه- قال: من الناس من يؤتى الإيمان ولا يؤتى القرآن، ومنهم من يؤتى القرآن ولا يؤتى الإيمان، ومنهم من يؤتى القرآن والإيمان، ومنهم من لا يؤتى القرآن ولا الإيمان، ثم ضرب لهم مثلا، قال: فأما من أوتي الإيمان ولم يؤت القرآن فمثله مثل التمرة حلوة الطعم لا ريح لها، وأما مثل الذي أوتي القرآن، ولم يؤت الإيمان فمثله مثل الآس، طيبة الريح مرة الطعم، وأما الذي أوتي القرآن والإيمان فمثله الأترجة طيبة الريح حلوة الطعم، وأما الذي لم يؤت القرآن ولا الإيمان، فمثله الحنظلة مرة الطعم لا ريح لها ^(٦٤)

عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئا على غير تأويله ^(٦٥)

^{٥٨} الطبري، الجزء التاسع ص ٣٨٥ .

^{٥٩} سورة فصلت الآية : ٢٦

^{٦٠} سورة الفرقان الآية : ٣٠

^{٦١} سورة الأنعام الآية : ٢٦

^{٦٢} سورة فصلت الآية : ٢٦

^{٦٣} تفسير الطبري جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر

^{٦٤} الدارمي (٣٣٦٣) .

^{٦٥} جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٥٦.٧١) ولأبن عباس نحو هذا .

ترك تلاوته بالكلية وهذا المعنى قد ورد القبطي في تفسير الآية الكريمة السابقة عندما ذكره: وقيل معنى مهجورا)) متروكاً وما جاء عن ابن عباس : ((الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب))^(٦٦)

نسيان بعد الحفظ ، وإلى هذا المعنى أشارت الآية الكريمة : **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى** (١٢٤) **قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا** (١٢٥) **قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى** (١٢٦) **چ** (٦٧)

عن الحسن قال: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله ولم يتأولوا الأمر مزاولاً. قال الله- عز وجل : **وَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : چ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ چ** (٦٨)

وما تدبر آياته إلا اتباعه والله يعلم، وأما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول: قد قرأت القرآن كله فما أسقطت منه حرفاً، وقد والله أسقطه كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل حتى إن أحدهم ليقول: إنني لأقرأ السورة في نفس واحد والله ما هؤلاء ما هؤلاء بالقراء ولا العلماء ولا الحكماء ولا الورعة متى كانت القراء تقول مثل هذا؟ لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء)^(٦٩)

ترك العمل بالقرآن ، ودليل ما رواه أبو عبيدة عن أنس مرفوعاً: ((القرآن شافع مشفع وما كل مصدق من جعله أمامه قاده إلي الجنة ومن جعله خلفه قاده إلي النار))^(٧٠)

ومن يجعل الإنسان القرآن خلفه أي يهمل تلاوته والعمل به.

المبحث الثاني: أسباب هجر القرآن:

المطلب الأول: الانشغال بغير القرآن عن القرآن: فقد أصبح جل اهتمامنا وشغلنا بغير القرآن الكريم مما أدى إلى التشاغل عنه وهجره. عدم التهيئة الذهنية والقلبية عند قراءة القرآن الكريم: فعند قراءتنا للقرآن الكريم لا نختار المكان الهادئ، البعيد عن الضوضاء، إذ أن المكان الهادئ يعين على التركيز وحسن الفهم وسرعة التجاوب مع

^(٦٦) رواه أحمد والترمذي (٢٩١٣) واللفظ له، حسن صحيح والحاكم ١/ (٥٤٤) والترغيب والترهيب ٢/ (٣٥٩) .

^(٦٧) سورة طه الآية : ١٢٦-١٢٤ .

^(٦٨) سورة ص الآية ٢٩

^(٦٩) أخلاق أهل القرآن / للأجري (١٠١) وقال محققه : رواه ابن المبارك وهو حديث حسن.

^(٧٠) الإتيان في علوم القرآن / للسيوطي الجزء الثاني ص ١٥٢.

القراءة، ويسمح لنا كذلك بالتعبير عن مشاعرنا إذا ما استثنيت ارت بالبكاء والدعاء، وعدم لقائنا بالقرآن في وقت النشاط والتركيز بل في وقت التعب والرغبة في النوم. إلى جانب أننا لم نعمل على استجماع مشاعرنا قبل القراءة، ولم نتخذ الوسائل المؤدية لذلك كالدعاء وتذكر الموت، والاستماع إلى المواعظ.

المطلب الثاني: عدم القراءة المتأنية والتركيز معها:

فعلينا ونحن نقرأ القرآن أن تكون قراءتنا متأنية، هادئة، مرسلة، وهذا يستدعي منا سلامة النطق وحسن الترتيل، كما قال تعالى ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾^(٧١) وعلى الواحد منا ألا يكون همّه عند القراءة نهاية السورة، بل لا ينبغي أن تدفعنا الرغبة في ختم القرآن إلى سرعة القراءة.

المطلب الثالث : عدم التجاوب مع القراءة:

فالقراءة خطاب مباشر من الله عز وجل لجميع البشر، وهو خطاب يشمل أسئلة وإجاباتٍ ووعداً ووعيداً، وأوامر ونواهي، فالتجاوب مع تلك العناصر يساعدنا على زيادة التركيز عند القراءة وعدم السرحان.

جهل كثير من المسلمين اليوم للغة العربية التي بها نزل القرآن الكريم، فعجزوا عن النهوض لتدبر القرآن الكريم ورضوا بالجهل والقعود . الغزو الفكري والثقافي الذي زحف على العالم الإسلامي، مما شغل المسلمين عن كتابهم، وضلّهم بتفسيرات فاسدة .

عدم اهتمام بعض المجتمعات الإسلامية بفرض اللغة العربية، والقرآن والسنة في كثير من المراحل الدراسية.

عدم وجود خطة أو نهج يتبناه الدعاة من أجل دراسة منهج الله وتدبره.

غفلة الكثير عن أمور دينهم، وانشغالهم بالدنيا مما جعلهم يهترون كتاب ربهم . ضعف الإيمان والخلل في تصور القرآن، مما يزيد من هجره، ودفع الإنسان إلى التفكير المنحرف الخاطئ.

حب الدنيا وإيثارها على الآخرة يدفع النفوس إلى أبواب الهجر لكتاب الله .

من الأسباب أيضاً:

عدم الإيمان، والتكذيب به في الباطن وإن لم يصرح بذلك ، الجهل بما فيه وأوجه إعجازه ، الانهماك في الدنيا والغفلة عن الآخرة، سماع الغناء والمعازف.

قول الأمل والتسويق بالطاعات ومنها تلاوة القرآن، التكبر على تعلم تلاوة القرآن فيهمجه حتى لا يقال: لا يحسن القراءة ، والانشغال بغيره من علوم.

^(٧١) سورة المزمل الآية : ٤

المطلب الرابع: هجر تلاوته والحفظ وعدم الاحتكام لأوامره:

لقد هجر كثير من الناس كتاب ربهم هجراً لم تعرفه الأمة من قبل ، فإذا بالواحد منا – إلا مَنْ رحم الله – في هذه الأوقات لا نقول تمر عليه الساعات لكن الأيام والأسابيع بل الشهور ، وهو لا يتذكر أنه فتح مصحفاً أو قرأ آيات من كتاب ربه – سبحانه وتعالى – على الرغم من حرصه الشديد على قراءة الجرائد والصحف والمجلات ليتابع بلهف وشوق أخبار من لا خلاق لهم من اللاعبين واللاعبات، والفنانين والفنانات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وكم من بيوت خربة وصدور جوفاء تعيش بيننا ولا تدري عن هذا الخراب شيئاً .

المطلب الخامس: من أسباب هجر القرآن الجهل بفضل القرآن:

إن من جهل الكثير من أبناء المسلمين بفضل القرآن الكريم المترتب عليه من أكبر دواعي لهجر القرآن وعدم الإغناء وبتحصيله والمداومة على تلاوته ، ولو كان يعلم المرء ما في هذا القرآن الكريم من الفضل العظيم ، والثواب الجزيل ، ومنزلة قارئه في الدنيا والآخرة أنسبه أثناء الليل وأطراف النهار ، وما غفل عنه طرفة عين. ترك العمل بالقرآن ، ودليل ذلك ما رواه أبو عبيدة عن النبي ﷺ مرفوعاً : ((القرآن شافع مشفع وما كل مصدق من جعله أمامه قاده إلي الجنة ومن جعله خلفه قاده إلي النار)) (٧٢)

أي يجعل الإنسان القرآن خلفه أن يهمل تلاوته أو العمل به .

قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه:- والذي نفسي بيده إن حق تلاوته أن يحل حلاله ويحرم حرامه ويقرأه كما أنزله الله ولا يحرف الكلم عن مواضعه، ولا يتأول منه شيئاً على غير تأويله)) (٧٣)

عن قتادة – رضي الله عنه – قال : ما جالس القرآن أحد فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان ، ثم قرأ : **﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾** (٧٤)

رواه أبو نعيم:

عن زادت قال : من قرأ القرآن يتأكل به الناس – جاء يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم (٧٥).

المبحث الثالث: الآثار وأقوال العلماء والمفسرين في هجر القرآن:

المطلب الأول: الآثار وأقوال العلماء والمفسرين في هجر القرآن

(٧٢) الإتقان في علوم القرآن / للسيوطي الجزء الثاني ، ص ١٥٢.

(٧٣) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري (٥٦.٧١) ولأبن عباس نحو هذا .

(٧٤) سورة الإسراء الآية : ٨٢

(٧٥) رواه أبو نعيم (الجزء الرابع) ، ص ١٩٩ قال سنده حسن ورجالهم ثقات.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لقد أتى علينا حين وما نرى أحد يتعلم القرآن به الله فلما كان هاهنا يأخره ، خشيت أن رجالاً يتعلمونه يريدون به الناس وما عندهم فأريدوا الله بقراءتكم وأعمالكم إنا كنا نعرفكم إذ فينا رسول الله بقراءتكم وأعمالكم : ((إنا كنا نعرفكم إذ فينا رسول الله ﷺ إذ ينزل فينا الوحي وإذ يبيننا الله أخباركم ، فأما اليوم فقد مضى رسول الله ﷺ وأنقطع الوحي وإنما أعرفكم بما أقول ومن أعلن خير حبيبنا ودلنا به خيراً ون أظهر شراً بغضناه عليه وظننا به شراً، سرانركم فيما بينكم وبين الله عز وجل)) (٧٦) .

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قال: من الناس من يؤتى الإيمان ولا يؤتى القرآن ومنهم من يؤتى القرآن ولا يؤتى الإيمان ومنهم من يؤتى القرآن والإيمان ، ومنهم من لا يؤتى القرآن ولا الإيمان ، ثم ضرب مثلاً قال: فأما من أوتي الإيمان ولم يؤتى القرآن فمثل التمرة حلوة الطعم لا ريح لها أما مثل الذي أوتي القرآن ولم يوت الإيمان فمثل الأسة طيبة الريح مرة الطعم وأما الذي أوتي القرآن والإيمان فمثل الأترجة طيبة الريح وحلوة الطعم وأما الذي لم يؤت القرآن ولا الإيمان فمثل الحنظل مرة الطعم لا ريح لها (٧٧) .

(عن أياس بن عمر يقول: أخذ علي بن أبي طالب بيدي ثم قال: إنك إن بقيت سيقراً القرآن ثلاثة أصناف فصنف لله وصنف للجدال وصنف للدنيا ومن طلب به أدرك (٧٨) الخاتمة:

وفي نهاية هذا البحث لعلني أكون بذلك قد أوضحت بشيء من التفصيل معنى هجر القرآن وأنواعه وما يشتمل عليه من مباحث وأحكام ، وأمل أن أكون قد وفقت إلى تحقيق ما يلي، شرح وتفسير معنى هجر القرآن، وما يتعلق بهجره . هذا وما كان من توفيق فمن الله وحده ، وما كان من خطأ أو زلل أو نسيان فمننا ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريان، وحسبي أن أردت الخير والنصح للأمة . وسبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك .

(٧٦) أخلاق أهل القرآن للأجري ص ٩٠

(٧٧) الدارمي ص ٣٣٦٢

(٧٨) نفس المرجع السابق ص ٣٣٢٩

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

نستنتج من هذا البحث عدة أمور منها:

- أن الهجر هو القطع خلاف الوصل ، فهجر الشيء يعني تركه ومن قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾^(٧٩) أن المراد بهجر القرآن هنا عدم قراءته وأن هجره بنسيانه بعد حفظه، لا أثم فيه لا اختيار للمرء فيه.
- إن حكم هجر القرآن يختلف باختلاف نوع الهجر فيه.
- أن الذي يؤدي إلي هجر القرآن الانشغال عن القرآن بغيره من القرآن ومن أهم الأمور التي تساعد على هجر القرآن بالانشغال عليه الانشغال بأمور الدنيا من السعي وراء كسب العيش ، وغيره أيضاً الاستماع إلي الأغاني يلهي ويقلل من الاهتمام للاستماع إلي القرآن الكريم.
- الجهل بفضل القرآن يؤدي إلي هجره ، فإن عدم تحفيظ أولياء الأمور لأبنائهم القرآن الكريم قلل من الاهتمام بالقرآن.
- أن قراءة القرآن وتدبره يؤدي إلي صفاء الإيمان بالله.

ثانياً: التوصيات:

- أوصي العاملين بالمؤسسات التعليمية تحفيز من يقومون بتعليمهم تلاوة القرآن والاهتمام به.
- أوصيهم ببيان فضل القرآن لمن يجهره، كي يقوي الاهتمام بالقرآن ويعلي شأنه.
- وأوصي كل المسلمين بقراءة القرآن وتدبره وفهمه والعمل به إذا فعل ذلك فإنه حتماً يقل هجره.
- أوصي أولياء أمور الأبناء بالعمل جاهدين على تحبيب القرآن في نفوس أبنائهم.
- أوصي كل مسلم ومسلمة بحضور حلقات تحفيظ القرآن لأنها تساعد على تعلمه والبعد عن هجرانه.
- العودة إلى القرآن الكريم مصدر العز والشرف.
- بيان ظاهرة هجر القرآن في واقع الناس (الأسباب والعلاج).
- أن يجعل المسلم له ورداً يومياً للتلاوة.
- أن يستمع وينصت المسلم إلى القرآن الكريم رجاء الرحمة.
- أن يتدبر المسلم القرآن ويفقه مراد الله - عز وجل - ويقف عند عجائبه.

^(٧٩) سورة الفرقان الآية : ٣٠

- أن يحول المسلم القرآن الكريم إلى واقع حياة متكامل بأوامره يأتّم ، وبنواحيه وزواجه ينزجر.
- 7 أن يتداوى ويستشفى المسلم بالقرآن الكريم ويجعله الدواء لأعراض قلبه وبدنه .
- ألا يتحاكم المسلم إلا إلى الكتاب والسنة ويترك القوانين والشرائع الوضعية.

المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً: الأحاديث

ثالثاً : المراجع حسب ترتيب حروف الهجاء

- ١- الإتيان في علوم القرآن عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
- ٢- أخلاق أهل القرآن المؤلف: محمد بن الحسين الأجرى أبو بكر؛ المحقق: محمد عمرو عبد اللطيف؛ حالة الفهرسة: غير مفهرس؛ الناشر: دار الكتب العلمية .
- ٣- تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي لأبي الفتح محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ١٩٩٩ م .
- ٤- الترهيب والترغيب من الحديث الشريف لعبد العظيم بن عبد القوي المنذري الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .
- ٥- كتاب التعريفات المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ) المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر. الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م
- ٦- تفسير القرآن العظيم لأبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ٧٠٠هـ - ٧٧٤هـ الطبعة الأولى .
- ٧- التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ) الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت - القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م.
- ٨- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى ٣١٠هـ .
- ٩- جامع الصحيح لسنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن موسى الترمذي المتوفى ٢٩٧هـ .
- ١٠- الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي بدون طبعة .
- ١١- الزواجر عن اقتران الكبائر لأبي العباس أحمد بن محمد بن حجر الهيتمي ٩٠٩هـ - ٩٧٤هـ .
- ١٢- سنن الدارمي عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ).
- ١٣- صحيح مسلم بشرح النووي لأبي زكريا يحيى شرف النووي الدمشقي الطبعة الحلبية .

- ١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ احمد بن حجر العسقلاني الطبعة الثانية ٧٧٣-٨٥٢ هـ .
- ١٥- الفوائد لأبن القيم محمد بن أب بكر أيوب سعد بن القيم الجوزية الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- ١٦- الكليات في معجم المصطلحات والفروق اللغوية / لأيوب موسى الحسين القريني الكوفي أبو البقاء.
- ١٧- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري .
- ١٨- مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى ٣٩٥ هـ الطبعة الثالثة .
- ١٩- النهاية / لعز الدين أبو الحسن بن الأثير الجذري الموصلي ٥٥٥ - ٦٣٠ هـ - ١١٦٠ - ١٢٣٣ م .



الأحكام الفقهية المتعلقة بالعين البشرية في مقدار دية الزاهب من البصر

Jurisprudence judgments related to human eye in value of
lose vision

إعداد

حمد بن محمد بن عبدالله الجميلة

Hamad Muhammad Abdullah Al Jumaiah

باحث دكتوراه، بقسم الفقه، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم

Doi: 10.21608/jasis.2024.367234

٢٠٢٤ / ٤ / ٣٠

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ١٦

قبول البحث

الجميلة، حمد بن محمد بن عبدالله (٢٠٢٤). الأحكام الفقهية المتعلقة بالعين البشرية في مقدار دية الزاهب من البصر. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٨١-١٠٤.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الأحكام الفقهية المتعلقة بالعين البشرية في مقدار دية الذاهب من البصر المستخلص:

يعنى هذا البحث ببيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالعين البشرية في مقدار دية الذاهب من البصر، وقد توصلت في هذا البحث إلى النتائج التالية:

أولاً : أن الطريقة الحديثة أدق في معرفة الذاهب من البصر ونوعه من الطريقة القديمة، وقسمة الدية على قيم تحديد البصر أقرب لتحقيق المقصود.

ثانياً : الراجح من أقوال أهل العلم، في الواجب في جناية الأعور على عين السليم إن كانت عمداً، أن له الخيار بين القصاص وأخذ نصف الدية.

ثالثاً : الراجح من أقوال أهل العلم، في الدية الواجبة في عين الأعور؛ إذا جنى عليه سليم العينين عمداً، أن فيها نصف الدية.

رابعاً : الراجح من أقوال أهل العلم، في الدية الواجبة في العين القائمة أن فيها حكومة.

الكلمات المفتاحية: جناية، انكسار، عمى، ضوء

Abstract:

This research refers to the statement of the jurisprudence concerning the human eye in the amount of the blood money for a felony on the sight:

First: the modern method is more accurate in knowing the gilded from the sight and its type than ancient method, divide the blood money of felony on the values which determining the visual acuity its closer to achieving the intended. Second: The predominant of the sayings of the people of science, if the one-eyed; felony on person with normal eyes intentionally, has the choice between retribution and taking half of the blood money.

Third The predominant of the sayings of the people of science, in due blood money in the eye of the one-eyed; If he felony on person with normal eyes, intentionally . It has half the blood money.

Fourth: The predominant of the sayings of the people of science, in due blood money in normal eye without vision, it has the money required for a felony, which is not known in religion.

Key words: Felony, Refraction, Blind, light

الأحكام الفقهية المتعلقة بالعين البشرية في مقدار الزاهب من البصر، وفيها فرعان:
الفرع الأول: في اذهاب البصر كاملاً.
الفرع الثاني: في اذهاب بعض البصر. وفيه فقرتان:
الفقرة الأولى: في كيفية معرفة الزاهب.
أ- الطريقة القديمة.
ب- الأجهزة الحديثة.
الفقرة الثانية: في مقدار الدية.
في عين السليم.
في عين الأعور.
الفرع الأول: في اذهاب البصر كاملاً.
الدية هي: المال الواجب بالجناية على الحر في نفس أو فيما دونها.^١
إذا جنى الجاني جناية بالخطأ فأُتلف العينين، أو أذهب البصر بأجمعه من كليتهما
وكانتا بصيرتين، وجبت الدية كاملة، بالاتفاق بين أهل العلم على ذلك.
نقل هذا الاتفاق غير واحد من أهل العلم.^٢
واستدلوا لذلك بما يلي:
قول النبي - ﷺ -: «وفي العينين الدية»^{٣، ٤}.

^١ ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٤٤ / ٢١).
^٢ ينظر: نصب الراية (٣٤١ / ٢)، تفسير القرطبي (١٩٤ / ٦)، الغرر البهية (٢٩ / ٥)،
المغني لابن قدامة (٤٣٦ / ٨)، مراتب الإجماع لابن حزم (ص: ١٤٣).
^٣ هذه جملة من حديث عمرو بن حزم في الكتاب الذي كتبه له النبي ﷺ وبعثه به لأهل اليمن،
والحديث رواه ابن حبان في صحيحه، كتاب (التاريخ)، باب (كتب النبي ﷺ) برقم (٦٥٥٩)
(١٤ / ٥٠١)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب (الزكاة)، باب (كيف فرض الصدقة)
برقم (١٦١٩١) (٨ / ١٤٢)، والحاكم في المستدرک، كتاب (الزكاة)، برقم (١٤٤٧) (١ / ٥٥٢)،
والنسائي في سننه، كتاب (القسامة)، (ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول)،
برقم (٤٨٥٣) (٨ / ٥٧)، قال ابن عبد البر في الاستنكار: (وفي إجماع العلماء في كل مصر
على معاني ما في حديث عمرو بن حزم دليل واضح على صحة الحديث وأنه يستغنى عن
الإسناد لشهرته عند علماء أهل المدينة وغيرهم) الاستنكار (٣٧ / ٨)، وقال ابن حجر في
التلخيص الحبير: (وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة، لا من حيث
الإسناد، بل من حيث الشهرة؛ فقال الشافعي في رسالته: لم يقبلوا هذا الحديث حتى ثبت
عندهم أنه كتاب رسول الله ﷺ)، التلخيص الحبير (٥٨ / ٤).

ولأنه ليس في الجسد منهما إلا شينان، ففيهما الدية.^٤
ولأن العينين من أعظم الجوارح نفعاً وجمالاً؛ فكانت فيهما الدية.^٥
ولا فرق بين أن تكونا كبيرتين أو صغيرتين، أو مليحتين أو قبيحتين، أو صحيحتين أو مريضتين، أو حولاوين أو رمصتين.^٦
الفرع الثاني: في اذهاب بعض البصر. وفيه فقرتان:
الفقرة الأولى: في كيفية معرفة الذاهب.
أ الطريقة القديمة.
ب الأجهزة الحديثة.
إذا جنى الجاني جناية أذهبت بعض بصر المجني عليه؛ وجب فيه من الدية بقدر ماذهب من البصر، ولمعرفة مقدار الذاهب من البصر طريقتان: طريقة قديمة وطريقة حديثة، بيانهما كالتالي:
أ - الطريقة القديمة:

ذكر الفقهاء طريقة في معرفة مقدار النقص في عين المجني عليه وذلك بأن تعصب العين المريضة، وتطلق الصحيحة، وينصب له شاخص فيباعد عنه، فكلما قال: رأيتَه فوصف لونه، عُلِمَ صدقه، حتى تنتهي، فإذا انتهت عُلِمَ موضعها، ثم تشد الصحيحة، وتطلق المريضة، وينصب له شاخص، ثم يذهب حتى تنتهي رؤيته، ثم يدار الشخص إلى جانب آخر، فيصنع به مثل ذلك، ثم يعلمه عند المسافتين، ويذرعان، ويقابل بينهما، فإن كانتا سواء، فقد صدق، وينظر كم بين مسافة رؤية العليّة والصحيحة، ويحكم له من الدية بقدر ما بينهما، وإن اختلفت المسافتان، فقد كذب، وعلم أنه قصر مسافة رؤية المريضة ليكثر الواجب له، فيردد حتى تستوي المسافة بين الجانبين.^٨
وإن كان النقص في كلتا العينين، أو كان النقص في عين أعور^٩، اختبر ببصر شخص وسط في مثل سنه وصحته.^{١٠}

^٤ ينظر: بدائع الصنائع (٧/ ٣١١)، المغني لابن قدامة (٨/ ٤٣٦).

^٥ ينظر: المرجع السابق.

^٦ ينظر: المرجع السابق.

^٧ ينظر: الغرر البهية (٥/ ٢٩)، المغني لابن قدامة (٨/ ٤٣٦).

^٨ هذه الطريقة ذكرها ابن رشد والشيرازي وابن قدامة وغيرهم من الفقهاء، ينظر: بداية

المجتهد (٤/ ٢٠٦)، المذهب (٣/ ٢١٩)، المغني (٨/ ٤٣٧).

^٩ تخريجاً على اختبارهم من نقص بصر عينيه بغيره، لأنّي لم أجد من نص على اختبار عين الأعور إذا نقص بصرها بغيره.

واستند الفقهاء في هذه الطريقة على الأثر الوارد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه- أن رجلاً أصاب عين رجل فذهب ببعض بصره وبقي بعض، فزُفِعَ ذلك إلى علي رضي الله عنه فأمر بعينه الصحيحة فعُصِبَتْ، وأمر رجلاً ببيضة فانطلق بها وهو ينظر حتى انتهى بصره، ثم خط عند ذلك خطأ، ثم أمر بعينه الأخرى فعُصِبَتْ وفتحت الصحيحة، وأعطى رجلاً ببيضة فانطلق بها وهو ينظر، حتى انتهى بصره، ثم خط عند ذلك، ثم حول إلى مكان آخر، ففعل مثل ذلك، فوجدوه سواء : فأعطاه بقدر ما نقص من بصره من مال الآخر.^{١١}

الماخذ على هذه الطريقة:

أن قوة البصر في العينين للشخص الواحد كثيراً ما تكون مختلفة بل هو الغالب، وكذلك تختلف من شخص لآخر وإن تقاربت أسنانهم وصحتهم.

أن الجناية قد تتسبب في نقص البصر في القريب دون البعيد أو العكس أو تحدث انحرافات تشوه الرؤية أو تجعل جزءاً من الصورة واضح وجزءاً غير واضح، (طول نظر أو قصر نظر أو انحرافات قرنية)، وهذه الطريقة لا تقي بمعرفة النقص في كل هذه الأنواع.

ضعف الدقة في معرفة مقدار النقص الحاصل بالجناية، مع احتمالية كذب المجني عليه سيما إذا كان حقاً.

ب- الطريقة الحديثة:

توجد طريقة حديثة لمعرفة الذهاب من البصر متفق عليها عالمياً، وهي طريقة تعتمد على وضوح التركيز في شبكية العين والحساسية التفسيرية القادمة من الدماغ، وفي هذه الطريقة رسمت علامات بطريقة علمية مبنية على حقائق بصرية وفسيولوجية ومرتبطة ضمن لوحات متدرجة في الحجم من الأكبر إلى الأصغر.

ويجرى اختبارها في وضع إضاءة مناسبة لانتقل عن ٥٠ لومن (lumen)، باستخدام أجهزة دقيقة تقيس حدة البصر أو قوة البصر والتي تسمى طبياً (visual acuity)، وتتمثل الطريقة في تسليط ضوء على لوحة تبعد عن المريض بمقدار ٦ أمتار بواسطة جهاز يسمى (chart projector) بحيث يرسم علامات معينة على

^{١٠} ينظر: الشرح الكبير وحاشية الدسوقي (٤/ ٢٧٥)، حاشية الصاوي (٤/ ٣٨٦).

^{١١} رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب (الديات)، (الرجل يضرب عينه، فيذهب بعض بصره) برقم (٢٦٩٠٩) (٥/ ٣٦١)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب (الديات)، باب (ما جاء في نقص البصر) برقم (١٦٢٣٥) (٨/ ١٥٢)، قال زكريا غلام قادر الباكستاني في كتابه (ماصح من آثار الصحابة في الفقه): حديث حسن، وعمر بن عامر هو السلمي وهو حسن الحديث. (٣/ ١٢٦٤)، ولم أجد من حكم على هذا الأثر غيره.

اللوحة أشهرها حرف (E)، والعلامات تتكون من قائمة صفوف من الحرف نفسه متدرجة الحجم من أعلى إلى أسفل، وصممت هذه اللوحة بطريقة حسابية بحيث يستطيع الإنسان الطبيعي أن يرى فتحات الحرف (اتجاهها) على بعد ٦ أمتار من اللوحة، وهذه العلامات رسمت بحيث أن حجمها يشكل زاوية مقدارها خمسة دقائق على البؤبؤ، وفتحة الحرف تشكل زاوية مقدارها دقيقة واحدة على البؤبؤ، كما وأن حجم العلامة يساوي ٥ أمثال عرض الخط، ويعبر عن حدة الإبصار في صورة كسر اعتيادي يكون بسطه هو المسافة التي جرى فيها الاختبار (المسافة بالمتر بين المفحوص واللوحة)، والمقام هو المسافة التي يجب أن تقرأ عندها العلامة بالعين السليمة، فيطلب من المريض تحديد الاتجاه من الأكبر إلى الأصغر حتى يصل إلى آخر مستوى يستطيع مشاهدته بوضوح دون بذل جهد أو إغلاق جزئي للعينين. فإذا استطاع المفحوص رؤية العلامات وفتحاتها (اتجاهاتها) في الصف الأخير يقال أن حدة البصر لديه ٦/٦، أما إذا تمكن من قراءة السطر الذي قبله ولم يتمكن من قراءة السطر الأخير فإن حدة إبصاره هي ٩/٦ وهكذا ، وترتيبها كما يلي: ٦/٦، ٩/٦، ١٢/٦، ١٨/٦، ٢٤/٦، ٣٦/٦، ٦٠/٦.

وبصيغة أخرى فإن قراءة الصف ٦/٦ تعني أن نظر الشخص طبيعي وليس لديه نقص في النظر، وإذا كانت قراءته ٩/٦ فمعنى ذلك أن الشخص الطبيعي يقرأ اللوحة على بعد ٩ أمتار بينما المفحوص لا يستطيع قراءة نفس العلامة إلا على بعد ٦ أمتار، وقراءة ١٢/٦ تعني أن الشخص الطبيعي يقرأ اللوحة على بعد ١٢ متر بينما المفحوص لا يستطيع قراءة نفس العلامة إلا على بعد ٦ أمتار وهكذا، ثم ننتدرج الطريقة في تحديد الضعف عند عدم رؤية العلامة الأكبر ٦٠/٦ فيقترب المفحوص من اللوحة حتى يرى العلامة فتكون قراءته في البسط حسب أمتار بعده من اللوحة، فلو قرأها على بعد ٥ أمتار تكون حدة بصره ٦٠/٥، وهكذا...

وعند العجز عن قراءة اللوحة حتى بعد الاقتراب إلى مسافة متر، فإنها توضع أمامه أصابع اليد ((Count finger)) ليعدها مع فرد الأصابع ليتخللها الضوء، فإذا استطاع عد الأصابع تكون حدة بصره حسب بعده من الفاحص فتكون مثلاً : حدة البصر: عد الأصابع على بعد ١ متر مثلاً (at 1m C.F)، وبليها عند عدم الرؤية (حركة اليد Hand motion) بحيث يحرك الفاحص يده أمام عين المفحوص فإذا استطاع تحديد اتجاه حركة اليد تكون حدة الإبصار H.M. (استشعار حركة اليد Hand motion)، فإذا لم يرها ينتقل للاختبار الأخير من خلال تحريك مصدر ضوئي أمام عين فإذا استطاع تحديد اتجاه المصدر الضوئي، تكون حدة الإبصار (إحسس بالضوء P.L) (perception of light) وفي حال لم يستطع

الإحساس بالضوء تكون حدة إبصاره عدم إحساس بالضوء (NO. P.L) أي أعمى (Blind).

- بالنسبة لتحديد حدة الإبصار للقريب (Near visual acuity) تستخدم شاخصات خاصة للقريب تشبه الدقتر، يتم استخدامها على مسافة ٣٠ إلى ٤٠ سم، وهذا الفحص يحدد مدى طول النظر الموجود لدى المفحوص، بحيث يحدد المفحوص أصغر سطر في الشاخصة يمكن قراءة حروفه بوضوح، على المسافة المناسبة دون الحاجة للإبعاد الشاخصة. ويمكن بعد تحديد حدة الإبصار يتم تحديد نوع الضعف (طول، قصر، انحراف) وقوة العدسات المصححة المقترحة من خلال جهاز تحديد الأخطاء الانكسارية ((auto-refractometer)) أو مصباح الشبكية (Retinoscope). فتكون مراحل فحص حدة البصر كالتالي:

6/6، 6/9، 6/12، 6/18، 6/24، 6/36، 6/60، 5/60، 4/60، 3/60، 2/60، 1/60، CF، HM، LP.

ويجدر التنبيه إلى أن المسافة قد تقاس بالمتري وقد تقاس بالقدم فيعبر أحياناً بالقدم فيقال حدة البصر ٢٠/٢٠، ٣٠/٢٠، ٤٠/٢٠، ٥٠/٢٠، ٧٠/٢٠، ١٠٠/٢٠، ٢٠٠/٢٠، حيث ٦ أمتار تساوي ٢٠ قدماً.

وكذلك على نفس مبدأ حرف (E) وبنفس الاعتبارات قد يوضع حرف (C) أو حروف إنجليزية (A,B,C,...,Z) أو أرقام (١,٢,٣,٤,٥,...,٩) أو صور وأشكال تناسب الأطفال (طائرة، سيارة، سفينة، وردة، عصفور...) ^{١٢}.

مميزات هذه الطريقة:

الدقة العالية في معرفة الذهاب من البصر.
الكشف عن المتمارضين بطرق ذكية ومتنوعة ^{١٣}.

¹² (<https://www.aao.org/eye-health/tips-prevention/visual-acuity>) ينظر: الأكاديمية الأمريكية لطب العيون

(<https://ar.nzarty.com/visual-acuity-of-testing-chart/>)
<https://web.archive.org/web/20200619172502/https://lowvision.preventblindness.org/2003/10/06/how-visual-acuity-is-measured/>
Visual Acuity Chapter from the Webvision :
(<https://web.archive.org/web/20110224203430/http://webvision.med.utah.edu/KallSpatial.html>)

^{١٣} توجد طرق مختلفة لكشف المتمارضين كأن توضع أمام عيني المفحوص عدستين مختلفتي الإشارة متساويتي القوة (+٣.٠٠ و -٣.٠٠) مثلاً، فيختبر مع العدسة الأولى وغالباً

تحديد نوع النقص الحاصل ودرجته، عن طريق جهاز تحديد الأخطاء الانكساري (auto-refractometer) أو (retinoscope).

معرفة درجة الضعف في كل عين على حدة، فلا تأثير لإحدهما على الأخرى؛ إذ يتم اختبار إحدى العينين ثم يتم اختبار العين الأخرى.

-ويمكن بعد معرفة حدة البصر بهذه الدقة أن يجرى فحص شامل للعين ليعتد بالمؤثر غيره في القصاص والأرش.

وكما هو معلوم فإن الفقهاء قد جروا على قسمة الدية على المنفعة لإيجاب قسطها في الذاهب منها بالجناية مأمكن، فقد قرروا ذلك في الجناية على اللسان بإذهاب بعض الكلام بقسمة الدية على عدد الحروف التي تقتقر إلى اللسان.

جاء في البدائع: (وإن كان ذهب بعض الكلام بقطع بعض اللسان دون بعض ففيه حكومة العدل لأنه لم يوجد تفويت المنفعة على سبيل الكمال، وقيل تقسم الدية على عدد حروف الهجاء فيجب من الدية بقدر ما فات من الحروف، ونقلت هذه القضية عن سيدنا علي - رضي الله عنه - لأن المقصود من اللسان هو الكلام، وقد فات بعضه دون بعض فيجب من الدية بقدر الفائت منها لكن إنما يدخل في القسمة الحروف التي تقتقر إلى اللسان فأما ما لا يقتقر إلى اللسان من الشفوية والحلقية كالباء والفاء والهاء ونحوهما فلا تدخل في القسمة).^{١٤}

وجاء في المدونة: (فإن قطع من لسانه ما نقص من حروفه؟ قال: ينظر فيه فيكون عليه من الدية بقدر ذلك...وينظر إلى تمام الحروف العربية فيحصيلها، فما نقص من لسان هذا الرجل إذا كان لسانه يتكلم بالحروف كلها جعلت على الجاني بقدر ذلك).^{١٥}

وجاء في المذهب: (وإن ذهب بعض الكلام وجب من الدية بقدره لأن ما ضمن جميعه بالدية ضمن بعضه ببعضها كالأصابع وبقسم على حروف كلامه لأن حروف اللغات مختلفة الإعداد فإن في بعض اللغات ما عدد حروف كلامها أحد وعشرون حرفاً ومنها ما عدد حروفها ستة وعشرون وحروف لغة العرب ثمانية وعشرون حرفاً فإن كان المجني عليه يتكلم بالعربية قسمت ديته على ثمانية وعشرين حرفاً).^{١٦}

وجاء في المغني: (وإن ذهب بعض الكلام، وجب من الدية بقدر ما ذهب، يعتبر ذلك بحروف المعجم، وهي ثمانية وعشرون حرفاً سوى " لا "، فإن مخرجها مخرج

ستشوه عليه الرؤية، ثم توضع الأخرى فيتوهم بأنه زيد له في المقاس فيتجاوب، بينما ناتجها يساوي صفر (أي أنه ينظر بلا مقاس).

^{١٤} بدائع الصنائع (٧/ ٣١١).

^{١٥} (المدونة) (٤/ ٥٦١).

^{١٦} (المذهب) (٣/ ٢٢٣).

اللازم والألف، فمهما نقص من الحروف، وجب من الدية بقدره؛ لأن الكلام يتم بجمعها، فالذاهب يجب أن يكون عوضه من الدية كقدره من الكلام).^{١٧} وكذلك قسموها على منفعة البصر إذا ذهب بعضها: جاء في بداية المجتهد بعد ذكر طريقة معرفة الذاهب من البصر : (فأعطاه قدر ذلك من الدية).^{١٨} وجاء في المهذب بعد ذكر الطريقة : (ثم ينظر ما بين المسافتين فيجب من الدية بقسطها).^{١٩} وكذلك جاء في الكافي: (فأعطاه بقدر نقص بصره من مال الآخر).^{٢٠} وبناء على ما ساروا عليه فإنه يمكن قسمة الدية على القيم الدقيقة في الطريقة الحديثة لمعرفة الذاهب من البصر لدقتها ولما امتازت به على القديمة. هذا على اعتبار معرفة قدر الذاهب من البصر بالجناية بأن علم بأنه كامل البصر قبل الجناية أو علم مقدار النقص عنده قبل الجناية إن كان ناقصاً؛ كأن يكون يرى الشيء من مسافة معينة، فصار بعد الجناية لا يراه إلا من بعضها ، أو كان لديه ما ثبتت قدر النقص قبل الجناية^{٢١} ، فقد تقرر هنا بأن الواجب فيه من الدية بقدر مانقص بلا خلاف بين الفقهاء.^{٢٢} أما إذا لم يمكن معرفة قدر الذاهب من البصر قبل الجناية فالواجب للمجني عليه عندئذ الحكومة، لتعذر تقدير النقص الذي حصل بالجناية.^{٢٣}

^{١٧} المغني (٨ / ٤٤٨).

^{١٨} بداية المجتهد (٤ / ٢٠٦).

^{١٩} المهذب (٣ / ٢١٩).

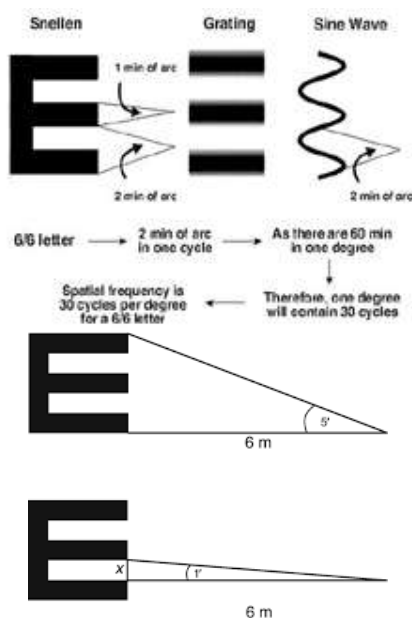
^{٢٠} الكافي لابن قدامة (٤ / ٢٧).

^{٢١} هذا الأمر أصبح أيسر بكثير مما هو عليه سابقاً بعد وجود الملفات في المستشفيات سيما الإلكترونية التي تثبت حال العين وحدة البصر فيها بتواريخ مثبتة، أو الوصفات الطبية التي يسجل بها المقاس وحدة البصر.. إلخ، وعلى كل حال فإن إثبات ما كان عليه البصر قبل الجناية قد يختلف من حالة لحالة كما قد تختلف طرق إثباته.

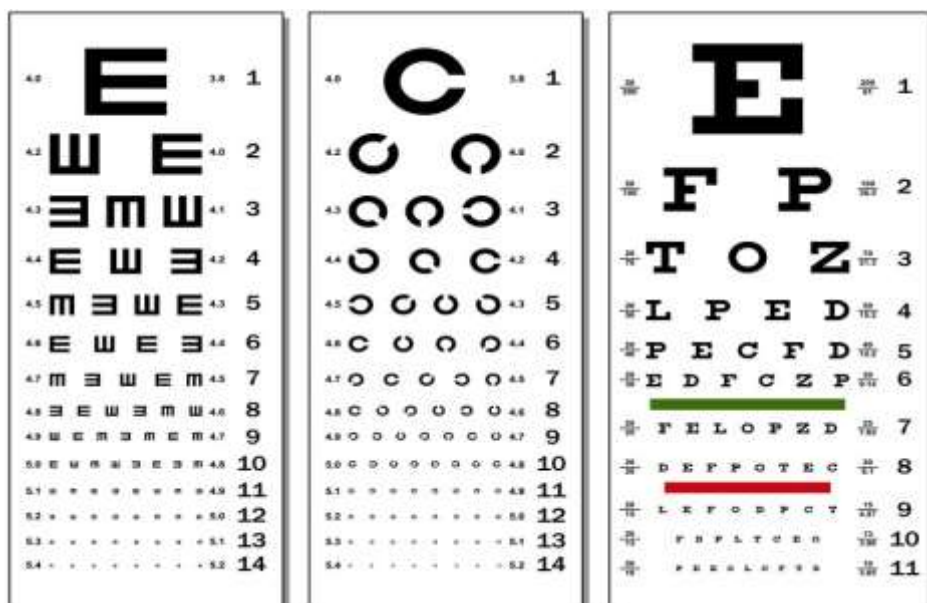
^{٢٢} ينظر: بدائع الصنائع (٧ / ٣٢٣)، التلخيص (٢ / ١٩٠)، المهذب (٣ / ٢١٩)، الإنصاف (١٠ / ٩٥).

^{٢٣} ينظر: الفتاوى الهندية (٦ / ١٠)، شرح مختصر خليل للخرشي (٨ / ٣٩)، الحاوي الكبير (١٢ / ٢٥٤)، المهذب (٣ / ٢١٩)، الإنصاف (١٠ / ٩٥).

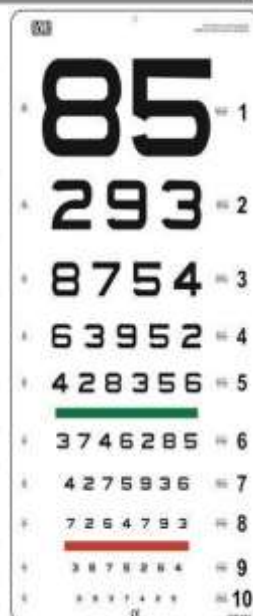
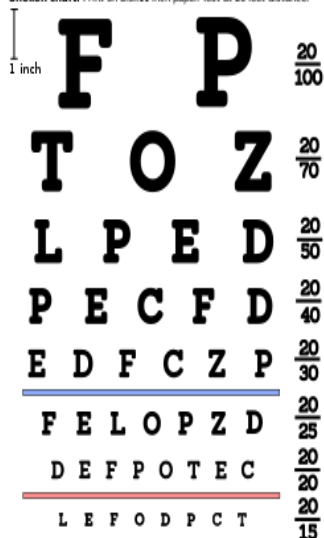
وهل يقال بأن الأصل الصحة والسلامة فيبني عليه؟
جاء في البدائع: (ولا يقال إن الأصل هو الصحة والآفة عارض فكانت الصحة ثابتة ظاهراً لأننا لا نسلم هذا الأصل في الصغير بل الأصل فيه عدم الصحة والسلامة لأنه كان نطفة وعلقة ومضغة فما لم يعلم صحة العضو فهو على الأصل على أن هذا الأصل متعارض لأن براءة ذمة الجاني أصل أيضاً فتعارض الأصلان فسقط الاحتجاج بالأصل على الصحة على أن الصحة إن كانت ثابتة ظاهراً بحكم الأصل؛ لأن الظاهر حجة الدفع لا حجة الاستحقاق كحياة المفقود أنها تصلح لدفع الإرث لا لاستحقاقه).^{٢٤}



ومعنى الحكومة: أن تقدر قيمة المجني عليه باعتباره عبداً قبل الجرح، ثم تقدر قيمته بعد الجرح والبراء منه، ثم تعرف نسبة النقص في القيمة، ويؤخذ من الدية بنسبة هذا النقص، فذلك هو ما يستحقه المجني عليه. ينظر: بدائع الصنائع (٧/ ٣٢٤)، منح الجليل (٩/ ١٠٣-١٠٤)، ونقل ابن المنذر الإجماع على هذا المعنى. ينظر: الإجماع (ص: ١٣٠).
^{٢٤} ينظر: بدائع الصنائع (٧/ ٣٢٣).



Snellen chart: Print on 8.5x11 inch paper. Test at 20 feet distance.



۲۶

بما جاء في كتاب النبي صل الله عليه وسلم لعمر بن حزم: (وفي العينين الدية، وفي إحداها نصف الدية).^{٢٧}، وروي عن النبي - ﷺ - أنه قال: «وفي العين الواحدة خمسون من الإبل».^{٢٨}

ولأن ما أوجب الدية في إتلافهما؛ أوجب نصف الدية في إتلاف إحداها كاليدين.^{٢٩} وأما الصورة الثانية فقد ذهب أكثر الفقهاء إلى أن الواجب فيها نصف الدية إن كانت الجنابة خطأ^{٣٠}، وخالف في ذلك ابن حزم فذهب إلى عدم مشروعية الدية في جنابة الخطأ، واستدل بعموم النصوص الدالة على عدم المؤاخذه في الخطأ، كقوله تعالى: (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)^{٣١ ٣٢}.

ونوقش: بأن عدم المؤاخذه هي في الإثم لا في وجوب الدية. واختلوا في الواجب في جنابة الأعور على عين السليم إن كانت عمداً على أقوال: القول الأول: أنه لاقصاص، وعليه الدية كاملة، وذهب إلى هذا القول الحنابلة^{٣٣}، وهو من مفردات المذهب.^{٣٤} واستدلوا لقولهم بالتالي:

ماروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعثمان رضي الله عنه من إسقاط القصاص عن الأعور وإيجاب الدية كاملة^{٣٥}، ولا يعرف لهما مخالف من الصحابة.^{٣٦}

^{٢٧} سبق تخريجه، ص: ().

^{٢٨} هذه الرواية لكتاب النبي ﷺ لعمر بن حزم رواها أبوداود في مراسيله، باب (كم الدية) برقم (٢٥٧) ص: (٢١١)، والإمام مالك في الموطأ، كتاب (العقول) باب (ذكر العقول)، برقم (٣١٣٩) (٥/١٢٤٣)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب (الديات) باب (دية العينين) برقم (١٦٢٣٣) (٨/١٥١)، والنسائي في سننه، كتاب (القسماء) باب (ذكر حديث عمرو بن حزم في النقول واختلاف الناقلين له) برقم (٤٨٥٦) (٨/٥٩)، قال الألباني: (حسن) ينظر: إرواء الغليل (٣١٤/٧).

^{٢٩} ينظر: المهذب (٣/٢١٩)، المغني (٨/٤٣٦).

^{٣٠} ينظر: المغني لابن قدامة (٨/٣٣١)، كشف القناع (٦/٣٧).

^{٣١} سورة البقرة، آية: (٢٨٦).

^{٣٢} ينظر: المحلى (٨/١١).

^{٣٣} ينظر: المغني (٨/٣٣٠)، شرح منتهى الإرادات (٣/٣١٨)، كشف القناع (٦/٣٧).

^{٣٤} ينظر: الإنصاف (١٠٣/١٠).

^{٣٥} سبق تخريجه، ص: ().

^{٣٦} ينظر: المغني (٨/٣٣٠)، شرح منتهى الإرادات (٣/٣١٨)، كشف القناع (٦/٣٧).

ولأن القصاص يفضي إلى استيفاء جميع بصر الأعور وهو إنما ذهب ببعض بصر الصحيح فيكون المستوفى أكثر من جنايته.^{٣٧} أنه بدل عن القصاص الذي أسقط عنه رفقاً به، ولو اقتص منه لذهب ما لو ذهب بالجناية لوجبت فيه دية كاملة، فوجبت الدية كاملة هنا لأنها بدل الواجب.^{٣٨} القول الثاني: أن له الخيار بين القصاص وأخذ الدية كاملة، وذهب إلى هذا القول المالكية.^{٣٩}

واستدلوا لقولهم بالتالي:

أنه يجب عليه دية ما ترك له وهي العين العوراء، وهي دية كاملة عند كثير من أهل العلم.^{٤٠}

أنه لما دفع عنه القصاص مع إمكانه لفضيلته، ضوعفت الدية عليه، كالمسلم إذا قتل ذمياً عمداً.^{٤١}

القول الثالث: أن له الخيار بين القصاص وأخذ نصف الدية، وذهب إلى هذا القول الحنفية^{٤٢}، والشافعية^{٤٣}، وهو قول عند الإمام مالك.^{٤٤}

واستدلوا لقولهم بالتالي:

قول الله تعالى: {والعين بالعين}.^{٤٥}

قوله ﷺ: (وفي العينين الدية)^{٤٦}، ولأنها إحدى شيئين فيهما الدية، فوجب القصاص ممن له واحدة، أو نصف الدية.^{٤٧}

^{٣٧} ينظر: المغني (٨/ ٣٣٠)، شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣١٨)، كشف القناع (٦/ ٣٧).

^{٣٨} ينظر: شرح منتهى الإرادات (٣/ ٣١٨)، كشف القناع (٦/ ٣٧).

^{٣٩} ينظر: البيان والتحصيل (١٦/ ١٢٧)، الذخيرة (١٢/ ٣٣٨)، المدونة (٤/ ٦٣٧)، بداية المجتهد (٤/ ١٩١)،

^{٤٠} ينظر: بداية المجتهد (٤/ ٢٠٦).

^{٤١} ينظر: المغني (٨/ ٣٣٠-٣٣١) ذكره ابن قدامه دليلاً لهم..

^{٤٢} ينظر: المبسوط للسرخسي (٢٦/ ٧٣)، الهداية (٤/ ٤٦٣)، بدائع الصنائع (٧/ ٣١٤)، مختصر القدوري (ص: ١٨٨-١٨٩)،

^{٤٣} ينظر: الأم (٦/ ١٣٢)، الحاوي الكبير (١٢/ ٢٨٥)، روضة الطالبين (٩/ ٢٧٢).

^{٤٤} ينظر: بداية المجتهد (٤/ ٢٠٦).

^{٤٥} سورة المائدة، آية (٤٥).

^{٤٦} سبق تخريجه، ص: ().

^{٤٧} ينظر: الهداية (٤/ ٤٦٣)، المغني (٨/ ٣٣٠).

القياس على ماله قطع الأقطع يد من له يدان.^{٤٨}
ولأنه لو قلّعها غيره لم يجب فيها إلا نصف الدية، فلم يجب عليه إلا نصفها، كالعين الأخرى.^{٤٩}

-الذي يظهر أن بعض الفقهاء ينظرون إلى أن الأعور يملك بصرأ كاملاً بانتقال بصر العين الذهابية إلى السليمة، فيوجبون في عينه الدية كاملة، ولا يأخذون عينه بعين ديتها النصف أو يقتصون بها منها، وبعضهم يأخذ بظاهر النص فيجعل فيها نصف الدية على أنها أحد شيئين في الجسم فيهما الدية ففي أحدهما نصفها.
والتحقيق أن علاقة العينين ببعضهما علاقة تكاملية لا أنه ينتقل بصر إحدى العينين بعد ذهابها للعين الأخرى.

فكل عين ترسل صورة الجسم المرئي بعد مرورها عبر القرنية والبؤبؤ لتصل مقلوبة إلى الشبكية على شكل إشارات ضوئية، فتستقبلها الشبكية وتحولها إلى إشارات كهربائية وترسلها عبر العصب البصري، لتلتقي الصورتان في منطقة التقاطع (الكيازما OPTIC CHIASMA) حيث يتم دمج الصورتين وترسل لمركز الإبصار في المخ ليتم تفسيرها، وعند تعذر إحدى الصورتين بذهاب إحدى العينين أو كانت الصورة في إحداها غير واضحة (كما هو الحال في حالات الكسل) يعتمد المخ على الصورة الواضحة الآتية من العين السليمة ويفسرها ويتجاهل الأخرى لتعذرها أو لعدم وضوحها، وتختلف الصورتان المرسلتان من العينين اختلافاً جزئياً نظراً لاختلاف المجال الرؤي لكل عين مما يعطي البعد الثلاثي (D³)،

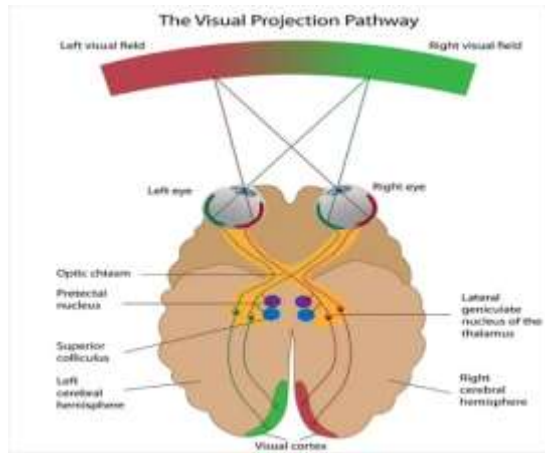
فالمجال الرؤي لكل عين يمثل تقريباً ١٥٥°، بينما يكون التداخل بينهما في المجال الرؤي بمقدار ١٢٠°، كما هو موضح في الشكل، وعند غياب صورة أحد العينين يكون النقص في المجال الرؤي بمقدار ٣٥° فقط من المجال الرؤي الكلي.
إذن من هذا الوصف المبسط لآلية الرؤية يتضح أن غياب البصر من إحدى العينين لذهابها لاينتقل لبصر العين الأخرى، بدليل أنه لو كانت حدة البصر في اليمين ٢٤/٦، واليسرى ١٢/٦، ثم أذهبت اليسرى مثلاً؛ فإن حدة البصر في اليمين لا تزيد ولو سطرأ واحداً فتبقى حدتها ٢٤/٦،

ولكن قد يؤثر غياب إحداها في البعد الثلاثي للصورة كما قد يقلل من المجال الرؤي الكلي للمنظور، لذلك فإن فقد البصر من إحدى العينين يشكل غياب خمس المجال الرؤي تقريباً وليس نصفه كما هو متصور.

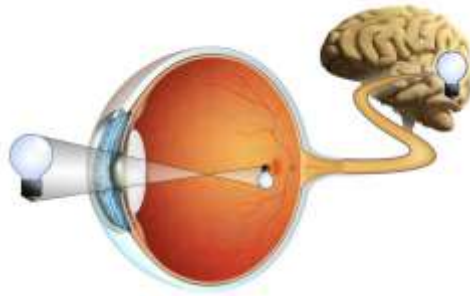
^{٤٨} المغني (٣٣٠/٨).

^{٤٩} ينظر: المغني (٤٣٩/٨).

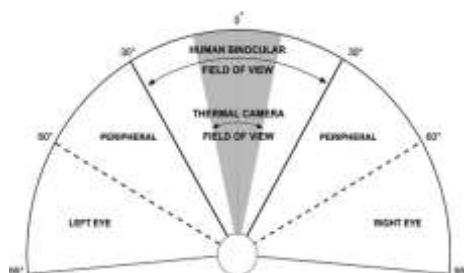
فعلاقة العينين ليست منفصلة المنفعة تماماً كاليدين، ولا متصلة تماماً بحيث ينتقل البصر من إحداهما للأخرى أو أن إحداهما تعتمد على الأخرى اعتماداً كلياً.
الترجيح :
الترجيح: الذي يظهر أن أقرب الأقوال هو القول الثالث إذ لا وجه للرفق بالمعتدي بإسقاط القصاص عنه، ولا بصر كامل لديه كما بينا، ولو جاز إحداث قول أو كان من بين الأقوال من قال بالقصاص أو ثلثي الدية لقلت به.-والله أعلم-



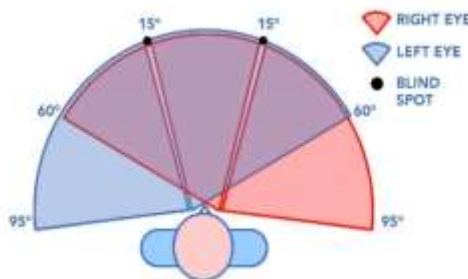
رسم توضيحي ١ مقطع طولي



رسم توضيحي ٢ مقطع عرضي



رسم توضيحي ٣ تداخل المجال الروي للعينين



رسم توضيحي ٤ رسم توضيحي ٢ تداخل المجال الروي للعينين

٢- الحالة الثانية: في عين الأعور.
اختلف الفقهاء في الدية الواجبة في عين الأعور إذا جنى عليه سليم العينين عمداً، على قولين:
القول الأول : أن فيها نصف الدية، وذهب إلى هذا القول الحنفية^{٥٠}، والشافعية^{٥١}.
واستدلوا لما ذهبوا إليه بالتالي:
أن النبي ﷺ قضى في العينين الدية، فيكون في إحداها نصف الدية، ولأنها عين واحدة فلم تكمل فيها دية العينين كعين ذي العينين، وإيجاب الدية الكاملة في إحدى العينين مخالف لحكم الرسول ﷺ^{٥٢}.

^{٥٠} ينظر : الجوهرة النيرة (٢/ ١٢٩-١٣٠)، الحجة (٤/ ٣٠٣)، الفتاوى الهندية (٦/ ٢٥).
^{٥١} ينظر: الأم (٦/ ١٣٢)، الحاوي الكبير (١٢/ ٢٨٥)، المهذب (٣/ ٢١٩)، نهاية المطلب (١٦/ ٤٠٧).

أن النبي - ﷺ - قال: " في العين خمسون من الإبل " ^{٥٣} ولم يفرق بين الأعور وغيره فكان على عمومه. ^{٥٤}

ولأنه لو وجب في عين الأعور كمال الدية لوجب على من قلع عيني رجل واحدة بعد الأخرى أن تلزمه دية ونصف، لأنه قد جعله بقلع الأولى أعور فلزمه بها نصف الدية وبقلع الأخرى بعد العور جميع الدية ولم يقل به أحد، فدل على فساد ما اعتبروه. ^{٥٥}

ولأنه لو قامت عين الأعور مقام عيني لوجب أن يقتص بها من عيني الجاني لقيامها مقام عيني، ولوجب إذا قلع عين الأعور إحدى عيني أن لا يقتص منه كما لا يقتص من عيني بعين، وفي الإجماع على خلاف هذا دليل على فساد ما قالوه. ^{٥٦}

ولأن كل واحد من عضوين إذا وجب فيهما نصف الدية مع بقاء نظيره وجب فيه ذلك النصف مع عدم نظيره كيد الأقطع. ^{٥٧}

ونوقش: بأن عين الأعور تختلف عن يد الأقطع، لأنه لا يعمل بها ما كان يعمل بهما، ولذلك جاز في الكفارة عتق العوراء ولم يجز عتق القطعاء، ولأن ضوء العينين يحول فينتقل من إحدى العينين إلى الأخرى، ألا ترى أن من أراد تحديد نظره في رمي أو ثقب أغمض إحدى عينيه ليقوي ضوء الأخرى فيدرك بها نظراً لما يدرك مع فتح أختها، وإذا كان كذلك علم أن ضوء الذاهبة انتقل إلى الباقية فلزم فيها جميع الدية. ^{٥٨} وأجيب عن هذا من وجوه:

أحدها: دفع هذه الدعوى، لأن الأعور لا يرى البعيد كروية ذي العينين وقد يكون بينهما ضعف المسافة فلم يسلم ما ادعوه،

والثاني: أنه لو أوجب هذا كمال الدية في العين الباقية لوجب مثله فيمن بقي سمعه من إحدى أذنيه أن يلزم في ذهابه من الأذن الأخرى كمال الدية ..، لأنه يسمع بهما ما كان يسمع بهما، ولم يقل بذلك في سمع الأذنين، فكذلك في ضوء العينين،

^{٥٢} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٥)، نهاية المطلب (١٦ / ٤٠٧).

^{٥٣} سبق تخريجه ، ص : ().

^{٥٤} ينظر: الأم للشافعي (٦ / ١٣٢)، الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٦).

^{٥٥} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٦).

^{٥٦} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٦).

^{٥٧} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٥).

^{٥٨} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٦)، المغني (٨ / ٣٣٢).

والثالث في قولهم: إن ضوء العين ينتقل من الذهاب إلى الباقية ففساد، لأنه لو كان كذلك لكان من قلع واحدة من عينين أن لا يلزمه ديتها، لأن ضوءها قد انتقل إلى الأخرى فصار كالجاني على عين لا ضوء لها، فلم يلزمه أكثر من حكومتها، وهذا مدفوع بالإجماع فدل على أن الضوء غير منتقل، وإنما يغمض الرامي إحدى عينيه، وكذلك الناظر في ثقب حتى لا ينتشر ضوء العينين ويقتصر على إحداها ليستقيم تراجع السهم والثقب ولا يختلف السمت باختلاف النظيرين^{٥٩}،

وأما فرقه بين العوراء والقطعاء لفرق ما بينهما في الكفارة فقد كان الأوزاعي يسوي بينهما في كمال الدية ويقول: إن من قطعت يده في الجهاد كان في الباقية إذا قطعت جميع الدية ونحن نسوي بينهما في أن كل واحدة منهما نصف الدية وأنت تخالف بينهما لافتراقهما في الكفارة، وليس ذلك بصحيح، لأن من قطعت خنصر أصابعه جزئ في الكفارة، ولا يدل على أن من قطع الكف بعد ذهاب خنصرها يلزمه جميع ديتها لإجزائها في الكفارة، كذلك عين الأعور^{٦٠}. القول الثاني: أن فيها الدية كاملة، وذهب إلى هذا القول المالكية^{٦١}، والحنابلة^{٦٢} واستدلوا لما ذهبوا إليه بالتالي:

ما روي عن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما أنهما أوجبا في عين الأعور الدية كاملة، وليس يعرف لقولهما مع انتشاره مخالف فكان إجماعاً^{٦٣}. ولأن الأعور يدرك بعينه جميع ما يدركه ذو العينين، فإذا قلع عينه فقد أذهب بصراً كاملاً فوجب أن يلزم فيه دية كاملة^{٦٤}.

^{٥٩} قصدوا بذلك ما يسمى طبياً بالبن هول أو الثقب البصري (PINHOLE)، وهو ثقب دائري صغير يوضع أمام عين المريض بحيث يرى من خلاله المريض الصورة بدون أي خطأ انكساري، حيث أن مركز العين (وسطها) يصل الإشعاع الضوئي من خلاله لشبكية العين بشكل مستقيم بدون أي انكسار، بينما يزداد الانكسار كلما ابتعدت الصورة عن المركز، وتستخدم هذه الطريقة للكشف عن أي أخطاء انكسارية غير مصححة. ينظر: الأكاديمية الأمريكية لطب العيون (<https://www.aaio.org/education/image/pinhole->) visual-acuity، و ([https://en.wikipedia.org/wiki/Pinhole_\(optics\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Pinhole_(optics))).

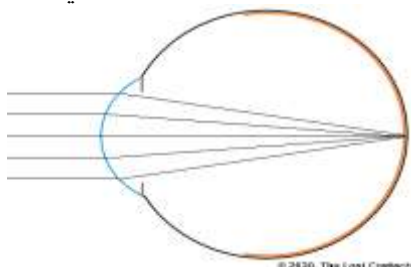
^{٦٠} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٦).

^{٦١} ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ١٣٣)، التاج والإكليل (٨ / ٣١٩)، الفواكه الدواني (٢ / ١٩٠)، منح الجليل (٩ / ٥٨).

^{٦٢} ينظر: الإنصاف (١٠ / ١٠٣)، الفروع وتصحيح الفروع (٩ / ٤٦٢)، مطالب أولي النهى (٦ / ١٢٧).

^{٦٣} ينظر: الحاوي الكبير (١٢ / ٢٨٦).

تم بيان بطلان هذا القول في المسألة السابقة، ولو سلم بذلك جدلاً لم يجب في إذهاب بصر إحدى العينين نصف الدية؛ لأنه لم ينقص. الترجيح: الذي يظهر أن أقرب القولين هو القول الأول إذ لا بصر كامل لديه كما بينا، ولو جاز إحداث قول أو كان من بين الأقوال من قال بثلاثي الدية لقلت به. والله أعلم.



رسم توضيحي ٥ الثقب البصري يحصر البصر في الوسط حيث لأخطاء إنكسارية الحالة الثالثة: في العين القائمة:

اختلف الفقهاء في الواجب في العين القائمة على أقوال: القول الأول: أن الواجب فيها ثلث دية العين السليمة، وهذا القول رواية عند الحنابلة^{٦٥}، وهو من مفردات المذهب^{٦٦}. واستدلوا لقولهم بالتالي:

ما روى عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: «قضى رسول الله - ﷺ - في العين القائمة السادة لمكانها^{٦٧} بثلاث الدية^{٦٨}. أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قضى في العين القائمة إذا خسفت، ثلث الدية^{٦٩}.

^{٦٤} ينظر: الحاوي الكبير (٢٨٦ / ١٢).

^{٦٥} ينظر: الكافي (٣٦ / ٤)، المغني (٤٦٦ / ٨)، الإنصاف (٨٨-٨٩ / ١٠).

^{٦٦} ينظر: الإنصاف (٨٩ / ١٠).

^{٦٧} «السادة لمكانها» يعني: أن مكانها غير فارغ منها، وإنما ذهب ضوءها. ينظر: جامع الأصول (٤١٨ / ٤).

^{٦٨} رواه أبو داود في سننه، كتاب (الديات)، باب (ديات الأعضاء) برقم (٤٥٦٧) (٤ / ١٩٠)، والدارقطني في سننه، كتاب (الحدود والديات وغيره) برقم (٣٢٤١) (١٤٦ / ٤)، والنسائي في سننه، كتاب (القسامة) باب (العين العوراء السادة لمكانها إذا طمست) برقم (٤٨٤٠) (٥٥ / ٨)، قال الشوكاني: (رجال إسناده إلى عمرو بن شعيب ثقات). ينظر: نيل الأوطار (٧٦ / ٧)، وقال الألباني: (حسن). ينظر: صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣٢٨ / ٧).
^{٦٩} رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب (الديات)، (في العين القائمة تنخسف) برقم (٢٧٠٦٤) (٣٧٤ / ٥)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب (الديات) باب (مجاة في

نوقش الدليلان: على أن إيجاب الثلث في معنى الحكومة.^{٧٠}
ولأنها كاملة الصورة، فكان فيها مقدر كالصحيحة.^{٧١}
القول الثاني: أن الواجب فيها حكومة، وهذا قول الحنفية^{٧٢}، والمالكية^{٧٣}، والشافعية^{٧٤}،
والمذهب عند الحنابلة.^{٧٥}
واستدلوا لقولهم بالتالي:
لأنه تعذر إيجاب دية كاملة بعد ذهاب نفعه ولا مقدر فيه، فوجب الحكومة فيه كاليد الزائدة.^{٧٦}
لأنه إتلاف جمال من غير المنفعة فلم تجب فيه غير الحكومة.^{٧٧}
القول الثالث: أن فيها مائة دينار، ونسب هذا القول لزيد بن ثابت- رضي الله عنه -.^{٧٨}
ونوقش: بقول الإمام مالك: (ليس على هذا العمل إنما فيها الاجتهاد لا شيء مؤقت، وقد
يحتمل قول زيد أن يكون اجتهد فيها فأداه ذلك إلى قدر خمسها، ويحتمل قول عمر بما أحتمل
قول زيد).^{٧٩}، فيكون ذلك منه على وجه الحكومة لا على التوقيف.^{٨٠}
الترجيح:
الراجح القول الثاني لما ذكره من أدلة، وتوجيه ماذكر في القولين الآخرين من تحديد
المقدار بأنه في معنى الحكومة لا التوقيف.

- العين القائمة واليد الشلاء) برقم (١٦٣٢٧) (١٧١/٨)، وعبدالرزاق في مصنفه،
كتاب(العقول)، باب (في العين القائمة) برقم(١٧٤٤١) (٩/٣٣٤)، قال الألباني:
(صحيح). ينظر: إرواء الغليل (٣٢٨/٧).
^{٧٠} ينظر: السنن الكبير للبيهقي (١٧١/٨)، معالم السنن (٤/٣١).
^{٧١} ينظر: المغني (٨/٤٦٧).
^{٧٢} ينظر: الحجة (٤/٣٠٦-٣٠٧)، المبسوط للشيباني (٤/٤٥٤)، بدائع الصنائع (٧/٣٢٣).
^{٧٣} ينظر: المدونة (٤/٥٧٠)، التاج والإكليل (٨/٣٤٢)، بداية المجتهد (٤/٢٠٦).
^{٧٤} ينظر: الأم (٦/٧١)، الحاوي الكبير (١٢/٢٩٧)، المذهب (٣/٢٢٥).
^{٧٥} ينظر: الإنصاف (١٠/٨٨)، كشف القناع (٦/٥١-٥٠).
^{٧٦} ينظر: الكافي لابن قدامه (٤/٣٧)، المغني (٨/٤٦٧).
^{٧٧} ينظر: المبسوط للسرخسي (٢٦/٨٠)، المذهب (٣/٢٣٢).
^{٧٨} ينظر: المغني (٨/٤٦٧)، والأثر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب (الديات)، (في العين
القائمة تنخسف) برقم(٢٧٠٥٨) (٥/٣٧٣)، والإمام مالك في الموطأ، كتاب (العقول) (عقل العين إذا
أذهب بصرها) برقم (٣١٨٣) (٥/١٢٥٧)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب (الديات) باب (مآجاء
في العين القائمة واليد الشلاء) برقم (١٦٣٢٨) (٨/١٧١)، وعبدالرزاق في مصنفه، كتاب(العقول)،
باب (في العين القائمة) برقم(١٧٤٤٣) (٩/٣٣٤).
^{٧٩} ينظر: السنن الكبير للبيهقي (٨/١٧١)، المذهب في اختصار السنن الكبير (٦/٣١٨٨).
^{٨٠} ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١٧/٣٧٠).

قائمة مراجع البحث:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - تفسير القرطبي (٦ / ١٩٤).
- ٣ - أحكام القرآن لابن العربي (٢ / ١٣٣).
- ٤ - الموطأ (٥ / ١٢٤٣).
- ٥ - معالم السنن (٤ / ٣١).
- ٦ - صحيح ابن حبان (١٤ / ٥٠١).
- ٧ - السنن الكبرى للبيهقي (٨ / ١٤٢).
- ٨ - المستدرك للحاكم (١ / ٥٥٢).
- ٩ - سنن النسائي (٨٥٧).
- ١٠ - مصنف ابن أبي شيبة (٥ / ٣٦١).
- ١١ - مصنف عبدالرزاق (٩ / ٣٣٤).
- ١٢ - سنن أبي داود (٤ / ١٩٠).
- ١٣ - مراسل أبي داود ص: (٢١١).
- ١٤ - سنن الدار قطني (٤ / ١٤٦).
- ١٥ - إرواء الغليل (٧ / ٣١٤).
- ١٦ - صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني (٧ / ٣٢٨).
- ١٧ - السنن الكبير للبيهقي (٨ / ١٧١).
- ١٨ - المذهب في اختصار السنن الكبير (٦ / ٣١٨٨).
- ١٩ - التلخيص الحبير (٤ / ٥٨).
- ٢٠ - نيل الأوطار (٧ / ٧٦).
- ٢١ - الاستذكار لابن عبدالبر (٨ / ٣٧).
- ٢٢ - الموسوعة الفقهية الكويتية (٢١ / ٤٤).
- ٢٣ - نصب الراية (٢ / ٣٤١).
- ٢٤ - الغرر البهية (٥ / ٢٩).
- ٢٥ - المغني لابن قدامة (٨ / ٤٣٦).
- ٢٦ - مراتب الإجماع لابن حزم (ص: ١٤٣).
- ٢٧ - بدائع الصنائع (٧ / ٣١١).



- ٢٨ - بداية المجتهد (٢٠٦ / ٤).
- ٢٩ - المذهب (٢١٩ / ٣).
- ٣٠ - : الشرح الكبير وحاشية الدسوقي (٢٧٥ / ٤).
- ٣١ - حاشية الصاوي (٣٨٦ / ٤).
- ٣٢ - المدونة (٥٦١ / ٤).
- ٣٣ - الكافي لابن قدامة (٢٧ / ٤).
- ٣٤ - التلقين (١٩٠ / ٢).
- ٣٥ - الإنصاف (٩٥ / ١٠).
- ٣٦ - الفتاوى الهندية (١٠ / ٦).
- ٣٧ - شرح مختصر خليل للخرشي (٣٩ / ٨).
- ٣٨ - الحاوي الكبير (٢٥٤ / ١٢).
- ٣٩ - كشف القناع (٣٧ / ٦).
- ٤٠ - المحلى (٨ / ١١).
- ٤١ - شرح منتهى الإرادات (٣١٨ / ٣).
- ٤٢ - البيان والتحصيل (١٢٧ / ١٦).
- ٤٣ - الذخيرة (٣٣٨ / ١٢).
- ٤٤ - المبسوط للسرخسي (٧٣ / ٢٦).
- ٤٥ - الهداية (٤٦٣ / ٤).
- ٤٦ - مختصر القدوري (ص: ١٨٨-١٨٩).
- ٤٧ - روضة الطالبين (٢٧٢ / ٩).
- ٤٨ - الأم للشافعي (١٣٢ / ٦).
- ٤٩ - الفروع وتصحيح الفروع (٤٦٢ / ٩).
- ٥٠ - مطالب أولي النهى (١٢٧ / ٦).
- ٥١ - الحجة (٣٠٧-٣٠٦ / ٤).
- ٥٢ - المبسوط للشيباني (٤٥٤ / ٤).
- ٥٣ - الجوهرة النيرة (١٢٩-١٣٠ / ٢).
- ٥٤ - نهاية المطلب (٤٠٧ / ١٦).
- ٥٥ - التاج والإكليل (٣١٩ / ٨).

- ٥٦- الفواكه الدواني (٢ / ١٩٠).
- ٥٧- منح الجليل (٩ / ٥٨).
- ٥٨- جامع الأصول (٤ / ٤١٨).
- ٥٩- التمهيد لابن عبد البر (١٧ / ٣٧٠).
- ٦٠- الأكاديمية الأمريكية لطب العيون
- <https://www.aao.org/education/image/pinhole-visual-acuity>.
- ٦١- موسوعة ويكيبيديا :
[https://en.wikipedia.org/wiki/Pinhole_\(optics\)](https://en.wikipedia.org/wiki/Pinhole_(optics))
- ٦٢- موقع نظارتي:
<https://ar.nzarty.com/visual-acuity-of-testing-chart/>



**دراسة حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-:
«عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولا يقتل
صاحبه» دراسة حديثية فقهية**

**A Study Of The Hadith Of Abdullāh Bin ‘Amr –May Allāh
Be Pleased With Both- “The Compensation For Culpable
Homicide Is Like The Compensation For Murder And Its
Perpetrator Shall Not Be Killed”: A Jurisprudential Hadith
Study**

إعداد

سميع الحق بن محمد كبير

Sami Al-Haq Mohammad Kabir

الطالب في مرحلة الدكتوراه، في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- كلية الحديث- قسم
فقه السنة

Doi: 10.21608/jasis.2024.367235

٢٠٢٤ / ٥ / ٣

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ١٨

قبول البحث

كبير، سميع الحق بن محمد (٢٠٢٤). دراسة حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله
عنهما-: «عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولا يقتل صاحبه» دراسة حديثية
فقهية. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية
والعلوم والآداب، مصر، ٨(٢٩)، ١٠٥-١٤٨.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

دراسة حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-: «عقل شبه العمد مغلظ مثل عقل العمد ولا يقتل صاحبه» دراسة حديثية فقهية

المستخلص:

إن حديث عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - صحيح بجميع طرقه، وأنه يعدّ أصل في إثبات القتل شبه العمد، وهو أن يضرب الإنسان إنساناً بشيء ليس من عادته أن يقتل مثله -كالعصا والسوط واليد- وليس من غرضه قتله، والدية فيه مغلظة وهي مائة من الإبل، تؤدي أثلاثاً: ثلاثون حقة وثلاثون جذعة، وأربعون خلفه في بطونها أولادها في ثلاث سنين، وعصبة القاتل يؤدون الدية في هذا القتل، ولا قصاص فيه؛ لأن الجاني لم يقصد القتل، إلا أن عليه الكفارة وهي عتق رقبة مؤمنة من ماله، إن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، وهو يحرم من الميراث إذا كان المقتول من مورثيه، كالأب والأخ وغيرهما، وهذه العقوبة وضعت لحماية دم امرئ مسلم، وقد حرصت الشريعة الإسلامية على التعاون والتناصر بين الأقرباء خاصة، والمسلمين عامة.

الكلمات المفتاحية: الحديث الشريف، القتل مثل العمد، تغليظ الدية، العاقل

Abstract

The hadith of Abdullāh bin ‘Amr bin Al-‘Ās -may Allāh be pleased with both- is authentic from all its ways of narration, and it is considered the fundamental proof for the ruling of culpable homicide, which is when someone struck another with something that does not naturally kill –like stick, cane and hand- and without a premeditation of killing, and in such case the diyyah (blood money) is multiplied which is one hundred camels, that will be paid in three packages: thirty hiqqa (i.e. going to four years old camel), and thirty jadha’a (i.e. going to five years old camel), and forty khalfa (i.e. a pregnant camel) for three years, and the paternal relatives of the perpetrator will pay the blood money in this kind of situation, and there is no right of retaliation (qīṣāṣ) in it, because the perpetrator did not intend to kill, albeit it is mandatory for him to observe expiation (kaffārah) which is freeing a Muslim slave from his wealth, and if he could not afford it then he observes fasting for two consecutive months, and he is blocked from heritance if he is a heir to

victim's estate, like a father, a brother and the likes, and this punishment was entrenched to protect the blood of Muslims, and the Sharī'ah is eager to see cooperation and support between close relatives in specific, and between the Muslims in general.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وفضله على كثير من المخلوقات بالعقل والتفكير، والصلاة والسلام على الهادي البشير، وآله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
أما بعد:

فإن الشريعة الإسلامية شريعة مطهرة كاملة ضمنت مصالح البشرية في دنياها وأخرها.

وهي الصراط المستقيم الذي من سار عليه نجا، ومن حاد عنه وسار في طريق آخر سواه هلك وهوى، بعيدة عن الجور والظلم. كفيلة بعلاج مشاكل البشرية والأخذ بيدها إلى ما فيه سعادتها وفلاحها.

ومجيء الشريعة بعقوبة القتل دليل على كمال هذه الشريعة، وأنها جاءت لمصالح العباد بجلب ما ينفعهم، ودفع ما يضرهم؛ لأن الله تعالى شرع بها ما يردع عن العدوان، ويمنع الناس من ظلم بعضهم بعضاً وتعدي بعضهم على بعض. ولولا هذه العقوبات التي شرعها الله لأهلك الناس بعضهم بعضاً، وفسد نظام العالم، وليس للناس حياة ولا اطمئنان على أنفسهم، إلا بتمكين شرع الله تعالى.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١ - رغبة في خدمة السنة النبوية.
- ٢ - توضيح معنى القتل شبه العمد.
- ٣ - عدم وجود دراسة مفردة له بالبحث.

أهمية البحث:

إن هذا الحديث تناول القتل شبه العمد مع ذكر عقوبة الجاني لينزجر الناس من الإجرام، وقد أبرز فيه مزايا الشريعة الإسلامية بأنها وضعت العقوبات المناسبة لكل جرم.

وأن هدف العقوبات معالجة الفساد الاجتماعي، وحماية مصالح الناس في أبدانهم وأموالهم.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات فقهية كثيرة عن (القتل شبه العمد) مع نوعي القتل العمد والخطأ، وقد تناول هذا الموضوع المفسرون، وكذلك أصحاب شروح الحديث عند شرح الحديث، وذكره في أبواب شتى: كأبواب الجنایات، والديات، والكفارات، والفرائض، وغير ذلك.

لكن لم أقف- حسب اطلاعي- على دراسة حديثة فقهية مفردة له بالتخريج والشرح، غير أن هناك دراسات متعلقة بموضوع البحث، منها:

١- كتاب "جريمة القتل شبه العمد في الشريعة الإسلامية والقانون، لصالح سريع علي باسردة، الناشر: دار النهضة العربية المصرية، القاهرة، ٢٠١٠م.

٢- كتاب "جريمة القتل شبه العمد: وأجزئتها المقررة في الشريعة والقانون الجنائي السوداني، لحسونة بدرية عبد المنعم، الناشر: جامعة نائف العربية للعلوم الأمنية، السعودية، ١٩٩٩م.

٣- "العاقلة في ضوء المستجدات الاجتماعية: دراسة فقهية" للدكتور محمد نوح معابدة، بحث منشور في المجلة الأردنية، في الدراسات الإسلامية، الناشر، جامعة آل البيت، ج ١، ٢٠٠٦م.

وقد اعتنت هذه الدراسات بالجوانب الفقهية، ولم تتطرق لدراسة حديثة.

خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وثبت المصادر، والفهارس، على النحو التالي:

المقدمة؛ تشتمل على افتتاحية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

المبحث الأول: الدراسة الحديثة، وفيه مطلبان.

المطلب الأول: ذكر نص الحديث وتخريجه.

المطلب الثاني: معنى الحديث:

المبحث الثاني: دراسة فقه الحديث، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: شرح الكلمات الغريبة.

المطلب الثاني: دلالات الحديث.

المطلب الثالث: فوائد الحديث.

الخاتمة، وفيها أهم نتائج البحث والتوصيات.

الفهارس، وتحتوي على قائمة المراجع والمصادر، وفهرس الموضوع.

منهج البحث:

- ١- أخرج هذا الحديث بجمع طرقه، وأما بقية الأحاديث الأخرى فأخرجها تخريجاً مختصراً، إن كان الحديث في الصحيحين أكتفي بالعزو إليهما.
 - ٢- أقدم الكتب الستة في التخرّيج، وأرتب البقية على حسب وفيات مؤلفيها، والإحالة إلى الكتب الستة تكون بذكر الكتاب والباب، ورقم الجزء والصحيفة، ورقم الحديث، وفي غيرها أكتفي بذكر رقم الجزء والصحيفة، ورقم الحديث.
 - ٣- إذا كان الراوي من رجال تقريب التهذيب أكتفي في الحكم عليه بعبارة ابن حجر، ما لم يظهر لي خلافه، فإذا ظهر لي خلافه، أو لم يكن من رجال التقريب فإنني أنظر في أقوال أئمة الجرح والتعديل فأذكرها ملخصة بذكر من وثقه ومن جرحه معتمداً في معرفة أقوالهم على المصادر الأصلية المعتبرة في الفن.
 - ٤- أفسر غريب الحديث؛ وذلك بالرجوع إلى كتب اللغة والغريب، وكتب شروح الحديث.
 - ٥- أضبط ما يحتاج إلى ضبط من الكلمات.
 - ٦- أذكر المسائل الفقهية من دلالات الحديث، فإن كانت المسألة محل إجماع أكتفي بها، وإلا أذكر خلاف العلماء باختصار من كتبهم المعتمدة، وكتب شروح الحديث مع ذكر القول الراجح في المسألة.
 - ٧- أكتب الآيات القرآنية بالرسم العثماني، ذكراً اسم السورة ورقم الآية في الحاشية.
 - ٨- أعزو النقول والأقوال الواردة في البحث إلى مصادر الأصلية.
 - ٩- أختتم البحث بذكر الفوائد المستفادة من الحديث.
- المبحث الأول: الدراسة الحديثية، وفيه مطلبان.**
- المطلب الأول: ذكر نص الحديث وتخرّجه.**
- هذا الحديث أخرجه أبو داود^(١) من طريق محمد بن بكار بن بلال العاملي^(٢). وأحمد^(٣) عن أبي النضر^(٤)، وعبد الصمد^(٥)، وأبي سعيد مولى بني هاشم^(٦). والدارقطني^(٧) من طريق عبيد الله بن موسى^(٨).

(١) في سننه، كتاب الديات، باب ديات الأعضاء (٦/ ٦٢٣/ ح: ٤٥٦٥).

(٢) الدمشقي القاضي صدوق. ينظر: تقريب التهذيب (ص: ٤٦٩).

(٣) في مسنده (١١/ ٣٢٧/ ح: ٦٧١٨). و(١١/ ٦٥٩/ ح: ٧٠٨٨).

(٤) هو: هاشم بن القاسم البغدادي ثقة ثبت. ينظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٧٠).

(٥) هو: ابن عبد الوارث بن سعيد العنبري البصري، صدوق ثبت. انظر: التقريب (ص: ٣٥٦).

(٦) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد البصري، صدوق ربما أخطأ. التقريب ص: ٣٤٤.

خمستهم عن محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أن النبي ﷺ قال: «عَقْلُ شَبِهِ الْعَمْدِ مُعَلَّظٌ مِثْلَ عَقْلِ الْعَمْدِ وَلَا يُقْتَلُ صَاحِبُهُ». وهذا لفظ أبي داود والدارقطني.

وزاد أحمد: «وذلك أن يَنْزُو الشَّيْطَانُ بَيْنَ النَّاسِ»، قال أبو النضر^(٩): «فَيَكُونُ رَمِيًّا فِي عَمِيٍّ فِي غَيْرِ فِتْنَةٍ وَلَا حَمْلٍ سِلَاحٍ». وقال أبو داود بإثر الرواية السابقة: "قال: وزادنا خليل^(١٠) عن ابن راشد «وذلك أن يَنْزُو الشَّيْطَانُ بَيْنَ النَّاسِ، فَتَكُونُ دِمَاءُ فِي عَمِيٍّ، فِي غَيْرِ ضَغِينَةٍ وَلَا حَمْلٍ سِلَاحٍ»، محمد بن بكار يقول.

وعند أحمد في رواية أبي سعيد مولى بني هاشم^(١١) زيادة: «وَمَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلَا رَصَدَ بِطَرِيقٍ».

والحديث في إسناده محمد بن راشد الدمشقي المكيولي مختلف فيه: وثقه الإمام أحمد، وابن معين، وابن المديني، وروى عنه ابن مهدي وغيره، وقال أبو حاتم: "كان صدوقاً حسن الحديث". وقال ابن عدي: "وليس بروايته بأس، وإذا حدث عنه ثقة فحديثه مستقيم". وفيه غير ذلك من التعديل^(١٢).

والذين تكلموا فيه، رموه بالقدر، وبالتشيع. قال يحيى بن سعيد: "وكان شيعياً قدرياً، وليس بحديثه بأس". وقال شعبة: "إنه صدوق ولكنه شيعي أو قدري".

وقال أبو زرعة الدمشقي: "بلغني عن أبي مسهر أنه قيل له: كيف لم تكتب عن محمد بن راشد؟ قال: كان يرى الخروج على الأئمة"^(١٣).

وقال الدارقطني: (يعتبر به)^(١٤). وقال في سننه: "ضعيف عند أهل الحديث"^(١٥).

وقال ابن حجر "صدوق يهم ورمي بالقدر"^(١٦).

(٧) في سننه (٤/ ٨٥/ برقم ٣١٤٤).

(٨) ابن أبي المختار العباسي الكوفي، أبو محمد، ثقة، كان يتشيع. انظر: التقريب (ص: ٣٧٥).

(٩) هو: هاشم بن القاسم البغدادي ثقة ثبت. انظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٧٠).

(١٠) هو: ابن زياد المحاربي مقبول -يعني حيث توبع-. انظر: تقريب التهذيب (ص: ١٩٥).

(١١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن عبيد البصري، صدوق ربما أخطأ. كما في التقريب (ص: ٣٤٤).

(١٢) انظر: تاريخ ابن معين (٤/ ٣١٦-٤٦٥)، والجرح والتعديل (٧/ ٢٥٣)، والكمال في ضعفاء الرجال (٧/ ٤٢١)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٥٩-١٦٠).

(١٣) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٤١٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٥٣/ ٩)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٥٩-١٦٠).

(١٤) موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله (٢/ ٥٧٣).

(١٥) سنن الدارقطني (٤/ ٢٣١).

(١٦) تقريب التهذيب (ص: ٤٧٨).

وأجيب عن ذلك: بأن محمد بن راشد وثقه جمع من الأئمة، كما تقدم. ومما سبق يتبين أنه ثقة أو صدوق، ومن ضعفه فإنما ضعفه بأنه شيعي، وقدري، وكان يرى الخروج على الأئمة، والظاهر أن هذه ليست عللاً قادمة في صدقه، وكان متحرراً الصدق في حديثه، كما قال الجوزجاني^(١٧). والحاصل أنه يحتج به؛ فقد وثقه غير واحد من الأئمة، وكونه قدرياً أو غير ذلك لا يضر بروايته؛ كما قال عبد الرحمن بن مهدي: "فما يضره أن يكون قدرياً"^(١٨)، ولا ينزل حديثه عن درجة الحسن.

وشيخه سليمان بن موسى هو الأشدق أبو أيوب الدمشقي فقيه الشام، وثقه ابن معين، ودحيم، وقال ابن معين ليحيى بن أكرم: "سليمان بن موسى ثقة، وحديثه صحيح عندنا". وقال ابن سعد: "كان ثقة، أثنى عليه ابن جريج". وقال الدارقطني: "من الثقات، أثنى عليه عطاء، والزهري". وقال أبو حاتم: "محل الصدق، وفي حديثه بعض الاضطراب، ولا أعلم أحداً من أصحاب مكحول أفقه منه، ولا أثبت منه". وقال ابن عدي: "فقيه راو، حدث عنه الثقات، وهو أحد علماء أهل الشام، وقد روى أحاديث ينفرد بها، لا يرويه غيره، وهو عندي ثبت صدوق"^(١٩). وقال البخاري: "وعنده مناكير"^(٢٠). وقال النسائي: "ليس بالقوي"^(٢١). وذكر العقيلي عن ابن المديني قوله: كان من كبار أصحاب مكحول، وكان خولط قبل موته ببسير^(٢٢).

وقال الذهبي - بعد ذكره بعض ما أخذ عليه من الغرائب -: "قلت: كان سليمان فقيه أهل الشام في وقته قبل الأوزاعي، وهذه الغرائب التي تستنكر له يجوز أن يكون حفظها"^(٢٣).

وقال ابن حجر: "صدوق فقيه في حديثه بعض لين وخولط قبل موته بقليل"^(٢٤). والذي يظهر لي أنه صدوق، وعنده بعض المناكير، ولا يضره كلام من ضعفه؛ لمخالفته لأقوال الجمهور، ولا سيما وقد تابعه محمد بن إسحاق عند أحمد، كما سيأتي.

^(١٧) ينظر: أحوال الرجال (ص: ١٦١)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٥ / ١٩٠).

^(١٨) انظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧ / ٤٢٠).

^(١٩) انظر: الطبقات الكبرى (٧ / ٣١٨)، والجرح والتعديل (٤ / ١٤٢)، وعلل الدارقطني

(١٥ / ١٤)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢٢ / ٣٧٥)، وتهذيب التهذيب (٢ / ١١١ - ١١٢).

^(٢٠) التاريخ الكبير (٤ / ٣٩).

^(٢١) ميزان الاعتدال (٢ / ٢٢٥).

^(٢٢) الكواكب النيرات (ص: ٤٦٩).

^(٢٣) ميزان الاعتدال (٢ / ٢٢٦).

^(٢٤) تقريب التهذيب (ص: ٢٥٥).

وعمر بن شعيب، هو عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص صدوق^(٢٥).

وأبوه شعيب بن محمد، قال ابن حجر: "صدوق ثبت سماعه من جده"^(٢٦). والضمير المتصل في (أبيه) يعود إلى عمرو بن شعيب، بلا خلاف بين العلماء. والضمير في (جده) يعود إلى (شعيب) على القول الراجح، وجد شعيب هو الصحابي: عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما-، وقد ثبت بأسانيد صحيحة، أنه قد سمع من جده،^(٢٧) وقد قال بذلك الأئمة، فمن الذين أثبتوا سماعه: ابن المديني^(٢٨)، والإمام أحمد^(٢٩)، وأحمد بن صالح^(٣٠)، وأبو بكر النيسابوري^(٣١)، والحاكم^(٣٢)، والعلائي^(٣٣)، والذهبي^(٣٤).

وقد احتج بحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أئمة كبار، وصحح حديثه وحسنه غير واحد من العلماء وقبلوه على سبيل الاحتجاج به في الأحكام الشرعية، كالإمام الشافعي، والإمام أحمد وإسحاق بن راهويه^(٣٥)، والترمذي^(٣٦)،

^(٢٥) تقريب التهذيب (ص: ٤٢٣).

^(٢٦) المصدر السابق (ص: ٢٦٧).

^(٢٧) وقد جاء التصريح بجده في عدة مروياته، وقد أخرج له الإمام النسائي في كتاب قطع السارق، باب الثمر الذي يسرق بعد أن يؤديه (٨/ ٨٥ ح: ٤٩٥٨) أخبرنا قتيبة، قال: حدثنا الليث، عن ابن عجلان، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه سئل عن الثمر المعلق؟ فقال: «ما أصاب من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه، ومن خرج...».

وعند أحمد (١١/ ٢٨٨ ح: ٦٦٩٢) عن يزيد، عن محمد بن إسحاق، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو قال: لما دخل رسول الله ﷺ مكة عام الفتح، قام في الناس خطيباً، فقال: «يا أيها الناس إنه ما كان من حلف الجاهلية فإن الإسلام لم يزد إلا شدة...». وقد ذكر الذهبي أمثلة كثيرة في سير أعلام النبلاء (٥/ ١٧١).

^(٢٨) انظر: تهذيب التهذيب (٨/ ٥٤ - ٥٥).

^(٢٩) انظر: سنن الدارقطني (٣/ ٤٧٤).

^(٣٠) تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين (ص: ٢٠٦).

^(٣١) انظر: سنن الدارقطني (٣/ ٤٧٤).

^(٣٢) المستدرک على الصحيحين (٢/ ٧٤).

^(٣٣) جامع التحصيل (ص: ١٩٦).

^(٣٤) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٧٣).

^(٣٥) انظر: جامع الترمذي (٣/ ٢٦)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٨/ ١٨).

^(٣٦) جامع الترمذي (٣/ ٢٦) ونص كلامه: (حيث قال: وأما أكثر أهل الحديث فيحتجون بحديث عمرو بن شعيب فيثبتونه، منهم أحمد وإسحاق وغيرهما).

والدارقطني^(٣٧)، وابن عبد البر^(٣٨)، والنووي^(٣٩)، وشيخ الإسلام ابن تيمية^(٤٠)، وابن القيم^(٤١)، وغيرهم رحمهم الله^(٤٢).
قال البخاري: رأيت أحمد، وعلي بن المديني، وإسحاق بن راهويه، وأبا عبيد، وعامة أصحابنا، يحتجون بحديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ما تركه أحد من المسلمين^(٤٣).
وقد بيّن الإمام الذهبي درجة حديثه بقوله: "ولسنا نقول: إن حديثه من أعلى أقسام الصحيح، بل هو من قبيل الحسن"^(٤٤).
- وأخرجه أحمد^(٤٥) عن يعقوب إبراهيم، عن أبيه، عن محمد بن إسحاق، قال: وذكر عمر بن شعيب، به. ولفظه: «من قتل مؤمناً متعمداً فإنه يدفع إلى أولياء القتيل، فإن شاءوا قتلوا، وإن شاءوا أخذوا الدية، وهي ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وأربعون خلفاً، فذلك عقل العمد، وما صالحوا عليه من شيء فهو لهم، وذلك شديد العقل، وعقل شبه العمد مغلظة مثل عقل العمد، ولا يقتل صاحبه، وذلك أن ينزغ الشيطان بين الناس، فتكون دماء في غير ضغينة، ولا حمل سلاح»، فإن رسول الله ﷺ قال: يعني: «من حمل علينا السلاح، فليس منا، ولا رصد بطريق، فمن قتل على غير ذلك، فهو شبه العمد، وعقله مغلظة، ولا يقتل صاحبه...».
وفي إسناده محمد بن إسحاق صدوق مدلس^(٤٦)، لم يصرح السماع من عمرو بن شعيب، لكنه توبع، تابعه سليمان بن موسى، كما في الرواية السابقة، ويكون سنده حسناً لغيره.
وصحّح هذا الإسناد أحمد شاكر في تعليقه على مسند أحمد^(٤٧).

(٣٧) سؤالات السلمي للدارقطني (ص: ٢١٦)، وقال: (لم يترك حديثه أحد من الأئمة).
(٣٨) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٣٨٤/٢٤).
(٣٩) تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ٢٩-٣٠).
(٤٠) مجموع الفتاوى (٨/ ١٨).
(٤١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٥/ ٢٥٩).
(٤٢) انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٢/ ٣١٣).
(٤٣) انظر: التاريخ الكبير (٦/ ٣٤٣).
(٤٤) ميزان الاعتدال (٣/ ٢٦٨).
(٤٥) في المسند (١١/ ٦٠٢ ح: ٧٠٣٣).
(٤٦) تقريب التهذيب (ص: ٤٦٧).
(٤٧) مسند (٦/ ٢٦٤ ح: ٦٧١٨).

وأخرجه مختصراً دون ذكر «وعقل شبه العمد...» أبو داود^(٤٨)، والترمذي^(٤٩)، وابن ماجه^(٥٠) من طريق محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، به.

وقال الترمذي: "حديث حسن غريب". وإسناده حسن. - وأخرجه أبو داود^(٥١)، والنسائي^(٥٢)، وابن ماجه^(٥٣) من طريق حماد بن زيد. وأخرجه أبو داود أيضاً^(٥٤)، والبخاري في التاريخ الكبير^(٥٥)، وابن حبان^(٥٦)، والدارقطني^(٥٧) من طريق وهيب بن خالد.

كلاهما عن خالد الحذاء، عن القاسم بن ربيعة، عن عقبة بن أوس، عن عبد الله بن عمرو: أن رسول الله ﷺ قال: «...ألا إن قتل الخطأ شبه العمد قتل السوط والعصا، دية مغلظة، منها أربعون في بطونها أولادها». وإسناده صحيح. وأخرجه النسائي^(٥٨)، وأحمد^(٥٩)، والطحاوي^(٦٠) من طريق هشيم، وعبد الرزاق^(٦١) عن الثوري؛ كلاهما عن خالد، عن القاسم بن ربيعة، عن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي ﷺ.

وإسناده صحيح إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، وإبهام الصحابي لا يؤثر لما هو معلوم، من أن جهالة الصحابي لا تضر، لعله هو عبد الله بن عمرو^(٦٢)، كما في الرواية السابقة.

- (٤٨) في سننه، كتاب الديات، باب ولي العمد يرضى بالدية (٦/٥٥٨: ح/٤٥٠٦).
(٤٩) في جامع، كتاب الديات، باب في الدية كم هي من الإبل (٣/٦٣: برقم/١٣٨٧).
(٥٠) في سننه، كتاب الديات، باب من قتل عمدا فرضي بالدية (٣/٦٤٦: برقم/٢٦٢٦).
(٥١) في سننه، كتاب الديات، باب الدية، كم هي؟ (٦/٦٠٦: ح/٥٤٤٧).
(٥٢) في سننه، كتاب القسمات، باب كم دية شبه العمد؟ (٨/٤١: ح/٤٧٩٣).
(٥٣) في سننه، كتاب الديات، باب دية شبه العمد (٣/٦٤٨: ح/٢٦٢٧).
(٥٤) في سننه كتاب الديات، باب الدية، كم هي؟ (٦/٦٠٨: ح/٤٥٤٨).
(٥٥) (٦/٤٣٤).
(٥٦) كما في الإحسان (١٣/٣٦٤: ح/٦٠١١).
(٥٧) في سننه (٤/١٠٢: ح/٣١٧١).
(٥٨) في المجتبى (٨/٤١: ح/٤٧٩٤).
(٥٩) في مسنده (٢٤/١٠٨: ح/١٥٣٨٨).
(٦٠) في شرح معاني الآثار (٣/١٨٥: ح/٥٠٣٠).
(٦١) في مصنفه (٩/٢٨٢: ح/١٧٢١٣).
(٦٢) انظر: تهذيب الكمال (٣٥/١١٦)، وتهذيب التهذيب (٧/٢٣٧).

وأخرجه النسائي^(٦٣) والدارقطني^(٦٤) من طريق بشر بن المفضل ويزيد بن زريع؛ كلاهما عن خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة، عن يعقوب بن أوس، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. وإسناده صحيح إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، وجهالة الصحابي لا يضر، كما تقدم، ويعقوب بن أوس هو عقبة بن أوس. قاله ابن معين^(٦٥). وخالفهم (حماد بن زيد ووهيب بن خالد، وهشيم، والثوري بشر بن المفضل ويزيد بن زريع) ابن أبي عدي، فرواه عن خالد، عن القاسم، عن عقبة بن أوس، عن النبي ﷺ، مرسلًا. أخرجه النسائي^(٦٦) عن محمد بن بشار، عنه، به. وابن أبي عدي، وهو محمد بن إبراهيم أبو عمرو البصري ثقة^(٦٧)، لكن خالف جماعة من الثقات، وهم أسنوده، والقول قولهم. وأخرجه النسائي^(٦٨)، وابن ماجه^(٦٩)، وأحمد^(٧٠)، والدارقطني^(٧١)، والبيهقي^(٧٢) من طريق شعبة، عن أيوب، عن القاسم بن ربيعة، عن عبد الله بن عمرو، به. وأشار إلى هذه الرواية أبو داود بإثر الحديث رقم: (٤٥٤٩). وفيه أيوب السختياني روى عن القاسم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، وأسقط في إسناده "عقبة بن أوس". وهذا لا يضر؛ لأن سماع القاسم بن ربيعة من عبد الله بن عمرو بن العاص ثابت^(٧٣)، وقد صرح بالتحديث عند أحمد، فيمكن أنه سمع الحديث أولاً من عقبة بن أوس^(٧٤)، ثم سمعه من عبد الله عمرو.

- (٦٣) في المجتبى كتاب القسامة، باب كم دية شبه العمدة؟ (٨ / ٤١ ح: ٤٧٩٦)، و(٨ / ٤٢ ح: ٤٧٩٧).
- (٦٤) في سننه (٤ / ١٠٠ ح: ٣١٦٨).
- (٦٥) تاريخ ابن معين - رواية الدوري (٣ / ٨٤).
- (٦٦) في المجتبى، كتاب القسامة، باب كم دية شبه العمدة؟ (٨ / ٤١ ح: ٤٧٩٥).
- (٦٧) تقريب التهذيب (ص: ٤٦٥).
- (٦٨) في سننه، كتاب القسامة، باب كم دية شبه العمدة؟ (٨ / ٤٠ ح: ٤٧٩١).
- (٦٩) في سننه، كتاب الديات، باب دية شبه العمدة مغلطة (٣ / ٦٤٧ ح: ٢٦٢٧).
- (٧٠) مسند أحمد (١١ / ٨٨ ح: ٦٥٣٣).
- (٧١) في سننه (٤ / ١٠١ ح: ٣١٦٩).
- (٧٢) السنن الكبرى (٨ / ٨٠ ح: ١٥٩٩٨).
- (٧٣) الفیصل فی مشتبہ النسبة للحازمي (٢ / ٤٨٣).
- (٧٤) عقبة بن أوس وهو السدوسي قال ابن سعد في الطبقات (٧ / ١٥٤): "وكان ثقة، قليل الحديث"، قيل: لم يسمع من عبد الله بن عمرو، انظر: جامع التحصيل (ص: ٢٣٩)، والصحيح أنه سمع منه، وقد جاء عند ابن أبي عاصم في السنة ومعها ظلال الجنة للألباني (٢ / ٥٤٨)، من رواية ابن سيرين، عن عقبة بن أوس، قال: كنا عند عبد الله بن عمرو ﷺ، فقال: "أبو بكر ﷺ: أصبتم اسمه... وإسناده صحيح.

وأخرجه النسائي^(٧٥) عن محمد بن المثنى، عن سهل بن يوسف، عن حميد، عن القاسم بن ربيعة، عن النبي ﷺ، مرسلًا.

فيه حميد - وهو حميد بن أبي حميد الطويل- ثقة مدلس^(٧٦)، وقد عنعن، ثم إنه لما كبر ساء حفظه^(٧٧)، وخالف خالدًا الحذاء، وأيوب، وهما ثقتان، وروايتهما أرجح؛ لكونهما أكثر وأوثق.

وأخرجه النسائي^(٧٨)، وابن ماجه^(٧٩)، وأحمد^(٨٠)، وأبو يعلى^(٨١)، والدارقطني^(٨٢)، والبيهقي^(٨٣) من طريق سفيان بن عيينة.

وأخرجه عبد الرزاق^(٨٤)، -وعنه أحمد^(٨٥)- عن معمر.

وأخرجه أبو داود^(٨٦) من طريق عبد الوارث.

ثلاثتهم عن علي بن زيد بن جدعان عن القاسم، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب.

وهذا الإسناد ضعيف؛ لضعف علي بن زيد -وهو ابن جدعان^(٨٧).

قال البيهقي: "فعلي بن زيد كان يخلط فيه، فالحديث حديث خالد الحذاء، والله أعلم".

ثم قال: "وسئل يحيى عن حديث عبد الله بن عمرو هذا، فقال له الرجل: إن سفيان يقول: عن عبد الله بن عمر. فقال يحيى بن معين: علي بن زيد ليس بشيء، والحديث حديث خالد، وإنما هو عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما"^(٨٨).

وقال ابن القطان: "حديث صحيح من رواية عبد الله بن عمرو بن العاص. ولا يضره الاختلاف الذي وقع فيه، وعقبة بن أوس بصري تابعي ثقة"^(٨٩).

^(٧٥) في المجتبى (٨/ ٤٢/ح: ٤٨٠٠).

^(٧٦) انظر: المدلسين (ص: ٤٧).

^(٧٧) الكواكب النيرات (ص: ٤٦٠).

^(٧٨) في سننه، كتاب القسامة، باب كم دية شبه العمد؟ (٨/ ٤٢/ح: ٤٧٩٩).

^(٧٩) في سننه، كتاب الديات، باب دية شبه العمد مغلفة (٣/ ٦٤٨/ح: ٢٦٢٨).

^(٨٠) في مسنده (٨/ ١٨٨/ح: ٤٥٨٣).

^(٨١) في مسنده (١٠/ ٤٢/ح: ٥٦٧٥).

^(٨٢) في سننه (٣/ ١٠٥).

^(٨٣) في السنن الكبرى (٨/ ٤٤).

^(٨٤) في مصنفه (٩/ ٢٨١-٢٨٢/ح: ١٧٢١٢).

^(٨٥) في مسنده (٨/ ٥٢١-٥٢٢/ح: ١٤٩٢٦).

^(٨٦) في سننه، كتاب الديات، باب في دية الخطأ شبه العمد (٦/ ٦٠٩/ح: ٤٥٤٩).

^(٨٧) تقريب التهذيب (ص: ٤٠١).

^(٨٨) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٢١).

^(٨٩) انظر: بيان الوهم والإيهام (٥/ ٤١٠)، ونصب الراية (٤/ ٣٣١).

وقال عن حديث ابن عمر من رواية علي بن زيد بن جدعان: حديث لا يصح لضعف علي بن زيد^(٩٠).

وأعله ابن عبد البر بالاضطراب، فقال (فهو حديث مضطرب لا يثبت من جهة الإسناد رواه ابن عينة عن علي بن زيد، عن القاسم بن ربيعة عن ابن عمر عن النبي ﷺ، ورواه سفيان الثوري وهشيم عن خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة عن عقبة بن أوس عن رجل من أصحاب النبي ﷺ).

ورواه حماد بن زيد عن خالد الحذاء عن القاسم بن ربيعة عن عقبة بن أوس عن عبد الله ابن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ^(٩١).

وأجيب: أن حديث ابن عمر ضعيف، وفي سنده علي بن زيد -وهو ابن جدعان- ضعيف. كما تقدم قول البيهقي وابن القطان فيه.

فطريق خالد الحذاء أرجح من رواية علي بن زيد بن جدعان، وهي لا تصح، وكيف يكون الاضطراب؟ وقد رجح رواية خالد الحذاء غير واحد من الأئمة: كيحيى بن معين^(٩٢)، والدارقطني^(٩٣)، والبيهقي^(٩٤)، وابن القطان^(٩٥)، والعلاني^(٩٦) والألباني^(٩٧).

والخلاصة أن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده حسن لذاته، وبمجموع طرقه يكون صحيحاً لغيره، وقد سكت عنه أبو داود، وصححه أحمد شاكر^(٩٨)، وحسنه الألباني^(٩٩).

المطلب الثاني: معنى الحديث:

إن النبي ﷺ قال: الدية في القتل شبه العمد مثل دية القتل العمد وهي مائة من الإبل: ثلاثون حقة^(١٠٠)، وثلاثون جذعة^(١٠١)، وأربعون خلفة^(١٠٢) في بطونها أولادها، إلا أن

^(٩٠) بيان الوهم والإيهام (٥/ ٤١٠)، ونصب الراية (٤/ ٢٣٢).

^(٩١) الاستذكار (٨/ ٤٥).

^(٩٢) تاريخ ابن معين (٣/ ٨٤).

^(٩٣) العلل الواردة في الأحاديث النبوية (١٢/ ٤٣٨).

^(٩٤) السنن الكبرى للبيهقي (٨/ ١٢١).

^(٩٥) انظر: بيان الوهم والإيهام (٥/ ٤١٠).

^(٩٦) جامع التحصيل (ص: ٣٠٣).

^(٩٧) إرواء الغليل (٧/ ٢٥٦).

^(٩٨) في تعليقه على مسند أحمد (٦/ ٢٦٤).

^(٩٩) صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ٧٤٣).

^(١٠٠) هي من الإبل: ما استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، سمي بذلك؛ لأنه استحق أن يركب ويحمل عليه. المخصص (٢/ ١٣٦).

هناك فرقاً بين شبه العمد والعمد؛ وهو أن العمد يقتص فيه من القاتل، وشبه العمد لا يقتص منه، وإنما عليه الدية مؤجلة، ويؤدّيها عصبته مقسطة إلى ثلاث سنوات^(١٠٣).
المبحث الثاني: دراسة فقه الحديث، وفيه ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: شرح الكلمات الغريبة.
(العقل): الدية، قال الأزهري: "والعقل في كلام العرب: الدية، سُميت عقلاً لأن الدية كانت عند العرب في الجاهلية إبلاً، ... فسميت الدية عقلاً؛ لأن القاتل كان يُكَلَّف أن يسوق إبل الدية إلى فناء ورثة المقتول، ثم يعقلها بالعقل ويسلمها إلى أوليائه. وأصل العقل مصدر عقلت البعير بالعقل أعقله عقلاً، والعقال: حبل يثنى به يد البعير إلى ركبتيه فيشد به"^(١٠٤). وقيل: سُميت الدية عقلاً؛ لكونهم يمنعون عن القاتل. وقيل: لأنهم يمنعون من يحملونها عنه من الجناية، لعلمهم بحملها^(١٠٥).
والعاقلة: الجماعة الذين يؤدون الدية إلى أولياء المقتول عن الجاني^(١٠٦).
شبه العمد: وهو أن يعمد الإنسان إنساناً بشيء ليس من عادته أن يقتل مثله -كالعصا والسوط والحجر واليد- وليس من غرضه قتله، فيقع في مقتل فيقتل^(١٠٧).
وهو يشبه العمد في قصد الجناية، ويخالفه في أن الآلة لا تقتل غالباً.
ويسمى شبه العمد عمد الخطأ، وخطأ العمد؛ لاجتماع العمد والخطأ فيه، فإنه عمد الفعل، وأخطأ في القتل.

مغلّظ: اسم مفعول من غلّظ، يغلّظ، تغليظاً، فهو مغلّظ، غليظ، خلاف الرقة، والمراد في الحديث: تغليظ الدية: أن تكون ثلاثون حقة^(١٠٨)، وثلاثون جدعة^(١٠٩)، وأربعون

(١٠١) الجذع والجذعة من الإبل: ما دخل في السنة الخامسة. شرح أبي داود للعيني (٦/٢٣٥).

(١٠٢) الناقة الحامل، التي مضت لها عشرة أشهر، والجمع خلفات. انظر: فتح الباري (٢/٤٠٠).

(١٠٣) ينظر: شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨/٢٤)، وفيض القدير (٤/٣١٩).

(١٠٤) تهذيب اللغة (١/١٥٩).

(١٠٥) المطلع على ألفاظ المقنع (ص: ٤٥٠).

(١٠٦) وسبائي اختلاف الفقهاء مفصلاً من هم العاقلة الذين يؤدون الدية؟

(١٠٧) انظر: غريب الحديث للقاسم بن سلام (٣/٧٣)، والنهاية (٢/٤٤٢)، وجامع العلوم في اصطلاحات الفنون (٣/٤١)، ومعجم لغة الفقهاء (ص: ٢٥٦).

(١٠٨) هي من الإبل: ما استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة، سمي بذلك؛ لأنه استحق أن يركب ويحمل عليه المخصص (٢/١٣٦).

(١٠٩) الجذع والجذعة من الإبل: ما دخل في السنة الخامسة. شرح أبي داود للعيني (٦/٢٣٥).

خَلْفَةٌ^(١١٠) في بطونها أولادها. أو تؤخذ أرباعاً من أسنان الإبل: خمساً وعشرين بنت مخاض^(١١١)، وخمساً وعشرين بنت لبون^(١١٢)، وخمساً وعشرين حقة، وخمساً وعشرين جذعة^(١١٣).

(يَنْزُرُ): النزو: الوثوب، والتسرع بالشر، ومنه نزو التيس. ولا يقال ينزو إلا في الدواب والشاء والبقر في معنى السفاد (الجماع)^(١١٤). ومعنى: «أن ينزو» أي: لئلا يَنْزُرَ الشيطان، أو بمعنى كراهية أن ينزو الشيطان^(١١٥)، وفي رواية أحمد: «أن ينزغ الشيطان بين الناس»^(١١٦).

وجملة «وذلك أن ينزو الشيطان بين الناس...» مثال لشبه العمى، وهو أن الشيطان ينزو بين الناس ويحدث بينهم مشكلة أو فتنة من غير أن يكون هناك ضغينة، ومن غير أن تكون هناك أسباب سابقة، وإنما تحصل فتنة فيلتحم بعضهم ببعض ويضرب بعضهم بعضاً بشيء لا يقتل في الغالب، ولكنه أدّى إلى القتل.

(رَمِيًّا)، بكسر الراء ثم الميم مشددة مكسورة بعدها ياء تحتية على وزن فِعْيَلِي من الرمي، وهو مصدر يراد به المبالغة^(١١٧).

(عَمِيًّا) - بكسر العين والميم المشددة وتشديد الباء - أي: جهالة والخطأ. ومعنى «فيكون رَمِيًّا في عَمِيًّا في غير فتنة ولا حمل سلاح»: أن يترامى القوم فيوجد بينهم قتيل لا يدرى من قتله، ويعمى أمره فلا يتبين^(١١٨).

(فتكون دماءً): بالضم على أن (تكون) تامة، وما بعدها فاعل؛ أي: فتوجد دماء، أو فتحصل دماء^(١١٩).

(ضغينة): الضغينة: الحقد والعداوة والبغضاء، وجمعها الضغائن^(١٢٠).

^(١١٠) الناقة الحامل، التي مضت لها عشرة أشهر، والجمع خلفات. انظر: فتح الباري (٢/ ٤٠٠).

^(١١١) بنت مخاض هي بنت الناقة ذات سنة ودخلت في الثانية. معجم لغة الفقهاء (ص: ١١٠).

^(١١٢) بنت لبون هي التي أتى عليها حولان، ودخلت في الثالثة. معجم لغة الفقهاء (ص: ١١٠).

^(١١٣) انظر: النهاية (٣/ ٣٧٨)، ومعجم لغة الفقهاء (ص: ١٣٨).

^(١١٤) انظر: العين (٧/ ٣٨٧)، والصاح (٦/ ٢٥٠٧).

^(١١٥) شرح سنن أبي داود لابن رسلان (١٨/ ٢٤).

^(١١٦) كما تقدم في تخريج الحديث.

^(١١٧) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٣٥)، والنهاية في غريب الحديث (٢/ ٢٦٩).

^(١١٨) انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣٠٥).

^(١١٩) انظر: عون المعبود (١٢/ ٢٠٠).

«ولا يُقْتَلُ صاحِبُهُ» أي: صاحب شبه العمد وهو القاتل، سَمَّاهُ صاحبه لصدور القتل عنه، وإنما قال ﷺ هذا دفعاً لتوهم جواز الاقتصاص في شبه العمد حيث جعله كالعمد المحض في العقل»^(١٢١).

«ولا رَصَدَ بطريق» الرصد الطريق، والجمع أرصاد، مثل: سبب وأسباب، ورصدته رصداً من باب قتل، قعدت له على الطريق، والفاعل راصد، وربما جمع على رَصَدٍ مثل: خادم وخَدَمٍ، والرصدي هو المتراقب وقاطع الطريق. وهذا (ولا رَصَدَ بطريق) عطف على ما يفهم من الكلام المتقدم، كأنه ﷺ قال: ليس منّا من حمل علينا السلاح ولا من رَصَدَ، أي: من قعد على الطريق ينتظر الناس ليأخذ شيئاً من أموالهم ظلماً وعدواناً^(١٢٢).

المطلب الثاني: دلالات الحديث

١- يدلّ الحديث على إثبات قتل شبه العمد. وإليه ذهب جمهور الفقهاء، منهم الشعبي، والحكم، وحماد، والنخعي، وقتادة، وسفيان الثوري^(١٢٣)، والحنفية^(١٢٤) وبعض المالكية، كابن وهب^(١٢٥)، والقرطبي^(١٢٦)، والشافعية^(١٢٧)، والحنابلة^(١٢٨) على خلاف بينهم في تقسيمه^(١٢٩).

^(١٢٠) النهاية (٣/ ٩١).

^(١٢١) انظر: عون المعبود (١٢/ ٢٠٠).

^(١٢٢) انظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٠٠)، والنهاية (٢/ ٢٢٦)، والمصباح المنير (١/ ٢٢٨).

^(١٢٣) الإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٧/ ٣٦١).

^(١٢٤) انظر: المبسوط للسرخسي (٣٦/ ٥٩)، ؛ الهداية شرح البداية (٤/ ١٥٩)، وبدائع الصنائع (٧/ ٢٣٤).

^(١٢٥) الذخيرة للقرافي (١٢/ ٢٨١)، والمسالك في شرح الموطأ (٧/ ٦٩)، والمنتقى شرح الموطأ (٧/ ١٠٠).

^(١٢٦) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٩).

^(١٢٧) الأم للشافعي (٦/ ٥)، ومعالم السنن (٤/ ٢٦)، والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع (٢/ ٤٩٦).

^(١٢٨) المغني لابن قدامة (٨/ ٣٣٦)، ودليل الطالب لنيل المطالب (ص: ٢٩٥).

^(١٢٩) حيث قسّم الحنفية القتل شبه العمد إلى ثلاثة أنواع:

- ١- أن يقصد القتل بعضاً صغيرة أو بحجر صغير أو لكمة ونحو ذلك ممّا لا يكون الغالب فيها الهلاك، كالسّوط ونحوه، إذا ضرب ضربةً أو ضربتين ولم يوال في الضربات.
 - ٢- أن يضرب بالسّوط الصغير ويوالي في الضربات إلى أن يموت.
- وهاتان الصّورتان متّفقت عليهما بين فقهاء الحنفية.

وجه الدلالة: أن النبي ﷺ ذكر في هذه الأحاديث قتل شبه العمد، وهذا من أصرح الدلالة على إثباته.

ورُد: أن رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ضعيفة، وفي إسناده محمد بن راشد الدمشقي متكلم فيه.

والرواية الثانية فضيفة أيضاً؛ ومحمد بن إسحاق مدلس.

وأما الرواية الثالثة فمضطربة؛ لأن في إسناده اختلافاً، وحكم عليه ابن عبد البر بالاضطراب.

وأجيب عن ذلك: بأن محمد بن راشد صدوق، كما تقدم، وابن إسحاق تابع.

وحديث عبد الله بن عمرو صحيح، لا يضره الاختلاف، وقد تقدم التفصيل عن ذلك.

واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة ؓ قال: **اقتلت امرأتان من هذيل، فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختصموا إلى النبي ﷺ، «فقضى أن دية جنيها غرة: عبد أو وليدة»^(١٣٠)، وقضى أن دية المرأة على عاقلتها»^(١٣١).**

قال الصنعاني: "وهو من أدلة من يثبت شبه العمد، وهو الحق، فإن ذلك القتل كان بحجر صغير، أو عود صغير لا يقصد به القتل بحسب الأغلب فتجب فيه الدية على العاقلة، ولا قصاص فيه"^(١٣٢).

٣- ما قصد قتله بما يغلب فيه الهلاك ممّا ليس بجراح ولا طاعن، كمدقة القصارين، والحجر الكبير، والعصا الكبيرة ونحوها، فهو شبه عمد عند أبي حنيفة، وعمد عند الصّاحبين. انظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٢٣٣/٧).

وقال جمهور فقهاء الشافعية إن القتل شبه العمد يكون بقصد الفعل والشخص بما لا يقتل غالباً. انظر: روضة الطالبين وعمدة المفتين (١٢٣/٩).

وذكر الحنابلة صورتين للقتل شبه العمد:

الأولى: أن يقصد ضربه عدواناً بما لا يقتل غالباً كخشبة صغيرة أو حجر صغير أو لكزة ونحوها.

والثانية: أن يقصد ضربه تأديباً ويسرف في الضرب فيفضي إلى القتل. المغني (٢٧١/٨).

^(١٣٠) فسر الغزّة هنا في الحديث: أنها عبد أو أمة، وقيمتها: خمس من الإبل، وهو عشر دية أمه، ويكون نصف عشر دية الرجل. انظر: إكمال المعلم (٥/٤٨٩)، والتوضيح (٣٠/٥٠٨).

^(١٣١) أخرجه البخاري في كتاب الديات، باب جنين المرأة وأن العقل على الوالد وعصبة الوالد، لا على الولد (٩/١١/١١ برقم: ٦٩١٠)، ومسلم في كتاب القسامة، باب دية الجنين (٣/١٣٠٩ برقم: ١٦٨١) من طري ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، عن ابن المسيب، وأبي سلمة بن عبد الرحمن: عن أبي هريرة ؓ.

^(١٣٢) سبل السلام (٣٤٧/٢).

واستدلوا أيضاً بآثار الصحابة - رضي الله عنهم - التي تثبت شبه العمد، وممن روي عنه في هذا الباب: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن مسعود، والمغيرة بن شعبة وأبو موسى الأشعري، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة^(١٣٣).

ورده ابن حزم: بأنه لا حجة في أحد دون رسول الله ﷺ^(١٣٤).

وأجيب: وقد ثبت شبه العمد في غير حديث عن النبي ﷺ، كما تقدم، فالصحابه أخذوا بها، ولم يأتوا بجديد من عندهم، ثم فيهم من الخلفاء الراشدين كعمر وعلي رضي الله عنهما، وقد أمرنا باتباعهما.

القول الثاني: وذهب الظاهرية إلى أن القتل شبه العمد باطل غير معتبر^(١٣٥).

وقالوا: ذكر الله في كتابه القتل على قسمين عمد وخطأ، ولم يجعل قسماً ثالثاً؛ فدل هذا على بطلان هذا النوع وفساده^(١٣٦).

وأجيب عن ذلك: بأنه قد جاء في السنة الصحيحة ما يثبت القتل شبه العمد، والسنة شارحة للقرآن مبيّنة له، وليس القول به خروجاً عن مقتضى النص القرآني؛ ولأنه قد قال به كبار الصحابة الذين هم أعلم الناس بتأويل أي القرآن^(١٣٧).

القول الثالث: يعتبر شبه العمد في قتل الوالد لولده، وما عداه فليس بشبه العمد، وهو مذهب المالكية^(١٣٨). قالوا: ليس في كتاب الله إلا العمد والخطأ، ولم يذكر قسماً ثالثاً؛ لقوله تعالى: **أَأْتِرْتُمْ تَن تَي تَر**^(١٣٩).

واستدلوا أيضاً بقضاء عمر - رضي الله عنه - في حادثة قتادة المدلجي عندما قتل ابنه؛ فإنه جعلها شبه عمد^(١٤٠).

^(١٣٣) انظر: مصنف عبد الرزاق (٩/ ٢٧٧، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥)، والمعجم الكبير للطبراني (٩/ ٣٤٧-٣٤٨/ ٣ ح: ٩٧٢٦-٩٧٢٧)، والأوسط لابن المنذر (١٣/ ٧٧).

^(١٣٤) المحلى بالآثار (١٠/ ٢٧٦).

^(١٣٥) المحلى بالآثار (١٠/ ٢١٤).

^(١٣٦) المحلى بالآثار (١٠/ ٢١٤).

^(١٣٧) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٩).

^(١٣٨) المدونة (٤/ ٥٥٨)، والمنقّى شرح الموطأ (٧/ ١٠١)، والذخيرة للقرافي (١٢/ ٢٨٥).

^(١٣٩) الأنعام: ٣٨.

^(١٤٠) أخرج القصة بتمامها عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٤٠١-٤٠٢/ ٤ ح: ١٧٧٨٠) عن ابن جريج، عن عبد الكريم، وذكر أن قتادة المدلجي....، وفيه "فقالوا: لم يتممه إنما أراد الحذب فأخطأته، فغلظ عمر دينه، فجعلها شبه العمد". وإسناده منقطع، وعبد الكريم لم يدرك عمر رضي الله عنه.

وأجيب: أن قضاء عمر - رضي الله عنه - يثبت شبه العمد، ولم يمنعه في غير الأب. والراجح قول الجمهور في اعتبار شبه العمد إضافة إلى قتل العمد والخطأ؛ لقوة أدلتهم.

قال القرطبي: "وهو الصحيح، فإن الدماء أحق ما احتيط لها؛ إذ الأصل صيانتها في أهْلِها^(١٤١)، فلا تستباح إلا بأمر بين لا إشكال فيه، وهذا فيه إشكال؛ لأنه لما كان متردداً بين العمد والخطأ حكم له بشبه العمد، فالضرب مقصود والقتل غير مقصود، وإنما وقع بغير القصد فيسقط القود وتغلط الدية"^(١٤٢).

٢- يدل الحديث على وجوب الدية في القتل شبه العمد، وهذا محل اتفاق بين القائلين بشبه العمد^(١٤٣).

٣- يدل الحديث على أن دية شبه العمد كدية العمد في تغليظها، إلا أنها تؤدي مؤجلة، وهذا محل إجماع عند القائلين بشبه العمد^(١٤٤). واختلفوا في صفة تغليظها على قولين:

القول الأول: تجب الدية في شبه العمد أثلاثاً: ثلاثون حقة وثلاثون جذعة، وأربعون خلفه في بطونها أولادها. وبهذا قال عطاء، وروي ذلك عن عمر، وزيد، وأبي موسى، والمغيرة رضي الله عنهم^(١٤٥). وهو مذهب الشافعية ورواية عند الحنابلة^(١٤٦).

وأخرج هذا الأثر أيضاً ابن ماجه في كتاب الديات، باب القاتل لا يرث (٣/ ٦٦٢ ح/ ٢٦٤٦) من طريق أبي خالد الأحمر، والإمام مالك (٥/ ١٢٧٣)، (٦٥٣) كلاهما عن يحيى بن سعيد، عن عمرو بن شعيب، أن أبا قتادة رجلاً من بني مدلج قتل ابنه، فأخذ منه عمر مئة من الإبل، ثلاثين حقة، وثلاثين جذعة، وأربعين خلفه، فقال: أين أخو المقتول؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس لقاتل ميراث». وإسناده منقطع، وعمرو بن شعيب لم يدرك زمن عمر ﷺ.

^(١٤١) أي: في أجسادها. والأهْب جمع إهاب وهو الجلد. النهاية (١/ ٨٣).
^(١٤٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٣٢٩)، والسبب أن في قتل شبه العمد شائبة العمد؛ من حيث قصد الجنائية، وشائبة الخطأ؛ من حيث عدم قصد القتل، وضعف الدلالة على أحدهما.
^(١٤٣) انظر: بدائع الصنائع (٧/ ٢٥١)، والمجموع شرح المهذب (١٩/ ٥)، والإنصاف (٩/ ٤٤٦).

^(١٤٤) المغني لابن قدامة (٨/ ٣٧٥).
^(١٤٥) فقد ساق البيهقي بأسانيده عن هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم في السنن الكبرى (٨/ ١٢١-١٢٢).
^(١٤٦) انظر: الإقناع للماوردي (ص: ١٦٤)، وكفاية الأخيار في حل غاية الاختصار (٤٥٥)، والمسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٢/ ٢٧٠).

وحجتهم حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «من قتل متعمداً، دفع إلى أولياء المقتول، فإن شأوا قتلوا، وإن شأوا أخذوا الدية، وهي ثلاثون حقة، وثلاثون جذعة، وأربعون خلفه، وما صالحوا عليه فهو لهم، وذلك لتشديد العقل»^(١٤٧).

واستدلوا أيضاً بحديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً: «ألا وإن كل قتيل خطأ العمد أو شبه العمد قتيل السوط والعصا منها أربعون في بطونها أولادها»^(١٤٨).

والقول الثاني: تجب أربعاً: خمس وعشرون بنت مخاض، وخمس وعشرون بنت لبون، وخمس وعشرون حقة، وخمس وعشرون جذعة. وهو مذهب الحنفية والحنابلة^(١٤٩).

واستدلوا بحديث السائب بن يزيد قال: «كانت الدية على عهد رسول الله ﷺ مائة من الإبل، أربعة أسنان: خمسة وعشرين حقة، وخمسة وعشرين جذعة، وخمسة وعشرين بنات لبون، وخمسة وعشرين بنات مخاض...»^(١٥٠).

وأجيب: أنه حديث ضعيف؛ وفي إسناده أبو معشر نجيب وصالح بن أبي الأخضر، كلاهما ضعيف كما ذكر ابن حجر رحمه الله^(١٥١).

واستدلوا أيضاً بقول ابن مسعود: «شبه العمد خمس وعشرون حقة...»^(١٥٢).

^(١٤٧) تقدم تخريجه.

^(١٤٨) تقدم تخريجه في البحث الأول.

^(١٤٩) انظر: المبسوط للسرخسي (٧٦/٢٦)، ومختصر الخرقى (ص: ١٢٦)، والإنصاف (٥٩/١٠).

^(١٥٠) أخرجه الطبراني المعجم الكبير (٧/ ١٥٠/ح: ٦٦٦٤) من طريق أبي معشر، عن صالح بن أبي الأخضر، عن الزهري، عن السائب بن يزيد به. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤٦٥/٦): "رواه الطبراني، وفيه أبو معشر نجيب، وصالح بن أبي الأخضر وكلاهما ضعيف".

^(١٥١) في المطالب العالية (١٣٤/٢).

^(١٥٢) أخرجه أبو داود (٦/ ٦١١/برقم: ٤٥٥٢)، عن هناد، عن أبي الأحوص، عن أبي إسحاق، عن علقمة والأسود، عن عبد الله بن مسعود موقوفاً. وإسناده ضعيف لعنعة أبي إسحاق - وهو عمرو بن عبد الله السبيعي مدلس ومختلط، وقد اختلط بأخرة، ثم إنه لم يسمع من علقمة بن قيس، واختلف في سماعه أيضاً من الأسود.

وأخرجه أبو يوسف في الآثار (ص: ٢١٩/برقم: ٩٦٦)، عن أبي حنيفة، عن حماد، وعبد الرزاق (٩/ ٢٨٤)، ومن طريق الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٣٤٨/ح: ٩٧٢٩) - عن الثوري، عن منصور، كلاهما عن إبراهيم، عن ابن مسعود. وإبراهيم لم يدرك ابن مسعود.

ولأنه حق يتعلق بجنس الحيوان فلا يعتبر فيه الحمل كالزكاة والأضحية^(١٥٣).
والراجح القول الأول؛ لقوة أدلتهم، وهو أن الدية أثلاث: ثلاثون حقة وثلاثون جذعة وأربعون خلفه، وقد روي هذا عن عمر، وعثمان بن عفان، وعلي، وزيد بن ثابت، والمغيرة بن شعبة، وأبي موسى، فقد ساق البيهقي بأسانيد عن هؤلاء، ثم ذكر قول ابن مسعود، ثم قال: وإذا اختلفوا هذا الاختلاف نقول: من يوافق قول ما رويانا عن النبي ﷺ أولى بالاتباع^(١٥٤).

قال الشيخ الزحيلي: "ودية شبه العمدة: تُخَفَّ من ناحيتين: فرض الدية على العاقلة، والتأجيل بثلاث سنين.

وتُغَلَط من ناحية واحدة: وهي التربع في رأي، والتثليث في رأي آخر"^(١٥٥).
وتجب الدية في هذا النوع من القتل على العاقلة في ثلاث سنين، في كل سنة الثلث، وهو رأي الحنفية والشافعية والحنابلة، وهو المروي عن عمر وعلي وابن عباس - رضي الله عنهم- وبه قال الشعبي والنخعي وقتادة وعبد الله بن عمر وإسحاق وأبو ثور وابن المنذر.

واستدلوا بما روي أن عمر وعليًا قضيا بالدية على العاقلة في ثلاث سنين^(١٥٦)، ولا مخالف لهما في عصرهما فكان إجماعًا، ولأن المروي عنهما كالمروي عن النبي ﷺ؛ لأنه مما لا يعرف بالرأي^(١٥٧).

لكن أنكر هذا الإجماع شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: "فكثير من الفقهاء يقولون لا تكون إلا مؤجلة، كما قضى به عمر رضي الله عنه، ويجعل ذلك بعضهم إجماعًا، وبعضهم قال: لا تكون إلا حالة. والصحيح أن تعجيلها وتأجيلها بحسب الحال والمصلحة فإن كانوا مياسير ولا ضرر عليهم في التعجيل أخذت حالة وإن كان في ذلك مشقة جعلت مؤجلة. وهذا هو المنصوص عن أحمد: أن التأجيل ليس بواجب كما ذكر كثير من أصحابه أنه واجب موافقة لمن ذكر ذلك من أصحاب أبي حنيفة والشافعي ومالك وغيرهم؛ فإن هذا القول في غاية الضعف وهو يشبه قول من يجعل الأمة يجوز لها

^(١٥٣) المغني (٣٧٣/٨).

^(١٥٤) انظر: السنن الكبرى للبيهقي (١٢١/٨-١٢٢).

^(١٥٥) الفقه الإسلامي وأدلتها (٥٧١١/٧).

^(١٥٦) مصنف عبد الرزاق (٤٢٠/٩)، ومصنف ابن أبي شيبة (٤٠٦/٥)، والإشراف على مذاهب العلماء لابن المنذر (٨/٩-١٠). وفي أسانيدهما ضعف. انظر: إرواء الغليل (٧/٣٣٧).

^(١٥٧) الأصل المعروف بالمبسوط للشيباني (٤٦٥/٤)، وتحفة الفقهاء (١٢٠/٣)، والمهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٢٣٨/٣)، والمغني (٣٧٥/٨) وكشاف القناع عن متن الإقناع (٢٠/٦)، وتفسير القرطبي (٥/٣٢١).

نسخ شريعة نبيها؛ كما يقوله بعض الناس من أن الإجماع ينسخ؛ وهذا من أنكر الأقوال عند أحمد. فلا تترك سنة ثابتة إلا بسنة ثابتة ويمتنع انعقاد الإجماع على خلاف سنة إلا ومع الإجماع سنة معلومة نعلم أنها ناسخة للأولى^(١٥٨). وهذا الراجح، والله أعلم.

٤- يدل الحديث على أن الإبل أصل في دية النفس، وهذا محل إجماع^(١٥٩). واختلفوا فيما سواها من الأنواع: كالبقر والأغنام، والذهب والفضة، والحلة (إزار ورداء)، هل هي أبدال في الدية، أم أن الكل أصل فيها، على ثلاثة أقوال: القول الأول: ذهب الإمام الشافعي في الجديد، والإمام أحمد في رواية، والظاهرية إلى أن الأصل في الدية الإبل، وما سواها من الأنواع كالذهب والفضة وغيرهما أبدال^(١٦٠)، فلا تؤخذ الدية من غيرها مع وجودها؛ فإن عدمت الإبل فوجبت قيمتها بالغة مهما بلغت^(١٦١).

حجتهم: أ- حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما - السابق.
ب- حديث محمد بن عمرو بن حزم، أن النبي ﷺ كتب لعمر بن حزم كتاباً إلى أهل اليمن، فيه الفرائض والسنن والديات، وقال فيه: «وإن في النفس مائة من الإبل»^(١٦٢).

ت- ولأنه ﷺ فرق بين دية العمد وشبهه، وبين دية الخطأ، فغلظ في الأول، وخفف في الثاني، ولا يتحقق التفريق المشار إليه في غير الإبل^(١٦٣).

^(١٥٨) مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٥٦).
^(١٥٩) انظر: المجموع شرح المذهب (٧/ ١٩)، والمغني لابن قدامة (٨/ ٣٦٧).
^(١٦٠) انظر: البيان للعمرائي (٤٩١/ ١١)، وروضة الطالبين (٢٥٥/ ٩)، والإنصاف (٥٨/ ١٠)، والمحلى (٢٨٦/ ١٠).
^(١٦١) انظر: شرح السنة للبيهقي (١٠/ ١٩٠)، وشرح المشكاة للطبري (٨/ ٢٤٨٢).
^(١٦٢) أخرجه النسائي، في كتاب الديات، ذكر حديث عمرو بن حزم في العقول واختلاف الناقلين له، (٨/ ٥٧-٥٨: ٤٨٥٣-٤٨٥٤)، ومالك في الموطأ (٥/ ١٢٤٣) من طريق أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، عن جده، عمرو بن حزم، به. والحديث مرسل، لكن أئمة الحديث صححوه، لثبوت الكتاب وشهرته، وتلقي العلماء إياه. قال ابن عبد البر في التمهيد (١٧/ ٣٣٨): "وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد، لأنه أشبه التواتر في مجيئه، لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة"، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٤/ ٣٧): "وقد صحح الحديث بالكتاب المذكور جماعة من الأئمة، لا من حيث الإسناد، بل من حيث الشهرة"، وقد ذكر له الزيلعي في نصب الراية (١/ ١٩٦-١٩٨): جملة من الطرق والشواهد يثبت الحديث بمجموعها. وصححه الألباني في إرواء الغليل (٧/ ٣٠٠، ٣٠٣).

ج- ويؤيده أن دية ما دون النفس من الأعضاء، والأسنان، والكسور، إنما وردت في الأحاديث مقدرة بالإبل^(١٦٤).

القول الثاني: وذهب الحنفية، والمالكية، والشافعية في القديم إلى أن الدية ثلاثة أصول: الإبل والذهب والفضة^(١٦٥). حجتهم:

أ- عن عمرو بن شعيب، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: «إني لخائف أن يأتي من بعدي من يهلك دية المرء المسلم، فلاقولن فيها قولاً: على أهل الإبل مائة بغير وعلى أهل الذهب ألف دينار، وعلى أهل الورق اثنا عشر ألف درهم»^(١٦٦).

ب- حديث ابن عباس: «قتل رجل رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فجعل النبي ﷺ دية اثني عشر ألفاً»^(١٦٧). أي: من الدراهم، وهي من الفضة. وأجيب: أن هذين الحديثين ضعيفان.

القول الثالث: وذهب طائفة من أهل العلم، منهم: عطاء، وطاوس، وفقهاء المدينة السبعة، والثوري وابن أبي ليلى، وأحمد -في رواية- إلى أن أصول الدية خمسة: الإبل والذهب والفضة والبقر والغنم^(١٦٨)، وزاد عليها أبو يوسف ومحمد من أصحاب أبي حنيفة، وأحمد في رواية: الحلل، فتكون أصول الدية ستة أجناس^(١٦٩). حجتهم:

^(١٦٣) المغني (٣٦٨/٨)، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام (٦/ ١٣٩).

^(١٦٤) توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٦/ ١٣٩).

^(١٦٥) انظر: مختصر القدوري (ص: ١٨٧)، والإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٨٢٦)، والتهذيب في فقه الإمام الشافعي (٧/ ٢١٤).

^(١٦٦) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٨/ ١٣٩ ح: ١٦١٨٤)، وإسناده منقطع، وعمرو بن شعيب لم يدرك عمر رضي الله عنه.

^(١٦٧) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب الدية، كم هي؟ (٦/ ٦٠٥ ح: ٤٥٤٦)، والترمذي باب ما جاء في الدية كم هي من الدراهم؟ (٣/ ٦٤ ح: ١٣٨٨)، والنسائي في كتاب القسامة، باب ذكر الدية من الورق (٨/ ٤٤ ح: ٤٨٠٣)، وابن ماجه في كتاب الديات باب دية الخطأ (٣/ ٦٤٩ ح: ٢٦٢٩) من طريق محمد بن مسلم، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس، به.

ومحمد بن مسلم -وهو الطائفي- صدوق يخطيء من حفظه، وقد انفرد بوصله، وخالفه من هو أوثق منه، فرواه مرسلأ؛ كما قال أبو داود: رواه ابن عيينة عن عمرو، عن عكرمة، عن النبي ﷺ. وقد أخرجه الترمذي بإثر الرواية السابقة (ح: ١٣٨٩) عن سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، عن سفيان بن عيينة، به مرسلأ.

^(١٦٨) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (١٠/ ٥٨).

^(١٦٩) انظر: الأصل المعروف بالمبسوط للشيباني (٤/ ٤٥٢)، والمسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين (٢/ ٢٧٢).

أ- حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «كانت قيمة الدية على عهد رسول الله ﷺ ثمانمائة دينار، أو ثمانية آلاف درهم، قال: وكانت دية أهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم، قال: فكانت كذلك، حتى استخلف عمر، فقام خطيباً، فقال: إن الإبل قد غلت، ففرضها عمر على أهل الذهب: ألف دينار، وعلى أهل الورق: اثني عشر ألف درهم، وعلى أهل البقر: مائتي بقرة، وعلى أهل الشاة: ألفي شاة، وعلى أهل الحلل: مائتي حلة، قال: وترك دية أهل الذمة، لم يرفعها فيما رفع من الدية»^(١٧٠).

وهذا كان بمحضر من الصحابة فكان إجماعاً^(١٧١). وأجيب عن ذلك: أن إيجاب عمر ﷺ لما سوى الإبل كان على سبيل التقويم؛ من أجل غلاء الإبل، ولو كانت الأنواع الأخرى أصولاً بنفسها، لم يكن إيجابها تقويماً للإبل، ولا كان لغلاء الإبل أثر في ذلك، ولا كان لذكره معنى، وهذا التقويم يكون في كل زمان بحسبه^(١٧٢).

ب- حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «قضى رسول الله ﷺ أن من كان عقله في البقر، على أهل البقر مائتي بقرة، ومن كان عقله في الشاة ألفي شاة»^(١٧٣).

وعلى هذا الرأي فأى شيء أحضره من عليه الدية من الجاني أو العاقلة من هذه الأصول لزم الولي أو المجني عليه أخذه، ولم يكن له المطالبة بغيره، سواء أكان من

^(١٧٠) أخرجه أبو داود في الديات، باب الدية كم هي؟ (٦/ ٦٠١ ح: ٤٥٤٢) عن يحيى بن حكيم، عن عبد الرحمن بن عثمان، عن حسين المعلم، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. وفي إسناده عبد الرحمن بن عثمان بن أمية، وهو ضعيف، كما قال الحافظ في التقریب (برقم: ٣٩٤٣).

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٩/ ١٢٧ ح: ٢٧٢٦٣) عن وكيع، عن ابن أبي ليلى، عن الشعبي، عن عبيدة السلماني قال: وضع عمر الديات، ... وفيه: وعلى أهل الورق عشرة آلاف... بدل اثني عشر ألف درهم.

^(١٧١) المبسوط للسرخسي (٢٦/ ٧٥)، وبدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٧/ ٢٥٤)، والإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٨٢٥)، والكافي في فقه الإمام أحمد (٤/ ١٤).

^(١٧٢) المغني (٨/ ٣٦٨)، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام (٦/ ١٣٩).

^(١٧٣) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب ديات الأعضاء (٦/ ٦٢٠ ح: ٤٥٦٤)، والنسائي في كتاب القسامة، ذكر الاختلاف على خالد الحذاء (٨/ ٤٢ ح: ٤٨٠١) وابن ماجه في كتاب الديات، باب دية الخطأ (٣/ ٦٥٠ ح: ٢٦٣٠) من طريق محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده. وهو حديث حسن.

أهل ذلك النوع أم لم يكن؛ لأنها أصول في قضاء الواجب يجرى واحد منها، فكانت الخيرة إلى من وجبت عليه^(١٧٤).
والذي يظهر أن القول الأول هو الراجح؛ لقوة أدلتهم، وهو الأصل في الدية الإبل، والأجناس الباقية أبدال عنها، والله أعلم.
قال ابن العثيمين: "إن الأصل في الديات هي الإبل وإن ما ذكر في الأحاديث فهو من باب تقدير الإبل بالقيمة، وكانت في ذلك الوقت تساوي هذه القيمة"^(١٧٥).
وإذا أحضر العاقلة ما سوى الإبل فلا بد من موافقة من هي له.
ولولي الأمر أن يجعل الديات من أي صنف من هذه الأصناف إذا رأى فيه المصلحة واليسر على الناس^(١٧٦).
٥- والحديث يدل على أن تغليظ الدية خاص في الإبل في القتل شبه العمد ولا تغلظ في غير الإبل؛ إذ لم يرد النص في غير الإبل، لذلك يقتصر فيها على التوقيف^(١٧٧).
٦- يدل الحديث على أنه لا قصاص في القتل شبه العمد، وهذا محل اتفاق عند القائلين بشبه العمد لتمكن الشبهة^(١٧٨).
٧- يدل الحديث على أن الدية في شبه العمد تكون مغلفة، وتجب على عاقلة الجاني وبه قال جمهور القائلين بشبه العمد^(١٧٩).
واستدلوا أيضاً بحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: اقتتل امرأتان من هذيل، فرمت إحدهما الأخرى بحجر فقتلتها وما في بطنها، فاختموا إلى النبي ﷺ، «فقضى أن دية جنيها غرة: عبد أو وليدة، وقضى أن دية المرأة على عاقلتها»^(١٨٠).
وقال ابن سيرين والزهري، والحاتر العكلي وابن شبرمة وقتادة، وأبو ثور: إنها تجب على القاتل في ماله؛ لأنها موجب فعل قصده، فلم تحمله العاقلة، كالعمد المحض، ولأنها دية مغلفة، فأشبهت دية العمد، ورواية عن أحمد^(١٨١).

^(١٧٤) المغني لابن قدامة (٨ / ٣٦٩).

^(١٧٥) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٥ / ٢٨٠).

^(١٧٦) موسوعة الفقه الإسلامي (٥ / ٧٦).

^(١٧٧) انظر: الهداية في شرح بداية المبتدي (٤ / ٤٦٠)، واللباب في شرح الكتاب (٣ / ١٥٢)، وكشاف القناع (٦ / ١٩).

^(١٧٨) انظر: المبسوط للرخسي (٢٦ / ٦٥)، والحاوي الكبير (١٢ / ٢١٤)، وكشاف القناع (٥ / ٥١٢).

^(١٧٩) سيأتي ذكر من خالفهم.

^(١٨٠) تقدم تخريجه عن قريب.

^(١٨١) انظر: المغني (٨ / ٣٧٥)، والجامع لأحكام القرآن (٧ / ٣٧)، والشرح الكبير (٩ / ٦٥٧).

وأجيب: أن هذا قياس في مقابلة النص، فيكون باطلاً.
٨- يدل الحديث على أن دية شبه العمد كدية الخطأ في وجوبها على عاقلة الجاني.
وهذا باتفاق جمهور القائلين بشبه العمد^(١٨٢).
من هم العاقلة في الشرع- الذين يتحملون الدية؟
وقد اختلف أهل العلم في تعيين العاقلة الذين تلزمهم الدية في القتل شبه العمد والخطأ على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة وابن حزم، إلى أن العاقلة عصابة الجاني، وهم أقرباؤه من جهة الأب: الإخوة وبنوهم، ثم الأعمام وبنوهم، ثم أعمام الأب وبنوهم، ثم أعمام الجد وبنوهم. ويدخل فيهم: الأعمى، والهرم، إن كانوا أغنياء، ولا يدخل في العاقلة: أنثى، ولا فقير، ولا صغير، ولا مجنون، ولا مخالف لدين الجاني؛ لأن مبنى هذا الأمر على النصرة، وهؤلاء ليسوا من أهلها^(١٨٣).
واستدلوا بحديث أبي هريرة - في قصة المرأتين المقتلتين - وفيه: «... ثم إن المرأة التي قضى عليها بالغرة توفيت، ف قضى رسول الله ﷺ بأن ميراثها لبنيتها وزوجها، وأن العقل على عصبتها»^(١٨٤).

وحديث المغيرة بن شعبه: «فجعل رسول الله ﷺ دية المقتولة على عصابة القاتلة»^(١٨٥).

القول الثاني: إن عاقلة القاتل أهل ديوانه (إن كان القاتل من أهل الديوان) وهم أهل الرايات الذين يشتركون معه في سجل واحد للجهاد إن كان مجاهداً، أو أهل حرفته إن كان صاحب حرفة، أو أهل قريته إن كان مقيماً بها، وكل من يستنصر بهم، فإن لم يكن له ديوان فعاقلته عصبته. وهو مذهب أبي حنيفة والليث والثوري^(١٨٦).
واستدلوا بحديث أبي هريرة نفسه: «ف قضى رسول الله ﷺ بأن ميراثها لبنيتها وزوجها، وأن العقل على عصبتها»^(١٨٧) قال شيخ الإسلام: "فالوارث (الابن من العصابة) غير العاقلة"^(١٨٨).

^(١٨٢) الجامع لأحكام القرآن (٣٧/٧).

^(١٨٣) انظر: روضة الطالبين (٩/ ٣٤٩)، ومغني المحتاج للشربيني (٤/ ٩٥-٩٦)، والمغني لابن قدامة (٨/ ٣٩٠)، والقوانين الفقهية لابن جزي (ص: ٢٢٨)، وحاشية الدسوقي (٤/ ٢٨٢)، والمحلى لابن حزم (١١/ ٣٥٩).

^(١٨٤) تقدم تخريجه.

^(١٨٥) أخرجه مسلم في كتاب القسامة، باب دية الجنين (٣/ ١٣١٠ ح: ١٦٨٢).

^(١٨٦) انظر: المبسوط (٦٦/٢٦)، (١٢٦/٢٧)، (١٢٥)، والهداية (٤/ ٥٠٦-٥٠٧)، والاختيار لتعليل المختار (٥/ ٥٩).

^(١٨٧) تقدم تخريجه.

ولأن عمر بن الخطاب ؓ عندما دَوَّن الدواوين جعل الدية على أهل الديوان»^(١٨٩). قالوا: وقد قضى عمر بذلك بمحضر من الصحابة ولم ينكر عليه منكر فكان إجماعاً^(١٩٠).

وقال القرطبي: "وأجمع أهل السير والعلم أن الدية كانت في الجاهلية تحملها العاقلة فأقرها رسول الله ﷺ في الإسلام، وكانوا يتعاقلون بالنصرة، ثم جاء الإسلام فجرى الأمر على ذلك حتى جعل عمر الديوان. واتفق الفقهاء على رواية ذلك والقول به. وأجمعوا أنه لم يكن في زمن رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ديوان، وأن عمر جعل الديوان وجمع بين الناس، وجعل أهل كل ناحية يدًا، وجعل عليهم قتال من يليهم من العدو"^(١٩١).

والذي يظهر أن القول الأول هو الراجح لقوة أدلهم، وقد ناط النبي ﷺ الدية بالعصبة دون غيره بقوله: «دية المقتولة على عصبة القاتلة»، كما في حديثي أبي هريرة والمغيرة المتقدمين.

قال الإمام الشافعي: لم أعلم مخالفاً أن رسول الله ﷺ قضى بالدية على العاقلة وهذا أكثر من حديث الخاصة ولم أعلم مخالفاً في أن العاقلة العصبة وهم القرابة من قبل الأب وقضى عمر بن الخطاب على علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - بأن يعقل عن موالي صفية بنت عبد المطلب وقضى للزبير بميراثهم؛ لأنه ابنها"^(١٩٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - "النبي ﷺ قضى بالدية على العاقلة وهم: الذين ينصرون الرجل ويعينونه وكانت العاقلة على عهده هم عصيته، فلما كان في زمن عمر جعلها على أهل الديوان؛ ولهذا اختلف فيها الفقهاء، فيقال: أصل ذلك أن العاقلة هم محدودون بالشرع أو هم من ينصره ويعينه من غير تعيين، فمن قال بالأول لم يعدل عن الأقارب؛ فإنهم العاقلة على عهده، ومن قال بالثاني جعل العاقلة في كل زمان ومكان من ينصر الرجل ويعينه في ذلك الزمان والمكان. فلما كان في عهد النبي ﷺ إنما ينصره ويعينه أقاربه كانوا هم العاقلة؛ إذ لم يكن على عهد النبي ﷺ ديوان ولا عطاء فلما وضع عمر الديوان كان معلوماً أن جند كل مدينة ينصر بعضه بعضاً ويعين بعضه بعضاً وإن لم يكونوا أقارب فكانوا هم العاقلة. وهذا أصح القولين".

^(١٨٨) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٥٦)، وسيأتي كلامه مفصلاً في الترجيح.
^(١٨٩) أخرجه ابن أبي شيبة (٥ / ٣٩٦) وبنحوه عبد الرزاق (٩ / ٤٢٠)، وأبو يوسف في كتاب «الأثار» (٩٨٠)، وفي أسانيدنا انقطاع.
^(١٩٠) اللباب في شرح الكتاب (٣ / ١٧٨).
^(١٩١) تفسير القرطبي (٥ / ٣٢١).
^(١٩٢) الأم للشافعي (٦ / ١٢٤).

ثم قال: "وأنها تختلف باختلاف الأحوال، وإلا فرجل قد سكن بالمغرب وهناك من ينصره ويعينه كيف تكون عاقلته من بالشرق في مملكة أخرى ولعل أخباره قد انقطعت عنهم" (١٩٣).

واختلفوا هل يدخل الأب والابن في العاقلة؟

القول الأول: ذهب الشافعية وأحمد في رواية إلى أن الأب والابن لا يدخلان مع العاقلة؛ لأنهما أصله وفرعه، وما دام أنَّ الجاني لا يتحمل من الدية شيئاً فأصله وفرعه لا يتحملان أيضاً، (١٩٤) لحديث أبي هريرة في قصة اقتتال المرأتين وفيه: «...» «... فقضى رسول الله ﷺ أن ميراثها لبنيتها وزوجها، وأن العقل على عصبتها» (١٩٥)، ويلحق الأب بالابن في التبرئة من الدية.

والقول الثاني: أن كل العصبة من العاقلة، يدخل فيه أباء القاتل، وأبنائه، مع إخوته، وعمومته، وأبنائه. وهذا مذهب الحنيفة والمالكية وأحمد في رواية (١٩٦).
حجتهم:

أ- حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: «قضى رسول الله ﷺ أن عقل المرأة بين عصبتها، من كانوا، لا يرثون منها شيئاً إلا ما فضل عن ورثتها، وإن قتلت فعقلها بين ورثتها» (١٩٧).

وجه الاستدلال من الحديث أن الابن من العصبة، وبأخذ ما فضل عن الفرائض المقدرة، وكذلك الأب يكون عصبة عند عدم وجود الابن للميت.
وأجيب: بل الحديث يدل على أن الأب لا يدخل في العاقلة؛ لأنه قد يسهم له السدس، وإنما العاقلة للأعمام وأبناء العمومة ومن كان في معناهم من العصبة، فليس لهم السهم (١٩٨).

(١٩٣) مجموع الفتاوى (١٩ / ٢٥٦).

(١٩٤) الحاوي الكبير (١٢ / ٣٤٣-٣٤٤)، والمسائل الفقهية من كتاب الروايتين (٢ / ٢٨٧).

(١٩٥) أخرجه البخاري في الفرائض، باب ميراث المرأة والزوج مع الولد (٨ / ١٥٢ ح: ٦٧٤٠)، ومسلم في القسامة، باب دية الجنين (٣ / ١٣٠٩ ح: ١٦٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١٩٦) انظر: الاختيار لتعليل المختار (٥ / ٦٠)، والتاج والإكليل (٨ / ٣٤٨)، والشرح الكبير على متن المقنع (٩ / ٦٤٣).

(١٩٧) أخرجه أبو داود في كتاب: الديات، باب ديات الأعضاء (٦ / ٦٢١ ح: ٤٥٦٤)، والنسائي في كتاب القسامة، باب كم دية شبه العمدة (٨ / ٤٢ ح: ٤٨٠١)، وابن ماجه في كتاب الديات، باب عقل المرأة على عصبتها، وميراثها لولدها (٣٦٦٣ ح: ٢٦٤٧) من طريق محمد بن راشد عن سليمان بن موسى عن عمرو بن شعيب به.

وإسناد حسن، والحديث حسنه الألباني في إرواء الغليل (٧ / ٣٣٢).

أما الابن فلا يدخل معهم لقضاء رسول الله ﷺ أن ميراثها لبنيتها وزوجها، كما تقدم.
ب- ولأنهم عصبية، فأشبهوا الإخوة، يحققه أن العقل موضوع على التناصر، وهم من أهله، ولأن العصبية في تحمل العقل كهم في الميراث، في تقديم الأقرب فالأقرب، وأبأؤه وأبنأؤه أحق العصبات بميراثه، فكانوا أولى بتحمل عقله^(١٩٩).

واختلفوا أيضاً هل يشترك القاتل في تحمل الدية مع العاقلة؟

القول الأول: ذهب الحنفية إلى أن الجاني يتحمل الدية مع العاقلة فيكون كأحدهم؛ لأن الوجوب عليهم باعتبار النصرة، ولا شك أنه ينصر نفسه كما ينصر غيره، ولأنهم تحملوا جنايته فكان هو أحق بالتحمل^(٢٠٠).

القول الثاني: لا يشترك في الدية الجاني عند الشافعية والحنابلة^(٢٠١).

لأن النبي ﷺ قضى بالدية على العاقلة ولم يكن الجاني من ضمنها.

القول الثالث: لا تحمل العاقلة شبه العمد ويكون في مال القاتل؛ لأنها موجب فعل قصده، فلم تحمله العاقلة، كالعمد المحض، ولأنها دية مغلفة، فأشبهت دية العمد. وهو قول جماعة من أهل العلم، وفي رواية عن أحمد^(٢٠٢).

والذي يظهر أن القول الثاني هو الراجح، لأن الأصل حرمة مال المسلم إلا بنص^(٢٠٣).

هل تجب الكفارة على القاتل في شبه العمد؟

الكفارة: وهو إعتاق رقبة مؤمنة، فإن لم يجد الرقبة لضيق ذات اليد، أو لعدم وجودها كان عليه أن يصوم شهرين متتابعين، كما نصّ على ذلك قوله تعالى: أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ { ^(٢٠٤).

إلا أن هذه الكفارة وجبت في القتل الخطأ، ولم يأت النص في وجوبها في القتل شبه العمد؛ ولهذا اختلف الفقهاء في وجوبها في شبه العمد على قولين:

القول الأول: ذهب الشافعية والحنابلة والكرخي من الحنفية إلى وجوب الكفارة في القتل شبه العمد^(٢٠٥).

^(١٩٨) انظر: معالم السنن (٤ / ٣٠).

^(١٩٩) المجموع شرح المذهب (١٩ / ١٥٤)، والمغني (٨ / ٣٩١). الشرح الكبير على متن المقنع (٩ / ٦٤٣).

^(٢٠٠) شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٥ / ٤١٤)، وبدائع الصنائع (٧ / ٢٥٥).

^(٢٠١) انظر: الحاوي الكبير (١٣ / ١٠٧)، وشرح منتهى الإرادات (٣ / ٣٢٦).

^(٢٠٢) تقدم هذا في المسألة السابعة.

^(٢٠٣) صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة (٤ / ٢٤١).

^(٢٠٤) النساء: ٩٢.

لأنه يشبه قتل الخطأ من جهة عدم قصد القتل، نظرًا إلى الآلة، يدخل تحت قوله تعالى
﴿أَوْ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾^(٢٠٦).
ولأنه أجري مجرى الخطأ في نفي القصاص^(٢٠٧).
ولأن الحاجة إلى التكفير في شبه العمد أمسّ منها إليه في القتل الخطأ؛ لأن الكفارة
لستر الذنب، والذنب في القتل شبه العمد أعظم.
ولأن ذنب شبه العمد دائر بين الأدنى والأعلى فالحاقه بالأدنى أولى طلبًا للتخفيف؛
فلذا وجبت فيه الكفارة^(٢٠٨).
القول الثاني: وقال الحنفية عدا الكرخي: لا تجب الكفارة في القتل شبه العمد المحض،
لأن هذه جناية مغلظة والمواخذة فيها ثابتة^(٢٠٩).
لعل الراجح القول الأول، والله أعلم.
- إذا لم يكن للجاني عاقلة تحمل الدية؛ لكونهم إنثاءً، أو فقراء، أو ما أشبه ذلك أُدِّيت
عنه الدية من بيت المال، فإن تعذر الأخذ من بيت المال فتجب الدية على القاتل لعموم
قوله تعالى: ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ﴾^(٢١٠) وإنما سقط عن القاتل لقيام العاقلة مقامه،
فإن لم يأخذها منهم بقي واجبًا عليه بمقتضى الدليل؛ لأن الأمر -في هذه الحالة- دائر
بين أن يذهب دم المقتول هدرًا بلا تعويض وبين إيجاب ديته على الجاني، ولما كان
إهدار دم المقتول لا يجوز لمخالفته للكتاب والسنة وقياس أصول الشريعة فتعيّن على
الجاني تحمّلها من ماله بحسبه^(٢١١).
لكن قال ابن العثيمين: "والصحيح أنه إذا لم يكن له عاقلة فعليه، فإن لم يكن هو واجدًا
أخذنا من بيت المال؛ وذلك لأن الأصل أن الجناية على الجاني، وحُمِلَت العاقلة من
باب المعاونة والمساعدة^(٢١٢)".

^(٢٠٥) انظر: بداية المبتدي (ص: ٢٤٤)، والمهذب (٣/ ٢٤٨)، وكشاف القناع (٦/ ١٢٢).

^(٢٠٦) النساء: ٩٢.

^(٢٠٧) انظر: الشرح الكبير على متن المقنع (٩/ ٦٧١).

^(٢٠٨) انظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق (٨/ ٣٣٣).

^(٢٠٩) انظر: المبسوط للسرخسي (٦٧/ ٢٦).

^(٢١٠) النساء: ٩٢.

^(٢١١) انظر: الأم للشافعي (٤/ ٢٢٤)، والتدريب في الفقه الشافعي (٢/ ٨٨)، ومنار السبيل

في شرح الدليل (٢/ ٣٥٧).

^(٢١٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (١٤/ ١٧٩).

هل يرث القاتل المقتول في القتل شبه العمد؟

اتفق الأئمة الثلاثة أبو حنيفة والشافعي وأحمد أن القاتل لا يرث من مال المقتول في شبه العمد^(٢١٣)، لعموم قوله: ﷺ: «ليس للقاتل شيء، وإن لم يكن له وارث، فوارثه أقرب الناس إليه، ولا يرث القاتل شيئاً»^(٢١٤).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، قال: قال رسول الله ﷺ: من قتل قتيلاً فإنه لا يرثه، وإن لم يكن له وارث غيره، وإن كان والده أو ولده، فليس لقاتل ميراث^(٢١٥).
والحديث عام في كل قاتل.

ولأن فيه توهمًا، وقصد الوارث قتل مورثه قائم، ويجوز أن يكون قاصدًا وأظهر الخطأ من نفسه، والقصد أمر خفي فيقام السبب وهو مباشرة القتل مقام قصده، والسبب الظاهر متى أقيم مقام المعنى الخفي سقط اعتبار الخفاء. والأحكام إنما تبني على الظاهر المعروف، فحكم بالظاهر فيما يتعذر الإطلاع على حقيقته^(٢١٦).

قال البغوي: "والعمل عليه عند عامة أهل العلم أن من قتل مورثه لا يرث، عمدًا كان القتل أو خطأ، من صبي أو مجنون أو بالغ عاقل"^(٢١٧).

المطلب الثالث: فوائد الحديث.

١- في الحديث ردّ على من يقول: الإسلام هو القرآن وحده، وكذلك ردّ على من يردّ خبر الأحاد.

٢- تعظيم الشارع للنفس الإنسانية.

٣- حرص الشرع على التعاون والتناصر بين الأقرباء خاصة، والمسلمين عامة.

٤- قد يأتي القتل من غير عداوة ولا ضغينة، ولا حمل سلاح، والسبب هو الشيطان

^(٢١٣) انظر: شرح مختصر الطحاوي للجصاص (٧٣ / ٤)، والتمهيد (٢٣ / ٤٤٣)، والشافعي في شرح مسند الشافعي (٥ / ٢٢١)، والمغني لابن قدامة (٦ / ٣٦٥). وكذلك عندهم لا يرث القاتل في القتل الخطأ، لكن عند المالكية في الخطأ يرث القاتل من مال مورثه، ولا يرث من ديبته، وهو الراجح.

^(٢١٤) أخرجه أبو داود في كتاب الديات، باب ديات الأعضاء (٦ / ٦٢٠ ح: ٤٥٦٤)، والنسائي في القسامة، باب كم دية شبه العمد (٨ / ٤٢ ح: ٤٨٠١) من طريق محمد بن راشد، عن سليمان بن موسى، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، واللفظ لأبي داود، وهو حديث حسن.

^(٢١٥) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦ / ٣٦١ ح: ١٢٢٤٢). وفي إسناده عمرو بن برق ضعيف.

^(٢١٦) انظر: علم الفرائض والمواريث في الشريعة الإسلامية لمحمد خير المقتي (ص: ٥٢).

^(٢١٧) شرح السنة (٨ / ٣٦٧).

اللعين.

الخاتمة: وفيه أهم نتائج البحث والتوصيات:

- ١- أن حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، في عقل شبه العمد صحيح لغيره.
- ٢- وأنه أصل في إثبات شبه العمد.
- ٣- حقيقة شبه العمد استعمال آلة من العادة ألا تقتل كالسوط والعصا ونحوها.
- ٤- جمهور العلماء على تقسيم القتل إلى عمد وشبه عمد وخطأ.
- ٥- أن الأصل في الدية الإبل، فغيرها من الأجناس الخمسة أبدال على الراجح.
- ٦- لا خلاف بين أهل العلم في تأجيل دية شبه العمد، وأنها على العاقلة.
- ٧- دية شبه العمد مغلظة مائة من الإبل تقسم أثلاثاً على الراجح من أقوال أهل العلم.
- ٨- القاتل في شبه العمد لا يرث من مال المقتول ولا من ديته.
- ٩- ومن النتائج أن شبه العمد وقتل العمد يشتركان في قصد الجناية، وتغليظ الدية، والعفو.

وبخلافان فيما يلي:

شبه العمد	العمد
الآلة لا تقتل غالباً	الآلة تقتل غالباً
لا قصاص فيه	فيه القصاص
الدية على العاقلة	الدية في مال القاتل خاصة
الدية مؤجلة في ثلاث سنين.	الدية حالة (فوراً)
فيه كفارة	عدم وجوب الكفارة، لأن فيه حد (قصاص)، والحدود كفارة لأهلها

وأخيراً أوصي الباحثين أن يعتنوا بخدمة السنة بشتى أشكالها. وصى الله على نبيينا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. الآثار، للقاضي أبي يوسف: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري (ت: ١٨٢هـ)، المحقق: أبو الوفاء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.
٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن حبان: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان أبو حاتم، الدارمي، البستي (ت: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: ٧٣٩هـ)، حققه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤. أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربي: القاضي محمد بن عبد الله المعافري الاشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٥. أحوال الرجال: إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق (ت: ٢٥٩هـ)، المحقق: عبد العليم عبد العظيم البستوي، دار النشر: حديث اكادمي - فيصل آباد، باكستان.
٦. الاختيار لتعليل المختار، لأبي الفضل مجد الدين عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي، الحنفي (ت: ٦٨٣هـ)، تعليق: الشيخ محمود أبو دقيقة، الناشر: مطبعة الحلبي - القاهرة، تاريخ النشر: ١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م.
٧. إرواء الغليل في تخریج أحاديث منار السبيل، للألباني: محمد ناصر الدين (ت: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
٨. الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
٩. الإشراف على مذاهب العلماء، لابن المنذر: محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت: ٣١٩هـ)، المحقق: صغیر أحمد الأنصاري، الناشر: مكتبة مكة الثقافية، رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٠. الإشراف على نكت مسائل الخلاف، للقاضي عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (ت: ٤٢٢هـ)، المحقق: الحبيب بن طاهر، الناشر: دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
١١. الأصل المعروف بالمبسوط، لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني (ت: ١٨٩هـ)، المحقق: أبو الوفاء الأفغاني، الناشر: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية - كراتشي.

١٢. الإقناع في الفقه الشافعي، للماوردي: أبي الحسن علي بن محمد (ت: ٤٥٠هـ).
١٣. الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب الشربيني: شمس الدين، محمد بن أحمد (ت: ٩٧٧هـ)، المحقق: مكتب البحوث والدراسات - دار الفكر، الناشر: دار الفكر - بيروت.
١٤. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (ت: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت - لبنان.
١٥. إكمال المعلم بفوائد مسلم: للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحيى إسماعيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٦. الأم للشافعي: أبي عبد الله محمد بن إدريس المطلبي القرشي المكي (ت: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
١٧. الأم، للإمام الشافعي: محمد بن إدريس، المحقق: رفعت فوزي عبد المطلب، دار النشر: دار الوفاء البلد: المنصورة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ٢٠٠١ م.
١٨. الأنساب، للسمعاني: عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت: ٥٦٢هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م.
١٩. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر: أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت: ٣١٩هـ)، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد بن محمد حنيف، الناشر: دار طيبة - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م.
٢٠. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم الحنفي: زين الدين بن إبراهيم بن محمد (ت: ٩٧٠هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية - بدون تاريخ.
٢١. بداية المبتدي في فقه الإمام أبي حنيفة للمزغيناني: أبي الحسن علي بن أبي بكر (ت: ٥٩٣هـ)، الناشر: المحقق: طلال يوسف، الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبح - القاهرة.
٢٢. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٢٣. بيان الوهم والإيهام في كتاب الأحكام، لابن القطان: علي بن محمد الفاسي، (ت: ٦٢٨هـ)، المحقق: د. الحسين آيت سعيد، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٢٤. البيان في مذهب الإمام الشافعي: أبي الحسين يحيى بن أبي الخير العمراني اليمني الشافعي (ت: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر: دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
٢٥. تاريخ ابن معين (رواية الدوري): أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (ت: ٢٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد محمد نور سيف، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.
٢٦. تاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين: أبي حفص، عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي (ت: ٨٥هـ)، المحقق: صبحي السامرائي، الناشر: الدار السلفية - الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤هـ.
٢٧. التاريخ الكبير، للإمام أبي عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، ط: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
٢٨. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٩. تحفة الفقهاء، لمحمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي (ت: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
٣٠. التدريب في الفقه الشافعي المسمى بـ «تدريب المبتدي وتهذيب المنتهي، لسراج الدين أبي حفص عمر بن رسلان البلقيني الشافعي، حقه: أبو يعقوب نشأت بن كمال المصري، الناشر: دار القبلتين، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
٣١. تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني: أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن أحمد ابن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ - ١٩٨٦م.
٣٢. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

٣٣. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب.

٣٤. تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٣٥. تهذيب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

٣٦. تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠.

٣٧. تهذيب اللغة، للأزهري: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي (ت: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٣٨. التهذيب في فقه الإمام الشافعي، لمحيي السنة البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٣٩. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، لعبد الله البسام: أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن البسام التميمي (ت: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٣هـ.

٤٠. التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن: سراج الدين أبي حفص عمر بن علي الشافعي المصري (ت: ٨٠٤هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق - سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٤١. جامع التحصيل في أحكام المراسيل: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلاي بن عبد الله الدمشقي العلائي (ت: ٧٦١هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ - ١٩٨٦.

٤٢. جامع الترمذي، للإمام الترمذي: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨م.

٤٣. جامع العلوم في اصطلاحات الفنون = دستور العلماء: القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري (ت: ق ١٢هـ)، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٤٤. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٤٥. الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي، الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن - الهند، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م.
٤٦. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي المالكي (ت: ١٢٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٤٧. الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، للماوردي: أبي الحسن، علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (ت: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤٨. الخرقى على مذهب أبي عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، لأبي القاسم، عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقى (ت: ٣٣٤هـ)، الناشر: دار الصحابة للتراث، الطبعة: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٩. دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، منصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي (ت: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥٠. دليل الطالب لنيل المطالب: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ت: ١٠٣٣هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
٥١. الذخيرة، للقرافي: أبي العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي (ت: ٦٨٤هـ)، المحقق: محمد حجي. جزء ١، ٨، ١٣؛ جزء ٢، ٦: سعيد أعراب، جزء ٣ - ٥، ٧، ٩ - ١٢: محمد بو خيزة، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤م.
٥٢. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت - دمشق - عمان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
٥٣. زاد المعاد في هدي خير العباد: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
٥٤. سبل السلام، للأمير الصنعاني: محمد بن إسماعيل (ت: ١١٨٢هـ)، الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة: الرابعة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
٥٥. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

٥٦. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٣هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد - محمد كامل قره بللي - عبد اللطيف حرز الله، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٥٧. سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
٥٨. سنن الدارقطني: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، حققه وضبط نصه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، حسن عبد المنعم شلبي، عبد اللطيف حرز الله، أحمد برهوم، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
٥٩. السنن الصغير للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد المعطي أمين قلججي، دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
٦٠. السنن الكبرى للبيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
٦١. السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٦٢. سوالات السلمي للدارقطني: محمد بن الحسين بن النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي (ت: ٤١٢هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ.
٦٣. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٦٤. الشافي في شرح مُسنَد الشافعي لمجد الدين ابن الأثير: أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم (ت: ٦٠٦هـ)، المحقق: أحمد بن سليمان - أبي تميم ياسر بن إبراهيم، الناشر: مَكْتَبَةُ الرُّشْد، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٦٥. شرح السنة، المؤلف: لمحيي السنة، البغوي: أبوي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت: ٥١٦هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

٦٦. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن): شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (٧٤٣هـ)، المحقق: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٦٧. الشرح الكبير على متن المقنع: لعبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (ت: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار.
٦٨. الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (ت: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ.
٦٩. شرح سنن أبي داود، لبدر الدين العيني: أبي محمد، محمود بن أحمد بن موسى الحنفى (ت: ٨٥٥هـ)، المحقق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
٧٠. شرح مختصر الطحاوي، لأبي بكر الجصاص: أحمد بن علي الحنفى (ت: ٣٧٠ هـ)، المحقق: د. عصمت الله عنايت الله محمد - أ. د. سائد بكداش - د محمد عبيد الله خان - د زينب محمد حسن فلاتة، الناشر: دار البشائر الإسلامية - ودار السراج، الطبعة: الأولى ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٧١. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٧٢. صحيح البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
٧٣. صحيح الجامع الصغير وزياداته: محمد ناصر الدين الألباني (ت: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
٧٤. صحيح فقه السنة وأدلته وتوضيح مذاهب الأئمة، لأبي مالك كمال بن السيد سالم، الناشر: المكتبة التوفيقية، القاهرة - مصر، عام النشر: ٢٠٠٣ م.
٧٥. صحيح مسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٦. الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ - ١٩٨٦ م.
٧٧. الطبقات الكبرى: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
٧٨. العلل الواردة في الأحاديث النبوية: أبو الحسن علي بن عمر بن البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، المجلدات من الأول، إلى الحادي عشر، تحقيق وتخرىج: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٧٩. العلل لابن أبي حاتم: أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي (ت: ٣٢٧هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي، الناشر: مطابع الحميضي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٨٠. علم الفرائض والمواريث في الشريعة الإسلامية والقانون السوري، المؤلف: محمد خير المفتي.

٨١. غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط: الأولى، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

٨٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري،: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

٨٣. فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لابن عثيمين: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٨٤. الفقه الإسلامي وأدلته، للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر - سورية - دمشق.

٨٥. القوانين الفقهية، لابن جزي: أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي (ت: ٧٤١هـ).

٨٦. الكافي في فقه الإمام أحمد: أبي محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٨٧. الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد ابن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود-علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ-١٩٩٧ م.

٨٨. كتاب العين، للخليل: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٨٩. كتاب الفيصل في علم الحديث، أو الفيصل في مشتبهِ النسبة، لأبي بكر الحازمي: محمد بن موسى بن عثمان بن حازم (ت: ٥٨٤هـ)، المحقق: سعود بن عبد الله بن بردي المطيري الديحاني، الناشر: مكتبة الرشد - سلسلة الرشد للرسائل الجامعية (١٩٢)، الطبعة: الأولى ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

٩٠. كشف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين البهوتي الحنبلي (ت: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
٩١. كفاية الأخيار في حل غاية الاختصار، لأبي بكر بن محمد بن عبد المؤمن بن حريز الحسيني، الشافعي (ت: ٨٢٩هـ)، المحقق: علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، الناشر: دار الخير - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٩٩٤هـ.
٩٢. الكواكب النيرات في معرفة من الرواة الثقات، لابن الكيال: أبي البركات، زين الدين، بركات بن أحمد بن محمد الخطيب (ت: ٩٢٩هـ)، المحقق: عبد القيوم عبد رب النبي، الناشر: دار المأمون - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٨١م.
٩٣. اللباب في شرح الكتاب، لعبد الغني بن طالب بن حمادة الغنيمي الدمشقي الميداني الحنفي (المتوفى: ١٢٩٨هـ)، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العلمية، بيروت - لبنان.
٩٤. المبسوط، للسرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة (ت: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٩٥. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب.
٩٦. مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة من: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٩٧. مجلة البحوث الإسلامية، الصادرة من: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
٩٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيتمي: أبي الحسن، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ)، المحقق: حسام الدين القدسي، الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة، عام النشر: ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
٩٩. مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام ابن تيمية: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحلیم الحراني (ت: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
١٠٠. المجموع شرح المذهب، للنووي: أبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.
١٠١. المحلى بالآثار، لابن حزم الظاهري: أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

١٠٢. مختصر القدوري في الفقه الحنفي، لأبي الحسين، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان القدوري، (ت: ٤٢٨هـ)، المحقق: كامل محمد محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
١٠٣. المدلسين، لأبي زرعة العراقي: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين، ولي الدين، ابن العراقي (ت: ٨٢٦هـ)، المحقق: د رفعت فوزي عبد المطلب، د. نافذ حسين حماد، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.
١٠٤. المسالك في شرح مؤطاً مالك، لأبي بكر بن العربي: القاضي محمد بن عبد الله الأشبيلي المالكي (ت: ٥٤٣هـ)، علّق عليه: محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ .
١٠٥. المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، للقاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف المعروف بـ ابن الفراء (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: د. عبد الكريم بن محمد اللاحم، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة: الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
١٠٦. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطاء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ.
١٠٧. مسند أبي يعلى، لأبي يعلى الموصلي: أحمد بن علي بن المثنى التميمي، (ت: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤هـ.
١٠٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٠٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١١٠. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: لأحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي، (ت: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.

١١١. المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العيسي (ت: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
١١٢. المصنف: لعبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، يطلب من: المكتب الإسلامي - بيروت.
١١٣. المطالب العالیه بزوائد المسانيد الثمانيّة، لابن حجر العسقلاني: أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ)، المحقق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشّري، الناشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى: من المجلد ١ - ١١: ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، من المجلد ١٢ - ١٨: ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١١٤. المطلع على ألفاظ المقنع، لمحمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البجلي (ت: ٧٠٩هـ)، المحقق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
١١٥. معالم السنن، للخطابي: أبي سليمان حمد بن محمد البستي (ت: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
١١٦. المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الثانية.
١١٧. معجم لغة الفقهاء: محمد رواس قلججي - حامد صادق قنبيي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١١٨. معجم لغة الفقهاء، لمحمد رواس قلججي - وحامد صادق قنبيي، الناشر: دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
١١٩. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٢٠. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني: شمس الدين، محمد بن أحمد (ت: ٩٧٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٢١. المغني لابن قدامة: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، الطبعة: بدون طبعة.

١٢٢. منار السبيل في شرح الدليل، لابن ضويان: إبراهيم بن محمد بن سالم (ت: ١٣٥٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: السابعة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م.
١٢٣. المنتقى شرح الموطأ: لأبي الوليد الباجي: سليمان بن خلف (ت: ٤٧٤هـ)، الناشر: مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٣٢ هـ.
١٢٤. المذهب في فقه الإمام الشافعي، لأبي اسحاق الشيرازي: إبراهيم بن علي بن يوسف (ت: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.
١٢٥. موسوعة أقوال أبي الحسن الدارقطني في رجال الحديث وعلله: مجموعة من المؤلفين (الدكتور محمد مهدي المسلمي - أشرف منصور عبد الرحمن - عصام عبد الهادي محمود - أحمد عبد الرزاق عيد - أيمن إبراهيم الزامل - محمود محمد خليل)، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م، الناشر: عالم الكتب للنشر والتوزيع - بيروت، لبنان.
١٢٦. موسوعة الفقه الإسلامي، لمحمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، الناشر: بيت الأفكار الدولية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
١٢٧. ميزان الاعتدال في نقد الرجال: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.
١٢٨. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (ت: ٧٦٢هـ)، قدم للكتاب: محمد يوسف البثوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان/ دار القبلة للثقافة الإسلامية - جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧ م.
١٢٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين ابن الأثير: مجد الدين أبو السعادات، المبارك بن محمد (ت: ٦٠٦هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي.
١٣٠. الهداية في شرح بداية المبتدي، للمَرْغِينَانِي: أبي الحسن علي بن أبي بكر (ت: ٥٩٣هـ)، الناشر: المحقق: طلال يوسف، الناشر: دار احياء التراث العربي - بيروت - لبنان.



اسم الله القدُّوس - دراسة عقديّة -

The Name of God "The Holy"

إعداد

د. طلال بن فواز الحسان الشمري

Dr. Talal Fawaz Al-Hassan Al-Shammari

قسم العقيدة والمذاهب المعاصر، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود
الإسلامية

Doi: 10.21608/jasis.2024.367236

٢٠٢٤ / ٥ / ٥

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٢١

قبول البحث

الشمري، طلال بن فواز الحسان (٢٠٢٤). اسم الله القدُّوس - دراسة عقديّة - *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ١٤٩ - ١٧٤.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

اسم الله القدوس - دراسة عقدية -

المستخلص:

علم الأسماء والصفات من أهم علوم الشريعة، وذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما له من عظيم الأثر على المسلم، واسم الله القدوس من الأسماء التي تتعلق به كثير من المسائل العقدية، وذلك لأنه يقوم على أصلين عليهما مدار التوحيد، وهما: إثبات الكمال لله، وتنزيهه عن النقائص، وسيتجلى من ذلك من خلال بيان معنى اسم الله القدوس في اللغة والشرع، وبيان سر اقترانه بأسماء الله الأخرى، ومن خلال بيان دلالة اسم الله القدوس على توحيد الله، بأنواعه الثلاثة، ولذا كان لهذا الاسم تحديداً عظيم الأثر على من تحقق به، وعمل بمقتضاه، وفي هذا البحث بيان طرق التعبد باسم الله القدوس، وتبسيط الضوء على شيء من آثاره الإيمانية والسلوكية. وقد سلكنا في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال استقراء نصوص المادة العلمية، وتحليلها في ضوء ما رسمته من أهداف هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: اسم، القدوس، أثر، عقدية.

ABSTRACT:

The knowledge of god's names and attributes is one of the most important knowledge's in Islamic religion, because the honor of knowledge is equal to the honor of the known (god) , and because of its great impact on the Muslim, and the Holy Name of God is one of the names to which many theological research topic relate, and that is because it is based on two foundations on which monotheism revolves, which are: proving the perfection of God. And His purity from shortcomings. This will be demonstrated by explaining the meaning of the Holy Name of God, and explaining this name's association with the other names of God, therefore this name in particular has a great impact on Whoever relates to it and acts according to it, and in this research we explain the ways of worship related to the Name of God 'the Holy' , and shed light on some of its faith and behavioral effects. In this research, I followed the inductive and analytical approach, by

extrapolating the texts of the scientific material and analyzing them in light of the objectives I set for this research.

key words:Name, the Holy One, effect, theology.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فإن العلم بالله جل وعلا أشرف العلوم وأعلاها، وهو خير ما صُرّفت فيه الأعمار، وذلك لأن شرف العلم بشرف المعلوم، ولا معلوم أعظم وأجل من الله تبارك وتعالى، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته هي أعظم طريق موصل إليه، ولذا كانت حاجة العبد إلى العلم به سبحانه أعظم الحاجات وأفضلها، لأن معرفة الله هي غاية المعارف، وأشرف المقاصد، وهي خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية، وكلما ازداد العبد معرفة برّبه ازداد قرباً منه ومحبة له وخشية، ومنزلة العبد من ربه على قدر معرفته به، ومن كان بالله أعرف كان منه أخوف. ودراسة أسماء الله وصفاته والغوص في معانيها وبيان مقتضياتها وآثارها من أعظم ما يعين على تحقيق هذا الأصل العظيم ويُمهّد السبيل إليه، ومن أسماء الله العظيمة التي ينبغي الوقوف عندها والتأمل في مقتضياتها وآثارها؛ اسم الله القدوس، ومن هذا المنطلق كان هذا البحث وعنوانه: (اسم الله القدوس - دراسة عقديّة -).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

مما يبيّن أهمية هذا الموضوع، وسبب اختياره ما يلي:

- 1- أهمية العلم بأسماء الله وصفاته، وما له من عظيم الآثار الطيبة على المسلم، وقد سبق بيان شيء من ذلك في المقدمة.
- 2- كثرة المسائل المتعلقة باسم الله القدوس، وذلك لأنه يقوم على أصلين عليها مدار التوحيد، وهما: إثبات الكمال لله، وتنزيهه عن النقائص.
- 3- عظم أثر الإيمان باسم الله القدوس تحديداً، وما له من آثار حميدة وثمار مباركة.
- 4- بيان طرق التعبد باسم الله القدوس، وتسليط الضوء على شيء من آثاره الإيمانية والسلوكية.

- 5- كثرة الفتن والشبهات والشهوات التي فتحت على المسلمين، ولذا فإن بيان معاني أسماء الله وصفاته لهم، وبيان آثارها ومقتضياتها؛ أعظم سبيل لحمايتهم وحفظهم من

الانحرافات.

أهداف البحث:

- ١ - بيان معنى اسم الله القُدُّوس، وبيان سر اقترانه بأسماء الله الأخرى.
- ٢ - بيان دلالة اسم الله القُدُّوس على توحيد الله.
- ٣ - بيان وسائل التعبد لله باسمه القُدُّوس.
- ٤ - الآثار الإيمانية والسلوكية لاسم الله القُدُّوس.

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال استقراء نصوص المادة العلمية، وتحليلها في ضوء ما رسمته من أهداف هذا البحث.

خطة البحث:

تتكون من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: تعريف القُدُّوس لغة واصطلاحاً

وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القُدُّوس لغة.

المطلب الثاني: تعريف القُدُّوس اصطلاحاً.

المبحث الثاني: اسم الله القُدُّوس

وتحتة ثلاث مطالب:

المطلب الأول: إثبات الاسم.

المطلب الثاني: إثبات الصفة.

المطلب الثالث: اقتران اسم الله القُدُّوس بغيره من الأسماء.

المبحث الثالث: دلالة اسم الله القُدُّوس على توحيد الله،

وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: دلالة اسم الله القُدُّوس على توحيد المعرفة والإثبات.

المطلب الثاني: دلالة اسم الله القُدُّوس على توحيد القصد والطلب.

المبحث الرابع: مقتضيات اسم الله القُدُّوس

وتحتة مطلبان:

المطلب الأول: التعبد لله باسمه القُدُّوس.

المطلب الثاني: الآثار الإيمانية لاسم الله القُدُّوس.

الخاتمة.

الفهارس.

المبحث الأول: تعريف القدوس لغة واصطلاحاً

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف القدوس لغة:

قال ابن قتيبة: "قُدُوس، وهو حرف مبني على فُعُول، من القُدُس، وهو الطهارة"^(١). وقال الجوهرى: "والقُدُوس اسم من أسماء الله تعالى، وهو فُعُول من القُدُس، وهو الطهارة"^(٢).

وقال ابن فارس: "القاف والذال والسين أصل صحيح، وأظنه من الكلام الشرعي الإسلامي، وهو يدل على الطهر. ومن ذلك الأرض المقدسة هي المطهرة. وتسمى الجنة حظيرة القدس، أي الطهر. وجبرئيل عليه السلام روح القدس. وكل ذلك معناه واحد. وفي صفة الله تعالى: القدوس، وهو ذلك المعنى، لأنه منزّه عن الأضداد والأنداد، والصاحبة والولد، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً"^(٣).

المطلب الثاني: تعريف القدوس اصطلاحاً:

والقدوس في الاصطلاح عرّفه العلماء بعدّة تعريفات تدور كلها على معنيين:

المعنى الأول: الطاهر من النقائص والعيوب.

قال الخطابي: "القدوس هو الطاهر من العيوب، المنزّه عن الأنداد والأولاد، والقدُس: الطهارة"^(٤).

وقال البيهقي: "القدوس: هو الطاهر من العيوب، المنزّه عن الأنداد والأضداد"^(٥). وقال ابن القيم: "القدوس المنزّه عن كل شر ونقص وعيب كما قال أهل التفسير: هو الطاهر من كل عيب، المنزّه عما لا يليق به، وهذا قول أهل اللغة، وأصل الكلمة من الطهارة والنزاهة، ومنه بيت المقدس، لأنه مكان يُنْطَهَرُ فيه من الذنوب"^(٦). وقال ابن كثير: "هو المنزّه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال"^(٧).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: "القدوس: هو الذي له كل قدس وطهارة وتعظيم، وتقدّس عن صفات النقص، فالقدوس يرجع إلى صفات العظمة، وإلى السلامة من

(١) تفسر غريب القرآن لابن قتيبة (٨).

(٢) الصحاح للجوهري (٩٦١/٣).

(٣) مقاييس اللغة لابن فارس (٦٤-٦٣/٥).

(٤) شأن الدعاء للخطابي (٤٠).

(٥) الاعتقاد للبيهقي (٥٩).

(٦) شفاء العليل لابن القيم (٨٢/٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١١٥/٨).

العيوب والنقائص، كما أن السلام يدل على المعنى الثاني، فهو السالم من كل عيب وأفة ونقص"^(٨).

المعنى الثاني: المبارك.

وجاء هذا المعنى عن مجاهد وقتادة، قال ابن كثير: " قال مجاهد وقتادة أي: المبارك"^(٩).

فبتلخص لنا من خلال التعريفات السابقة أن معنى القدوس: هو المبارك المطهر من النقائص والعيوب، المنزه عن الصاحبة والأولاد والأنداد، الممدوح بالفضائل والمحاسن، الموصوف بصفات الكمال. وهو المقدس من خلقه وعباده وأوليائه يقدسونه بقلوبهم وألسنتهم.

ومن خلال التعريف اللغوي والاصطلاحي لمعنى القدوس نجد أن هناك تطابقاً في المعنى بينهما، فكلاهما دال على الطهارة والتنزيه.

المبحث الثاني: اسم الله القدوس

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: إثبات الاسم

أسماء الله جل وعلا توقيفية، لا مجال للعقل والاجتهادات فيها، فيجب فيها التوقف على ما جاء في القرآن الكريم وثبت في السنة النبوية، قال الخطابي: " ومن علم هذا الباب، أعني: الأسماء والصفات، ومما يدخل في أحكامه ويتعلق به من شرائط ؛ أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس"^(١٠).

وقال ابن عثيمين: " أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها، وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزداد فيها ولا ينقص، لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النص"^(١١).
واسم القدوس اسم ثابت لله جل وعلا، حيث سمى الله به نفسه في كتابه، وسماه به رسوله ﷺ، كما ثبت في صحيح السنة.

وقد ورد اسم الله القدوس في القرآن الكريم مرتين في سورتي الحشر والجمعة.
قال الله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ
الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣) [الحشر: ٢٣] .

^(٨) فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام للعلامة عبدالرحمن السعدي (٣٩).

^(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧٩/٨). وانظر تفسير الطبري (٥٥١/٢٢).

^(١٠) شأن الدعاء للخطابي (١٠).

^(١١) القواعد المثلى لابن عثيمين (١٣).

وقال تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ) (١) [الجمعة: ١].

وقد ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبح قدوس رب الملائكة والروح»^(١٢). وعن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم في الوتر، قال: "سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ"^(١٣).

إذن فهذا الاسم ثابت لله جل وعلا بنص القرآن الكريم والسنة النبوية.
المطلب الثاني: إثبات الصفة

إن باب الأسماء والصفات من الأبواب التوقيفية، فلا يُثبت لله إلا ما أثبتته الله لنفسه، وما أثبتته له رسوله ﷺ، هذا أصل من أصول السنة والجماعة في هذا الباب، قال الإمام أحمد: "نعبد الله بصفاته كما وصف به نفسه، قد أجمل الصفة لنفسه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه، ولا نتعدى ذلك"^(١٤). بل قد حُكي الاتفاق على ذلك، قال أبو نصر السجزي: "وقد اتفقت الأئمة على أن الصفات لا تؤخذ إلا توقيفاً، وكذلك شرحها لا يجوز إلا بتوقيف"^(١٥).

وكل اسم أثبتته الله لنفسه فهو يتضمن إثبات الصفة التي اشتق منها، فالعليم يدل على ثبوت صفة العلم، والحليم يدل على صفة الحلم، والتقدير يدل على إثبات صفة القدرة. قال ابن تيمية: "فأسماءه كلها متفقة في الدلالة على نفسه المقدسة ثم كل اسم يدل على معنى من صفاته. ليس هو المعنى الذي دل عليه الاسم الآخر؛ فالعزیز يدل على نفسه مع عزته، والخالق يدل على نفسه مع خلقه، والرحيم يدل على نفسه مع رحمته، ونفسه تستلزم جميع صفاته، فصار كل اسم يدل على ذاته والصفة المختصة به بطريق المطابقة وعلى أحدهما بطريق التضمن وعلى الصفة الأخرى بطريق اللزوم"^(١٦).

وقال ابن القيم: "أسماء الرب تعالى هي أسماء ونعوت، فإنها دالة على صفات كماله، فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية، فالرحمن اسمه تعالى ووصفه، لا تنافي

(١٢) رواه مسلم، في صحيحه، في كتاب الصلاة، برقم (٤٨٧).

(١٣) رواه أبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب الدعاء بعد الوتر، برقم (١٤٣٠)، والنسائي في الكبرى، في كتاب الصلاة، باب كيف الوتر بثلاث، برقم (٤٤٦).
والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٦٥/٥).

(١٤) الإبانة الكبرى لابن بطة (٣٢٦/٧).

(١٥) رسالة السجزي إلى أهل زبيد، في الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٧٨).

(١٦) مجموع الفتاوى (١٨٥/٧).

اسميته وصفيته، فمن حيث هو صفة؛ جرى تابعاً على اسم: الله تعالى، ومن حيث هو اسم: ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم^(١٧).

والله جل وعلا يوصف بأنه القدوس، وهي من الصفات الذاتية الثابتة له سبحانه. قال الله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣) [الحشر: ٢٣]. فهو "المعظم المنزه عن صفات النقص كلها، وأن يماثله أحد من الخلق، فهو المنتزه عن جميع العيوب، والمنتزه عن أن يقاربه أو يماثله أحد في شيء من الكمال"^(١٨).

المطلب الثالث: اقتران اسم القدوس بغيره من الأسماء

المسألة الأولى: اقترانه باسم الله السبوح

اقترن اسم الله القدوس، باسم الله السبوح، ثبت ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سبوح قدوس رب الملائكة والروح»^(١٩).

وقد ذكر بعض العلماء بين هذين الاسمين فروقاً منها:

١ - أن التسبيح هو التنزيه، "وأصل التسبيح لله عند العرب التنزيه له من إضافة ما ليس من صفاته إليه، والتبرئة له من ذلك"^(٢٠). والتقديس هو التطهير، ونسبته إلى ما هو من صفاته من الطهارة من الأدناس، وما أضافه إليه أهل الكفر به^(٢١).

٢ - أن السبوح فيه تصريح بالتنزيه لله، وذلك يتضمن التعظيم، بينما القدوس تصريح بالعظمة، وذلك يتضمن التنزيه، قال الحليمي: "القدوس: ومعناه الممدوح بالفضائل والمحاسن، والتقديس مضمن في صريح التسبيح، والتسبيح مضمن في صريح التقديس، لأن نفي المذام إثبات للمدائح، وكقولنا لا شريك له ولا شبيه له. إثبات أنه واحد أحد. وكقولنا لا يعجزه شيء إثبات أنه قادر قوي. وكقولنا: إنه لا يظلم أحداً إثبات أنه عدل في حكمه. وإثبات المدائح له نفي للمذام عنه، كقولنا: أنه عالم نفي للجهل عنه، وقولنا: أنه قادر، نفي للعجز عنه. إلا أن قولنا هو كذا ظاهرة التقديس، وقولنا ليس بكذا ظاهرة التسبيح، لأن التسبيح موجود في ضمن التقديس، والتقديس موجود في ضمن التسبيح"^(٢٢).

(١٧) بدائع الفوائد لابن القيم (٤٢/١).

(١٨) تفسير السعدي (٩٤٦).

(١٩) رواه مسلم، في صحيحه، في كتاب الصلاة، برقم (٤٨٧).

(٢٠) تفسير الطبري (٥٠٣/١).

(٢١) انظر: تفسير الطبري (٥٠٦/١).

(٢٢) المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (١٩٧/١).

٣- أن التسبيح يكون بالقول والعمل، وأما التقديس فيكون بالاعتقاد، قال الطاهر بن عاشور: " فمعنى (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) [البقرة: ٣٠]: نحن نعظمك وننزهك، والأول بالقول والعمل، والثاني باعتقاد صفات الكمال المناسبة للذات العلية، فلا يتوهم التكرار بين (نسبح) و (نقدس)" (٢٣).

ووجه اقتران اسم الله السُّبُّوح باسمه الْقُدُّوس؛ رجوع معناهما إلى شيئين هما جوهر التوحيد، وأركانه التي يقوم عليهما، وهما: الأول: تنزيه الله عن النقائص التي تنافي كماله في ذاته وصفاته وأفعاله، وذاك هو التسبيح.

الثاني: إثبات الكمال لله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وذاك هو التقديس.

ثانيًا: اقترانه باسم الملك

اقترن اسم الله الْقُدُّوس باسم الله الملك في موضعين من كتاب الله، هما: - قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣) [الحشر: ٢٣] .

- وقوله تعالى: (يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ١) [الجمعة: ١].

ولعل من أوجه الاقتران بين هذين الاسمين؛ الإشارة والتنبيه إلى أنه سبحانه منزّه عن نقائص ملوك الدنيا من الغرور والظلم والاسترسال في الشهوات وجميع موجبات الذم، قال البقاعي: " لما كان تداعي الملك لموجبات الذم، قال عقب صفات الملك: (القدوس) مصرحاً بما لزم عن تمام ملكه من أنه بليغ في النزاهة..... ولما كان سبحانه لتمام ملكه وعلو ملكه وكمال قدسه لا يتصور أن يلحقه نقص في ذات ولا صفة ولا فعل، فلا يقيح منه إهلاك على حال من الأحوال، ولا مس بضر في الدنيا والآخرة في وقت من الأوقات، لأنه سبحانه لعلمه بالظواهر والبواطن على حد سواء، يصنع الأمور في أحكم مواضعها بما لا يدركه غيره أصلاً، أو لا يدركه حق إدراكه؛ فاحتيج إلى ما يؤمن من ذلك" (٢٤).

وقال ابن عاشور: "وعقب بالقدوس بعد وصف الملك؛ للاحتراس، إشارة إلى أنه منزّه عن نقائص الملوك المعروفة من الغرور، والاسترسال في الشهوات ونحو ذلك من نقائص النفوس" (٢٥).

(٢٣) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (٤٠٦/١).

(٢٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (٤٦٩/١٩).

(٢٥) التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (١٢٠/٢٨).

ثالثاً: اقترانه باسم السلام

اقترن اسم الله السلام باسمه القدوس في موضع واحد من كتاب الله، وذلك في قوله تعالى: (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (٢٣) [الحشر: ٢٣] .

واسم الله السلام معناه: "الذي يسلم خلقه من ظلمه، وهو اسم من أسمائه" (٢٦). وقال ابن كثير: " (السَّلَامُ) أي: من جميع العيوب والنقائص؛ بكماله في ذاته وصفاته وأفعاله" (٢٧).

إذن فمعنى اسم السلام يدور على هذين المعنيين: الأول: السلامة للخلق عامة، والعدل في معاملتهم.

الثاني: السلامة والبراءة من كل عيب ونقص.

قال ابن القيم: " وأما "السلام" الذي هو اسم من أسماء الله؛ ففيه قولان: أحدهما: أنه كذلك اسم مصدر، وإطلاقه عليه كإطلاق "العدل" عليه، والمعنى: أنه ذو السلام وذو العدل، على حذف المضاف. والثاني: أن المصدرَ بمعنى الفاعل هنا، أي: السالم كما سُمِّيَتْ ليلة القدر: "سلاماً"، أي: سالمة من كل شرٍ" (٢٨). ووجه اقتران هذين الاسمين دلالتهما على سلامة الله جل وعلا من جميع العيوب والنقائص في الحاضر والمستقبل، فـ "كونه قدوساً، إشارة إلى براءته عن جميع العيوب في الماضي والحاضر، كونه: سليماً، إشارة إلى أنه لا يطرأ عليه شيء من العيوب في الزمان المستقبل" (٢٩). فهذان الاسمان "ينفيان كل نقص من جميع الوجوه، ويتضمنان الكمال المطلق من جميع الوجوه، لأن النقص إذا انتفى ثبت الكمال كله" (٣٠).

المبحث الثالث: دلالة هذا الاسم على توحيد الله جل وعلا

لمطلب الأول: دلالاته على توحيد المعرفة والإثبات

التوحيد الذي جاءت به الرسل "نوعان: نوع في العلم والاعتقاد، ونوع في الإرادة والقصد، ويسمى الأول: التوحيد العلمي، والثاني: التوحيد القسدي الإرادي؛ لتعلق الأول بالأخبار والمعرفة، والثاني بالقصد والإرادة فأما توحيد العلم، فمداره على إثبات صفات الكمال، وعلى نفي التشبيه والمثال والتنزيه عن العيوب والنقائص" (٣١).

(٢٦) تفسير الطبري (٥٥١/٢٢).

(٢٧) تفسير ابن كثير (٨٨٠/٨).

(٢٨) بدائع الفوائد (٦٠٧/٢).

(٢٩) مفاتيح الغيب للرازي (٥١٣/٢٩).

(٣٠) تفسير السعدي (٩٤٦).

(٣١) مدارج السالكين (٣٧/١-٣٨).

وقد تبين لنا مما سبق أن المعاني التي يدور عليها اسم القدوس؛ التنزيه، تنزيه الله جل وعلا عن النقائص والعيوب، وما لا يليق به سبحانه. وإثبات الكمال له سبحانه، لأن التنزيه الذي يستحقه الرب يجمعه نوعان: أحدهما: نفي النقص عنه، والثاني: نفي مماثلته لشيء من الأشياء فيما يستحقه من صفات الكمال، فإثبات صفات الكمال له مع نفي مماثلة غيره له يجمع ذلك^(٣٢).

ومن أعظم ما يُنزه الله عنه؛ الشريك فيما يختص به سبحانه، وأعظم الكمال؛ تفرده سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فالله سبحانه هو وحده المتفرد بالملك والخلق والتدبير، فلا خالق ولا رازق ولا مانع ولا معطي ولا محيي ولا مميت ولا مُدبّر إلا الله، لا شريك له في شيء مما سبق، قال سبحانه: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ٣٢) [يونس: ٣١-٣٢].

وقد أقام الله الحجج والبراهين الباهرة في القرآن الكريم على تفرده بالربوبية واستحقاقه لها، ولذا كان من أهم ما يقتضيه اسم الله القدوس؛ تنزيهه سبحانه عن الشركاء والأنداد والصاحبة والولد، قال الله: (وَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا ١١١) [الإسراء: ١١١]. قال السعدي: " ومجموع ما ينزه عنه شيان: أحدهما: أنه منزّه عن كلّ ما ينافي صفات كماله، فإنّ له المنتهى في كلّ صفة كمال، فهو موصوف بكمال العلم وكمال القدرة، منزّه عما ينافي ذلك من النسيان والغفلة، وأن يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، ومنزّه عن العجز والتعب والإعياء واللغوب، وموصوف بكمال الحياة والقيومية، منزّه عن ضدها من الموت والسنة والنوم، وموصوف بالعدل والغنى التام، منزّه عن الظلم والحاجة إلى أحد بوجه من الوجوه، وموصوف بكمال الحكمة والرحمة، منزّه عن ما يضاد ذلك من العيب والفسه، وأن يفعل أو يشرع ما ينافي الحكمة والرحمة. وهكذا جميع صفاته منزّه عن كلّ ما ينافيها ويضادها.

الثاني: أنه منزّه عن مماثلة أحد من خلقه، أو أن يكون له ندٌّ بوجه من الوجوه. فالمخلوقات كلّها وإن عظمت وشرفت وبلغت المنتهى الذي يليق بها من العظمة والكمال اللائق بها، فليس شيء منها يقارب أو يشابه الباري، بل جميع أوصافها تضمحل إذا نسبت إلى صفات باريها وخالقها، بل جميع ما فيها من المعاني والنعوت

(٣٢) منهاج السنة النبوية (١٨٦/٢).

والكمال، هو الذي أعطاها إياه، فهو الذي خلق فيها العقول والسمع والأبصار والقوى الظاهرة والباطنة، وهو الذي علّمها وألهمها، وهو الذي نمّاها ظاهراً وباطناً وكملّها، قالت الرسل والملائكة: (لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا) [البقرة: ٣٢]. وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «يا عبادي كلّم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلّم جانع إلا من أطعمته..»^(٣٣). إلى آخر الحديث. فهو المنزّه عن كلّ ما ينافي صفات المجد والعظمة والكمال، وهو المنزّه عن الضد والنّد والكفؤ والأمثال، وذلك داخل في اسمه القدوس السلام^(٣٤).

ففي هذا الاسم الجليل دلالة واضحة على توحيد المعرفة والإثبات، وفيه رد على المعطلة الذين يصفونه بصفات السلب، فتسبيح الله وتقديسه إنما يكون بإثبات صفات الكمال له سبحانه، لأن "النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وينبغي أن يُعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا كمال، إلا إذا تضمن إثباتاً، وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال، لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء هو كما قيل ليس بشيء، فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً. ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، وإذا تأملت ذلك وجدت كل نفي لا يستلزم ثبوتاً هو مما لم يصف الله به نفسه، فالذين لا يصفونه إلا بالسلوب لم يثبتوا في الحقيقة إلهاً محموداً، بل ولا موجوداً"^(٣٥).

المطلب الثاني: دلالاته على توحيد القصد والطلب

التوحيد الذي اتفقت عليه الرسل، وأنزلت به الكتب، وخُلقت لأجله الخليفة، وشُرعت له الشرائع، وقامت عليه سوق الجنة، وأُسِّس عليه الخلق والأمر هو توحيد القصد والطلب^(٣٦).

فهذا التوحيد هو الغاية من خلق الجن والإنس قال الله: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦) [الذاريات: ٥٦].

وقد سبق بيان المعاني التي يدور عليها اسم القدوس؛ وأنه قائم على أصليين، هما: تنزيه الله جل وعلا عن النقائص والعيوب، وإثبات الكمال له سبحانه.

وأعظم ما يجب أن يُنزّه الله عنه؛ الشريك في الألوهية، ومن مقتضيات إثبات الكمال لله سبحانه؛ إفراده بالعبادة، وإخلاص العمل له، ولذا كان أعظم حق على العبد؛ هو توحيد الله وإفراده بالعبادة، "الذي هو أصل الإسلام، وهو دين الله الذي بعث به

(٣٣) رواه مسلم، في كتاب البر والصلة، برقم (٢٥٧٧).

(٣٤) فتح الرحيم الملك العلامة عبد الرحمن السعدي (٣٩).

(٣٥) الرسالة التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين الشرع والقدر. (٥٩-٥٧).

(٣٦) انظر: مدارج السالكين (٢٥٦/١).

جميع رسله، وله خلق الخلق، وهو حقّه على عباده، أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً^(٣٧)، وقد قال النبي ﷺ لمعاذ: «هل تدري ما حق الله على عباده؟ قال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال: حق الله على عباده؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً»^(٣٨).

ولما كان الإله الحق هو القدوس سبحانه، المنزّه عن كل نقص وعيب؛ كان من أعظم البراهين والحجج التي قرّرها القرآن في بيان بطلان عبادة الأصنام؛ اتصافها بالنقص والعيوب التي يجب أن يُنزّه عنها الرب المعبود، وقد قال نبي الله إبراهيم لأبيه: (يَأْتِيَتْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢) [مريم: ٤١-٤٢]. قال السعدي: "أي: لم تعبد أصناماً، ناقصة في ذاتها، وفي أفعالها، فلا تسمع، ولا تبصر، ولا تملك لعبادها نفعاً ولا ضرراً، بل لا تملك لأنفسها شيئاً من النفع، ولا تقدر على شيء من الدفع، فهذا برهان جلي دال على أن عبادة الناقص في ذاته وأفعاله مستقبح عقلاً وشرعاً. ودل بتنبيهه وإشارته، أن الذي يجب وبحسن عبادة من له الكمال، الذي لا ينال العباد نعمة إلا منه، ولا يدفع عنهم نقمة إلا هو، وهو الله تعالى"^(٣٩).

وقال تعالى: (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خُلَيْهِمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ١٤٨) [الأعراف: ١٤٨]. "فدل ذلك على أن عدم التكلم والهداية نقص، وأن الذي يتكلم ويهدي أكمل ممن لا يتكلم ولا يهدي، والرب أحق بالكمال"^(٤٠). فهو المستحق للعبادة وحده دون ما سواه. وعبادة هذه الأصنام من أعظم الباطل لخلوّها من صفات الكمال، قال ابن تيمية: "ومثل هذا في القرآن متعدد من وصف الأصنام بسلب صفات الكمال كعدم التكلم والفعل وعدم الحياة ونحو ذلك، مما يبين أن المتصف بذلك منتقص معين كسائر الجمادات، وأن هذه الصفات لا تسلب إلا عن ناقص معيب. وأما رب الخلق الذي هو أكمل من كل موجود، فهو أحق الموجودات بصفات الكمال، وأنه لا يستوي المتصف بصفات الكمال والذي لا يتصف بها، وهو يذكر أن الجمادات في العادة لا تقبل الاتصاف بهذه الصفات"^(٤١).

(٣٧) مجموع الفتاوى (١٣٥/٢٨).

(٣٨) رواه البخاري، في كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، برقم (٥٩٦٧).

ومسلم كتاب الإيمان، برقم (٣٠).

(٣٩) تفسير السعدي (٤٩٤).

(٤٠) مجموع الفتاوى (٨٢-٨١/٦).

(٤١) المصدر السابق (٨٣-٨٢/٦).

فاسم الله القدوس يدلُّ على أن الله هو وحده المستحق للعبادة، وذلك لاتصافه بصفات الكمال على أتم وجه، والذي من أهم مقتضياته؛ تفرده بالإلهية والعبادة، وإخلاص الدين له سبحانه، قال العز بن عبد السلام: "الألوهية ترجع إلى استحقاق العبودية، وإنما استحق العبودية لما وجب له من أوصاف الجلال ونعوت الكمال"^(٤٢). كذلك يدلُّ هذا الاسم العظيم على تنزيه الباري سبحانه عن كل عيب ونقص يمكن أن يتصوره العقل، فهو سبحانه متنزَّه عن أي يكون له شريك في عبادته قال سبحانه: (سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١) [التوبة: ٣١] ، وقال سبحانه: (أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٤٣) [الطور: ٤٣] وقال سبحانه: (وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُوَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ شَفَعْنَا عِنْدَ اللَّهِ فَلَئِنْ أُنْتَبِهُنَّ لَيَكُنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٨) [يونس: ١٨] فالشرك بالله أعظم التنقص وأعظم الظلم، فقد أخبر الله سبحانه " أن القصد بالخلق والأمر: أن يعرف بأسمائه وصفاته، ويعبد وحده لا يشرك به، وأن يقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض، كما قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد: ٢٥] فأخبر سبحانه أنه أرسل رسله، وأنزل كتبه؛ ليقوم الناس بالقسط وهو العدل، ومن أعظم القسط التوحيد، وهو رأس العدل وقوامه، وإن الشرك لظلم عظيم، فالشرك أظلم الظلم، والتوحيد أعدل العدل"^(٤٣). وقد قال الله جل وعلا: (إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ١٣) [لقمان: ١٣]. "وجه كونه عظيماً، أنه لا أفضع وأبشع ممن سوى المخلوق من تراب، بمالك الرقاب، وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً، بمن له الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه، بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثل ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم، ودنياهم وأخراهم، وقلوبهم، وأبدانهم، إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو، فهل أعظم من هذا الظلم شيء، وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده، فذهب بنفسه الشريفة، فجعلها في أخس المراتب جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً، فظلم نفسه ظلماً كبيراً"^(٤٤).

والشرك فيه سوء ظن بالله جل وعلا، قال ابن القيم: " فالشرك والتعطيل مبنيان على سوء الظن بالله، ولهذا قال إمام الحنفاء عليه السلام لخصمائه من المشركين: (أَيْفَكَا إِلَهَةُ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ٨٧) [الصفات: ٨٦-٨٧] وإن كان المعنى: ما ظنكم به أن يعاملكم ويجازيكم به، وقد عبدتم معه غيره،

(٤٢) رسائل في التوحيد للعز بن عبد السلام (١٤).

(٤٣) الداء والدواء لابن القيم (١٢٨).

(٤٤) تفسير السعدي (٦٤٨).

وجعلتم له ندّاً؟ فأنت تجد تحت هذا التهديد: ما ظننتم بربكم من السوء حتى عبدتم معه غيره^(٤٥). فـ "من ظن أن له ولداً أو شريكاً، أو أن أحداً يشفع عنده بدون إذنه، أو أن بينه وبين خلقه وسائط يرفعون حوائجهم إليه، أو أنه نصب لعباده أولياء من دونه يتقرّبون بهم إليه ويتوسلون بهم إليه، ويجعلونهم وسائط بينه وبينهم فيدعونهم ويخافونهم ويرجونهم = فقد ظن به أفحج الظن وأسوأه"^(٤٦).

المبحث الرابع: مقتضيات اسم الله القدوس، وفيه:

المطلب الأول: التعبد لله باسمه القدوس.

من أعظم مقتضيات الإيمان بأسماء الله وصفاته، التعبد لله بها، ولذا كلما ازداد العبد معرفة بربه وبأسمائه وصفاته؛ ارتقى في سلّم الإيمان واليقين والإحسان، وأكمل الناس عبودية المتعبد بجميع الأسماء والصفات، فالله عزّنا في كتابه بأسمائه وصفاته، وندبنا إلى معرفة ذلك، وما ذاك إلا لعظيم أثره ومنفعته على العبد، قال ابن تيمية: " العلم به سبحانه أعلى العلوم، وغاية العلوم، ومنتهى المعلوم، وتحقيق العلوم، وأصل العلوم فالعلم به مع كونه أعلى وأكمل وأنفع فإن الحاجة إليه ضرورية، ولا صلاح للعبد إلا به، ولا سعادة بدونه"^(٤٧). و عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ »^(٤٨). ومن معاني الإحصاء التعبد بها ودعاء الله بها^(٤٩) وقال ابن القيم: " فالإيمان بالصفات ومعرفتها، وإثبات حقائقها، وتعلّق القلب بها، وشهوّه لها؛ هو مبدأ الطريق ووسطه وغايته. وهو روح السالكين، وحاديهم إلى الوصول، ومحرك عزماتهم إذا فتروا، ومثير همهم إذا قصرُوا؛ فإن سيرهم إنّما هو على الشواهد، فمن لا شاهد له لا سير له ولا طلب ولا سلوك، وأعظم الشواهد: شواهد صفات محبوبهم ونهاية مطلوبهم، وذلك هو العلم الذي رُفِعَ لهم في السير فشمّوا إليه"^(٥٠).

فجميل بالعبد أن يتحقّق بهذا المقام الإيماني العظيم، وأن يجاهد نفسه عليه، واسم الله القدوس من الأسماء العظيمة التي يدور معناها على أصلين عليهما مدار التوحيد، وهما: التزيه، وإثبات الكمال لله سبحانه، ولذا كانت صور التعبد لله بهذا الاسم كثيرة، وهذا أمثلة منها لا يراد بها الحصر، فمن صور التعبد لله بها الاسم:

(٤٥) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القيم (١/٣٠١).

(٤٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/٢٧١).

(٤٧) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية (١/٢١٥).

(٤٨) رواه البخاري، في كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، برقم (٦٩٥٧).

(٤٩) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم (١/٢٨٨)، والتوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ

عبد الرحمن السعدي (٤٤).

(٥٠) مدارج السالكين (٤/٣٠١).

١ - تنزيهه سبحانه في أقواله وأفعاله وأسمانه وصفاته

فِيَنزَرُهُ سبحانه عن كل نقص وعيب، كالشريك والند والصاحبة والولد، والشبيه والمثيل، فالله جل وعلا (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ١١) [الشورى: ١١]. ومن تنزيهه سبحانه إثبات ما أثبتته لنفسه سبحانه، وما أثبتته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات، فثبتت له الأسماء الحسنى والصفات العلى، من غير تحريف، ولا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكليف، ولا تعطيل.

ومن تنزيهه سبحانه؛ إفراده بالعبادة، وإخلاص العمل له جل وعلا، وهذا من أعظم مقتضيات التعبد لله باسمه القدوس، ولذا كانت آيات إبطال الشرك في القرآن تُختم بالتسبيح، الذي هو تنزيه الله جل وعلا، قال الله: (وَمَا أَمْرُو إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَحْدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣) [التوبة: ٣١] .

٢ - التسبيح لله جل وعلا

التسبيح عبادة من أعظم العبادات الموصلة إلى الله، ومن أعظم الأسباب الموجبة لمحبة الله، وهو أفضل ما نطقت به الأفواه، ولما سئل النبي ﷺ، أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته، سبحان الله وبحمده»^(٥١). **فَالله سبحانه سُبُوح قُدُّوس**، فإذا عرف العبد ربّه بهذا الاسم، وأنه سبحانه متصف بالكمال، ومُنزَره عن النقص، كان ذلك أعظم داع له على التسبيح، والإكثار منه قدر المستطاع، فيتعبّد إلى ربّه بذلك، فالله جل علا جعل لهذه يحب هذه العبادة العظيمة، وجعل لها الأجر العظيم والثواب الجزيل، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^(٥٢). وقد كان من هدي النبي ﷺ قول: «سُبُوح قُدُّوس رب الملائكة والروح»^(٥٣). و كان رسول الله ﷺ إذا سلّم في الوتر، قال: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ، ثَلَاثًا»^(٥٤). يرفع صوته بالثالثة. فحريّ بالعبد أن يفقدي بنبيه ﷺ في ذلك.

تنزيه العبد نفسه وتطهيرها من أدران الشهوات والشبهات

(٥١) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب التوحيد، باب قول الله (ونضع الموازين القسط)، برقم (٧١٢٤). ومسلم، في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٦٩٤).

(٥٢) رواه مسلم، في صحيحه، في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم (٢٧٣١).

(٥٣) رواه مسلم، في صحيحه، في كتاب الصلاة، برقم (٤٨٧).

(٥٤) رواه أبو داود في سننه، في كتاب الصلاة، باب الدعاء بعد الوتر، برقم (١٤٣٠)، والنسائي في الكبرى، في كتاب الصلاة، باب كيف الوتر بثلاث، برقم (٤٤٦). والحديث صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٦٥/٥).

من عرف الله باسمه القدوس وتغلّغت معاني هذا الاسم في قلبه؛ كان ذلك من أعظم الأسباب التي تدعو العبد إلى تطهير باطنه وظاهره وجوارحه من كل الأدناس الحسية والمعنوية. فيطهر العبد نفسه، ويحرص على تزكيتها، لأن الله جل وعلا قد علّق الفلاح على تزكيتها وتطهيرها قال الله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۙ) [الشمس: ٩]. وقد كان من دعاء النبي ﷺ " اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها". فيطهر العبد قلبه من جميع الأمراض التي تُعرقل سيره إلى ربّه، كالكبر والغل والحسد والرياء وسوء الظن والتعلق بغير الله، ويطهر أيضاً ظاهره بالاتباع للنبي ﷺ، والحرص على سنته، ويطهر كسبه من الشبهات والحرام. وقد جاء في تفسير قول الملائكة: (وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ) [البقرة: ٣٠] "أي: أي نثني عليك بالقدس والطهارة وقيل: ونطهر أنفسنا لطاعتك" (٥٥).

وقال السعدي: " يحتمل أن معناها: ونقدسك، فتكون اللام مفيدة للتخصيص والإخلاص، ويحتمل أن يكون: ونقدس لك أنفسنا، أي: نطهرها بالأخلاق الجميلة، كمحبة الله وخشيته وتعظيمه، ونطهرها من الأخلاق الرذيلة" (٥٦).

٣- دعاء الله والتوسّل إليه بهذا الاسم العظيم

التوسّل إلى الله بالأسماء الحسنى من أعظم أسباب إجابة الدعاء، وقد أمر الله عباد بذلك فقال: (وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا) [الأعراف: ١٨٠] ، قال السعدي: " ومن تمام كونها حسنى أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: (فَادْعُوهُ بِهَا) وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب" (٥٧). فعلى العبد أن يتوسّل إلى ربّه بهذا الاسم العظيم، ويسأله ما شاء من خيري الدنيا والآخرة، فباب التوسّل إلى الله بالأسماء الحسنى باب عظيم، يحبه الله جل وعلا، ومن أمثلة التوسّل إلى الله بهذا الاسم:

أن يسأل العبد ربّه تطهير قلبه من الأمراض، وظاهره من العيوب، وتطهير نفسه من كل ما يشينها، وتطهير لسانه من الكذب، فيختار العبد ما يناسب معنى هذا الاسم ويتوسّل إلى ربّه به.

٥- التحاكم إلى شرعه سبحانه والرضا به، والتسليم له

من مقتضيات التعبد باسم الله القدوس، التحاكم إلى شرعه سبحانه والرضا به، والتسليم له. فالله جل وعلا هو أحكم الحاكمين، كما قال تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ

(٥٥) تفسير البغوي (٧٩/١).

(٥٦) تفسير السعدي (٤٨).

(٥٧) تفسير السعدي (٣٠٩).

الْحَكِيمِينَ ٨) (التين: ٨]، وقد نزه نفسه عن شرك من أطاع المخلوقين في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله، قال سبحانه: (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٣١) [التوبة: ٣١]. فإذا آمن العبد بهذا الاسم العظيم وعرف مقتضياته، لم يرض إلا بحكم الشريعة، ولا يطمئن إلا بالتسليم لشرع ربّه، والرضا به، ولا يقدم على حكم الله حكم أحد من البشر، كائنًا من كان. وذلك لأنه قدوس؛ ومقتضى ذلك: أنه حكّم عدل منزّه عن الظلم والجور وكذلك شريعته منزّهة عن النقص وعن الظلم والجور كما قال تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٥٠) [المائدة: ٥] فاقترضى تقديسه الإيمان بأن شرعه هو أفضل الشرائع وأكملها، وأن حكمه أعدل الأحكام وأفضلها، وهو من أوجه اقتران هذا الاسم باسم الملك كما تقدم.

المطلب الثاني: الآثار الإيمانية لاسم الله القدوس

الإيمان بأسماء الله وصفاته له أثر عظيم على صاحبه، وكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته وظهرت عليه آثار هذه الأسماء أحبه الله وقربه وأدناه، "وهو سبحانه كما يحب أسمائه وصفاته؛ فإنه يحب آثارها وموجبها"^(٥٨). واسم الله القدوس من الأسماء التي لها عظيم الأثر على المؤمن إذا عرف معناها وتحقق بها، فمن الآثار الإيمانية لهذا الاسم العظيم على صاحبه:

أولاً: حصول المحبة

محبة الله وتعظيمه وإجلاله من أعلى مقامات الإيمان، "وهي روح الإيمان والأعمال والمقامات والأحوال، التي متى خلّت منها فهي كالجسد الذي لا روح فيه"^(٥٩). ومن أعظم آثار هذا الاسم العظيم على صاحبه حصول المحبة، فالله جل وعلا القدوس المتصف بصفات الكمال والجلال، والمنزه عن النقائص والعيوب، ومن كان هذا وصفه فالنفوس مجبولة على حبه وتعظيمه، قال ابن تيمية: "فمن عرف الله وقلبه سليم أحبه؛ وكلما ازداد له معرفة ازداد حبه له؛ وكلما ازداد حبه له ازداد ذكره له ومعرفته بأسمائه وصفاته"^(٦٠).

^(٥٨) شفاء العليل لابن القيم (٢/٣٢٥).

^(٥٩) مدارج السالكين لابن القيم (٣/٣٦٥).

^(٦٠) مجموع الفتاوى (٣٣٨/٧).

وكيف لا يحب ربّه و"قد اجتمعت له صفات الكمال ونعوت الجلال، منزّة عن المثال، بريء من النقائص والعيوب، له كل اسم حسن وكل وصف كمال" ^(٦١).

^(٦١) الفوائد لابن القيم (٢٦٢).

ثانيًا: السلامة من الآفات وأمراض القلوب

من آثار اسم الله القدّوس؛ السلامة من الآفات وأمراض القلوب، كالحسد والكبر، لأن هذا الاسم كما سبق يدور معناه على إثبات الكمال لله فإذا " عرف ربّه بصفات الكمال ونعوت الجلال، و عرف نفسه بالنقائص والآفات؛ لم يتكبر ولم يغضب لها ولم يحسد أحدًا على ما آتاه الله؛ فإن الحسد في الحقيقة نوعٌ من معاداة الله؛ فإنه يكره نعمة الله على عبده وقد أحبها الله، ويُحبّ زوالها عنه والله يكره ذلك؛ فهو مضادٌ لله في قضائه وقدره ومحبته وكرهته"^(٦٢).

ثالثًا: الرضا والطمأنينة عند المصائب

ومن آثار الإيمان باسم الله القدّوس؛ الرضا والطمأنينة عن المصائب، فمن علم أن الله مُنزّه عن النقص في شرعه وقدره؛ علم أن كل ما يُقدّرُه سبحانه لحكمة عظيمة، وأن ذلك كله في مصلحة العبد، وإن جهلها، فيجعله ذلك يصبر على المصائب، وتطمئن نفسه، قال ابن القيم: "من صحّت له معرفةُ ربه والفقه في أسمائه وصفاته؛ علم يقينًا أن المكروهات التي تُصيبه والمحن التي تنزل به فيها ضروبٌ من المصالح والمنافع التي لا يُحصى علمه ولا فكره، بل مصلحة العبد فيما يكره أعظم منها فيما يُحب؛ فعامّة مصالح النفوس في مكروهاتها"^(٦٣).

رابعًا: حسن الظن به سبحانه

ومن آثار اسم الله القدّوس حسن الظن بالله تعالى، فحسن الظن بالله مقام إيماني عظيم، ينبغي للمسلم أن يتحقق به، لأن سوء الظن بالله مما يقدح في تنزيه الله سبحانه الذي هو من المعاني التي يدور عليها اسم الله القدّوس، والله سبحانه قد توعدّ المشركين والمنافقين بسببهم ظنهم السيء به، قال الله سبحانه: (وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٦) [الفتح: ٦] قال ابن القيم: " ولم يجئ مثل هذا الوعيد في غير من ظنَّ السَّوْءَ به سبحانه"^(٦٤). " وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله بأسمائه وصفاته"^(٦٥). ومن

(٦٢) الفوائد لابن القيم (٢٣١).

(٦٣) الفوائد لابن القيم (١٣٣).

(٦٤) مدارج السالكين لابن القيم (٢٩٧/٤).

(٦٥) زاد المعاد لابن القيم (٢٧٦/٣).

أعظم هذه الأسماء اسم الله القدوس فمن تحقق به وعمل بمقتضاه أسلمه ذلك إلى حسن الظن بالله، فإذا أحسن العبد ظنه برّبه؛ أقبلت عليه وفود الخيرات، وملا يديه من البركات، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: يقول الله عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي»^(٦٦).

خامساً: حصول الذل والافتقار لله

من تحقق بمعاني اسم الله القدوس، وشهد قلبه كمال الله وعظمته ونزاهته عن النقائص؛ أورثه ذلك مقاماً هو لب العبودية وحقيقة التوحيد، ألا وهو الافتقار إلى الله "ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علماً وحالاً، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد؛ فقد أعطي حظّه من التوفيق، ومن حرمه فقد مُنِع الطريق والرفيق"^(٦٧). والعلم بالله ومعرفته والتفكير في عظمته وقديسيته آثاره على العبد عظيمة، قال الحافظ ابن رجب مبيّناً أثر العلم بالله على الخشوع والإخبات وحصول الذل والانكسار: "أصل الخشوع الحاصل في القلب إنما هو من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وجلاله وكماله، فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع، ويتفاوت الخشوع في القلوب بحسب تفاوت معرفتها لمن خشعت له، وبحسب مشاهدة القلوب للصفات المقتضية للخشوع"^(٦٨). واسم الله القدوس مداره على معرفة ما لله من الكمال المطلق والعظمة والكبرياء، وما يجب أن ينزّه عنه سبحانه، ولذا كان المتحقق به قريب من ربّه بالخشوع والخضوع والاخبات.

سادساً: حصول التوكل واليقين بكفاية الله

التوكل على الله وتفويض الأمور إليه والثقة بكفايته؛ أعلى مقامات الإيمان، وهو من أجل ما يثمره العلم بأسماء الله وصفاته، فالتوكل على الله له صلة وثيقة بأسماء الله وصفاته، وكلما زاد علم العبد بأسماء ربّه وصفاته؛ عظم توكله عليه. لأن التوكل يجمع أصلين: علم القلب وعمله. قال ابن القيم مبيّناً أول عتبات التوكل "فأول ذلك: معرفة بالرب وصفاته من قدرته، وكفايته، وقُيُومِيّته، وانتهاء الأمور إلى علمه،

^(٦٦) رواه مسلم، في كتاب الذكر والدعاء، برقم (٢٦٧٥).

^(٦٧) إعلام الموقعين (١٣٢/٤).

^(٦٨) مجموع رسائل ابن رجب (رسالة الذل والانكسار للعزیز الجبار)، (٢٩٣/١).

وصدورها عن مشيئته وقدرته. وهذه المعرفة أول درجة يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل^(٦٩).

فإذا عرف العبد ربّه بأسمائه وصفاته ومن أخصّها اسمه القدّوس، عظم توكله على ربّه، وكان من السابقين إلى الله في ميدان التوكل، فإذا اعتمد العبد على ربّه وجد إلى كل الخير سبيلاً، وتولّاه الله وكفاه ما أهمّه، قال الله (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [الطلاق: ٣].

سابغاً: الحياء من الله

الحياء خلق عظيم يبعث على فعل الفضائل وترك الرذائل، والحياء لا يأتي إلا بخير، والحياء أصل الأخلاق الفاضلة وأساس الأحوال الكاملة، قال النبي ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»^(٧٠). وهو من شعب الإيمان العظيمة، قال النبي ﷺ: «والحياء شعبة من الإيمان»^(٧١). ومن تأمل في اسم الله القدّوس ومعانيه العظيمة أورثه ذلك الحياء من الله العظيم، فيستحي العبد الفقير من ربّه الجليل أن يعصيه ويخالف أمره، كيف يعصي الله ربّه وهو العظيم الذي له الكمال المطلق، المنزه عن النقص سبحانه، الذي لا يخفى عليه شيء من أمر عباده، وإذا وقع منه شيء من ذلك فزع إلى التوبة والاستغفار، كذلك مهما عمل من الطاعات والقربات عرف أن مقام ربّه أعظم، فكسره ذلك وأبعد عنه العجب بالعمل، لأنه يعرف أن حق الله عظيم، فإذا عرف العبد ربّه باسمه القدّوس ازداد من حياء وهيبة.

ثامناً: كثرة ذكره سبحانه وتحميده واللهج بذلك.

ومن أعظم آثار هذا الاسم الإيمانية على العبد أن يجعله لهجاً بذكر الله سبحانه، وتسبيحه وتحميده، فهذا الرب العظيم المتصف بهذا الصفات الكاملة والمُنزّه عن النقائص ينبغي للعبد أن يذكره على كل أحيانه، ويلهج بذلك قدر المستطاع، فحق الله عظيم، ولذا كلما كان العبد بربّه أعرف كان أكثر ذكراً له وتعلّقاً به، فمن أحبّ شيئاً أكثر من ذكره، ومن عرف الله بكماله وقديسيته وجماله وجلاله أحبّه لا محالة.

^(٦٩) مدارج السالكين لابن القيم (٣٩١/٢).

^(٧٠) رواه البخاري، في كتاب الأدب، باب الحياء، برقم (٥٧٦٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٣٧).

^(٧١) رواه البخاري، في كتاب الإيمان، باب أمور الدين، برقم (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، برقم (٣٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وتمّ بفضلله وتيسيره هذا البحث، وبعد هذا التطواف اليسير في موضوع اسم الله القدوس تبين لي ما يلي:

١ - أهمية علم الأسماء والصفات، وضرورة دراسته ونشره وتعليمه وبيان مقتضياته لما في ذلك من آثار طيبة ونتائج حميدة على المسلمين في دينهم ودنياهم.

٢ - كلما تحقق إيمان المسلم بأسماء الله وصفاته قاده ذلك إلى خيري الدنيا والآخرة، ورأى آثاره المباركة على عقيدته وإيمانه وسلوكه ومنهجه.

٣ - أن أعظم وسيلة لمواجهة الفتن والشبهات والشهوات التي فتحت على المسلمين، تكون في غرس معاني أسماء الله وصفاته فيهم، فإن لذلك أثراً عظيماً في تحصينهم.

٤ - أن اسم الله القدوس يدور معناه على الطهارة والنزاهة والبركة، وأن هناك توافق بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي.

٥ - أن المسائل المتعلقة باسم الله القدوس كثيرة وذلك لأن معنى هذا الاسم يقوم على أصلين، هما مدار التوحيد، وهما إثبات الكمال لله، وتنزيهه سبحانه عن النقائص.

٦ - دلالة اسم الله القدوس على أنواع التوحيد الثلاثة، الربوبية والألوهية والأسماء والصفات.

٧ - أن من عرف معنى اسم الله القدوس، وعرف مقتضياته، كان ذلك أعظم معين له على ذكر الله ومراقبته والخشوع والإخبات له، والحياء منه سبحانه.

أهم التوصيات

١ - العناية بأسماء الله وصفاته، وبيان مقتضياتها ومعانيها، وتقريبها للناس.

٢ - جمع جميع أبحاث الترقية التي تناولت أسماء الله الحسنى، وجمعها في كتاب واحد، لأن هذا مشروع فردي، فحبذا أن يتحول إلى مشروع واحد بعد الاستئذان من الباحثين.

٣ - الكتابة عن بقية أسماء الله الحسنى التي لم يكتب عنها بحثاً مستقلاً.

٤ - العناية بترجمة معاني أسماء الله الحسنى إلى اللغات الأجنبية الحية.

والله تعالى أعلم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

قائمة المراجع

- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، أبو عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي، **ت: رضا معطي،** عثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، **و**حمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، ط: ٢، ١٤١٥ هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، **ت** محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ط، ١٤٤٠ هـ.
- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، أبو بكر البيهقي، تحقيق أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط، ١، ١٤٠١ هـ.
- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، **ت** علي العمران، دار عطاءات العلم، ط، ١، ١٤٤٠ هـ.
- تفسير التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، ط ١، ١٩٨٤ م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، **ت** سامي السلامة، دار طيبة الخضراء، ط، ٣، ١٤٢٦ هـ.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، الشيخ عبدالرحمن السعدي، **ت** ياسر المطيري، دار المنهاج، ط، ١، ١٤٣٦ هـ.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي **ت: عبد الرحمن بن معلا الوليح، مؤسسة الرسالة، ط: ١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.**
- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر الطبري، **ت** عبدالله التركي، دار هجر، ط، ١، ١٤٢٢ هـ.
- الداء والدواء، ابن قيم الجوزية، **ت** محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ط، ٤، ١٤٤٠ هـ.
- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، أبو نصر السجزي، **ت: محمد باكريم با عبد الله، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط: الثانية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م.**
- رسائل في التوحيد، العز بن عبد السلام، **ت** إياد الطباع، دار الفكر، ط، ١، ١٤١٥ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، **ت** محمد أجمل الإصلاحي/ سليمان العمير، دار عطاءات العلم، ط، ٤، ١٤٤٠ هـ.

- سنن أبي داود، أبو داود السجستاني، ت شعيب الأنطاوي، دار الرسالة، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- السنن الكبرى، الإمام النسائي، ت حسن عبدالمنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢١هـ.
- شأن الدعاء، أبو سليمان الخطابي، ت أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، ط ١، ١٤٠٤هـ.
- شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية، ت عبدالله السليمان، الدار العمريّة، ط ١، ١٤٤٥هـ.
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، ابن قيم الجوزية، ت سليمان العمير، عطاءات العلم، ط ٢، ١٤٤١هـ.
- الصحاح، أبو نصر الجوهري، ت أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، ط ٤، ١٤٠٧هـ.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار التأسيس، ط ١، ١٤٣٣هـ.
- صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج، طبعة دار التأسيس، ط ١، ١٤٣٣هـ.
- غريب القرآن، ابن قتيبة، ت أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط ١، سنة الطبع ١٩٧٨م.
- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام، الشيخ عبدالرحمن السعدي، تحقيق: عبدالرزاق البدر، دار الفضيلة، ط ١، ١٤٣٠هـ.
- الفوائد، ابن قيم الجوزية، ت محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم، ط ٤، ١٤٤٠هـ.
- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين، الناشر: الجامعة الإسلامية، ط ٣، ١٤٢١هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة ، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- مدارج السالكين، ابن قيم الجوزية، ت محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ط ٢، ١٤٤١هـ.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد البغوي، ت محمد النمر، ط ٤، ١٤١٧هـ.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- مفاتيح الغيب، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ت محمد رشاد سالم، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.
- المنهاج في شعب الإيمان، أبو عبد الله الحليمي، ت حلمي محمد فودة، دار الفكر، ط: ١، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي في القاهرة. بلا سنة طبع.



مسائل الإجماع في آداب القول - جمعا ودراسة

Issues of consensus in the etiquette of speech - collection and study

إعداد

عبد الله بن أحمد بن علي أبو مهاف

Abdullah Ahmed Ali Abu Mahayef

مسار الفقه وأصوله - قسم الدراسات الإسلامية - كلية التربية - جامعة الملك سعود

Doi: 10.21608/jasis.2024.367237

٢٠٢٤ / ٥ / ٥

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٢١

قبول البحث

أبو مهاف، عبد الله بن أحمد بن علي (٢٠٢٤). مسائل الإجماع في آداب القول - جمعا ودراسة. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ١٧٥ - ٢٠٠.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

مسائل الإجماع في آداب القول - جمعا ودراسة

المستخلص:

يدور البحث حول جمع ودراسة المسائل التي حكي فيها الإجماع أو الاتفاق أو نفي الخلاف والمصطلحات ذات الصلة ومشتقاتها ، في مجال آداب القول ، مما يدل على مكانة الإجماع كمصدر من مصادر التشريع في الإسلام ، ، وذلك من خلال كتب الآداب الشرعية القديمة ، حيث سيتناول الباحث مسائل : إباحة المعاريض ، والنهي عن قول مولاي ، والنهي عن النياحة ، والنهي عن قول هلك الناس ، والنهي عن قول يا خيبة الدهر . وسيستخدم الباحث المنهج الاستقرائي في تناول موضوعات بحثه ، ومن أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث :
- إباحة المعاريض بشرط أن لا تبطل حقا لمسلم .
- النهي عن قول مولاي الإجماع غير متحقق ، والله أعلم .
- النهي عن النياحة الإجماع غير متحقق ، والله أعلم .
الكلمات المفتاحية : الإجماع - آداب القول - المسائل - الإباحة - النهي .

Abstract:

The research focuses on collecting and studying issues where consensus, agreement, or lack of disagreement is mentioned, and related terms and derivatives, in the field of verbal manners. This highlights the importance of consensus as a source of Islamic legislation through old books of ethical jurisprudence. The researcher examines issues such as the permissibility of euphemisms, prohibition of saying "My master," mourning, saying "People are doomed," and saying "Oh, the misfortune of time." The researcher uses the inductive method, and key findings include :

-Euphemisms are permissible if they do not nullify a Muslim's rig.

- Consensus on the prohibition of saying "My master" is not achieved, and only Allah knows.

Consensus on the prohibition of mourning is not achieved, and only Allah knows.

Keywords: Consensus, verbal manners, issues, permissibility, prohibition.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد:

فمن المعلوم أن دليل الإجماع أحد مصادر التشريع الرئيسية التي يستدل بها على ثبوت الأحكام الشرعية، وقد صار محل عناية العلماء واهتمامهم، حيث يعتني الفقهاء عند ذكر المسائل الفقهية بتبيين مواطن الاتفاق والاختلاف وما ينبني على ذلك من جواز الخلاف من عدمه، وبهذا تظهر مكانة دليل الإجماع من بين الأدلة الشرعية، وتتضح أهمية جمع المسائل الفقهية التي حكي بشأنها إجماع، أو اتفاق، أو نفي النزاع . وقد جرت عادة العلماء في تصنيف الفنون والكتابة فيها بشكل متدرج متسلسل حتى ينضج الفن من فنون العلم ويستقل وينفصل بعد نضجه، وتكتب فيه الكتابات وتصنف فيه التصنيفات بشكل مستقل منفرد، ومن هذه العلوم التي صنفت وكتب فيها علوم الشريعة وكل فن منها عندما ينضج يستقل بأسلوب خاص بالتصنيف والترتيب والتأليف، ومن ذلك مجال الأخلاق والآداب الشرعية، فهي مجال واسع من مجالات الشريعة الإسلامية . وقد جاءت فكرة هذا البحث لجمع ودراسة المسائل التي حكي فيها الإجماع في آداب القول تحت عنوان (مسائل الإجماع في آداب القول جمعا ودراسة) .

مشكلة البحث :

اعتنى العلماء بحكاية الإجماع في مجالات الفقه المختلفة، ومنها مجال الآداب الشرعية، وهذه المسائل ماثورة متفرقة في كتبهم، وتحتاج إلى جمع ودراسة فقهية وفق منهج وقواعد البحث العلمي، وهذا ما يقوم به هذا البحث حيث يتم جمع ودراسة المسائل التي حكي فيها الإجماع في آداب القول .

أهمية البحث وأسباب اختياره :

- ١ - مكانة دليل الإجماع باعتباره مصدرا من مصادر التشريع في الإسلام.
- ٢ - الحاجة الماسة إلى جمع ودراسة مسائل الإجماع في الآداب الشرعية.
- ٣ - قلة الكتب التي عنيت بجمع مسائل الإجماع إجمالاً، وإجماعات الآداب الشرعية خصوصاً.
- ٤ - مسائل الإجماع في الآداب الشرعية ماثورة مثورة وحري بها أن تجمع وتدرس ليعمل بها وتنتشر بين الناس .

أهداف البحث :

- ١ - جمع المسائل التي نقل فيها الإجماع في آداب القول .
- ٢ - بيان من نقل الإجماع من أهل العلم، تنصيحا أو اتفاقا .
- ٣ - التحقق من ثبوت الخلاف في المسألة، ودراستها دراسة فقهية مقارنة .
- ٤ - بيان درجة الخلاف قوة وضعفا في المسألة محل الدراسة .

أسئلة البحث:

- ١ - ما المسائل التي حكي فيها الإجماع في آداب القول ؟ .
- ٢ - من العلماء نقل الإجماع تنصيحا أو اتفاقا ؟ .
- ٣ - هل حكي أحد من العلماء خلافا في المسألة التي وردت حكاية الإجماع بشأنها؟ وما أقوال العلماء فيها ؟ .
- ٤ - ما درجة الخلاف من حيث القوة والضعف في المسألة محل الدراسة ؟ .

حدود البحث :

المسائل التي حكي فيها الإجماع أو الاتفاق أو نفي الخلاف والمصطلحات ذات الصلة ومشتقاتها، في مجال آداب القول ، وذلك من خلال كتب الآداب الشرعية القديمة : إباحة المعارض ، والنهي عن قول مولاي ، والنهي عن النياحة ، والنهي عن قول هلك الناس ، والنهي عن قول يا خيبة الدهر .

منهج البحث : المنهج الاستقرائي :

خطة البحث :

المقدمة : تشتمل علي مشكلة البحث ، وأهميته وأسباب اختياره ، وأهدافه ، وأسئلته ، وحدوده ، ومنهجه ، وخبطته .
المطلب الأول : إباحة المعارض .
المطلب الثاني : النهي عن قول مولاي .
المطلب الثالث : النهي عن النياحة .
المطلب الرابع : النهي عن قول هلك الناس .
المطلب الخامس : النهي عن قول يا خيبة () الدهر .
الخاتمة : تشتمل علي أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .
المصادر والمراجع .

المطلب الأول : إباحة المعارض^(١) :
تباح بشرط أن لا تبطل حقاً لمسلم^(٢).

• من نقل الإجماع:

الراغب الأصفهاني^(٣) (٥٠٢هـ) حيث يقول: "ولا خلاف أن في المعارض حيث يضطر الإنسان إليها تجوز"^(٤).
ابن تيمية (٧٢٨هـ) حيث يقول: "والمرخص فيه هو المعارض بالاتفاق"^(٥).
الخازن^(٦) (٧٤١هـ) حيث يقول: "وأجمعوا على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتي بالمعارض، وبما يوهم أنه كفر"^(٧).
ابن مفلح (٧٦٣هـ) حيث يبيح المعارض، يقول: "وقال: ظاهر كلام أحمد له تأويله وهو مذهب الشافعي فلا نعلم فيه خلافاً"^(٨).
ابن الملقن (٨٠٤هـ) حيث يقول: "وهذا من باب: المعارض الجائزة كما سلف، والحيل من التخلص من الظلمة، بل نقول: إنه إذا لم يتخلص رجل من الظلمة إلا بالكذب الصراح جاز له أن يكذب، وقد يجب في بعض الصور بالاتفاق"^(٩).

(١) التعريض هو: خلاف التصريح، والمعارض: التورية بالشيء عن الشيء، والمعارض هي: أن يتكلم الرجل بكلام جائز يقصد به معنى صحيحاً ويوهم غيره أنه يقصد به معنى آخر، ينظر: لسان العرب (٧/ ١٨٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٢/ ٢١٨)، تقريب فتاوى ابن تيمية (٢/ ٥٩٩).

(٢) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ٩٩)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٢٤).

(٣) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني المعروف بالراغب، أديب، من الحكماء العلماء. من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، له، المفردات في غريب القرآن، وتفسير القرآن، والذريعة إلى مكارم الشريعة، وغيرها، توفي سنة (٥٠٢هـ). ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، للفيروز آبادي (ص: ١٢٢).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (ص ١٩٥).

(٥) جامع المسائل (٨/ ٦٨).

(٦) هو: علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر بن خليل الشبلي، المعروف بالخازن، اشتغل كثيراً وجمع تفسيراً كبيراً سماه التأويل لمعالم التنزيل، وهو الذي صنف مقبول المنقول في عشر مجلدات جمع فيه بين مسند الشافعي وأحمد والسنن والموطأ والدارقطني، وكان حسن السمعة والبشر والتودد، توفي سنة (٧٤١هـ). ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر (٤/ ١١٥).

(٧) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (٣/ ١٠١).

(٨) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٤١).

(٩) التوضيح لشرح الجامع الصحيح (١٤/ ٥٥١).

ابن حجر الهيتمي (٩٧٤هـ) حيث يقول: "واعلم: أنهم أجمعوا على أن مَنْ أكره على الكفر لزمه الإتيان بالمعاريض وبما يوهم أنه كفرٌ ما لم يُكره على التصريح بخصوصه بشرط طمأنينة القلب على الإيمان غير معتقٍ لما يقوله، ولو صبر حتى قتل كان أفضل" (١٠).

• **الموافقون على الإجماع:**
الحنفية (١١) والمالكية (١٢) والشافعية (١٣) والحنابلة (١٤).

• **مستند الإجماع:**

١- عن الحسن البصري قال: (أنت عجوز إلى النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ادع الله أن يدخلني الجنة، فقال: يا أم فلان، إن الجنة لا تدخلها عجوز قال: فقلت تبكي فقال: أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: {إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا} [الواقعة: ٣٦]) (١٥).

٢- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلا استحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (إني حاملك

على ولد الناقة» فقال: يا رسول الله، ما أصنع بولد الناقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «وهل تلد الإبل إلا النوق؟» (١٦).

٣- عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (من يشتري العبد؟) فقال: يا رسول الله، إذا والله تجدني كاسدا، فقال النبي ﷺ: " لكن عند الله لست بكاسد أو قال: " لكن عند الله أنت غال) (١٧).

(١٠) الفتح المبين بشرح الأربعين (ص ٦١٠).

(١١) ينظر: المبسوط (٣٠ / ٢١١)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٩ / ٢٤٩).

(١٢) ينظر: النخبة (١٣ / ٣٣٩).

(١٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦ / ٢٣٩)،

(١٤) ينظر: المغني (١٣ / ٤٩٨)، الكافي في فقه الإمام أحمد (٤ / ١٩٧).

(١٥) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية، باب ما جاء في مزح النبي - صلى الله عليه وسلم - (ص: ١١٣ - ١١٤) برقم: (٢٤١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: (٢٩٨٧).

(١٦) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، (٤ / ٣٥٧) برقم:

(١٩٩١)، وقال: هذا حديث صحيح غريب، وصححه الألباني في المشكاة، برقم: (٤٨٨٦).

(١٧) أخرجه أحمد (٢٠ / ٩١)، برقم: (١٢٦٤٩)، والبغوي في شرح السنة، كتاب البر

والصلة، باب المزاح، (١٣ / ١٨١) برقم: (٣٦٠٤)، وصححه الألباني في تخريج هداية

الرواة لابن حجر برقم: (٤٨١٥)

٤- عن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات... وذكر منها: واحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك...) الحديث^(١٨).

٥- قول النبي - ﷺ -: "نحن من ماء"^(١٩).

٦- عن أنس، أن أبا بكر كان رديف رسول الله ﷺ بين مكة والمدينة، وكان أبو بكر يختلف إلى الشام، وكان يعرف، وكان النبي ﷺ لا يعرف، فكانوا يقولون: يا أبا بكر، من هذا الغلام بين يديك؟ قال: هذا يهديني السبيل"^(٢٠).

• وجه الدلالة:

هذا كله من التأويل والمعاريض، وقد سماه النبي - ﷺ - حقاً فقال: (لا أقول إلا حقاً)^(٢١)، وكان يقول ذلك في المزاح من غير حاجة إليه^(٢٢)، فدل ذلك على إباحة المعاريض.

٧- عن كعب بن مالك - رضي الله عنه- (أن النبي - ﷺ - كان إذا أراد غزوة ورى بغيرها، وكان يقول الحرب خدعة)^(٢٣).

٨- عن أسماء بنت يزيد^(٢٤) قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا يحل الكذب إلا في ثلاث: يحدث

(١٨) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {واتخذ الله إبراهيم خليلاً}، (١٢٢٥/٣) برقم: (٣١٧٩)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، (٩٨/٧) برقم: (٢٣٧١)، والفظله.

(١٩) المغازي للواقدي (٥٠/١)، وسيرة ابن هشام (١٨٩/٢)، وقال صاحب ضعيف وصحيح تاريخ الطبري (٩٥/٢): إسناده إلى ابن إسحاق ضعيف، وقد رواه ابن إسحاق عن محمد بن حبان مرسلًا.

(٢٠) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، (١٤٢٣/٣) برقم: (٣٦٩٩).

(٢١) أخرجه أحمد (١٨٥/١٤)، برقم: (٨٤٨١)، والبخاري في الأدب المفرد، باب المزاح (ص: ١٤٠)، والترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في المزاح، (٣٥٧/٤) برقم: (١٩٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، برقم: (٢٥٠٩).

(٢٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١٥/١).

(٢٣) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل: {وعلى الثلاثة الذين خلفوا}، (١٦٠٣/٤) برقم: (٤١٥٦)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، (١٠٥/٨) برقم: (٢٧٦٩).

الرجل امرأته ليرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس^(٢٥).

• وجه الدلالة:

قال أهل العلم: هذا أصل في جواز المعاريض، وليس بكذب وخارج عن حد الكذب في حق المخبر، داخل في باب المعاريض التي جعلها الشرع مندوحة عن الكذب عند الضرائر، ولكن سماها النبي ﷺ كذبات؛ لأنه أتى بها لمن خاطبه على ظاهرها ومعتقده خلاف ذلك، فلما كان في حق المخبر والخبر ظاهرها بخلاف باطنها جاءت في صورة الكذب، وإن لم يكن كذباً في الباطن. وهذه على صورة المعاريض، ولما جاءت بهذه الصورة سماها النبي محمد وإبراهيم - عليهما السلام - كذبات^(٢٦).
٩- عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: "إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب"^(٢٧).

• وجه الدلالة:

قوله - رضي الله عنه - صريح في إباحة المعاريض، وفيه دليل على أنه لا بأس باستعمال المعاريض للتحرز عن الكذب فإن الكذب حرام لا رخصة فيه^(٢٨).

• النتيجة:

الإجماع متحقق، والله أعلم.

المطلب الثاني : النهي عن قول مولاي :

• من نقل الإجماع:

أبو جعفر النحاس (٣٣٨هـ) حيث يقول: "فأما المولى، فلا نعلم اختلافاً بين العلماء أنه لا ينبغي لأحد أن يقول لأحد من المخلوقين: مولاي"^(٢٩)، نقله عنه ابن قاسم^(٣٠).

(٢٤) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية، أحد نساء بني عبد الأشهل، هي من المبايعات. وهي ابنة عمه معاذ بن جبل، تكنى أم سلمة، وقيل أم عامر، مدنية. كانت من ذوات العقل والدين، قتلت يوم اليرموك تسعة من الروم بعمود فسطاطها. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٥٧٦/٤)، أسد الغابة (١٦/٧).

(٢٥) أخرجه الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في إصلاح ذات البين، (٣٣١/٤) برقم: (١٩٣٩)، وقال الألباني: صحيح دون قوله: ليرضيها. ينظر: ضعيف سنن الترمذي (ص: ٢١٩).

(٢٦) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٣٤٧/٧)

(٢٧) ذكره ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الأدب، باب من كر المعارض ومن كان يحب ذلك، (٣٥٦/١٤) برقم: (٢٧٧٦)، وهناد بن السري في الزهد (٦٣٦/٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٣٠).

(٢٨) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢١١/٣٠).

(٢٩) عمدة الكتاب (ص ١١٣).

ابن حزم (٤٥٦ هـ) حيث يقول: "عن أبي هريرة عن النبي - ﷺ - قال: (ولا يقل العبد لسيده: مولاي، فإن مولاكم الله) (٣١)، في هذه الرواية زيادة النهي عن قول: مولاي، والنهي هو الزائد، والوارد برفع الإباحة.... وروى عن أبي هريرة من فتيناه: أبو يونس غلامه ولا يعلم له مخالف من الصحابة" (٣٢).

• الموافقون على الإجماع: الحنابلة (٣٣).

• مستند الإجماع:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - ﷺ - قال: (ولا يقل العبد لسيده: مولاي، فإن مولاكم الله) (٣٤).

• وجه الدلالة:

الحديث صريح في النهي.

• الخلاف في المسألة:

خالف في ذلك الحنفية (٣٥) والمالكية (٣٦) والشافعية (٣٧) مستدلين بحديث: أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله

ﷺ: (لا يقل أحدكم اسق ربك أطعم ربك وضي ربك ولا يقل أحدكم ربي وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبي أمتي وليقل فتاي فتاتي غلامي) (٣٨).

• النتيجة:

الإجماع غير متحقق، والله أعلم .

(٣٠) ينظر: حاشية الروض المربع لابن قاسم (٤ / ٢٤٦).

(٣١) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد، (٤٧/٧) برقم: (٢٢٤٩).

(٣٢) المحلى بالآثار (٨ / ٢٥٩).

(٣٣) المبدع في شرح المقنع (٣ / ٢٧٦)، حاشية الروض المربع لابن قاسم (٤ / ٢٤٦).

(٣٤) سبق تخريجه.

(٣٥) لم يشيروا إلى حكم إطلاق هذه اللفظة ولكنهم يستعملونها مما يدل على إباحتها عندهم، ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٧ / ١٩٤)، البناية شرح الهداية (١٢ / ٧٣).

(٣٦) لم يشيروا إلى حكم إطلاق هذه اللفظة ولكنهم يستعملونها مما يدل على إباحتها عندهم، ينظر: الجامع لمسائل المدونة غير موجود (٨ / ١١٧١).

(٣٧) ينظر: شرح السنة للبخاري (١٢ / ٣٥٠).

(٣٨) أخرجه البخاري، كتاب العتق، باب: كراهية التطاول على الرقيق، وقوله عبي وأمتي، (٩٠١/٢) برقم: (٢٤١٤)، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى والسيد، (٤٧/٧) برقم: (٢٢٤٩).

المطلب الثالث : النهي عن النياحة :

النياحة هي: رفع الصوت بالندب، والندب هو: تعديد النادبة بصوتها محاسن الميت، وكذلك من النياحة الإفراط في رفع الصوت بالبكاء وأما البكاء فلا بأس به إذا لم يكن فيه ندب ولا نوح ولا إفراط في رفع الصوت^(٣٩).

• من نقل الإجماع:

ابن عبد البر (٤٦٣هـ) حيث يقول: "وأجمع العلماء على أن النياحة لا تجوز للرجال ولا للنساء"^(٤٠)، نقله عنه ابن القيم^(٤١) وابن مفلح^(٤٢) والسفاري^(٤٣).
القرطبي (٦٧١هـ) حيث يقول: "والبكاء عند العرب يكون البكاء المعروف وتكون النياحة، وقد يكون معهما الصياح وضرب الخدود وشق الجيوب، وهذا محرم بإجماع العلماء"^(٤٤).

النووي (٦٧٦هـ) حيث يقول: "أجمعت الأمة على تحريم النياحة على الميت والدعاء بدعوى الجاهلية، والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة"^(٤٥)، ذكره بنحوه حسن الفيومي^(٤٦).

ونقله عن النووي والعيني^(٤٧) والشوكاني^(٤٨).
ابن تيمية (٧٢٨هـ) حيث يقول: "فإن الزيارة إذا تضمنت أمراً محرماً: من شرك أو كذب أو ندب أو نياحة فهي محرمة بالإجماع"^(٤٩)، ذكره بنحوه الألوسي^(٥٠).

(٣٩) ينظر: الجوهرة النيرة على مختصر القدوري ، (١/ ١٠٨).

(٤٠) الاستذكار (٣/ ٦٨).

(٤١) ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص ١٠٣).

(٤٢) ينظر: المبدع شرح المقنع (٢/ ٢٨٩).

(٤٣) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣/ ٣٦٩).

(٤٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص ١٤٥).

(٤٥) خلاصة الأحكام (٢/ ١٠٥٤ - ١٠٥٨).

(٤٦) ينظر: فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٤٧/ ١٤).

(٤٧) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨/ ٩٣).

(٤٨) ينظر: نيل الأوطار (٤/ ١٦٠).

(٤٩) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣٧٨)، وينظر: جامع المسائل (٤/ ١٤٩).

(٥٠) هو: محمود شكري بن عبد الله بن محمود بن عبد الله بن محمود الحسيني، الألوسي، البغدادى، مؤرخ، أديب، لغوي، من علماء الدين، أخذ العلم عن أبيه وعمه وغيرهما، له: بلوغ الأرب في أحوال العرب، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، وغيرها، توفي سنة (١٣٤٢هـ). ينظر: معجم المؤلفين (٣/ ٨١٠ - ٨١١).

(٥١) ينظر: غاية الأمان في الرد على النبهاني (١/ ٢٠٩).

الفاكهاني (٧٣٤هـ) حيث يقول: "فلا خلاف في تحريم ذلك كله؛ أعني: النياحة، وما ذكر معها من هذه الأفعال القبيحة"^(٥٢).
 أبو بكر الحداد^(٥٣) (٨٠٠هـ) حيث يقول: "وأجمعت الأمة على تحريم النوح والدعاء بالويل والثبور ولطم الخدود وشق الجيوب وخمش الوجوه"^(٥٤).
 أبو البقاء الدَميري (٨٠٨هـ) حيث يقول: "وأجمعوا على أن المراد بالبكاء هنا: إذا اقترن به ارتفاع صوت ونيابة، لا مجرد دمع العين"^(٥٥)، ذكره بنحوه السيوطي^(٥٦)،^(٥٧).
 العيني (٨٥٥هـ) حيث يقول: "ومما يستفاد منه: أن النوح حرام بالإجماع"^(٥٨).
 الصفوري^(٥٩) (٨٩٤هـ) حيث يقول: "أعلم أن النياحة حرام بإجماع المسلمين"^(٦٠).
 ابن علان (١٠٥٧هـ) حيث يقول: "وأجمعوا كلهم على اختلاف مذاهبهم: أن المراد من البكاء فيه، البكاء بصوت ونيابة، لا مجرد دمع العين"^(٦١).
 الطحطاوي^(٦٢) (١٢٣١هـ) حيث يقول: "فأجمعوا على أنه محمول على البكاء بصوت ونيابة لا بمجرد الدمع"^(٦٣).

(٥٢) رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام (٢٧٣/٣).
 (٥٣) أبو بكر بن علي الحداد الزبيدي الحنفي، رضي الدين، برع في أنواع من العلم واشتهر ذكره وطار صيته، وله زهد وورع وعفة وعبادة جمع تفسيراً حسناً هو الآن مشهور عند الناس يسمونه تفسير الحداد، من مصنفاته: تفسير الحداد، وشرح منظومة الهاملي توفي سنة (٨٠٠هـ). ينظر: البدر الطالع (١٦٦/١).
 (٥٤) الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، (١٠٨/١).
 (٥٥) النجم الوهاج في شرح المنهاج (٨٩/٣ - ٩٠).
 (٥٦) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن أبي سابق الدين بكر بن عثمان، الشيخ، العلامة، الإمام، المحقق، المدقق، المسند، الحافظ شيخ الإسلام جلال الدين، الشافعي صاحب المؤلفات الجامعة، والمصنفات النافعة، زادت مصنفاته على ستمائة مصنف، توفي سنة (٩١١هـ). ينظر: الكواكب السائرة (٢٢٧/١).
 (٥٧) ينظر: شرح السيوطي على مسلم (١٦/٣).
 (٥٨) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٠٢/٨).
 (٥٩) هو: عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري الشافعي: مؤرخ أديب من أهل مكة. نسبته إلى صفورية في الأردن. من كتبه: المحاسن المجتمعة في الخلفاء، ونزهة المجالس، ومنتخب النفائس، توفي سنة (٨٩٤هـ) ينظر: الأعلام (٣١٠/٣).
 (٦٠) نزهة المجالس ومنتخب النفائس، (٧٥/١).
 (٦١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، (٤٩١/٨).

ابن قاسم (١٣٩٢هـ) حيث يقول: "وأجمع أهل العلم على تحريم النياحة"^(٦٤).

• مستند الإجماع:

١- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢].

وجه الدلالة:

ولا يعصينك يا محمد في معروف من أمر الله عز وجل تأمرهن به، وذكر أن ذلك المعروف الذي شرط عليهن أن لا يعصين رسول الله ﷺ فيه هو النياحة^(٦٥).

٢- عن جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-، قال: أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فانطلق به إلى ابنه إبراهيم، فوجده يجود بنفسه، فأخذه النبي ﷺ، فوضعه في حجره فبكى، فقال له عبد الرحمن: أتبكي؟ أولم تكن نهيت عن البكاء؟ قال: (لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند مصيبة، خمش وجوه، وشق جيوب، ورنه شيطان)^(٦٦).

٣- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منا من لطم الخدود، وشق الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية)^(٦٧).

٤- عن أبي موسى الأشعري -رضي الله عنه-، (أن رسول الله ﷺ، برئ من الصالقة^(٦٨) والحالقة^(٦٩) والشاقة^(٧٠))^(٧١).

(٦٢) هو: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطهطاوي: فقيه حنفي. اشتهر بكتابه حاشية الدر المختار في فقه الحنفية، ومن كتبه أيضاً حاشية على شرح مراقي الفلاح، تعلم بالأزهر، ثم تقلد مشيخة الحنفية، توفي بالقاهرة سنة (١٢٣١هـ). ينظر: الأعلام (١/٢٤٥).

(٦٣) حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص ٥٦٥).

(٦٤) الإحكام شرح أصول الأحكام لابن قاسم (٢/١٢٣).

(٦٥) ينظر: المبدع شرح المقنع (٢/٢٨٩).

(٦٦) أخرجه الترمذي، أبواب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، (٣١٩/٣) برقم: (١٠٠٥)، وقال: هذا حديث حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم: (٥١٩٤).

(٦٧) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، (٤٣٥/١) برقم: (١٢٣٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب، (٦٩/١) برقم: (١٠٣).

(٦٨) الصالقة هي: التي ترفع صوتها بالنياحة، ينظر: الأذكار للنووي (ص ١٢٤).

(٦٩) الحالقة هي: التي تحلق شعرها عند المصيبة، ينظر: الأذكار للنووي (ص ١٢٤).

(٧٠) الشاقة: التي تشق ثيابها عند المصيبة، ينظر: الأذكار للنووي (ص ١٢٤).

٥- عن أبي موسى الأشعري-رضي الله عنه-، أن النبي -ﷺ- قال: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب والنياحة والاستسقاء بالأنواء)(٧٢).

٦- عن أم عطية(٧٣) قالت: (أخذ علينا رسول الله - ﷺ - في البيعة أن لا ننوح)(٧٤).

• وجه الدلالة:

أجمعت الأمة على تحريم جميع ما ذكر في هذه الأحاديث؛ لأن هذا فعل الجاهلية(٧٥)، وكان -ﷺ- يشترط على النساء في مبايعتهن على الإسلام أن لا ينحن(٧٦).

• الخلاف في المسألة:

خالف بعض الحنابلة وهي رواية عن أحمد فرأوا الكراهة(٧٧)؛ لقول أم عطية: (إلا آل فلان فإنهم أسعدوني في الجاهلية، فلا بد لي من أن أسعدهم، فقال: إلا آل فلان)(٧٨)، وعن أحمد رواية أخرى: بالإباحة(٧٩)؛ لأن وائلة(٨٠) وأبا وائل(٨١)، كانا يسمعان النوح ويبكيان(٨٢).

(٧١) أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة، (٤٦٣/١) برقم: (١٢٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخود وشق الجيوب، (٧٠/١) برقم: (١٠٤).

(٧٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، (٤٥/٣) برقم: (٩٣٤). (٧٣) هي: نسيبة بنت كعب، ويقال: بنت الحارث، أم عطية، وأم عمار، الأنصارية، المدنية، المازنية، البصرية، واللدة عبد الله بن زيد بن عاصم المازني، عاشت إلى حدود سنة ٧٠هـ. ينظر: أسد الغابة (٣٥٦/٧).

(٧٤) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، (٤٦/٣) برقم: (٩٣٦).

(٧٥) ينظر: الجوهرة النيرة على مختصر القدوري، (١٠٨/١).

(٧٦) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٨٤ / ٨).

(٧٧) ينظر: المبدع في شرح المقنع (٢٨٩ / ٢).

(٧٨) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، (٤٦/٣) برقم: (٩٣٧).

(٧٩) ينظر: المبدع في شرح المقنع (٢٨٩ / ٢).

(٨٠) هو: وائلة بن الأسقع بن عبد العزى بن عبد ياليل الكناني الليثي، وقيل: وائلة بن عبد الله بن الأسقع، كنيته أبو شداد، وقيل: أبو الأسقع وأبو قرصافة. أسلم والنبي ﷺ يتجهز إلى تبوك، وقيل: إنه خدم النبي ﷺ ثلاث سنين، وكان من أصحاب الصفة، توفي سنة (٨٥هـ). ينظر: أسد الغابة (٣٩٩/٥).

• النتيجة:

الإجماع غير متحقق، والله أعلم.

المطلب الرابع : النهي عن قول هلك الناس :

إذا قال ذلك عجباً بنفسه، وتصاغراً للناس، أو قال ذلك تأييساً للناس من رحمة الله^(٨٣).

• من نقل الإجماع:

ابن عبد البر (٤٦٣هـ) حيث يقول عن حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم)^(٨٤) "قال أبو عمر: هذا الحديث معناه لا أعلم خلافاً فيه بين أهل العلم أن الرجل يقول ذلك القول احتقاراً للناس وازدراء بهم وإعجاباً بنفسه وأما إذا قال ذلك تأسفاً وتحزناً وخوفاً عليهم لقبح ما يرى من أعمالهم فليس ممن عني بهذا الحديث والله أعلم"^(٨٥).

ابن رشد الجد (٥٢٠هـ) حيث يقول: "الحديث الذي جاء هذا فيه وسئل مالك عن تفسيره هو حديث أبي هريرة في جامع الموطأ أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: (إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكهم)^(٨٦)، وتفسير مالك صحيح لا اختلاف أعلمه في أن معنى الحديث، إذا قال ذلك إعجاباً بنفسه، واحتقاراً للناس. وأما إذا قاله إشفاقاً على من بقي، لقلة الخير فيهم، وتحزناً على من مضى لكثرته فيهم، فليس ممن جاء الحديث فيه، والله أعلم"^(٨٧).

(٨١) هو: شقيق بن سلمة أبو وائل الأسدي، صاحب ابن مسعود، أدرك زمان النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يره، وهاجر بعده، ولم يسمع منه، توفي سنة تسع وسبعين. ينظر: معرفة الصحابة (١٤٩٤/٣).

(٨٢) ينظر: المغني لابن قدامة (٤٩٠/٣)، وأخرج أثر أبو وائل ابن أبي شيبه في المصنف (٢٥٢/٧)، برقم: (١٢٤٨٩).

(٨٣) ينظر: شرح السنة للبخاري (١٣/١٤٤-١٤٥).

(٨٤) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، (٣٦/٨) برقم: (٢٦٢٣).

(٨٥) الاستنكار، (٨/٥٤٩).

(٨٦) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، (٣٦/٨) برقم: (٢٦٢٣).

(٨٧) البيان والتحصيل (١٧/٢٨٠).

ابن القطان (٦٢٨هـ) حيث يقول: "وقال رسول الله ﷺ: (إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكهم)^(٨٨)، لا خلاف في أنه الرجل يقوله احتقاراً للناس وازدراء بهم، وإعجاباً بنفسه فأما إن قاله تأسفاً لقبيح ما يرى من أعمالهم، فليس ممن عني به"^(٨٩).
النووي (٦٧٦هـ) حيث يقول: "واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، قالوا فأما من قال ذلك تحزناً لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه"^(٩٠)، ذكره بنحوه محمد بن عبد الوهاب^(٩١)^(٩٢).
الكجراتي (٩٨٦هـ) حيث يقول: "واتفقوا على أن الذم فيمن قاله على الإزراء وتفضيل نفسه لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، لا لمن قاله تحزناً لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص"^(٩٣).

• الموافقون على الإجماع: الحنابلة^(٩٤).

• مستند الإجماع:

- ١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: (إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكهم)^(٩٥).
- وجه الدلالة:

- (٨٨) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، (٣٦/٨) برقم: (٢٦٢٣).
- (٨٩) الإقناع في مسائل الإجماع (٢/ ٣٠٩).
- (٩٠) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٥).
- (٩١) هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في الجزيرة العربية، ولد في العينية بنجد، ونشأ بها وحفظ القرآن وأتقنه صغيراً وقرأ العلوم والفقه الحنبلي على والده، وزار الشام ودخل البصرة له مصنفات كثيرة منها: الأصول الثلاثة، والقواعد الأربع، والرسائل المفيدة، وغيرها، توفي سنة (١٢٠٦هـ). ينظر: النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل (ص: ٣٣٥ - ٣٣٧).
- (٩٢) ينظر: الكبائر لمحمد بن عبد الوهاب (ص ١٢٣).
- (٩٣) مجمع بحار الأنوار (٥/ ١٦٣).
- (٩٤) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٤٣٧)، جامع العلوم والحكم (ص ٧٢٦ - ٧٢٧).
- (٩٥) أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن قول هلك الناس، (٣٦/٨) برقم: (٢٦٢٣).

اتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم؛ لأنه لا يعلم سر الله في خلقه، قالوا فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه^(٩٦).

٢- لأنه أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبيهم والوقیعة فيهم وربما أذاه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم والله أعلم^(٩٧).

٣- لأن في ذلك كبراً واستهزاء بالناس، وهذا مذموم^(٩٨).

٤- لأنه سد باباً من الرجاء في الله لم يغلقه عن عباده^(٩٩).

٥- لأنه يحكم عليهم بالهلاك برأيه لا بدليل من أدلة الشرع^(١٠٠).

• النتيجة:

الإجماع منعقد، والله أعلم.

المطلب الخامس : النهي عن قول يا خيبة^(١٠١) الدهر :

يريد -والله أعلم- خيبتني من حاجتي التي طلبتها، فنسب الخيبة إلى الدهر وتظلم منه فنهوا عن ذلك^(١٠٢).

• من نقل الإجماع:

ابن عبد البر (٤٦٣هـ) حيث يقول تعقيباً على حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-^(١٠٣): "المعنى عند جماعة العلماء في هذا الحديث أنه ورد نهياً عن ما كان أهل الجاهلية يقولونه من ذم الدهر وسبه لما ينزل من المصائب في الأموال والأنفس، وكانوا يضيفون ذلك إلى الدهر ويسبونونه ويذمون به ذلك على أنه الفاعل ذلك بهم، وإذا وقع سبهم على من فعل ذلك بهم وقع على الله عز وجل، فجاء النهي عن ذلك تنزيهاً لله تعالى وإجلالاً له لما فيه من مضارعة سب الله وذمه، تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً"^(١٠٤).

(٩٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٥).

(٩٧) ينظر: المصدر السابق ، (١٦ / ١٧٦).

(٩٨) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨ / ١٠٤).

(٩٩) ينظر: تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص ٣٥٨).

(١٠٠) ينظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣ / ٥٦٠).

(١٠١) الحرمان والخسارة، وينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، (١ / ٢٤٧).

(١٠٢) ينظر: المنتقى شرح الموطأ (٧ / ٣٠٩).

(١٠٣) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، (٧ / ٤٥).

برقم: (٢٢٤٦).

(١٠٤) الاستذكار (٨ / ٥٥١).

ابن القطان (٦٢٨هـ) حيث يقول: "وقال رسول الله ﷺ: (لا يقل أحد: يا خيبة الدهر فإن الله هو الدهر) (١٠٥)، والجماعة على ما ذكرناه" (١٠٦).

• **الموافقون على الإجماع:**
الحنفية (١٠٧) والمالكية (١٠٨) والشافعية (١٠٩) والحنابلة (١١٠).

• **مستند الإجماع:**
١- قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤].

• **وجه الدلالة:**
تأويله والله أعلم أن العرب كان شأنها تدم الدهر وتسبه عند المصائب التي تنزل بهم من موت، أو هدم أو تلف أو غير ذلك، فيقولون إنما يهلكنا الدهر وهو الليل والنهار، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، فيجعلون الليل والنهار للذان يعلان ذلك، فيذمون الدهر بأنه الذي يفني بنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا الدهر على أنه يفنيكم والذي يفعل بكم هذه الأشياء، فإنكم إذا سببتم فاعل هذه الأشياء فإنما تسبون الله تبارك وتعالى، فإن الله عز وجل فاعل هذه الأشياء) (١١١)، فجاء النهي عن ذلك تنزيها لله تعالى وإجلالا له، لما في ذلك من مضارعة سبه وذمه (١١٣).

(١٠٥) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، (٤٥/٧) برقم: (٢٢٤٦).

(١٠٦) الإقناع في مسائل الإجماع (٢/ ٣١٠).

(١٠٧) ينظر: المبسوط (٩/ ١٧)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٩/ ١٦٧).

(١٠٨) ينظر: المنتقى شرح الموطأ (٧/ ٣٠٩).

(١٠٩) ينظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ١٥).

(١١٠) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٤٩١)، الأداب الشرعية (٣/ ٤٣٧).

(١١١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب صلاة الاستسقاء، باب ما جاء في سب الدهر، (٣/ ٥٠٩) برقم: (٦٤٩١)، وقال: وطرق هذا الحديث وما حفظ بعض رواته من الزيادة فيه دليل على صحة هذا التأويل، وفي الأسماء والصفات (١/ ٣٧٨)، برقم: (٣٠٥).

(١١٢) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٧٨).

(١١٣) ينظر: المسالك في شرح موطأ مالك (٧/ ٥٧٣).

٢- عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: (قال الله: يؤذني ابن آدم يقول: يا خيبة الدهر، فلا يقولن أحدكم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر ألقبه ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما)^(١١٤).

• وجه الدلالة:

كان أهل الجاهلية يضيفون المصائب والنوائب إلى الدهر الذي هو مرُّ الليل والنهار، وهم في ذلك فريقان، فرقة لا تؤمن بالله ولا تعرف إلا الدهر الليل والنهار اللذين هما محل للحوادث وظرف لمساقط الأقدار، فنسبت المكاراة إليه على أنها من فعله، ولا ترى أن لها مدبراً غيره وهذه الفرقة هي الدهرية التي حكى الله عنهم: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر)، وفرقة ثانية: تعرف الخالق فتنتزه أن تنسب إليه المكاراة فتضيفها إلى الدهر والزمان، وعلى هذين الوجهين كانوا يذمون الدهر ويسبونه، فيقول القائل منهم: يا خيبة الدهر، ويا يؤس الدهر، فقال لهم النبي -عليه السلام- مبطلاً ذلك من مذهبهم: (لا تسبوا الدهر على أنه الدهر، فإن الله هو الدهر)، يريد والله أعلم: لا تسبوا الدهر على أنه الفاعل لهذا الصنع بكم، فإن الله هو الفاعل له، فإذا سببتم الذي أنزل بكم المكاره رجع السبب إلى الله وانصرف إليه^(١١٥).

٣- الله تعالى لا يلحقه الأذى ولا المنافع والمضار، وإنما هو مجاز معناه: يؤذي أوليائي لأنهم يعلمون أن الله هو الفاعل لهذه الأمور التي ينسبها الجاهل إلى الدهر، فيتأذون بذلك كما يتأذون بسماع سائر ضروب الجهل والكفر، وهو كقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) [الأحزاب: ٥٧] معناه يؤذون أولياء الله^(١١٦).

٤- لأن في قوله: (يا خيبة الدهر) مفاصد منها: سبه من ليس بأهل للسب، فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله، منقاد لأمره، مذل لتسخيره، فسابه أولى بالذم والسب منه، ولأن سبه متضمن للشرك، فإنه إنما يسبه لظنه أنه يضر وينفع، وأنه مع ذلك ظالم، قد ضر من لا يستحق الضرر، وأعطى من لا يستحق العطاء، ورفع من لا يستحق الرفعة، وحرّم من لا يستحق الحرمان، وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة^(١١٧).

النتيجة:

الإجماع متحقق، والله أعلم.

(١١٤) أخرجه مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، (٤٥/٧) برقم: (٢٢٤٦).

(١١٥) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (٣٣٧/٩).

(١١٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٢٦٧/٥).

(١١٧) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤٢٢/٢).

الخاتمة : تشتمل علي أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث :

- ١ - إباحة المعاريض بشرط أن لا تبطل حقاً لمسلم .
- ٢ - النهي عن قول مولاي الإجماع غير متحقق ، والله أعلم .
- ٣ - النهي عن النياحة الإجماع غير متحقق ، والله أعلم .
- ٤ - النهي عن قول هلك الناس ، الإجماع منعقد ، والله أعلم .
- ٥ - النهي عن قول يا خيبة الدهر الإجماع متحقق ، والله أعلم .

المصادر والمراجع :

- أحكام القرآن : الجصاص ، تحقيق محمد الصادق قمحاوي ، ، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م ، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت - لبنان .
- الأذكار : النووي ، بدون .
- الإحكام شرح أصول الأحكام : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، ط ٢ ، ١٤٠٦هـ مصححة ومنقحة .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير ، تحقيق وتعليق الشيخ علي محمد معوض ، والشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، وقدم له وقرظه أ.د. محمد عبد المنعم البري ، د . عبد الفتاح أبو سنة ، د جمعة طاهر النجار ، ط ١ ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- الاستذكار : الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه "الموطأ" من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله والإيجاز والاختصار : ابن عبد البر ، يطبع لأول مرة كاملا في ثلاثين مجلدا بالفهارس العلمية عن خمس نسخ خطية عزيزة ، د . عبد المعطي أمين قلجي ، ط ١ ، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م ، دار قتيبة للطباعة والنشر / دمشق - سوريا ، دار الوعي / حلب - القاهرة .
- الأداب الشرعية : ابن أفلح المقدسي ، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وقدم له شعيب الأرناؤوط وعمر القيام ، ط ٣ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- الاستذكار : ابن عبد البر ، تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي معوض ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- الأعلام : قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين : الزركلي ، ط ١٥ ، ٢٠٠٢م ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان .
- الإقناع في مسائل الإجماع : الإمام الحافظ أبي الحسن بن القطان ، يطبع لأول مرة علي نسخة خطية فريدة ، تحقيق حسن بن فوزي الصعيدي ، ط ١ ، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ، الناشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ، القاهرة - مصر .
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع : الشوكاني ، دار المعرفة - بيروت ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي ، تحقيق محمد المصري ، طبعة منقحة وموسوعة حسان أحمد راتب المصري ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق - سوريا .

- البناية شرح الهداية : بدر الدين العيني الحنفي ، تحقيق أيمن صالح شعبان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة : أبو الوليد بن رشد القرطبي ، وضمنه المستخرجة من الأسمعة المعروفة بالعُتبية ، لمحمد العتبي القرطبي ، تحقيق أ. محمد العرايشي ، و أ . أحمد الحبابي ، ط ٢ ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان .
- تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل : الخازن ، ضبطه وصححه عبد السلام محمد علي شاهين ، ط ١ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم : الإمام أبي عبد الله الحميدي ، دراسة وتحقيق د . زبيدة محمد سعيد عبد العزيز ، تقديم د . شعبان محمد مرسي ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ، منشورات مكتبة السنة بالقاهرة لصاحبها أشرف حجازي / الدار السلفية لنشر العلم ، القاهرة - مصر .
- تقريب فتاوي ورسائل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، عني به وحرره أحمد بن ناصر الطيار ، ط ١ ، ١٤٤١ هـ ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، الدمام - السعودية .
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح : ابن الملقن ، المحقق : دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث بإشراف خالد الرباط ، جمعة فتحي ، تقديم : أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م ، دار النوادر ، دمشق - سوريا . [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] . المكتبة الشاملة .
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم : ابن رجب ، تحقيق د محمد الأحمد أبو النور ، ط ٢ ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة - مصر .
- جامع المسائل : تقي الدين بن تيمية ، آثار شيخ الإسلام ابن تيمية وما لحقها من أعمال (١٨) ، مطبوعات مجمع الفقه الإسلامي - جدة ، منظمة المؤتمر الإسلامي ، تحقيق محمد عزيز شمس وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، تمويل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة - السعودية .
- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي : الترمذي ، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض ، ط ١ ، ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر محمود نصار الحلبي وشركاه - خلفاء .

- الجوهرة النيرة : أبو بكر الزبيدي ، ط ١ ، ١٣٢٢ هـ ، المطبعة الخيرية ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- حاشية الروض المربع شرح زاد المستنقع : جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، ط ١ ، ١٣٩٧ هـ .
- حاشية الطحاوي علي مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح : الشيخ حسن بن عمار بن علي الشرنبلالي ، ضبطه وصححه الشيخ محمد عبد العزيز الخالدي ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ / ١٩٧٧ م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة : ابن حجر العسقلاني ، بدون .
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين : ابن علان ، اعتنى بها : خليل مأمون شياح ، ط ٤ ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- الديباج علي صحيح مسلم بن الحجاج : السيوطي ، حققه وعلق عليه أبو إسحق الحويني الأثري ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، الناشر دار ابن عفان للطباعة والنشر ، الخبر - السعودية .
- الذخيرة : القرافي ، تحقيق د . محمد حجي ، ط ١ ، ١٩٩٤ م ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت - لبنان .
- الذريعة إلي مكارم الشريعة : الراغب الأصفهاني ، تحقيق أ.د . أبو اليزيد أبو زيد العجمي ، ط ١ ، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، مصر .
- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام : تاج الدين الفاكهاني ، يطبع لأول مرة كاملا محققا علي ثلاث نسخ خطية ، تحقيق ودراسة نور الدين طالب بالتعاون مع لجنة مختصة من المحققين ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م ، دار النوادر ، دمشق - سوريا / بيروت - لبنان .
- زاد المعاد في هدي خير العباد : ابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد عزيز شمس ، تخريج جعفر حسن السيد ، وفق المنهج المعتمد من الشيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط ٢ ، ١٤٤٠ هـ / ٢٠١٩ م ، دار عطاء العلم ، ودار ابن حزم / بيروت - لبنان .
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، محمد ناصر الدين الألباني ، ط ١ ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية .
- السنن الكبرى : البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، منشورات محمد علي بيضون ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

- شرح السنة : البغوي ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط ، ط ٢ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان .
- شرح صحيح مسلم للقاضي عياض المسمي : إكمال المعلم بفوائد مسلم : القاض عياض ، تحقيق د . يحيي اسماعيل ، ط ١ ، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، المنصورة - مصر .
- شرح صحيح البخاري : ابن بطل ، ضبط نصه وعلق عليه أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد ، الرياض - السعودية .
- الشرائع المحمدية : الترمذي ، تعليق وإشراف عزت عبيد الدعاس ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- صحيح البخاري : الإمام البخاري ، المحقق د . مصطفى ديب البغا ، ط ٥ ، ١٤١٤هـ/٢٠٠٣م ، الناشر دار ابن كثير - دار اليمامة ، دمشق - سوريا [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] المكتبة الشاملة .
- صحيح مسلم : الإمام مسلم ، المحقق محمد فؤاد عبد الباقي ، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م ، الناشر مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة (ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت وغيرها) ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- صحيح مسلم بشرح النووي : موافق للمعجم المفهرس لألفاظ الحديث ، ط ١ ، ١٤١٢هـ/١٩٩١م ، مؤسسة قرطبة طباعة . نشر . توزيع .
- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين : ابن قيم الجوزية ، تحقيق اسماعيل بن غازي مرحبا ، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، تمويل مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية ، أثار الإمام ابن قيم الجوزية ومالحقها من أعمال (١٥) ، مجمع الفقه الإسلامي - جدة ، منظمة المؤتمر الإسلامي .
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري : بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني ، ضبطه وصححه عبد الله محمود محمد عمر ، طبعة جديدة مرقمة الكتب والأبواب والأحاديث حسب ترقيم المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف ، منشورات محمد علي بيضون ، ط ١ ، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- عمدة الكتاب : أبو جعفر النحاس ، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، الناشر دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر .
- غاية الأمان في الرد علي النيهاني : محمود شكري الألوسي ، أعنتي به وعلق عليه أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية .

- الفتاوي الكبرى : تقي الدين بن تيمية ، تحقيق وتعليق وتقديم محمد عبد القادر عطا ، ومصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

- فتح القريب المجيب علي الترغيب والترهيب للإمام المنذري : لأبي محمد الفيومي القاهري ، قدم له فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ، دراسة وتحقيقا وتخريجا أ.د/ محمد إسحاق محمد آل إبراهيم ، ط ١ ، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م ، مكتبة دار السلام ، الرياض - السعودية .

- الفتح المبين بشرح الأربعين : ابن حجر الهيتمي ، عني به أحمد جاسم محمد المحمد ، وقصي محمد نورس الخلاق ، وأبو حمزة أنور بن أبي بكر الشیخی الداغستاني ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م ، دار المنهاج للنشر والتوزيع ، جدة - السعودية .

- الكافي في فقه الإمام أحمد بن حنبل : ابن قدامة المقدسي ، حققه وعلق عليه محمد فارس ، ومسعد عبد الحميد السعدني ، ١٩٩٤م ، ط ١ ، ١٤١٤هـ/دار الكتب العلمية بيروت - لبنان .

- الكبائر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه أ.د . باسم فيصل الجوابرة ، ط ١ ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م ، دار الصميعة للنشر والتوزيع . الرياض - السعودية .

- كتاب الزهد : هناد بن السراي الكوفي ، حققه وخرج أحاديثه عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

- كتاب المغازي : الواقدي ، تحقيق د . مارسدن جونز ، عالم الكتب .
- كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة : الإمام أبي عبد الله القرطبي ، تحقيق ودراسة د . الصادق بن محمد بن إبراهيم ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ ، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض - السعودية .

- كتاب خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام : النووي حققه وخرج أحاديثه حسين اسماعيل الجمل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان .

- كتاب الأسماء والصفات : البيهقي ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله بن محمد الحاشدي ، قدم له ، الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة السوادي للتوزيع .

- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام : السفاريني ، اعتني به تحقيقا وضبطا وتخريجا نور الدين طالب ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م ، قطاع المساجد - مكتب الشؤون الفنية - الكويت .

- كشف المُشكَل من حديث الصحيحين : ابن الحوزي ، تحقيق د . علي حسين البواب ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، دار الوطن ، الرياض - السعودية .

- الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة : نجم الدين الغزي ، وضع حواشيه خليل المنصور ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت - لبنان .
- المبسوط : للسرخسي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، بدون .
- المبدع شرح المقنع : ابن مفلح الحنبلي ، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل الشافعي ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- مجمع بحار الأنوار في غريب التنزيل ولطائف الأخبار ، وتكملة مجمع بحار الأنوار : محمد طاهر الصديقي الفتني ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م ، الناشر : مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند .
- مجموع الفتاوي : ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد ، طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ، طباعة وزارة الأوقاف السعودية ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م ، الناشر : وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية - مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- المحلي بالآثار : ابن حزم الأندلسي ، تحقيق د . عبد الغفار سليمان البنداري ، ط ١ ، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٣م ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .
- المسالك في شرح موطأ مالك : أبو بكر ابن العربي ، قرأه وعلق عليه : محمد بن الحسين السليمانى وعائشة بنت الحسين السليمانى ، قدم له : يوسف القرضاوى ، ط ١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م ، دار الغرب الإسلامي ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل : الإمام أحمد بن حنبل ، ج ٢٠ ، حقق هذا الجزء وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرناؤوط ، وعادل مُرشد ، ط ١ ، ١٤١٨هـ/١٩٧٧م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- مشارق الأنوار على صحاح الآثار : القاضي عياض ، المكتبة العتيقة ودار التراث ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] ، المكتبة الشاملة .
- مشكاة المصابيح : الخطيب التبريزي ، بتحقيق محمد ناصر الدين الألباني ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م ، ط ٢ ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان .

- المصنف : ابن أبي شيبة ، تقديم معالي الشيخ ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري ، تحقيق أ.د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز أبو حبيب الشثري ، ط ١ ، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م ، دار كنوز أشبيليا للنشر والتوزيع .
- معجم المؤلفين : تراجم مصنف الكتب العربية : عمر رضا كحالة ، ط ١ ، ١٤١٤هـ/١٩٣٣م ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان .
- معرفة الصحابة : أبو نعيم الأصبهاني ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي ، دار الوطن للنشر .
- المغني : ابن قدامة ، د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، وعبد الفتاح محمد الحلو ، ط ٣ ، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م ، مصححة ومنقحة ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، الرياض - السعودية .
- المنتقى شرح موطأ الإمام مالك : أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي ، ط ١ ، ١٣٣٢هـ ، مطبعة السعادة ، القاهرة - مصر .
- النجم الوهاج في شرح المنهاج : أبو البقاء الدميري ، ط ١ - ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ، دار المنهاج ، بيروت - لبنان .
- نزهة المجالس ومنتخب النفائس : الصفوري ، نسخ وترتيب وتنسيق مكتبة مشكاة الإسلامية .
- النعت الأكمل لأصحاب الإمام أحمد بن حنبل من سنة ٧٠١ - ١٢٠٧ هجرية : محمد كما الدين بن محمد الغزي العامري ، وعليه زيادات واستدراكات حتي نهاية القرن الرابع عشر الهجري ، تحقيق وجمع محمد مطيع الحافظ، ونزار أباطة ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م ، دار الفكر ، دمشق - سوريا .
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار : الشوكاني ، من اصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية .
- هداية الرواة إلي تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة : ابن حجر العسقلاني ، وبحاشيته النقد الصريح لما انتقد من أحاديث المصابيح للإمام العلاني والأجوبة علي أحاديث المصابيح للحافظ ابن حجر ، تخريج العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني، تحقيق علي بن حسن عبد الحميد الحلبي ، ط ١ ، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ، دار ابن القيم للنشر والتوزيع - الدمام السعودية ، دار ابن عفان للنشر والتوزيع - القاهرة - مصر .



الطلاق عبر وسائل التقنية

Divorce through technical means

إعداد

عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله القاضي

Abdullah Abdulaziz Abdullah Al-Qadi

الباحث في قسم الفقه المقارن - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم

Doi: 10.21608/jasis.2024.367238

٢٠٢٤ / ٥ / ٥

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٢١

قبول البحث

القاضي، عبدالله بن عبدالعزيز بن عبدالله (٢٠٢٤). الطلاق عبر وسائل التقنية. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشريعة*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٢٠١ - ٢٢٦.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الطلاق عبر وسائل التقنية

المستخلص:

يتلخص موضوع البحث المعنون له بـ (الطلاق عبر وسائل التقنية) في بحث مسألة عامة قد اتصل بها ما قد يكون له أثر في الحكم وهو كون الطلاق واقعاً عبر وسيلة تقنية، ولا يكون مشافهة مواجهة، بل يكون عبر وسيلة التقنية، وحيث إن المسألة مما يعم به البلوى وتد الحاجة لبحث أحكام الطلاق الواقع في هذه الهيئة، ولتعدد صور الطلاق عبر وسائل التقنية والتي يختلف معها حكم وقوع الطلاق صريحاً أو كنايةً أو عدم وقوعه في بعض الصور التي قد يلتبس فيها على الناظر الحكم الشرعي فيها وبحث وقوع الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً، والطلاق عبر الصوت، والطلاق كتابة عبر وسائل التقنية، والطلاق من عدمه عبر الكتابة، وعن كون الطلاق عبر الكتابة يعد صريحاً أم كناية، وعن صفة الكتابة التي يقع بها الطلاق، وعن حكم وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية، فجرى مني بحث المسألة والخلاف الفقهي فيها وتخرجه على كلام الفقهاء المتقدمين. والله الموفق.

Abstract:

The subject of the research entitled “Divorce through Technical Means” is summed up in examining a general issue that has been connected to something that may have an impact on the ruling, which is the fact that the divorce occurred through a technical means, and it is not verbally confrontational, but rather it is through a technical means, and since the issue is a general This is a calamity and there is a need to research the rulings on divorce that take place in this body, and because of the multiplicity of forms of divorce through technical means, with which the ruling on divorce occurring explicitly or metaphorically or not occurring in some forms in which the observer may be confused about the legal ruling on it differs, and researching the occurrence of divorce through both audio and video. Divorce via voice, divorce in writing via technical means, divorce or not via writing, and whether divorce via writing is considered explicit or a metaphor, and the nature of writing by which the divorce takes place, and the ruling on the divorce taking place in writing via technical means, so I discussed the



issue and the jurisprudential disagreement in it. And its graduation is based on the words of the previous jurists. God bless.

الحمد لله الذي خلق الخلق لحكمة عبادة، وجعلهم أزواجاً وبنين وحفدة يخلق ما يشاء تبارك وتعالى وتقدس أسمائه وتعالى صفاته لا نحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه فالحمد له على ما أولى فنعم ما أولى ونعم المولى، وله أجل الثناء على أن جعل لكل نفس زوجاً ليسكن إليها فقال في محكم التنزيل في مقام الامتنان {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ} {وَوَعَدَ اللَّهُ مِنْ آمَنَ وَصَدَقَ بوعده بإغناء فقيرهم فقال تعالى {وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} {وصلى الله وسلم على من بعث رحمة للمؤمنين وسراجاً للمهتدين صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم.

فلقد حث الشارع الحنيف على النكاح ورغب فيه، فقال ﷺ في حديث ابن مسعود "مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغْضُ لِلْبَصْرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ"^٢ ولذا فقد أحاط الشارع أمر النكاح وعظمه وأعلى شأنه فجعل فيه مالم يجعله في عقد غيره من ولي وشهود وغير ذلك التقاطاً منه إلى تعظيم أمره ومكانه.

فإذا تم عقد النكاح فإن هناك ما يمنع استمراره مما يجعل استمرار الحياة الزوجية متعزراً أو في حال سوءٍ للعشرة، فلذلك شرع الشارع الطلاق رحمة بالمكلفين زوجاً كان أو زوجة.

وهناك عدة وسائل لتعبير الزوج عن الطلاق وذلك إما مشافهة وإما عن طريق الكتابة وإما عن طريق وسائل التقنية بكافة أنواعها.

ولأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان وباقية إلى قيام الساعة كان على الباحثين النظر فيما يجد من المسائل والنوازل بحثاً يبين حكم الله فيها.

ولذا كان هذا البحث عن وقوع الطلاق عبر وسائل التقنية بأي صورة كانت وتبيين الحكم الشرعي لها.

^١ [النحل: ٧٢]

^٢ [النور: ٣٢]

^٣ أخرجه البخاري (٢٦/٣) رقم الحديث [١٩٠٥] ومسلم (١٠١٨/٢) رقم الحديث [١٤٠٠]

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الأسئلة التالية:

- ❖ ما حقيقة الطلاق عبر وسائل التقنية؟
- ❖ ما هي العوارض التي تأثر في الحكم بين إيقاع الطلاق ومواجهة وبين إيقاع الطلاق عبر وسائل التقنية؟
- ❖ ما حكم وقوع الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً؟
- ❖ ما حكم وقوع الطلاق عبر الصوت؟
- ❖ ما حكم وقوع الطلاق عبر الكتابة في إحدى وسائل التقنية؟

أهمية البحث:

تبرز أهمية الموضوع في أن الزوج أو من ينيبه قد يعبر عن الطلاق عبر إحدى وسائل التقنية الحديثة ونظراً لتعدد صور الطلاق عبر وسائل التقنية التي يختلف معها حكم إيقاع الطلاق صريحاً أو كنايةً أو عدم إيقاعه في بعض الصور التي قد يلتبس فيها على الناظر الحكم الشرعي فيها.

وإنه مما يعلم بأن الشارع الحنيف قد عظم أمر النكاح وغلظه والطلاق إنما هو حل لقيد النكاح أو بعضه فالقول بعدم وقوع الطلاق مع وقوعه في الحقيقة إبقاء للمرأة مع من لا تحل له والقول بوقوع الطلاق مع عدم وقوعه في الحقيقة حل لهذا العقد وإباحة المرأة للأزواج بعد العدة مالم تكن هنالك رجعة، فمن هذا المنطلق كان لا بد من بحث المسألة مع تبين صورها والعوارض التي تمنع من إيقاع الطلاق مع صدور لفظه ممن توفرت فيه الشروط وبيان الخلاف في تلك الصور والأدلة. والله الموفق.

أهداف البحث:

تبرز أهداف البحث في النقاط التالية:

- ❖ معرفة حقيقة الطلاق عبر وسائل التقنية.
- ❖ بيان العوارض التي تأثر في الحكم بين إيقاع الطلاق ومواجهة وبين إيقاع الطلاق عبر وسائل التقنية.
- ❖ بيان حكم وقوع الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً.
- ❖ بيان حكم وقوع الطلاق عبر الصوت.
- ❖ بيان حكم وقوع الطلاق عبر الكتابة في إحدى وسائل التقنية.

الدراسات السابقة:

- ❖ بحث غير منشور بعنوان (الطلاق عبر وسائل الاتصال الحديثة) للباحثة سمية بو حادة بجامعة أحمد دراية أدرار في عام ١٤٣٧ هـ

❖ بحث منشور بعنوان (حجية وسائل الاتصال الحديثة في مسائل الطلاق أمام القضاء السعودي : دراسة مقارنة) للباحث هوارى بلعربي بجامعة الكويت في عام ٢٠١٦م

❖ بحث منشور بعنوان (حكم الطلاق كتابة عن طريق الإنترنت : دراسة فقهية مقارنة بقانون الأحوال الشخصية الكويتي) للباحث عادل بن مبارك بن مهدي المطيرات بجامعة الكويت في عام ٢٠١٢م

❖ بحث منشور بعنوان (الطلاق بالكتابة وبعض صوره المعاصرة في الفقه الإسلامي) للباحث سامي بن محمد بن نمر أبو عرجة بجامعة القدس المفتوحة في عام ٢٠١٦م

إجراءات البحث العامة:

سوف أخذ في إعداد البحث بالإجراءات المعتمدة من قسم الفقه بكلية الشريعة، وهو ما يأتي:

أولاً: أصوّر المسألة المراد بحثها تصويراً دقيقاً قبل بيان حكمها، ليتضح المقصود من دراستها.

ثانياً: إذا كانت المسألة من مواضع الاتفاق، فأذكر حكمها بدليلها، مع توثيق الاتفاق من مظانها المعتمدة.

ثالثاً: إذا كانت المسألة من مسائل الخلاف، فأتبع ما يلي:

١. تحرير محل الخلاف، إذا كانت بعض صور المسألة محل خلاف، وبعضها محل اتفاق.

٢. ذكر الأقوال في المسألة، وبيان من قال بها من أهل العلم، ويكون عرض الخلاف حسب الاتجاهات الفقهية

٣. الاختصار على المذاهب الفقهية المعتمدة، مع العناية بذكر ما تيسر الوقوف عليه من أقوال السلف الصالح، وإذا لم أقف على المسألة في مذهب ما، فأسلك بها مسلك التخريج.

٤. توثيق الأقوال من كتب أهل المذهب نفسه.

٥. استقصاء أدلة الأقوال، مع بيان وجه الاستدلال من الأدلة النقلية، وذكر ما يرد على الأدلة من مناقشات، وما يجاب به عنها إن كانت.

٦. الترجيح، مع بيان سببه وذكر ثمره الخلاف إن وجدت.

رابعاً: الاعتماد على أمهات المصادر والمراجع الأصلية في التحرير والتوثيق والتخريج والجمع.

خامساً: التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد.

سادساً: العناية بضرب الأمثلة ؛ وخاصة الواقعية.

سابعاً: تجنب ذكر الأقوال الشاذة.
ثامناً: العناية بدراسة ما جد من القضايا مما له صلة واضحة بالبحث.
تاسعاً: ترقيم الآيات، وبيان سورها.
عاشراً: تخريج الأحاديث وبيان ما ذكره أهل الشأن في درجتها - إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما - فإن كانت كذلك فأكتفي حينئذٍ بتخريجها.
حادي عشر: تخريج الآثار من مصادر الأصيل، والحكم عليها.
ثاني عشر: التعريف بالمصطلحات، وشرح الغريب الوارد في صلب الموضوع.
ثالث عشر: العناية بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم.
رابع عشر: الترجمة للأعلام غير المشهورين عند أول ورودٍ لها.
خامس عشر: خاتمة البحث عبارة عن ملخص للرسالة، يعطي فكرة واضحة عما تضمنته الرسالة، مع إبراز أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.
سادس عشر: أتبع الرسالة بالفهارس الفنية المتعارف عليها، وتشمل:
- فهرس المراجع والمصادر.
- فهرس الموضوعات.

خطة البحث:

التمهيد في الكلام على الطلاق وفيه مطلبان:
المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان.
المطلب الثاني: أنواع الطلاق.
المبحث الأول: الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً.
المبحث الثاني: الطلاق عبر الصوت.
المبحث الثالث: الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية، وفيه أربعة مسائل.
المسألة الأولى: حكم وقوع الطلاق من عدمه عبر الكتابة.
المسألة الثانية: الطلاق عبر الكتابة هل يعد صريحاً أم كناية.
المسألة الثالثة: صفة الكتابة التي يقع بها الطلاق.
المسألة الرابعة: حكم وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية.

التمهيد في الكلام عن الطلاق وفيه:

المطلب الأول: التعريف بمفردات العنوان.

الطلاق في اللغة كلمة تدل على الارسال والتخلية يقال طلقت الناقة اذا أرسلت ترعى حيث شاءت.

يُقال رجل مطلق ومطلق وطليق وطُلقة، على مثال همزة: كثير التطليق للنساء. والأجود أن يقال مطلق ومطلق؛ ومنه حديث علي رضي الله عنه " يا أهل العراق، أو يا أهل الكوفة، لا تزوجوا حسناً، فإنه رجل مطلق " وشرعاً: حل قيد النكاح أو بعضه^٤.

والوسيلة في اللغة أصلها وسل ولها معنيين: الأول الرغبة والطلب ومنه قول لبيد [ت٤١]:

أَرَى النَّاسَ لَا يَدْرُونَ مَا قَدَرُ أَمْرِهِمْ بلى: كلُّ ذي لبٍّ إلى اللَّهِ وَاسِلٌ^٥. وهي في الأصل ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به.

والأصل الآخر السرقة: يقال: أخذ زيد الإبل توسلاً أي سرقة^٦.

والتقنية كلمة يونانية وتعني مجموعة الأساليب في إنجاز عمل أو بحثٍ علميٍّ ونحو ذلك، أو جملة الوسائل والأساليب والطرائق التي تختص بمهنة أو فن^٧.

وأما تعريف الطلاق عبر وسائل التقنية: هو حل قيد النكاح أو بعضه عبر وسائل حديثة نشأت من خلال التطور الصناعي لم تكن في السابق.

المطلب الثاني: أنواع الطلاق.

وسأتكلم عن أنواع الطلاق بإختصار لاتصالها بهذا البحث حيث أن الخلاف في بعض الصور قد يكون خلافاً في نوع الطلاق ودرجته.

والطلاق ينقسم إلى نوعين:

الأول: الطلاق الصريح: وهو كل ما اشتق من لفظ الطلاق نحو قولك أنت طالق وأنت مطلقة وطلقتك ونحو ذلك وكذلك إذا قال أنت الطلاق فيقع الطلاق وكل لفظ لا يحتمل غير الطلاق كالفرار والسراح وقع ولو لم ينوه^٨.

^٤ مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٠) المحيط في اللغة (١/ ٤٥٦) لسان العرب (١١/ ٧٢٥)

^٥ أخرجه ابن أبي شبيه في مصنفه (٤/ ١٨٧) رقم الحديث [١٩١٩٥]

^٦ المغني لابن قدامة (٧/ ٣٦٣) الشرح الكبير على متن المقنع (٨/ ٢٣٣) المبدع في شرح

المقنع (٦/ ٢٩٢) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٨/ ٤٢٩)

^٧ ديوان لبيد بن ربيعة العامري (ص: ٨٥)

^٨ العين (٧/ ٢٩٨) مقاييس اللغة (٦/ ١١٠)

^٩ معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢٩٦)

الثاني: طلاق الكناية: وهو كل لفظ يحتمل الطلاق كقوله أنت خلية وبرية وبائن وبنة وبنتلة وقوله استيري رحمك وأنت واحدة فلا يقع الطلاق إلا مع النية^{١٠}.

المبحث الأول: الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً.

صورة المسألة:

وهو أن يكون لفظ الطلاق صادراً ممن له حق فيه عبر إحدى وسائل التقنية التي تكون من خلال الصوت والصورة جميعاً مباشراً كان أو مسجلاً بحيث بالإمكان أن تشاهد الزوجة أو غيرها صدور لفظ الطلاق أو غيرها من الزوج بالصوت والصورة.

ولم أقف على كلام لأحد من المعاصرين في هذه الصورة مع انتشارها في وسائل التقنية الحديثة ولا أظن الكلام في هذه الصورة أقل درجة من الكلام في الصورة الثانية التي سيأتي الكلام عنها في المبحث القادم وهو الطلاق عبر الصوت فقط. وذلك أن المانعين من وقوع الطلاق مطلقاً أو صريحاً في الصورة الثانية لا يمنعون لمجرد الصوت إنما يمنعون له سبب آخر وهو عدم حصول اليقين لوجود عدة عوارض في وقوع الطلاق بالصوت والصورة جميعاً وبالصوت وحده في صدور اللفظ من الزوج أو من يوكله الزوج في ذلك زوجة كان أو غير ذلك، مع أن هذه المرتبة وهي الطلاق عبر الصوت والصورة أقل عوارض من الطلاق عبر الصوت وحده أو عبر الكتابة.

أما القائلون بوقوع الطلاق في الصورة الثانية فإنه من باب أولى القول بوقوع الطلاق في هذه الصورة لأن الوصف المؤثر في إيقاع الطلاق هو صدور لفظ الطلاق لا مشاهدته، وإن كان فلذا سأكتفي بعرض الخلاف في المبحث الثاني وهو الطلاق عبر الصوت.

ومن تلك العوارض التي تجعل هناك فارقاً بين صدور الطلاق مواجهة مشافهة وبين صدوره عبر وسائل التقنية:

الأول: عدم حصول اليقين في صدور لفظ الطلاق من الزوج أو غيره.

^{١٠} تحفة الفقهاء (٢/ ١٧٥) الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٧٤٣) مختصر المزني (٨/ ٢٩٦) شرح منتهى الإرادات = دقائق أولي النهي لشرح المنتهى (٣/ ٨٣)

^{١١} تحفة الفقهاء (٢/ ١٧٥) الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٧٤٣) مختصر المزني (٨/ ٢٩٦) الكافي في فقه الإمام أحمد (٣/ ١١٥)

وذلك يحصل كثيراً في وسائل التقنية الحديثة فهناك عدة عوارض تمنع حصول اليقين بالنطق بالطلاق وذلك إما لانقطاع الاتصال أو عدم وضوح الصوت أو بعد المخاطب عن جهاز النقل أو غير ذلك.

ويناقش بأن جميع ما ذكر خارج عن محل النزاع فإنه لا يشترط في الطلاق علم من وقع عليه الطلاق إنما بصور لفظ الطلاق ممن توفرت فيه الشروط لذلك.

وجميع الكلام في هذه المسألة إنما هو عند التحقق من كون المتكلم في هذه الصور هو المطلق نفسه وإلا كان عارضا يمنع وقوع الطلاق إذا إن صدور الطلاق من غير من له حق شرعي فيه يعد باطلاً حيث لم يلاق محلاً.

وقد يُقال إن وقوع الطلاق في الكتابة أولى من وقوعه في الصورة الأولى والثانية وذلك أن الطلاق بالكتابة قد يحصل العلم بكون حرفه من قبل الكاتب مصدر الطلاق سواء بمعرفة الخط الذي علق الفقهاء عليه بعضاً من الأحكام كالوصية أو كونه مختوماً أو غير ذلك ولكن يقع الخلاف في قصد الطلاق أو عدمه.

ويناقش بأن هذا لا يسلم فإن وسائل تزوير الخط أو الختم وخصوصاً في زماننا هذا كثيرة ولا تحتاج إلى جهد كبير أو تكلفة مادية كبيرة.

الثاني: خفاء القصد في كثير من الصور المستجدة في وقوع الطلاق.

ويناقش بأن البحث في مسألة القصد في الطلاق إنما هو في طلاق الكناية فالقائلين بأن هذه الصورة هي من صريح الطلاق فلا يتوجه إليهم هذا الاعتراض.

وحتى مع القول بأن الطلاق في بعض هذه الصور طلاق كناية خفيت فيه النية عن الظهور فإنه لا يمنع وقوع الطلاق فهو كسائر طلاق الكناية يرجع فيه إلى نية مصدره.

وهناك عوامل قد تجعل من طلاق الكناية واقعاً حكماً مع عدم سؤال مصدره عنه وذلك في حالات هي صدور لفظ الطلاق حال الخصومة أو حال الغضب أو جواباً على سؤالها الطلاق^{١٢}، ولذا قال ابن قدامة رحمه الله [٦٢٠] "فأما غير الصريح؛ فلا يقع الطلاق به إلا بنية، أو دلالة حال"^{١٣}

^{١٢} المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٢/ ٥٤) الشرح الكبير على متن المقنع (٨/ ٢٩٥) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٨/ ٤٦٥) شرح منتهى الإرادات دقائق أولى النهى لشرح المنتهى (٣/ ٨٨)

^{١٣} المغني لابن قدامة (٧/ ٤٠٠)

الثالث: أن تأويل الطلاق عبر وسائل التقنية ليس بأقل درجةً من تأويل الطلاق في الكتابة كأن يقول أردت تجربة هذه الوسيلة كقوله في الكتابة أردت تجويد خطي أو قوله أردت بذلك غم اهلي^{١٤}.

ويناقش بأن هذا لا يرد على من قال بأن الطلاق في بعض الصور طلاق صريح، إنما هو متوجه على من قال بوقوع الطلاق كناية في بعض الصور وحتى لو قيل بذلك فإن طلاق الكناية يرجع فيه إلى مصدره فإن إحالة وقوع الطلاق إلى نية مصدر الطلاق لا يعد مانعاً من وقع الطلاق ولأن الأصل إجراء الأحكام خاليةً من العوارض.

وقد بينت بعضاً من العوارض التي قد يكون لها تأثير في الحكم الشرعي وهو وقوع الطلاق صريحاً أو كنايةً أو عدم وقوعه لتحقيق هذه العوارض. وتختلف درجة وجود العوارض وقوتها من صورة لصورة بل من حالة فردية إلى حالة فردية أخرى ولذا قدمتها في المبحث الأول الذي ذكرت فيه الصورة الأولى. **المبحث الثاني: الطلاق عبر الصوت.**

صورة المسألة:

وهو أن يكون لفظ الطلاق صادراً ممن له حق فيه عبر إحدى وسائل التقنية التي تكون من خلال الصوت، سواء كان مباشراً أو مسجلاً بحيث بالإمكان أن تسمع الزوجة أو غيرها صدور لفظ الطلاق من الزوج بصوته.

تحرير محل النزاع:

اتفقوا على وقوع الطلاق في حال إقرار المطلق بايقاع الطلاق حتى مع عدم سماع الصوت أو كان متقطعاً لأن العبرة في وقوع الطلاق التلفظ به وقد وجد. اتفقوا على عدم وقوع الطلاق في حال القطع بكون الصوت قد صدر من غير من له حق شرعي بذلك.

واختلفوا في وقوع الطلاق في حالة صدور اللفظ ممن له حق شرعي بأحدى وسائل التقنية عبر الصوت مع عدم إقرار المطلق بذلك على قولين:

القول الأول: وقوع الطلاق عبر الصوت فإن كان صريحاً وقع بلا نية وإن كان بلفظ الكناية فيقع بالنية وهو قول أكثر العلماء المعاصرين ومنهم د. عبدالكريم الخضير^{١٥}

^{١٤} الفروع وتصحيح الفروع (٣٧ / ٩) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٨ / ٤٧٣) شرح منتهى الإرادات دقائق أولي النهى لشرح المنتهى (٨٦ / ٣) كشف القناع عن متن الإقناع (٢٤٩ / ٥)

^{١٥} <https://www.youtube.com/watch?v=ETUGPFYTTBs> تاريخ الدخول

و.د. سعد الشثري^{١٦} و.د. سليمان الرحيلي^{١٧} و.د. عبدالرحمن السند^{١٨} و.د. عزيز العنزي^{١٩} و.د. مصطفى العدوي^{٢٠} ودائرة الشؤون الإسلامية بدبي^{٢١}.
واشترطوا لوقوعه أن يحصل اليقين بكون الصوت هو صوت الزوج ولو لم يكن برقم هاتفه.
القول الثاني: أن الطلاق عبر الصوت كناية ولو كان بلفظ صريح الطلاق يحتاج إلى نية وممن قال بهذا القول د. علي أبو البصل^{٢٢}.
القول الثالث: أنه لا بد من الرجوع إلى القضاء الشرعي ولا يفتى في هذه المسألة فتوى عامة^{٢٣}.
الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول بأن الطلاق لا يخلوا من حالين: الأول الطلاق باللفظ والثاني الطلاق بالكتابة وهو من الأول فيجب ترتيب الأحكام على هذا الوصف فإن كان صريحا وقع بلا نية وإن كان كناية وقع مع النية.
وأنه عند حصول اليقين بأن مصدر الطلاق هو الزوج كان كالمشاهدة إذ لا فرق بينهما.
ويناقش بأن قياس الطلاق عبر وسائل التقنية على الطلاق الواقع بالمشاهدة فيه نظر إذ هناك عدة عوارض تمنع اللاحق في حكم واحد.
ويجاب عنه بما سبق بيانه من العوارض والجواب عليها في المبحث السابق.

¹⁶ <https://www.youtube.com/watch?v=iyeU0r72HFk>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

¹⁷ <https://www.youtube.com/watch?v=h5azO52u--A&t=27s>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

¹⁸ <http://fiqh.islammessgae.com/NewsDetails.aspx?id=8747>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

¹⁹ <https://www.youtube.com/watch?v=tQtX9GKxas8>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

²⁰ <https://www.youtube.com/watch?v=wDkV-ilpDVA>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

²¹ <https://services.iacad.gov.ae/SmartPortal/fatwa/PublishedFatwa/Details/32253>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

²² الطلاق الالكتروني في الفقه الإسلامي د. علي أبو البصل ص ١٥

²³ <https://www.youtube.com/watch?v=ik6uGuDu3sQ>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

واستدل أصحاب القول الثاني بأن المقاصد والنيات معتبرة في إجراء أعمال المكلف^{٢٤}، عملاً بقول ﷺ في حديث عمر "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"^{٢٥}

ويناقش بأن هذا منقوضٌ بالطلاق الصريح إذا كان مشافهةً فإنه لا يحتاج إلى النية وإن الشارع قد رتب بعض الأمور على مسبباتها وإن تجرد عن النية. وقالوا إنه طلاق لا يخلو من عدة العوارض كالعدم حصول اليقين بالمكتمل فاقترنت به النية تقويةً له.

ويناقش بأن هذا خارجٌ عن محل النزاع وقد سبقت مناقشة العوارض في المبحث السابق.

وقالوا بأن الطلاق قد يحتف به مانعٌ من إمضائه كأن يكون طلاقاً في زمن غيابٍ للعقل بغضب ونحوه^{٢٦}.

ويناقش بأن هذه الموانع هي معتبرة في كل أحوال الطلاق سواء كانت عبر وسائل التقنية أو غيرها والأصل بناء الأحكام خاليةً من الموانع.

الترجيح:

يتبين مما سبق رجحان القول الأول وهو وقوع الطلاق عبر الصوت صريحاً مجرداً عن النية أو كنايةً مقترناً بالنية لما أورد على أدلة القول الثاني والثالث من مناقشات ولأن لفظ الطلاق صدر من الزوج ولا فرق بين صدوره مشافهةً أو صدوره لفظاً عبر وسيلةٍ صحيحة.

المبحث الثالث: الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية.

صورة المسألة:

كتابة لفظ الطلاق صريحاً كان أم كنايةً ممن له حق فيه عبر إحدى وسائل التقنية التي تكون من خلال الكتابة.

فلو كتب الطلاق وتلفظ به وقع الطلاق بمجرد لفظه ولو لم تعلم به الزوجة لأنه لا يشترط في وقوع الطلاق علم الزوجة.

والطلاق عبر الكتابة هو الأكثر وقوعاً وانتشاراً من صور الطلاق عبر التقنية وأكثرها خلافاً، وهذه الصورة لا بد فيها من بحث ثلاثة مسائل قبل الشروع في الكلام عن الطلاق عبر وسائل التقنية الأولى هل يقع الطلاق بالكتابة والثانية ما هي

^{٢٤} الطلاق الإلكتروني في الفقه الإسلامي ص ١٥

^{٢٥} صحيح البخاري (٦/١) رقم الحديث [١]

^{٢٦} <https://www.youtube.com/watch?v=ik6uGuDu3sQ>

تاريخ الدخول ١٤٤٠/٧/٦هـ

رتبة الطلاق عند القائلين بوقوعه عبر الكتابة والثالثة ما هي صفة الكتابة الذي يقع به الطلاق.

ثم بعد ذلك سألين في المسألة الرابعة حكم وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية تخريجاً على المذاهب الفقهية.

المسألة الأولى: حكم وقوع الطلاق من عدمه عبر الكتابة.

فالبحث في هذه المسألة عن حكم الطلاق عبر الكتابة هل يعتد به أو أنه يعد لغواً فلا يقع الطلاق به.

ويرجع وسبب الخلاف في أن الإقرار هل هو مقتصر على اللفظ فقط أم على اللفظ والكتابة معاً فمن قصر الإقرار على اللفظ قال بعدم وقوع الطلاق بالكتابة، ومن قال بأن الإقرار هو إظهار الحق لفظاً أو كتابة أوقع الطلاق في الكتابة بنية أو بغير نية^{٢٧}. ولذا اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: أن الطلاق كتابةً يقع على اختلاف بينهم في مرتبته وصفة الكتابة وهذا قول إبراهيم النخعي^{٢٨} [ت ٩٦] والشعبي^{٢٩} [ت ١٠٣] وعطاء^{٣٠} [ت ١١٤]. وهو مذهب الحنفية^{٣١} والمالكية^{٣٢} والشافعية^{٣٣} والحنابلة^{٣٤}.

القول الثاني: عدم وقوع الطلاق بالكتابة من الناطق ولو نواه وهو قول الحسن^{٣٥} [ت ١١٠]. وقول الظاهرية^{٣٦} ووجه عند الشافعية^{٣٧} ورواية عند الحنابلة^{٣٨}.

^{٢٧} الفروع وتصحيح الفروع (٣٦ / ٩) الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ت التركي (٢٣١ / ٢٢)

^{٢٨} أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٩ / ٤) رقم الأثر [١٧٩٩٨]

^{٢٩} أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨٠ / ٤) رقم الأثر [١٧٩٩٩]

^{٣٠} أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨١ / ٤) رقم الأثر [١٨٠٠٠]

^{٣١} التفت في الفتاوى للسغدي (٣٥٧ / ١) المبسوط للسرخسي (١٤٣ / ٦) تحفة الفقهاء (٢ / ٢)

^{٣٢} بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٠٩ / ٣) المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٣ / ٣)

(٢٧٤)

^{٣٣} النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (٩٢ / ٥) الإشراف على

نكت مسائل الخلاف (٧٤٥ / ٢) التلقين في الفقه المالكي (١٢٩ / ١) المعونة على مذهب عالم

المدينة (ص: ٨٤٨)

^{٣٤} مختصر المزني (٢٩٦ / ٨) الحاوي الكبير (١٦٧ / ١٠) المهذب في فقه الإمام الشافعي

للشيرازي (١٣ / ٣) نهاية المطلب في دراية المذهب (٧٢ / ١٤) البيان في مذهب الإمام

الشافعي (١٠٤ / ١٠)

^{٣٥} الكافي في فقه الإمام أحمد (١٢٠ / ٣) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل

(٥٤ / ٢) الشرح الكبير على متن المقنع (٢٨٣ / ٨) الفروع وتصحيح الفروع (٣٥ / ٩)

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول القائلون بوقوع الطلاق بالكتابة بأن كتابة الطلاق مع النية حروف يفهم منها صريح أو كناية الطلاق، فأشبهه النطق^{٣٩}. ويناقش بعدم التسليم وذلك أن الطلاق موضوع في الشارع للتلفظ دون الكتابة ويدل على ذلك بعدم القول بمطابقة الطلاق باللفظ للطلاق بالكتابة مما يدل على وجود الفارق بينهما فلا يصح الإلحاق.

ويجاب عن ذلك بأن الشارع لم يحدد طريقاً واحداً وهو التلفظ لوقوع الطلاق بل أحال إلى الإرادة بحل عقد النكاح المقترن بالعمل.

وأما عن عدم مطابقة الطلاق باللفظ للطلاق بالكتابة فلا يرد على القائلين بوقوع الطلاق كتابةً كما يقع لفظاً فإن كان بصريح الطلاق وقع ولو لم ينوه لفظاً كان أو كتابةً^{٤٠}.

وأما على القول بعدم المطابقة بينهما بكل وجه فإنه لا يلزم منه عدم إيقاع الطلاق بالكتابة مطلقاً ولذا جعلت النية عاضدة له.

واستدلوا بأن النبي ﷺ أمر بتبليغ الرسالة فلم يعين لها طريقاً واحداً فمرة كان عن طريق إرسال الرسل مشافهة ومرة كان عن طريق الكتب والرسائل^{٤١}. فلو لم تقم الكتابة مقام اللفظ لما أرسل النبي ﷺ الرسائل والكتب لتبليغ الرسالة مع حاجتها إلى البيان العالي.

واستدلوا بأن الصحابة قد جمعوا المصحف كتابةً وأقاموه مقام تلفظهم به نطقاً حتى صار ما تضمنه إجماعاً لا يجوز خلافه.

ونوقش بأنه لو قيل بقيام كتابة المصحف مقام التلفظ به لقليل بإجزاء كتابة الفاتحة في الصلاة بدلاً من التلفظ بها وهذا ممتنع^{٤٢}.

وقالوا بأن كتابة الغائب تسمى كلاماً فلو حلف أن لا يكلمه فكتب إليه حنث^{٤٣}، والقاعدة تقول بأن الكتاب كالخطاب.

^{٣٥} أخرجه ابن أبي شبيب في مصنفه (٨٢ / ٤) رقم الأثر [١٨٠٠١]

^{٣٦} المحلى بالآثار (٤٥٤ / ٩)

^{٣٧} الحاوي الكبير (١٠ / ١٦٧) المذهب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٣ / ١٣) نهاية المطلب في دراية المذهب (١٤ / ٧٤) البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٠ / ١٠٥)

^{٣٨} الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ت التركي (٢٢ / ٢٣١)

^{٣٩} الكافي في فقه الإمام أحمد (٣ / ١٢٠)

^{٤٠} وسيأتي الخلاف في المسألة في ص ٢٢.

^{٤١} الشرح الكبير على متن المقنع (٨ / ٢٨١) المبدع في شرح المقنع (٦ / ٣١٣)

^{٤٢} الحاوي الكبير (١٠ / ١٦٨)

ويناقش بأن هذا خاص بالغائب وأنتم لا تقولون بوقوع الطلاق عبر الكتابة للغائب فقط بل حتى للحاضر.
ويجاب عن ذلك بأنه إذا صح الطلاق عبر الكتابة للغائب فكذلك للحاضر إذ إن المعنى الذي هو قيام الكتابة مقام اللفظ قائم في الحاضر وإن كان دون الغائب.
واستدلوا بأن كتاب القاضي إلى القاضي يقوم مقام لفظه فكذلك في الطلاق عبر الكتابة فإن كتابة الطلاق تقوم مقام اللفظ^{٤٣}.
واستدل أصحاب القول الثاني القائلون بعدم وقوع الطلاق كتابةً بأن الكتابة لا تعد إقراراً شرعياً كما في الشهادات والحدود^{٤٤}.
ويناقش بأن استدلالاً بمحل نزاع وهناك فروع فقهية يقبل فيها الإقرار بالكتابة وذلك في الوصية وإقرار الميت بدين وغير ذلك.
وقالوا بأنه طلاق صادر من قادرٍ على اللفظ فلا يقع به الطلاق كالإشارة بالطلاق من قادرٍ على النطق^{٤٥}.
ويناقش بوجود الفارق بين إشارة الأخرس والطلاق عبر الكتابة وذلك أن الإشارة غالباً لا تكون إلا من الأخرس أما الكتابة فتكون من المتكلم والأخرس على وجهٍ سواء.
وقد سبق الإشارة إلى تبليغ النبي ﷺ الرسالة بالكتابة مع القدرة على غيرها.

الترجيح:

مما سبق يتبين بأن القول الأول وهو إيقاع الطلاق عبر الكتابة هو الراجح لسلامة بعض أدلته من المناقشة ولما أورد على أدلة القول الثاني من مناقشات وكما أن سائر العقود لا تقتصر على التلفظ بل يكفي فيها الكتابة فكذلك الطلاق.
المسألة الثانية: الطلاق عبر الكتابة هل يعد صريحاً أم كناية.
بعد بحث مسألة الاعتداد بالطلاق عبر الكتابة اختلف الفقهاء القائلون بوقوع الطلاق عبر الكتابة فيما لو كتب الطلاق فهل يعد طلاقاً صريحاً لا يحتاج إلى نية أم أنه ضربٌ من ضروب طلاق الكناية فلا بد معه من نية الطلاق على قولين:

^{٤٣} الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٧٤٦)
^{٤٤} الفروع وتصحيح الفروع (٩/ ٣٥) كشف القناع عن متن الإقناع (٥/ ٢٤٩)
^{٤٥} الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف ت التركي (٢٢/ ٢٣١)
^{٤٦} الشرح الكبير على متن المقنع (٨/ ٢٨١) المذهب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٣/ ١٣)

القول الأول: أن كتابة الطلاق تعد كناية تفتقر إلى النية ولو كان بصريح الطلاق وهذا مذهب الحنفية^{٤٧} والمالكية^{٤٨} والشافعية^{٤٩} ورواية عند الحنابلة اختارها كثير منهم وصوبها في الانصاف^{٥٠}.

القول الثاني: أن كتابة الطلاق الصريح يقع صريحا فلا يحتاج إلى نية بخلاف الكناية وهو وجه عند الشافعية^{٥١} والصحيح من مذهب الحنابلة^{٥٢-٥٣}.

الأدلة:

استدل أصحاب القول الأول القائلون بوقوع الطلاق كنايةً بأن كتابة الطلاق تحتل الطلاق وتجويد الخط وتجريب القلم وغم الأهل وغير ذلك، فلم تطلق بمجردهما، كالكنائيات^{٥٤}.

واستدلوا بأن الكتابة لو قامت مقام صريح الكلام لقليل بأن كتابة الفاتحة في الصلاة كالتلفظ بها وبأن كتابة الشهادة من الناطق تقوم مقام لفظه. فيتبين وجود فارق بين صريح الكلام والكتابة مما يجعلها إلى الكناية.

واستدل أصحاب القول الثاني القائلون بوقوع الطلاق صريحا بما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال "إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تتكلم"^{٥٥}

^{٤٧} المبسوط للسرخسي (١٤٣ / ٦) تحفة الفقهاء (١٨٦ / ٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١٠٩ / ٣) المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٢٧٤ / ٣)

^{٤٨} النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات (٩٢ / ٥) الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٧٤٥ / ٢) التلقين في الفقه المالكي (١٢٩ / ١) المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٨٤٨)

^{٤٩} الحاوي الكبير (١٦٧ / ١٠) المذهب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (١٣ / ٣) نهاية المطلب في دراية المذهب (٧٢ / ١٤) البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٠٤ / ١٠)

^{٥٠} الكافي في فقه الإمام أحمد (١٢٠ / ٣) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٥٤ / ٢) الشرح الكبير على متن المقتنع (٢٨٣ / ٨) المبدع في شرح المقتنع (٣١٣ / ٦)

^{٥١} الحاوي الكبير (١٦٧ / ١٠) البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٠٤ / ١٠)

^{٥٢} الكافي في فقه الإمام أحمد (١٢٠ / ٣) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٥٤ / ٢) الشرح الكبير على متن المقتنع (٢٨٣ / ٨) الفروع وتصحيح الفروع (٣٥ / ٩) المبدع في شرح المقتنع (٣١٣ / ٦)

^{٥٣} (تنبيه) مما يجب التنبيه عليه أن الحنابلة وإن قالوا بوقوع الطلاق صريحا عبر الكتابة إلا أنهم يجعلون الطلاق قابلاً للتأويل فلو قال أردت تجويد خطي أو غم أهلي قبل منه حكماً.

^{٥٤} الكافي في فقه الإمام أحمد (١٢٠ / ٣)

^{٥٥} أخرجه البخاري (٤٦ / ٧) رقم الحديث [٥٢٦٩] وأخرجه مسلم (١١٦ / ١) رقم الحديث

وجه الاستدلال: بأن الله تجاوز عن أمة محمد ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم ومن كتب الطلاق فقد عمل فلا يكون محلاً للتجاوز ولهذا فإنه يؤخذ بأفعاله سواء قصد ذلك أم لا.

وبناقش بأن مراد الحديث عدم التجاوز في القول أو العمل المقترن بالنية وأن التجاوز إنما هو في النية المجردة ولذا قال قتادة " إذا طلق في نفسه فليس بشيء" ^{٥٦} أو القول والعمل المجرد عن النية ولذا ترى الشارع لم يعلق بعضاً من الأحكام على وجود العمل بل على العمل المقترن بالنية كالصلاة وغيرها وهو منقوض أيضاً بما لو أن الزوج أخرج زوجته في حال الغضب هل يعد طلاقاً مع وجود العمل وانتفاء القصد.

واستدلوا بأن الكتابة قائمة مقام النطق فكما أن من تكلم بصريح الطلاق وقع ولو لم ينوه فكذلك إذا كتب صريح الطلاق ^{٥٧}.

وبناقش بأن كتابة الطلاق قد تكون مجردة عن معناه كتجويد الخط أو غم الأهل أو غير ذلك بخلاف النطق فإن الغالب فيه قصد الطلاق وألحق الحكم بالغالب وأنغي جانب القصد.

الترجيح:

يتبين مما سبق بعد عرض الأقوال والأدلة في هذه المسألة أن القول الراجح هو القول الأول القائل بعدم وقوع الطلاق عبر الكتابة إلا إذا اقترن بالنية أو قرينة الحال من غضب أو خصومة وذلك لوجود عدة عوارض قد تمنع من إعطاء حكم كلي مجرد عن النية وقد عظم الشارع أمر النكاح وأحاطه وميزه عن سائر العقود فكان لا بد من النية تقوية للكتابة.

المسألة الثالثة: صفة الكتابة التي يقع بها الطلاق.

بعد بيان مسألة وقوع الطلاق عبر الكتابة من عدمه وبيان أن الراجح وقوع الطلاق عبر الكتابة بالنية أو قرينة الحال.

فإن القائلين بوقوع الطلاق عبر الكتابة لا يقولون بوقوع الطلاق عبر أي كتابة مهما كانت صفتها وعلى هذا اختلف الفقهاء في صفة الكتابة التي يقع بها الطلاق فسأبين صفة تلك الكتابة مرتباً ذلك على المذاهب الفقهية الأربعة.

مذهب الحنفية:

اشتراط الحنفية في الكتابة التي يقع بها الطلاق أنت تكون مستبينة، وفرقوا بين أن تكون الكتابة برسم الكتاب أي على وجه المخاطبة بأن يقول أما بعد يا فلانة إذا

^{٥٦} أخرجه البخاري (٤٦ / ٧)

^{٥٧} الشرح الكبير على متن المقنع (٢٨٣ / ٨)

بلغك كتابي هذا فأنت طالق وبين الكتابة على غير طريقة الخطاب كأنت طالق فعلى الأول يقع الطلاق ول قال لم أرد الطلاق لأن الكتابة المرسومة جارية مجرى الخطاب^{٥٨}.

قال السمرقندي [ت ٥٤٠] " وكذلك إذا كتب وهو أنواع إن لم يكن مستبين الحروف كما إذا كتب على الماء والهواء فهذا ليس بشيء لأنه لا يسمى كتابة وإن كان مستبين الخط ولكن لا يكون على رسم الكتابة بأن كانت على لوح أو حائط أو أرض فهو في حكم الكتابة ولأن الإنسان قد يكتب لتجربة الخط ولتجربة الحبر والقلم فإن نوى الطلاق يقع وإلا فلا

فأما إذا كان على رسم الكتابة والرسالة بأن يكتب أما بعد يا فلانة إذا وصل إليك كتابي فأنت طالق فإنه يقع الطلاق به ولا يصدق إذا قال لم أرد به الطلاق لأن الكتاب من الغائب بمنزلة الخطاب من الحاضر^{٥٩} " .

مذهب المالكية:

اشتراط المالكية في الكتابة التي يقع بها الطلاق أنت تكون بخط بيده^{٦٠}. قال القاضي عبد الوهاب [ت ٤٢٢] " مسألة: إذا كتب الطلاق بيده وأراد به الطلاق، كان طلاقاً^{٦١} " .

مذهب الشافعية:

فرق الشافعية بين كتابة الطلاق من الغائب ومن غير الغائب على وجهين: الأول اشترطوا في إيقاع الطلاق عبر الكتابة أن يكون من الغائب والوجه الآخر أنه لا فرق بين الحاضر والغائب في ذلك^{٦٢}.

قال الماوردي [ت ٤٥٠] " وهل يصح من الحاضر أم لا؟ فيه وجهان: أحدهما: يصح من الحاضر كما يصح من الغائب، لأن كنيات الطلاق والعناق من الحاضر والغائب سواء، فكذلك الكتابة. والوجه الثاني: أنه لا يصح بها الطلاق والعناق^{٦٣} " .

^{٥٨} بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (٣/ ١٠٩) المحيط البرهاني في الفقه النعماني (٣/ ٢٧٤) الاختيار لتعليل المختار (٣/ ١٣٩)

^{٥٩} تحفة الفقهاء (٢/ ١٨٦-١٨٥)

^{٦٠} التلقين في الفقه المالكي (١/ ١٢٩) المعونة على مذهب عالم المدينة (ص: ٨٤٨) مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٤/ ١٠٤)

^{٦١} الإشراف على نكت مسائل الخلاف (٢/ ٧٤٥)

^{٦٢} المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي (٣/ ١٣) نهاية المطلب في دراية المذهب (١٤/ ٧٤)

^{٦٣} البيان في مذهب الإمام الشافعي (١٠/ ١٠٥)

^{٦٣} الحاوي الكبير (١٠/ ١٦٨)

مذهب الحنابلة:

اشترط الحنابلة كما اشترط الحنفية في الكتابة التي يقع بها الطلاق أنت تكون مستبينة^{٦٤}.

قال الحجاوي [ت ٩٦٨] " وإن كتبه بشيء لا يتبين مثل أن كتبه بإصبعه على وسادة ونحوها أو على شيء لا يثبت عليه خط كالكتابة على الماء أو في الهواء لم يقع فلو قرأ ما كتبه وقصد القراءة لم يقع^{٦٥} "

وقد شرط أبو محمد ابن قدامة [ت ٦٢٠] في وقوع الطلاق بالكتابة أن يكون بشهادة عدلين فقال " ولا يثبت الكتاب بالطلاق إلا بشاهدين عدلين^{٦٦} " ولم أقف على من شرط شهادة عدلين في كتاب الطلاق في المذهب عند غير الموفق.

المسألة الرابعة: حكم وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية.

وقبل الكلام عن هذه المسألة فإنه لا بد من التأكد من كون كاتب الرسالة المتضمنة للطلاق عبر وسائل التقنية هو الزوج أو من ينبيه فإن حصل شك أو يقين بأن الكتابة صادرة من غير الزوج فلا اعتبار للطلاق إذاً ويكون لغواً وفي حالة النزاع فيه فإنه يرجع إلى القضاء.

أما في هذه المسألة سابين حكم وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل الاتصال التقنية بعد أن بحثنا المسائل المتصلة به وساقوم ببيان حكم وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية مرتباً ذلك على المسائل التي سبق بحثها.

أما ما يتعلق بالمسألة الأولى وهي هل يعتد بالطلاق عبر الكتابة أم يعد لغواً به فعلى القول بعدم وقوع الطلاق عبر الكتابة مطلقاً الذي هو قول الظاهرية ووجه عند الشافعية ورواية عند الحنابلة فإنه لا يعتد بالطلاق عبر وسائل التقنية.

أما على القول بوقوع الطلاق عبر الكتابة الذي هو قول المذاهب الأربعة فإنه يقع كذلك كتابةً عبر وسائل التقنية.

أما ما يتعلق بالمسألة الثانية وهي هل الطلاق عبر الكتابة صريح أم كناية يحتاج إلى نية .

^{٦٤} الكافي في فقه الإمام أحمد (٣ / ١٢٠) الشرح الكبير على متن المقنع (٨ / ٢٨٣) المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل (٢ / ٥٤) الفروع وتصحيح الفروع (٩ / ٣٦)

^{٦٥} الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (٤ / ١٠)

^{٦٦} المغني لابن قدامة (٧ / ٤٨٨)

فعلى القول بأنه طلاق كناية يحتاج إلى نية الذي هو قول الحنفية والمالكية والشافعية ورواية عن الحنابلة فالطلاق كتابة عبر وسائل التقنية لا يقع إلا إذا اقترن بالنية فإن لم يقترن بالنية فلعو.

وأما على القول بأن الطلاق عبر الكتابة صريح لا يحتاج إلى نية الذي الصحيح من مذهب الحنابلة ووجه عند الشافعية فالطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية يكون طلاقاً صريحاً لا يحتاج إلى نية.

أما ما يتعلق بالمسألة الثالثة وهي صفة الكتابة التي يقع بها الطلاق فعلى قول الحنفية باشتراط الكتابة المستبينة فإنه يقع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية إذا كان ظاهر المعنى لا لبس فيه ونواه.

وعلى قول الحنفية فإنه لو كان الطلاق عبر وسائل التقنية على رسم الخطاب والكتابة فإنه يقع طلاقاً ولو لم ينوه، أما إن كان الطلاق عبر وسائل التقنية على غير رسم الخطاب فإنه لا يقع طلاقاً إلا إن نواه.

أما على قول المالكية فإذا كان الطلاق بالكتابة قد كتبه الزوج أو من ينوبه وقع طلاقاً إذا اقترن بالنية فإن لم يقترن بالنية فلا يكون طلاقاً.

أما إذا كان الطلاق عبر الكتابة في وسائل التقنية قد صدر من غير الزوج ولو رضي به ورآه فلا يعد طلاقاً ولو نواه.

أما على قول الشافعية فإن كتابة الطلاق عبر وسائل التقنية يفرق بين أن يكون حاضراً أو غائباً فإن كان غائباً وقعا طلاقاً مع النية قولاً واحداً في مذهب الشافعي وأما إن كان حاضراً فعلى وجه عند الشافعية أنه يقع طلاقاً إذا اقترن بالنية فإن لم يقترن بالنية فلا يقع حاضراً كان أو غائباً.

وأما على وجه عند الشافعية فإنه لا يشترط في إيقاع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية نية فيقع بجرد الكتابة سواء نواه أم لم ينوه.

أما على قول الحنابلة باشتراط الكتابة المستبينة فإنه يقع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية إذا كان ظاهر المعنى لا لبس فيه ولو لم ينوه على الصحيح من المذهب.

وأما على رواية عند الحنابلة باشتراط النية في وقوع الطلاق كتابةً فإنه لا بد من النية في وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية ويكون اللفظ ظاهر المعنى.

وأما عن شرط عدلين شاهدين على كتاب الطلاق فإن الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية لا يقع إلا إن كان ظاهر المعنى لا لبس فيه ونواه وشهد عليه عدلين.

وبعد تنزيل الأقوال الفقهية على قضية من قضايا البحث التي هي وقوع الطلاق كتابةً عبر وسائل التقنية على المذاهب الأربعة وبيئت صفة كل قول وما يتعلق به من شروط فإلى هنا ينتهي بحث هذه المسألة...

الخاتمة

- تبرز أهم النتائج في النقاط التالية:
- ❖ أن تعريف الطلاق عبر وسائل التقنية: هو حل قيد النكاح أو بعضه عبر وسائل حديثة نشأت من خلال التطور الصناعي لم تكن في السابق.
 - ❖ أن الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً هو أن يكون لفظ الطلاق صادراً ممن له حق فيه عبر إحدى وسائل التقنية التي تكون من خلال الصوت والصورة جميعاً مباشراً كان أو مسجلاً بحيث بالإمكان أن تشاهد الزوجة صدور لفظ الطلاق من الزوج بالصوت والصورة.
 - ❖ أنه لا فرق بين الأقوال في مسألة الطلاق عبر الصوت والصورة جميعاً أو عبر الصوت وحده.
 - ❖ وهو أن يكون لفظ الطلاق صادراً ممن له حق فيه عبر إحدى وسائل التقنية التي تكون من خلال الصوت سواء كان مباشراً أو مسجلاً بحيث بالإمكان أن تسمع الزوجة صدور لفظ الطلاق من الزوج بصوته.
 - ❖ أن الراجح في وقوع الطلاق عبر الصوت أنه إن كان بلفظ صريح وقع بلا نية وإن كان بلفظ كناية وقع مع النية.
 - ❖ كتابة لفظ الطلاق صريحاً كان أم كنايةً ممن له حق فيه عبر إحدى وسائل التقنية التي تكون من خلال الكتابة.
 - ❖ أن الراجح في الطلاق عبر الكتابة هو وقوعه ولا يعد لغواً
 - ❖ أن القائلين بعدم وقوع الطلاق عبر الكتابة لا يرون وقوع الطلاق عبر وسائل التقنية.
 - ❖ أن الراجح في مسألة الطلاق عبر الكتابة وقوعه كناية ولو كان بصريح الطلاق.

فهرس المصادر والمراجع:

الاختيار لتعليق المختار، المؤلف: عبد الله بن محمود بن مودود الموصللي البلدحي،
مجد الدين أبو الفضل الحنفي (المتوفى: ٦٨٣هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي -
القاهرة (وصورتها دار الكتب العلمية - بيروت، وغيرها)، تاريخ النشر: ١٣٥٦
هـ - ١٩٣٧ م، عدد الأجزاء: ٥.

الإشراف على نكت مسائل الخلاف، المؤلف: القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن
نصر البغدادى المالكي (٤٢٢هـ)، المحقق: الحبيب بن طاهر، الناشر: دار ابن
حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٢.

الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن
عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا
(المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار
المعرفة بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن
سليمان المرادوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الناشر: دار
إحياء التراث العربي، الطبعة: الثانية عدد الأجزاء: ١٢.

بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد
الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية،
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، عدد الأجزاء: ٧.

البيان في مذهب الإمام الشافعي، المؤلف: أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم
العمراني اليمني الشافعي (المتوفى: ٥٥٨هـ)، المحقق: قاسم محمد النوري، الناشر:
دار المنهاج - جدة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: ١٣.

تحفة الفقهاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي
(المتوفى: نحو ٥٤٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة:
الثانية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

التلفين في الفقه المالكي، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي
البغدادى المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، المحقق: ابي أويس محمد بو خبزة الحسني
التطواني، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، عدد
الأجزاء: ٢.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح
البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق: محمد
زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية
بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: الشيخ علي محمد معوض - الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١٩.

دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٣.

ديوان لبيد بن ربيعة العامري، المؤلف: لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (المتوفى: ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو طمّاس، الناشر: دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ١.

الشرح الكبير على متن المقنع، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الحنبلي، أبو الفرج، شمس الدين (المتوفى: ٦٨٢هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، أشرف على طباعته: محمد رشيد رضا صاحب المنار. الطبعة: الأولى، ١٤٠٩، عدد الأجزاء: ٧. الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.

الطلاق الالكتروني في الفقه الإسلامي د. علي أبو البصل.

الكافي في فقه الإمام أحمد، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي، المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، عدد الأجزاء: ٤.

كتاب العين، المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، عدد الأجزاء: ٨.

كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع لعلاء الدين علي بن سليمان المرداوي، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، المحقق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١١.

الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض

كشف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٦.

لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ، عدد الأجزاء: ١٥

المبدع في شرح المقنع، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٣٠.

المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد، ابن تيمية الحراني، أبو البركات، مجد الدين (المتوفى: ٦٥٢هـ)، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، عدد الأجزاء: ٢.

المحلى بالآثار، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عدد الأجزاء: ١٢.

المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، عدد الأجزاء: ٩.

المحيط في اللغة، المؤلف: إسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني، المشهور بالصاحب بن عباد (المتوفى: ٣٨٥هـ)

مختصر المزني (مطبوع ملحقاً بالألم للشافعي)، المؤلف: إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل، أبو إبراهيم المزني (المتوفى: ٢٦٤هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، سنة النشر: ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، عدد الأجزاء: ١.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٥.
معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م، عدد الأجزاء: ٤

معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م. عدد الأجزاء: ٦.
المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، المؤلف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي (المتوفى: ٤٢٢هـ)، المحقق: حميش عبد الحق، الناشر: المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز - مكة المكرمة، عدد الأجزاء: ٣.

المغني لابن قدامة، المؤلف: أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٢٠هـ)، الناشر: مكتبة القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

المهذب في فقه الإمام الشافعي، المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٣.
مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرُّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، عدد الأجزاء: ٦. الناشر: دار المنهاج، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

النتف في الفتاوى، المؤلف: أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد السُّعدي، حنفي (المتوفى: ٤٦١هـ)، المحقق: المحامي الدكتور صلاح الدين الناهي، الناشر: دار الفرقان / مؤسسة الرسالة - عمان الأردن / بيروت لبنان

نهاية المطلب في دراية المذهب، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨هـ)، حققه وصنع فهرسه: أ. د/ عبد العظيم محمود الدَّيب

النَّوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأُمهات، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن (أبي زيد) عبد الرحمن النفزي، القيرواني، المالكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، تحقيق: ج ١، ٢: الدكتور/ عبد الفتاح محمد الحلو، ج ٣، ٤: الدكتور/ محمد حجي، ج ٥، ٧، ٩، ١٠، ١١، ١٣: الأستاذ/ محمد عبد العزيز الدباغ، ج ٦:

الدكتور، عبد الله المرابط الترغي، الأستاذ/ محمد عبد العزيز الدباغ، ج ٨: الأستاذ/
محمد الأمين بوخبزة، ج ١٢: الدكتور/ أحمد الخطابي، الأستاذ/ محمد عبد العزيز
الدباغ، ج ١٤، ١٥ (الفهارس): الدكتور/ محمد حجي، الناشر: دار الغرب
الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٩ م، عدد الأجزاء: ١٥.



الدار قطني ومنهجه في إلزام الشيخين وأسباب عدم إخراجهما لما ألزم به

**Al-Dar Qutni and his approach to obligating the two sheikhs
and the reasons for their not producing what he was
obligated to do**

إعداد

عتيق بن سليمان بن عبدالله العتيق

Ateeq Suleiman Abdullah Al-Ateeq

طالب في مرحلة الماجستير في قسم السنة وعلومها - جامعة القصيم

Doi: 10.21608/jasis.2024.367239

٢٠٢٤ / ٥ / ٥

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٢١

قبول البحث

العتيق، عتيق بن سليمان بن عبدالله (٢٠٢٤). الدار قطني ومنهجه في إلزام الشيخين وأسباب عدم إخراجهما لما ألزم به. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٢٢٧-٢٥٢.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الدار قطني ومنهجه في إلزام الشيخين وأسباب عدم إخراجهما لما ألزم به المستخلص:

الدَّارْقُطْنِيُّ: وهو الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدَّارْقُطْنِيُّ، الشافعي، ولد على الراجح سنة ٣٠٦ هـ في بغداد، في محلة كبيرة هناك اسمها دار القطن، وإليها يُنسب. والإلزام لغة أصله الجذر (لَزَمَ) وهو يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً، و"الإلزام" في الاصطلاح مرادف لمعنى "الاستدراك"، أو "التصحيح"، عند علماء الحديث، ويمكن القول بأن الإلزام عند الدارقطني هو: إخراج أحاديث ترك الشيخان إخراجها مع أن أسانيدها أسانيد قد أخرجوا في صحيحيهما بمثلها. وقد بدأ بذكر مجموعة من أحاديث بعض التابعين الذين أخرجوا لهما في صحيحيهما، مما يرى أنهما تركا من حديثه شبيهاً ولم يخرجاه، وأخذ في تطبيق هذا المنهج في عشرة أحاديث وبعد انتهائه من سردها أورد قاعدة أخرى وهي: "ذكر أحاديث رجال من الصحابة رَوَوْا عن النبي ﷺ، رُوِيَتْ أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن في ناقلها، ولم يُخْرَجَا من أحاديثهم شيئاً، فيلزم إخراجها على مذهبهما"^(١). ثم بدأ في سرد التراجم الواردة في هذه الأحاديث العشر، وأخذ يعرض لجزء من الإسناد المبين لموضع الإلزام للصحابي، أو للتابعي الراوي عنه، ويذكر أحياناً مواضع الراوي عن التابعي، أما الرواة الضعفاء فيذكر بعضهم، ولا يعول عليهم، ولا يتطرق لبقية رجال الإسناد، وعند سرد التراجم يبتدئ كل ترجمة بقوله: حديث فلان عن فلان، ثم حذف كلمة حديث بعد ذلك واكتفى بذكر أسماء التراجم مباشرة واستخدم بعض العبارات التي بين فيها مواضع إخراج الشيخين لهذا الراوي الذي يلزم به.

ويقوم في بعض المواضع بذكر السند ولا يذكر المتن، وأما بالنسبة لمواضع الإلزام عنده، فكان إلزامه لأحاديث الصحابة الذين تفرد عنهم راوٍ ثقة، أخرج له الشيخين، أو أن يكون هذا الراوي في منزلة من أخرجوا له، كما أنه كان لا يولي اهتماماً بالأخبار الموقوفة على الصحابي التي تمت روايتها من طريق تابعي آخر، كما يشير أحياناً إلى وجود اختلاف، ويرجّح أحد الوجهين، وقد يلزم أحد الشيخين دون الآخر.

وتركزت همّة الدارقطني في كتابه الإلزامات في ذكر أحاديث كان ينبغي على البخاري ومسلم إخراجها برأيه، قال النووي: "أن هذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة، فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعبا، وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح"^(٢)، والواقع أنه أعلم وأنبه من أن يغيب عنه ما

(١) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٣٠.

(٢) أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج ١، ص ٢٤.

أشار إليه النووي، فوجه اعتراض الدارقطني كان مبنياً على أن الشيخين قصدا الإعراض عن أحاديث بعينها، لأسباب لديهما، وأن هذه الأسباب غير وجيهة برأيه، نظراً لكونهما تجاوزا عنها، وغضاً الطرف عمداً عن مثلها في مواضع أخرى في كتابيهما، فهو لم يكن يحاسبهما بل كان يناقشهما في موقف اتخذه من بعض الأحاديث ورجح لديه أنهما أعرضا إعراضاً مقصوداً.

أما عن أسباب عدم إخراج الشيخين للأحاديث التي ألزمهما به الدارقطني:

١- فيمكن القول بأن الشيخين لم يقصدا استيعاب الحديث الصحيح جميعه في كتابيهما، وتركاً أحاديث صحيحة خشية الإطالة.

٢- و"إذا كان الحديث الذي تركاه أو أحدهما مع صحة إسناده أصلاً في معناه عمدة في بابيه ولم يخرجاً له نظيراً فذلك لا يكون إلا لعله فيه خفيت واطلعا عليها، أو التارك له منهما أو لغفلة عرضت والله أعلم"^(٣).

وخلص بعض الباحثين إلى أنه له سبب وجيه وهو قد يكمن في وجود علة في إسناده الحديث، أو علة في متن الحديث، ويمكن للباحث التوصل إلى هذه العلة من خلال البحث والنظر والتثبت^(٤). أضف إلى ذلك من أسباب وجود اختلاف في الوصل والإرسال، أي اختلاف الرواة الثقات في حديث ما، بأن يرويه بعضهم متصلاً، وبعضهم مرسلاً، أو وجود اختلاف في السماع وعدمه^(٥).

Abstract:

Al-Daraqutni: He is the Imam Al-Hafiz Abu Al-Hasan Ali bin Omar Al-Daraqutni, Al-Shafi'i. He was born according to the most likely opinion in the year 306 AH in Baghdad, in a large locality there called Dar Al-Qatun, to which he is attributed. The language of obligation has its root root (lizam), which indicates always accompanying a thing with another thing. "Illajam" in terminology is synonymous with the meaning of "recovery," or "correction," according to hadith scholars. It can be said that obligation according to Al-Daraqutni is: quoting hadiths of

(٣) تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، ط ٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ)، ص ٩٥.

(٤) ريان، إعراض الإمام البخاري عن تخريج الحديث في صحيحه، ص ٢٩٤.

(٥) محمد خالد كلاب، وحسين أحمد حمد، مسوغات عدم إخراج الإمام مسلم بعض الأحاديث في صحيحه عند الحافظ ابن رجب الحنبلي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج ٨، ع ٧٩، سبتمبر ٢٠١٨م، ص ١٥٦-١٦٠.

abandonment. The two sheikhs narrated it even though its chain of transmission is similar chain of transmission in their Sahihs. He began by mentioning a group of hadiths from some of the followers who had narrated them in their Sahihs, from which he believes that they left out similar hadiths from him and did not narrate them. He began to apply this approach in ten hadiths, and after he finished narrating them, he mentioned another rule, which is: "He mentioned the hadiths of men from among the Companions." They narrated on the authority of the Prophet, peace and blessings of God be upon him. Their hadiths were narrated from authentic sources whose transmitters are not impugned, and they did not narrate anything from their hadiths, so it is necessary to narrate them according to their doctrine. Then he began to list the biographies contained in these ten hadiths, and began to present part of the chain of transmission that clarifies the position of obligation for the Companion, or for the Tabi'i narrating on his authority, and he sometimes mentions the locations of the narrator on the authority of the Tabi'i. As for the weak narrators, he mentions some of them, and does not rely on them, and does not address the rest of the narrators. Attribution, and when listing the biographies, he begins each translation by saying: The hadith of so-and-so on the authority of so-and-so, then he deletes the word hadith after that and just mentions the names of the biographies directly and uses some phrases in which he explains the places in which the two sheikhs cited this narrator whom he adheres to.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

فإن علوم السنة والتصانيف فيها قد تعددت وتتنوعت، فصارت المكتبة الإسلامية زاخرة بفضل الله بكم هائل من هذه العلوم والتصانيف، وكان من بينها: (كتاب الإلزامات) للإمام الدارقطني؛ ساق فيه عدداً من الأسانيد التي لم يخرجها أصحابا الصحيحين، ورأى أنهما أخرجا مثلاً.

ولذا كان من الأهمية بمكان تسليط الضوء على هذا الكتاب بشكل موجز وتحرير مراد المؤلف في مصطلحه، وفهم منهجه في تعقب الشيخين وإلزامهما، والذي يعلم بأنه من المقدمين في هذا الباب، ومحاولة لتلمس أسباب عدم ذكر تلك التراجم من إمامين هما غاية في الفقه والعلم والسعة والإتقان حتى يتبين أن وراء ذلك دقيقة من الأسباب التي تدل على علو الكعب في هذا الميدان، ومن الله يستمد العون والتوفيق والسداد.

التمهيد

- المبحث الأول: ترجمة الإمام الدارقطني.
- المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإلزامات.
- المبحث الثالث: مصطلح الإلزام والمصنفات فيه:
- المطلب الأول: التعريف بمصطلح الإلزام.
- المطلب الثاني: التعريف ببعض المصنفات في الإلزام.

المبحث الأول

ترجمة الإمام الدارقطني

اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

هو الإمام الحافظ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار بن عبدالله الدارقطني^(١) البغدادي، الشافعي^(٢)، ويكنى بأبي الحسن^(٣).

(٦) ذكر السمعاني المتوفى سنة ٥٦٢هـ/١١٦٧م: "الدَّارْقُطْنِي: بفتح الدال المهملة، بعدها الألف، ثم الراء، والقاف المضمومة، والطاء المهملة الساكنة وفي آخرها النون، هذه النسبة إلى دار القطن، وهي كانت محلة ببغداد كبيرة خربت الساعة، كنت أجتاز بها

وذهبت بعض المصادر إلى عدم إيراد اسم جده "النعمان بن دينار" ضمن ترجمته، ولعل هذه المصادر قد ذهبت إلى ذلك بقصد الاختصار^(٩).
أما بخصوص مولده فقد ولد في مدينة بغداد، في محلة كبيرة هناك اسمها دار القطن، وإليها يُنسب^(١٠)، واختلفت المصادر في تحديد سنة ميلاده، فقيل أنه ولد سنة خمس وثلاثمائة^(١١)، وهناك من قال أن مولده كان "خمس خلون من شهر ذي القعدة سنة ستة وثلاثمائة"^(١٢)، وقد روى ابن عساكر بسنده عن الدارقطني أنه قال: "ولدت في هذه السنة" وهي سنة ست وثلاثمائة^(١٣). وفي المعنى نفسه قال السلمي: "وقال: مات

بالجانب الغربي، وأراني صاحبنا الشيخ سعد الله بن محمد المقرئ، مسجده في دار القطن".
يُنظر: عبد الكريم بن محمد السمعاني، الأنساب، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، (حيدر آباد: دار المعارف العثمانية، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ج ٥، ص ٢٧٣؛ علي بن محمد بن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، (بيروت: دار صادر، ١٩٨٠م)، ج ١، ص ٤٨٣.

(٧) عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، ط ٢ (بيروت: هجر للنشر والتوزيع، ١٤١٣هـ)، ج ٣، ص ٤٦٢.

(٨) أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ج ١٣، ص ٤٨٧، ترجمة رقم: ٦٣٥٧؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قايماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ١٦، ص ٤٤٩، رقم الترجمة: ٣٣٢.

(٩) أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: دار هجر للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ج ١٥، ص ٤٥٩-٤٦٠.

(١٠) السمعاني، الأنساب، ج ٥، ص ٢٧٣.
(١١) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨٧؛ جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، ومصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج ١٤، ص ٣٧٨، رقم الترجمة: ٢٩١٥.

(١٢) المصدران نفسها.
(١٣) أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دمشق: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، ج ٣٤، ص ٩٦؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٤٩.

أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج القاضي، الفقيه، سنة ست وثلاث مائة. قال الشيخ أبو الحسن الدارقطني: وولدت في هذه السنة^(١٤).

صفاته الخلقية:

وعن صفاته الخلقية فقد وصفه لنا أبو القاسم بن علي بن بكر بن علي بن حماد البندار بقوله: "سمعت من علي بن عمر الدارقطني، وأخذت كتبني وحضرت جنازة الدارقطني وصلى عليه في المسجد الذي في دار القطن ... وكان طوال أبيض"^(١٥).

صفاته العلمية:

اكتسب الدارقطني سمعة كبيرة في الحفظ والفهم والفتنة والذكاء، فكان موصوفاً من صغره بالحفظ الباهر، والفهم الثاقب، والبحر الزاخر^(١٦). وقال القواس^(١٧): كنّا نمر إلى البغوي^(١٨)، والدارقطني صبي يمشي خلفنا بيده رغيغ عليه كامخ^(١٩)، فدخلنا إلى البغوي، ومنعناه، فقع على الباب يبكي^(٢٠).

كما اشتهر بقوة حفظه، وفي ذلك روى ابن كثير أن الدارقطني جلس في مجلس إسماعيل الصفار^(٢١)، وهو يملئ على الناس الأحاديث، والدارقطني ينسخ، فقال له أحد الحاضرين: لا يصح سماعك وأنت تنسخ، فقال الدارقطني: فهمي للإملاء خلاف

(١٤) محمد بن حسين السلمي، سوالات السلمي للدارقطني، تحقيق: سعد عبدالله الحميد وآخرين، (الرياض: د.ن، ١٤٢٧هـ)، ص ١٠٧.

(١٥) أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني، أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ للإمام الدارقطني، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، والسيد يوسف، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج ١، ص ٥٢.

(١٦) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ٤٥٩.

(١٧) هو يوسف بن عمر بن مسرور، أبو الفتح القواس، كان ثقة، صالحاً، صادقاً، زاهداً، وكانت وفاته في سنة ٣٨٥هـ. ينظر: البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٦، ٤٧٦.

(١٨) هو الحافظ عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم البغوي، الحافظ، كان ثقة، وتوفي سنة ٣١٧هـ. ينظر: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر، لسان الميزان، تحقيق: دائرة المعارف العثمانية، (بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م)، ج ٣، ص ٣٣٨، ٣٣٩.

(١٩) الكامخ مفرد كوامخ، وهو شيء من الأدم. ينظر مادة (كمخ)، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال، د.ت)، ج ٣، ص ١٥٧.

(٢٠) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٣، ص ٩٨؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٢.

(٢١) إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن صالح الصفار، الثقة الإمام النحوي المشهور، توفي سنة ٣٤١هـ. انظر: ابن حجر، لسان الميزان، ج ١، ص ٤٣٢.

فهمك، أتخفظ كم أملى الشيخ من حديث إلى الآن؟ فقال: لا، فقال الدارقطني: أملى ثمانية عشر حديثاً، فعددت الأحاديث، فوجدت كما قال: الحديث الأول منها عن فلان عن فلان، ومنتنه كذا، والحديث الثاني عن فلان عن فلان، ومنتنه كذا، ولم يزل الدارقطني يذكر هو أسانيد الحديث، ومتونها على ترتيبها في الإملاء حتى أتى على آخرها، فعجب الناس منه^(٢٢).

قال الخطيب البغدادي في وصف الدارقطني: "كان فريد عصره، مع الصدق والأمانة، والفقه، والعدالة، وقبول الشهادة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب... ومع صدقه وأمانته وورعه فقد جمع فصاحة اللسان"^(٢٣).

وقد روى الخطيب البغدادي عن الأزهري: أن أبا الحسن الدارقطني لما دخل مصر وأراد قراءة كتاب النسب للزبير بن بكار على شيخ علوي من أهل مدينة رسول الله ﷺ يقال له: مسلم بن عبيد الله، موصوفاً بالفصاحة ومن المطبوعين على العربية، فاجتمع إليه من كان من أهل العلم والأدب والفضل، وحرصوا على أن يحفظوا على أبي الحسن لحنه، أو يظفروا منه بسقطة، فلم يقدروا على ذلك، حتى جعل المسلم يتعجب، من تمكنه ويقول له: وعربية أيضاً!^(٢٤).

كان الدارقطني قوي الحفظ ذكياً، فاق أهل عصره، وكان حريصاً أن يسمع أحاديث الشيوخ الأحياء منهم مباشرة دون واسطة، وإن كلفه الأمر إلى الرحلة، وقد سمع ذات مرة أحاديث السوداني^(٢٥)، ثم ارتحل إليه ليسمعها منه مباشرة بالكوفة، فقال: "كُتبت ببغداد من أحاديث السوداني أحاديث يتفرد بها، ثم مضيت إلى الكوفة لأسمع منه، فجئت إليه، وعنده أبو العباس بن عقدة^(٢٦). فدفعته إليه الأحاديث في ورقة، فنظر فيها أبو العباس، ثم رمى بها، واستنكرها، وأبى أن يقرأها، وقال: هؤلاء البغداديون يجيئون بما لا نعرفه... ثم قرأ أبو العباس عليه فمضى من جملة ما قرأه حديث منها، فقلت له: هذا الحديث من جملة الأحاديث، ثم مضى آخر، فقلت: وهذا

(٢٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ٤٦٠.

(٢٣) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨٧.

(٢٤) المصدر السابق.

(٢٥) أبو عبد الله محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي الكوفي السوداني، الشيخ المحدث المعمر، حدث عنه الدارقطني، وكانت وفاته في صفر سنة ٣٢٦هـ. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٧٣. ترجمة رقم (٤٠).

(٢٦) أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، المعروف بابن عقدة وهو لقب والده من أجل تعقيده في التصريف والنحو، وكان عقدة ورعاً ناسكاً، وكان أبو العباس بن عقدة من الحفاظ الكبار، وتوفي في سنة ٣٣٢هـ. ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٥، ص ١٥٨.

أيضاً من جملتها، ثم مضى ثالث فقلت: وهذا أيضاً من منها، وانصرفت، وانقطعت عن العود إلى المجلس لحمى نالتني، فبينما أنا في الموضوع الذي كنت نزلته، إذا بدق يدق عليّ الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: ابن سعيد، فخرجت، وإذا بأبي العباس، فوقعت في صدره أقبلة، وقلت: يا سيدي، لم تجشمت المجيء؟ فقال: ما عرفناك إلا بعد انصرافك، وجعل يعتذر إليّ وقال لي: ما الذي أخرجك عن الحضور؟ فذكرت له أبي حممت، فقال: تحضر المجلس لتقرأ ما أحببت، فكنت بعد إذا حضرت أكرمني ورفعني في المجلس" (٢٧).

ومن الشواهد الأخرى على شدة حافظة الدارقطني، ما ذكره محمد بن طلحة النعالي (٢٨)، حيث قال: "حضرت مع أبي الحسن في دعوة عند بعض الناس ليلة، فجرى شيء من ذكر الأكلة، فاندفع أبو الحسن يورد أخبار الأكلة وحكاياتهم ونوادرهم حتى قطع ليلته أو أكثرها بذلك" (٢٩).

وفي المعنى نفسه، قال أبو الحسن العتيقي (٣٠): "حضرت أبا الحسن وقد جاءه أبو الحسين البضاوي بغريب ليقراً له شيئاً فامتنع، واعتلّ ببعض العلل، فقال: هذا غريب. وسأله أن يُملّي عليه أحاديث، فأملّي عليه أبو الحسن من حفظه مجلساً تزيد أحاديثه على العشرين متن، جميعها: (نعم الشيء الهدية أمام الحاجة)، فانصرف الرجل ثم جاء بعد، وقد أهدى له شيئاً، فقرّبه وأملّي عليه من حفظه سبعة عشر حديثاً، متون جميعها: (إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه)" (٣١).

وعقّب الذهبي على هذه الرواية بالقول: "هذه حكايات صحيحة... وهي دالة على سعة حفظ هذا الإمام" (٣٢).

ومما يدل على سعة حفظ الدارقطني أيضاً ما ذكره الخطيب البغدادي، إذ يروي عن شيخه البرقاني (٣٣)، "قلت له: هل أبو الحسن يملّي عليك (العلل) من حفظه؟ فقال: نعم.

(٢٧) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨٧؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٣، ص ٩٨.

(٢٨) محمد بن طلحة بن محمد بن عثمان أبو الحسن النعالي، ذكر عنه الخطيب البغدادي أنه: "شيخ كان يكتب معنا الحديث إلى أن مات، ويتتبع الغرائب والمناكير... وكان رافضياً"

وتوفي في سنة ٤١٣ هـ. البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٣٧٠. رقم الترجمة (٩٢٩).

(٢٩) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨٧.

(٣٠) الإمام المحدث الثقة، أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد البغدادي العتيقي، كان صدوقاً، وولد في سنة سبع وستين وثلاث مائة، وكان له بعض أجداده يسمى عتيقاً، وإليه ينسب. توفي في سنة إحدى وأربعين وأربع مائة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٦٠٢-٦٠٣.

(٣١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٦.

(٣٢) المصدر السابق.

ثم شرح لي قصة جمع العلل^(٣٤). وعقّب الذهبي على ذلك بالقول: "إن كان كتاب (العلل) الموجود قد أملاه الدارقطني من حفظه، كما دلّت عليه هذه الحكاية، فهذا أمر عظيم، يُقضى به للدارقطني أنه أحفظ أهل الدنيا"^(٣٥)، "وهذا شيء مدّش؛ كونه كان يُملّي (العلل) من حفظه، فمن أراد أن يعرف قدر ذلك فليطالع كتاب (العلل) للدارقطني ليعرف كيف كان الحُفاظ"^(٣٦).

رحلاته العلمية وأبرز شيوخه وتلامذته:

مهّدت البيئة العلمية التي نشأ فيها الدارقطني طريقه لطلب العلم منذ طفولته، إذ كان والده من أهل العلم بالحديث، وأحد رواته. ويفهم من حديث الدارقطني أنه بدأ الكتابة في سن التاسعة، فيروي عن نفسه "كتبت في أول سنة خمس عشرة وثلاثمائة"^(٣٧)، وكان مولده كما ذكر سابقاً سنة ست وثلاثمائة^(٣٨).

ويبدو أنه حفظ القرآن أيضاً في هذه المرحلة من عمره، وكان جميل الصوت، فقد قال عن نفسه: "كنت أنا والكتاني نسمع الحديث، فكانوا يقولون يخرج الكتاني محدّث البلد، ويخرج الدارقطني مقرئ البلد، فخرجت أنا محدّثاً، والكتاني مقرئاً"^(٣٩)، ولم يكن محدّثاً فحسب بل كان إماماً أيضاً في القراءات، وقد تصدّر في أواخر عمره للإقراء: فقال ابن الجزري: "كان الدارقطني أوجد أهل زمانه في الحفظ والفهم والورع، وإماماً في القراء والنحويين"^(٤٠)، وقال الخطيب البغدادي "وكان له في القراءات كتاب مختصر، جمع الأصول في أبواب عقدها في أول الكتاب، وسمعت

(٣٣) الحافظ الثبت صاحب التصانيف، أبو بكر أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي ثم البرقاني الشافعي، توفي في بغداد سنة ٤٢٥ هـ. انظر: أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب المعروف بالبرقاني، سؤالات أبي بكر البرقاني للدارقطني في الجرح والتعديل، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن للنشر، د.ت)، ص ٢١-٢٦.

(٣٤) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨٧.

(٣٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٥.

(٣٦) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م)، ج ٨، ص ٥٧٦.

(٣٧) البرقاني، سؤالات الدارقطني، ص ١٠.

(٣٨) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٣٤، ص ٩٦.

(٣٩) ابن الجوزي، المنتظم، ج ٤، ص ٣٨٠.

(٤٠) شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، وعني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١ هـ برجستر اسر، ١٣٥١ هـ)، ج ١، ص ٥٥٩.

بعض من يعتني بالقراءات يقول: لم يسبق أبو الحسن إلى طريقته في هذا، وصار القراء بعده يسلكون ذلك^(٤١).

وفي السياق ذاته، أورد الذهبي قولاً عن موسوعية المعرفة عند الدارقطني، "كان الدارقطني ذكياً، إذا ذكر شيئاً من العلم أي نوع كان، وجد عنده منه نصيب وافر"^(٤٢).

بدأ الدارقطني الانخراط في العلم والسماع في سن مبكرة، فسمع وهو صبي من أبي القاسم البغوي، ويحيى بن محمد بن صاعد^(٤٣)، وأبي بكر بن أبي داود، ومحمد بن نيروز الأنماطي^(٤٤) وغيرهم^(٤٥). ثم رحل في طلب العلم بعد أن سمع من شيوخه في بغداد، فبدأ بالبصرة، حيث رحل إليها في حدود سنة العشرين وثلاثمائة^(٤٦)، وسمع بها من شيوخ عدة، مثل محمد بن سليمان المالكي، وأحمد بن محمد العطار، ويعقوب بن يوسف الخلال، وغيرهم، ثم رحل إلى الكوفة، وسمع بها من محمد بن القاسم بن زكريا المحاربي السوداني، وعبد الله بن يحيى الطلحي وغيرهما^(٤٧)، وسمع بواسط بعد ذهابه إليها من أحمد بن عمرو بن عثمان المعدل، وأحمد بن محمد بن سعدان، وغيرهم، ثم سمع بمكة أثناء حجه بها من الحسن بن الخضر المعدل، كما ذهب إلى طبرية، وألف بها تاريخ محمد بن خرز الطبراني.

كما ارتحل إلى مصر في سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وسمع بها من علي بن عبد الله بن الفضل، وعلي بن أحمد بن الأزرق، وغيرهم. وقد تأثر به أهل مصر كثيراً، وفي ذلك يروي الذهبي عن الحاكم: "دخل الدارقطني الشام ومصر على كبر السن، واستفاد وأفاد، ومصنفاته يطول ذكرها"^(٤٨) ولما أراد الخروج منها خرجوا يودعون

(٤١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٢.

(٤٢) المصدر السابق.

(٤٣) يحيى بن محمد بن صاعد بن كاتب، الإمام الحافظ، محدث العراق، مولى الخليفة أبي جعفر المنصور، عالم باعلل والرجال، ولد سنة ثمان وعشرين ومائتين، وكانت وفاته في الكوفة في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وثلاث مائة، عن تسعين سنة وأشهر. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٤، ص ٥٠١-٥٠٥.

(٤٤) ابن نيروز أبو بكر محمد بن إبراهيم الأنماطي، الشيخ المسند، الصدوق، مات في سن ثمان عشرة وثلاث مائة، عن بضع وثمانين سنة. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٩.

(٤٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٤٩.

(٤٦) شمس الدين محمد أحمد بن قايمار الذهبي، ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٨٢ هـ/١٩٦٣ م)، ج ٣، ص ٥٧٢.

(٤٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٧.

وهم يبكون لفراقه، فقال لهم: "تبكون وعندكم عبد الغني بن سعيد، وفيه الخلف" (٤٨)، وكان عبد الغني بن سعيد أشهر تلاميذه في مصر، وكان يقول عندما سأله أبو بكر البرقاني بعد رجوعه من مصر: "هل رأيت في طريقك من يفهم شيئاً من العلم، فقال ما رأيت في طول طريقي أحداً إلا شاباً بمصر يقال له عبد الغني، كأنه شعلة نار، وجعل يفخم أمره ويرفع ذكره... وقال السوري: قال أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي: قال لي أبي: خرجنا يوماً مع أبي الحسن الدارقطني من عند أبي جعفر مسلم الحسيني، فلقينا عبد الغني بن سعيد فسلم على أبي الحسن ووفقاً ساعة يتحدثان، ثم انصرف عبد الغني، فالتفت إلينا أبو الحسن فقال: يا أصحابنا! ما التقيت من مرة مع شابكم هذا فانصرفت عنه إلا بفائدة" (٤٩).

أما بغداد فكانت بيئة علمية خصبة، مليئة بالعلماء في التفسير والحديث والفقه والقراءات وشتي العلوم، وكان الدارقطني أحد علمائها البارزين، وحفاظها المتقنين، فأخذ عنه البغداديون والدمشقيون والمصريون، فمن أشهرهم من أصحاب المصنفات: الحاكم أبو عبد الله النيسابوري (٥٠)، وعبد الغني بن سعيد الأزدي المصري، وتمام الرازي، وأبونعيم الأصبهاني، وأبو بكر البرقاني، وأبو عبد الرحمن السلمي، وحمزة بن يوسف السهمي، وخلق كثير لا يحصون يصعب حصرهم (٥١).

وكانت وفاته في يوم الخميس لثمان خلون من شهر ذي القعدة من سنة خمس وثمانين وثلاثمائة (٥٢)، وكان قد بلغ الثمانين، وفي ذلك يذكر أبو القاسم بن علي البندار بقوله: "سمعت من علي بن عمر الدارقطني، وأخذت كتبي وحضرت جنازة الدارقطني

(٤٨) أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي المعروف بابن نقطة، **تكملة الإكمال**، تحقيق: عبد القيم عبد رب النبي، وشارك في تحقيق الجزء الثاني: محمد صالح عبدالعزيز المراد، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ١٤٠٨-١٤١٨هـ)، ج ١، ص ٩٧.

(٤٩) ابن نقطة، **إكمال الإكمال**، ج ١، ص ٩٧.

(٥٠) محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي، الطهماني، النيسابوري، الشافعي، الحافظ أبو عبد الله الحاكم، إمام أهل الحديث في عصره، كان عالماً عارفاً واسع العلم، إماماً نافذاً، شيخ المحدثين. وولد بنيسابور سنة ٣٢١هـ، وكانت وفاته في سنة ٤٠٣هـ انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ١٦٢-١٧٧؛ ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، ج ٤، ص ٢٨٠.

(٥١) ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج ٤٣، ص ٩٣-٩٤؛ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ١٦، ص ٤٥٠.

(٥٢) البغدادي، **تاريخ بغداد**، ج ١٣، ص ٤٨٧.

وصلى عليه في المسجد الذي في دار القطن سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وكان طوال أبيض^(٥٣).

صحة اعتقاده ومذهبه الفقهي:

كان الدارقطني صحيح الاعتقاد سليم المذهب، فيقول الخطيب البغدادي: "انتهى إليه علم الأثر، والمعرفة بعلم الأحاديث... مع الصدق والأمانة، والثقة والعدالة، وقبول الشهادة، وصحة الاعتقاد، وسلامة المذهب"^(٥٤)، كما قال الذهبي "كان إليه المنتهى في السنة ومذاهب السلف، لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام ولا الجدل، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً"^(٥٥). ويؤكد السلمي هذا الرأي بقوله: "سمعت الشيخ أبا الحسن يقول: وما في الدنيا شيء أبغض إلي من علم الكلام"^(٥٦). وأورد الذهبي له رأياً في الرافضة فقال: "قال الدارقطني: اختلف قوم من أهل بغداد، فقال قوم: عثمان أفضل، وقال قوم: علي أفضل، فتحاكموا إلي، فأمسكت، وقلت: الإمساك خير، ثم لم أر لديني السكوت، وقلت للذي استفتاني: ارجع إليهم، وقل لهم: أبو الحسن يقول: عثمان أفضل من علي باتفاق جماعة أصحاب رسول الله ﷺ -، هذا قول أهل السنة، وهو أول عقد يخل في الرفض"^(٥٧).

وقد روى الخطيب البغدادي أن الدارقطني كان إماماً في معرفة مذاهب الفقهاء، فتصنيفه لكتاب "السنن" لدليل على أنه كان ممن اعتنى بالفقه، لأنه لا يقدر على جمع ما تضمن ذلك الكتاب إلا تقدمت معرفته بالاختلاف في "الأحكام"، كما روى ابن عساكر أنه "قد درس فقه الشافعي على يد أبي سعيد الإصطخري، وقيل بل درس الفقه على صاحب لأبي سعيد وكتب الحديث عن أبي سعيد نفسه"^(٥٨)، وأكد ابن خلكان على ذلك بقوله: "كان عالماً حافظاً فقيهاً على مذهب الإمام الشافعي -رضي الله عنه- أخذ الفقه عن أبي سعيد الإصطخري الفقيه الشافعي، وقيل: بل أخذه عن صاحب لأبي سعيد، وكان عارفاً باختلاف الفقهاء"^(٥٩). وحين سئل شيخ الإسلام ابن

(٥٣) أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي المعروف بابن القيسراني، أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ للإمام الدارقطني، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، والسيد يوسف، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ج ١، ص ٥٢.

(٥٤) البغدادي، تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٤٨٧.

(٥٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٧.

(٥٦) السلمي، سؤالات السلمي، ص ٤٨٠؛ ابن القيسراني، أطراف الغرائب، ج ١، ص ٥٢.

(٥٧) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٦، ص ٤٥٧.

(٥٨) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٤٣، ص ٩٧.

(٥٩) شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٠٠-١٩٩٤م).

تيمية عن الأئمة من أهل الحديث ومذاهبهم واجتهادهم أجاب بقوله: "وأما البيهقي فكان على مذهب الشافعي، منتصرًا له في عامة أقواله، والدارقطني هو أيضًا يميل إلى مذهب الشافعي، وأئمة السند والحديث، لكن ليس هو في تقليد الشافعي كالبيهقي، مع أن البيهقي له اجتهاد في كثير من المسائل، واجتهاد الدارقطني أقوى منه، فإنه كان أعلم وأفقه منه"^(٦٠).

أبرز أحداث عصره السياسية والاجتماعية والعلمية:

على الرغم من أن عصر الدارقطني يعد عصرًا ذهبيًا من الناحيتين العلمية والحضارية، إلا أنه كان عصرًا مضطربًا من الناحيتين السياسية والاجتماعية، فكانت السمة الغالبة على حكم الخلفاء العباسيين في القرن الرابع الهجري، هي الصراع والخلاف فيما بينهم على الحكم وبسط النفوذ، مما تسبب في حالة اضطراب أمنية كبيرة، وعدم استقرار في مختلف أركان الدولة، وكان على رأس الخلافة عند ولادة الدارقطني الخليفة أبو الفضل جعفر المقتدر بالله العباسي (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)، وكان قد تولى الخلافة وعمره ثلاثة عشر عامًا، وكانت فترة حكمه مثالاً للضعف السياسي وانتشار الفتن لصغر سنه، وانشغاله باللهو واللعب، فمات مقتولاً في سنة ٣٢٠هـ/٩٣٢م^(٦١). ثم جاء بعده عددًا من الخلفاء الضعاف الذين لم يكونوا أحسن حالاً منه؛ فظهرت في عصرهم فتن واضطرابات ناجمة عن الضعف الشديد للحكم المركزي للخلافة، بالإضافة إلى اشتداد شوكة القرامطة، فانتشر الظلم من قبل الحكام، وميل بعضهم إلى الفرق المبتدعة^(٦٢)، مثل المعتزلة والرافضة وغيرهما، بالإضافة إلى تجرئ الأعداء مثل البيزنطيين وغيرهم لغزو البلاد. ولا شك أن هذه الحالة السياسية المضطربة قد أثرت بصورة سلبية على الدارقطني وغيره من العلماء في هذه المرحلة من تاريخ الخلافة العباسية.

انعكست هذه الحالة السياسية المضطربة على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الخلافة، حيث انتشرت بعض الآفات الاجتماعية مثل السرقة والنهب وغياب

(٦٠) تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج ٢٠، ص ٤١.

(٦١) منى لطفي ذياب، **خلافة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) دراسة في النواحي السياسية والإدارية**، (رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م)، ص ٤-٣٦.

(٦٢) محمد عبده صالح، "دراسة تاريخية للأثار السلبية في اختلاف المذاهب الإسلامية في عهد الخليفة المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م" مجلة أبحاث بكلية الآداب بجامعة سرت، ع. ٢٠، ٢٠٢٢م، ص ١٣١-١٦٠.

الأمن، فضلاً عن انتشار الفقر والجوع في عاصمة الخلافة، وضعف الحالة الاقتصادية في البلاد^(٦٣).

أما الناحية العلمية في ذلك الوقت، فكانت متماسكة ومزدهرة، لكون القرن الرابع الهجري قرن جني الثمار للجهود العلمية للخلفاء العباسيين الكبار في القرن الثالث، لذا كان عصر الدارقطني زاخراً بالعلماء الكبار، وطلبة العلم في كافة التخصصات^(٦٤).

المبحث الثاني: التعريف بكتاب الإلزامات

يعد كتاب الإلزامات للدارقطني أحد أهم مؤلفاته، وقد ذكر في أول صفحة من نسخة (زين العابدين)^(٦٥) تعريف بالكتاب، قال فيه: "هذا كتاب الإلزامات على صحيح البخاري ومسلم، تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر بن مهدي الدارقطني رحمه الله تعالى"^(٦٦).

ثم جاء في أول نسخة (بتنه خدابخش) قولاً استهلالياً للتعريف بالكتاب فقال: "أخبركم أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني الحافظ في كتابه، وقال: ذكر ما حضرني ذكره مما أخرجه البخاري ومسلم أو أحدهما، من حديث بعض التابعين، وتركنا من حديثه شبيهاً به، ولم يخرجاه، أو من حديث نظير له من

(٦٣) ذياب، خلافة المقتدر، ص ٤٦؛ حامد غنيم سعيد، الدولة العباسية ومراكز القوى في عهد المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ، مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع. ٣، ١٩٧٩، ص ١١١-١١٥.

(٦٤) كريمة بنقة، الحياة المذهبية والعلمية للخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع. ٩، ص ٣٠٨-٣١٩.

(٦٥) ذكر محقق الكتاب أنه قد وصل إلينا نسختان منه، إحداهما نسخة الشيخ محمد الأمين المصري، وهي نسخة مصورة عن نسخة في مكتبة (بتنه خدابخش) شمالي الهند، وهي نسخة مكونة من (٤٨) صفح، والصفحة (٢٠) سطرأ بخط فارسي جيد.

والنسخة الثانية مصورة عن نسخة الشيخ حماد الأنصاري نسخها عن نسخة أبي محمد زين العابدين الأروى البهاري. فرغ الشيخ حماد من نسخها يوم الاثنين (١٨/٤/١٣٨٢هـ) في مكة المكرمة، وقابلها على الأصل المذكور، وانتهت مقابلتها يوم الخميس (١١/٦/١٣٨٢هـ)، وهي عبارة (٣٦) صفحة وتشتمل الصفحة على ٣٢ سطرأ.

وأبو محمد زين العابدين فرغ من تسويد نسخته يوم الأربعاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الثانية سنة ١٣٢٢هـ، ووجدت نسخة من عند الشيخ بديع الدين السندي بمكة، وهي ونسخة الشيخ حماد من أصل واحد، وعدد صفحاتها (١١٠)، صفحة ١٥ سطرأ.

(٦٦) أبي الحسن علي بن عمر بن مهدي الدارقطني، الإلزامات والتتبع، تحقيق: أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي، ط ٣ (صنعاء: دار الآثار للنشر والتوزيع، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، ص ٩٣.

التابعين الثقات ما يلزم إخراجهم على شرطهما ومذهبهما، فيما نذكره إن شاء الله تعالى، وبالله التوفيق" (٦٧).

وقد ذكر النووي شرحاً لذلك بالقول: "ألزم الإمام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني -رحمه الله- البخاري ومسلماً -رضي الله عنهما- إخراج أحاديث تركا إخراجها، مع أن أسانيدهما أسانيد قد أخرج لرواتها في صحيحيهما بها" (٦٨).

وعنوان الكتاب كما جاء على أغلفة النسخ الخطية التي اعتمد عليها محقق الكتاب هو: "الإلزامات" (٦٩).

وتعود أهمية هذا الكتاب، رغم صغر حجمه، إلى فكرته التي قام عليها، حيث إنه يعد أول كتاب في باب، تناول هذه الفكرة بصورة غير مسبقة، وتبعه بعض أئمة الحديث فيهما بعد، فضلاً عن اتخاذه لأهم كتابين في الحديث، وهما صحيحا البخاري ومسلم، مجالاً تطبيقياً لهذه الفكرة.

المبحث الثالث: مصطلح الإلزام والمصنفات فيه

- المطلب الأول: التعريف بمصطلح الإلزام

الإلزام لغة أصله الجذر (لَزَمَ)، واللام، والزاء، والميم أصل واحد صحيح، يدل على مصاحبة الشيء بالشيء دائماً، ويقال: لَزَمَهُ الشيء يلزُمه، واللِّزام هو العذاب الملازم للكفار (٧٠).

وذكر ابن منظور: رجل لَزَمَ: يلزم الشيء فلا يفارقه، واللِّزام يعني الفِصل جداً (٧١). وذكر الفيروز أبادي عن الجذر (لزم) أن واللَّزْمُ محرّكة تعني فصل الشيء (٧٢).

كما ذكر الزبيدي أن اللّازم ما يمتنع انفكاكه عن الشيء، والجمع لوازم، وهو ملزوم به (٧٣).

أما المعنى في الاصطلاح فإن مصطلح "الإلزام" يعد مرادفاً لمعنى "الاستدراك"، أو "التصحيح"، عند علماء الحديث، ولم يتم الفصل بينهما في المعنى، ويقول الدارقطني وغيره أن جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - رووا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورويت أحاديثهم من وجوه صحاح، لا مطعن في ناقلها، ولم يخرجها من أحاديثهم شيئاً، فيلزمهما إخراجها على مذهبهما، وذكر البيهقي أنها اتفقا على

(٦٧) الدارقطني، الإلزامات، ص ٩٤

(٦٨) النووي، شرح صحيح مسلم، ج ١، ص ٢٤.

(٦٩) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٨-١٩.

(٧٠) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٢٤٥.

(٧١) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٥٤٢.

(٧٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص ١١٥٨.

(٧٣) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٨-١٩.

أحاديث من صحيفة همّام بن منبّه، وأن كل واحد مهما انفرد عن الآخر بأحاديث منها مع أن الإسناد واحد. وصنّف الدارقطني، وأبو زر الهروي في هذا النوع الذي ألزموهما^(٧٤).

ومن هذا المعنى يمكن القول بأن الإلزام عند الدارقطني هو إخراج أحاديث ترك الشيخان إخراجها مع أن أسانيدهما أسانيد قد أخرجها في صحيحيهما بمثلها.

- المطلب الثاني: التعريف ببعض المصنفات في الإلزام

نبّه الشيخان، البخاري ومسلم، على أن ما جمعهما في صحيحيهما لم يكن كل الصحيح الذي جمعهما، وإنما ذكر البخاري أنه أدخل في كتابه الجامع ما صح، وترك الصحاح الطوال. أما مسلم فقد ذكر أن جامعه الصحيح لم يتضمن كل ما صح عنده، وإنما وضع فيه فقط ما تم الإجماع عليه، ولذا فقد انبرى بعض أئمة الحديث لجمع الأحاديث الصحيحة التي تركها الشيخين، مثال: صحيح ابن خزيمة^(٧٥)، وصحيح ابن حبان^(٧٦).

وبالقياس على ذلك فقد ظهر من بعض أئمة الحديث استدراك من نوع آخر، وهو جمع أحاديث لم يخرجها الشيخين على شرطهما فيما أخرجاه.

وقد ذكر محقق الكتاب تعقيباً على ذلك "أن هذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة، فإنهما -أي الشيخين- لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصريحهما أنهما لم يستوعباه، وإنما قصدا جمع جُمْل من الصحيح، كما يقصد المصنف في الفقه جمع جملة من مسائله، لا أنه يحصر جميع مسائله، لكنهما إذا كان الحديث الذي تركاه، أو تركه أحدهما مع صحة إسناده في الظاهر أصلاً في باب، ولم يخرجها له نظيراً، ولا ما يقوم مقامه، فالظاهر من حالهما أنهما اطلعا فيه على علة إن كان رويها، ويحتمل أنهما تركاه نسياناً، أو إيثاراً لترك الإطالة، أو رأياً أن غيره مما ذكره يسدّ مسدّه، أو غير ذلك"^(٧٧).

وبالإضافة إلى مصنف الدارقطني محل الدراسة، فهناك مصنف آخر مطبوع للحاكم النيسابوري، عنوانه المستدرك على الصحيحين^(٧٨).

(٧٤) الدارقطني، الإلزامات، ص ٦٠.

(٧٥) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، (بيروت: المكتب الإسلامي، د.ت).

(٧٦) محمد بن حبان بن أحمد، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: الرسالة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

(٧٧) الدارقطني، الإلزامات، ص ٦٩-٧٠.

(٧٨) أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن محمد النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).

والمستدرک هو کتاب جمع فيه الإمام الحاکم النیسابوري أحاديث لم تخرج في صحيح البخاري ومسلم استدراكاً عليهما، وقد تكون على شرطهما أو شرط أحدهما، وموضوعه إخراج أحاديث صحيحة رواها ثقات، قد احتج بمثلها البخاري أو مسلم أو كليهما معاً. وقد ذكر أن سبب تأليفه للمستدرک هو الرد على المبتدعة أعداء السنة في عصره، وزعمهم أنه لا يصح من الحديث إلا ما في الصحيحين، فأخرج أحاديث قال بأنها على شرطهما أو شرط أحدهما في نظره، ولم يقتصر على ذلك، وإنما أخرج أحاديثاً وذكر أنها صحيحة، وأخرى إنها ضعيفة، وغيرها سكت عنها^(٧٩).

مقصود الدراسة وهي بيان المنهج وأسباب عدم الإخراج

المبحث الأول: منهج الدارقطني في إلزام الشيخين

اتبع الدارقطني طريقة منهجية خاصة في عرض فكرة الإلزام على الشيخين، حيث بدأ بذكر مجموعة من أحاديث بعض التابعين الذين أخرج لهم البخاري ومسلم في صحيحيهما، مما يرى أنهما تركا من حديثه شبيهاً ولم يخرجاه، ونص على ذلك في هذا الباب في مطلع كتابه بقوله: "ذَكَرُ مَا حَضَرَنِي ذِكْرُهُ مِمَّا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ أَوْ أَحَدُهُمَا مِنْ حَدِيثِ بَعْضِ التَّابِعِينَ، وَتَرَكَ مِنْ حَدِيثِهِ شَبِيهَاً بِهِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، أَوْ مِنْ حَيْثُ نَظِيرُ لَهُ مِنَ التَّابِعِينَ الثَّقَاتِ مَا يَلْزَمُ إِخْرَاجُهُ عَلَى شَرْطِهِمَا وَمَذْهَبِهِمَا فِيمَا نَذَكَّرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى"^(٨٠).

أخذ الدارقطني في تطبيق هذا المنهج في عشرة أحاديث كاملة، نأخذ منها - على سبيل المثال - حديثه الأول، حيث قال: "أخرج البخاري من حديث قيس بن أبي حازم، عن مرداس الأسلمي: "يذهب الصالحون"، عن يحيى بن عباد، عن أبي عوانة، عن بيان، عن قيس، عن مرداس، عن النبي ﷺ. وأخرجه عن إبراهيم بن موسى، عن عيسى بن يونس، عن إسماعيل، عن قيس، عن مرداس موقوفاً. وأخرج مسلم حديث قيس عن عدي بن عميرة: "من استعملناه على عمل"، من حديث وكيع، وابن ثُمير، وابن بشر، وأبي أسامة، وفضل بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن عدي بن عميرة، عن النبي ﷺ. وقال مسلم بن الحجاج في "كتاب الودحان": "عدي بن عميرة، والصنابح بن الأعسر، وذكين بن سعيد المُرَني، ومرداس بن مالك الأسلمي، وأبوشهم، وأبو حازم، لم يرو عنهم غير قيس بن أبي حازم.

(٧٩) عبيد عدنان بخش، "قول الحاکم المستدرک: على شرط الشيخين أو أحدهما"، مجلة العلوم الإسلامية، المركز القومي للبحوث بغزة، مج ٢، ع ٣، ٢٠١٩م. ص ٨٩-٩٠.

(٨٠) الدارقطني، الإلزامات، ص ٩٤.

فيلزم على مذهبهما جميعاً إخراج حديث: الصُّنَّابِج بن الأعسر، ودُكَيْن بن سعيد، وأبي حازم والد قيس. إذ كانت أحاديثهم مشهورةً محفوظةً، رواها جماعة من الثقات، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن الصُّنَّابِج، وعن دُكَيْن، وعن أبيه، كل واحد منهم^(٨١).

وما أن انتهى الدارقطني من سرده لهذه الأحاديث العشرة على القاعدة التي استهل بها حديثه، أورد استهلالاً لقاعدة أخرى قال فيه: "ذكر أحاديث رجال من الصحابة رَوَوْا عن النبي ﷺ، رُوِيَ أحاديثهم من وجوه صحاح لا مطعن في ناقلها، ولم يُخرَج من أحاديثهم شيئاً، فيلزم إخراجها على مذهبهما"^(٨٢). ثم بدأ في سرد التراجم الواردة في الأحاديث العشر السابقة، وأخذ يعرض لجزء من الإسناد المبين لموضع الإلزام للصحابي، أو للتابعي الراوي عنه، ويذكر أحياناً مواضع الراوي عن التابعي، أما الرواة الضعفاء يذكر بعضهم، ولا يعول عليهم، ولا يتطرق لبقية رجال الإسناد. كما اتبع الدارقطني منهجاً عند سرد التراجم، وهو أن يبتدئ كل ترجمة بكلمة (حديث)، فيقول حديث فلان عن فلان، ثم إنه حذف كلمة حديث بعد ذلك واكتفى بذكر أسماء التراجم مباشرة^(٨٣).

واستخدم الدارقطني بعض العبارات التي بيّن فيها مواضع إخراج الشيخين لهذا الراوي الذي يلزم به، فيقول: وقد أخرج عنه البخاري، أو وقد أخرج مسلم عن فلان، أو وقد أخرج عن فلان، أو أن أخرج أحدهما عن فلان^(٨٤).

وورد في منهج الدارقطني في الإلزامات أيضاً أنه يقوم في بعض المواضع - بذكر السند ولا يذكر المتن، ومن أمثلة ذلك قوله: "وسيلزم إخراج حديث محمد بن حاطب عن النبي ﷺ من رواية أبي مالك الأشجعي عنه، وقد رواه عنه أيضاً السماك بن حرب وغير واحد، منهم ابن عون ويوسف بن سعد وغيرهما"^(٨٥).

وهذا النهج قد يُثقل على الباحثين، حيث ذكر محقق الكتاب، بأن عدم ذكر الحافظ الدارقطني لمتن الأحاديث قد مثل له "أعظم مشكلة" عند تحقيقه للكتاب، ففي حالة الحديث السابق، كان الباحث في حاجة إلى الرجوع إلى كتاب: "تحفة الأشراف" للحافظ المزي، "وذخائر المواريث"، وترجمة ذلك الصحابي في "الإصابة"، "ومسند أحمد"، "ورب حديث لا أجده إلا بعد مُدة فأتري بياضاً، كحديث رافع بن أبي رافع

(٨١) الدارقطني، الإلزامات، ص ٩٥-١٠٠.

(٨٢) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٣٠.

(٨٣) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٣٠-١٣٥.

(٨٤) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٤١، ١٨٦.

(٨٥) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٠٣.

الطائي، فإنني لم أجده بسنده إلا بعد زمان، وجدته في موضع "أوهام الجمع والتفريق" للحافظ الخطيب^(٨٦).

أما بالنسبة لمواضع الإلزام عند الدارقطني، فكان إلزامه لأحاديث الصحابة الذين تفرد عنهم راو ثقة، أخرج له الشيخين، أو أن يكون هذا الراوي في منزلة من أخرجوا له، كما أنه كان لا يولي اهتماماً بالموقوفات، ونقصد بها هنا، أنه لو كان للصحابي أخبار موقوفة تمت روايتها من طريق تابعي آخر، فإنه -غالبًا- لا ينص على هذا التابعي عن الصحابي، كما يشير أحياناً إلى وجود اختلاف، ويرجح أحد الوجهين، قد يلزم أحد الشيخين دون الآخر. والأمثلة على هذه المواضع كثيرة في الكتاب، فنجد عبارات كثيرة مثل: "وانفرد البخاري... وانفرد مسلم... واتفقا..."^(٨٧)، وقال في حديث قيس بن أبي شهم: "وموضع الإلزام، أن البخاري أخرج حديث مرداس ولم يرو عنه غير قيس بن أبي حازم"^(٨٨). وقوله: "وأخرج مسلم أحاديث أبي مالك الأشجعي... ولم يُخرجها البخاري، فيلزم على شرطهما إخراج حيث أبي مالك الأشجعي عن نُبَيْط بن شَرِيط"^(٨٩). وقال أيضاً: "وسيلزم إخراج حديث محمد بن حاطب... وموضع الإلزام أن زاهر بن الأسود لم يرو عنه غير ابنه مجزأة"^(٩٠). وذكر أيضاً، "ويلزم مُسَلِّماً إخراج حيث أبي الأحوص..."^(٩١).

المبحث الثاني: أوجه إلزام الشيخين بالتراجم التي ذكرها الدارقطني، وأسباب عدم إخراجهما لحديثهما

أقام الدارقطني كتابه الإلزامات في ناحية انتقائه لأحاديث الصحيحين على افتراض أن البخاري ومسلماً أخرجوا بعض أحاديثهما عن صحابة لم يرو عن الواحد منهم إلا راو واحد، أي أن الصحابي متفرد بأسانيد خاصة، كحديث قيس بن أبي الشهم، وحديث عتبان بن مالك، وحديث مالك بن صعصعة وغيرها من الأحاديث: فيقول: "واتفقا على حديث عتبان بن مالك، ولم يرو عنه غير محمود بن الربيع. واتفقا على إخراج حديث عمرو بن عوف البصري، حليف بني عامر ابن لؤي، ولم يرو عنه غير المسرور بن مخرمة، واتفقا على إخراج حديث مالك بن صعصعة في المعراج، ولم

(٨٦) الدارقطني، الإلزامات، ص ٣٥.

(٨٧) الدارقطني، الإلزامات، ص ١١٦-١٢١، ١٢٥-١٢٩.

(٨٨) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٠١.

(٨٩) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٠٢.

(٩٠) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٠٣-١٠٤.

(٩١) الدارقطني، الإلزامات، ص ١١٠.

يرو عنه غير أنس بن مالك، ولا رواه عنه غير قتادة، واتفقا على إخراج حديث معيقب، ولم يرو عنه غير أبي سلمة من وجه يصح مثله...^(٩٢).
وقد تركزت همّة الدارقطني في كتابه الإلزامات في ذكر أحاديث كان ينبغي على البخاري ومسلم إخراجها برأيه، وقد ذكر النووي تعليقا على إلزامات الدارقطني بالقول: أن هذا الإلزام ليس بلازم في الحقيقة، فإنهما لم يلتزما استيعاب الصحيح، بل صح عنهما تصريحهما بأنهما لم يستوعبا، وإنما قصدا جمع جمل من الصحيح^(٩٣).
وقد يثار هنا تساؤل مهم، فهل يمكن القول بأن هذا السبب قد غاب عن الدارقطني، بأن البخاري ومسلما لم يلتزما إخراج الصحيح كله؟ الواقع أن الدارقطني أعلم وأنبه من أن يغيب عنه هذا، وأن وجه اعتراض الدارقطني في الإلزامات كان مبنيا على أن الشيخين قصدا الإعراض عن أحاديث بعينها، لأسباب لديهما، وأن هذه الأسباب غير وجيهة برأيه، نظرا لكونهما تجاوزا عنها، وغضا الطرف عن مثلها في مواضع أخرى في كتابيهما.

إن الدارقطني في الإلزامات لم يكن يحاسب البخاري ومسلما على اكتفائهما بإخراج أحاديث دون أخرى، بل كان يناقشهما في موقف اتخاذهما من بعض الأحاديث، ورجح لديه أنهما أعرضا إعرضا مقصودا، وهو يناقشهما في هذا الموقف^(٩٤).
وقد بدأ الدارقطني بتأصيل إلزاماته بذكر مثل هذه الأسانيد في الصحيحين التي يتفرد بها الصحابي؛ فخصص الجزء الأول من الكتاب في نقل ما في الصحيحين أو أحدهما من هذه الأسانيد المتفردة؛ ثم بعد ذلك سَرَد التراجم التي يُلزم بها أصحاب الصحيحين، وكان يلزمهم من رواية الثقات، ولذا نص في غير موضع على هذا، فنجدته يقول: "رواها جماعة من الثقات"، "من التابعين الثقات" إلى غير ذلك من دلائل.

أما عن أسباب عدم إخراج الشيخين للأحاديث التي ألزمهما به الدارقطني، فيمكن القول، كما سبق الذكر في تمهيد هذه الدراسة، أن الشيخين لم يقصدا استيعاب الحديث الصحيح جميعه في كتابيهما، وتركوا أحاديث صحيحة خشية الإطالة. وفي ذلك القول يذكر ابن الصلاح: "قلت وذكر الحافظ أبو بكر البيهقي -رحمه الله- فيما قرأته بخطه فيما جمعه من العوالي الصحاح مما اتفق الشيخان على إخراجهم من صحيفة همام بن منبه عن أبي هريرة وما تفرد به منها كل واحد منهما عن صاحبه هذا مع أن

(٩٢) الدارقطني، الإلزامات، ص ١٢١-١٢٥.

(٩٣) أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ط ٢، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ)، ج ١، ص ٢٤.

(٩٤) براء نذر ريان، إعراض الإمام البخاري عن تخريج الحديث في صحيحه، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية بغزة، مج ٢٩، ع ٣، ص ٢٨٢.

الإسناد واحد، ثم إن ما ألزمهما الدارقطني غير لازم لهما فإنهما تجنبنا التطويل ولم يضعا كتابيهما على أن يستوعبا جميع الأحاديث الصحاح واعترفا بأنهما تركا بعض الصحاح، رويانا ذلك عنهم صريحا... نعم إذا كان الحديث الذي تركاه أو أحدهما مع صحة إسناده أصلا في معناه عمدة في بابيه ولم يخرجنا له نظيراً فذلك لا يكون إلا لعل في خفيته واطلعا عليها، أو التارك له منهما أو لغفلة عرضت والله أعلم^(٩٥).

ولقد روى الخليلي بإسناده عن البخاري قال: "ما أدخلت في كتاب الجامع إلا ما صح، وقد تركت من الصحاح، يعني خوفاً من التطويل"^(٩٦).

وفي المعنى نفسه، ذكر الحاكم أسباباً أخرى لصحة الحديث، حيث قال: "إن الصحيح لا يعرف بروايته فقط، وإنما يعرف بالفهم والحفظ وكثرة السماع، وليس لهذا النوع من العلم عون أكثر من مذاكرة أهل الفهم والمعرفة ليظهر ما يخفى من علّة الحديث، فإذا وجد مثل هذه الأحاديث بالأسانيد الصحيحة غير مخرجة في كتابي الإمامين البخاري ومسلم لزم صاحب الحديث التنقيز، عن علته، ومذاكرة أهل المعرفة به لتظهر علته"^(٩٧). وهو بهذا نفى خاصية الحصر للأحاديث الصحيحة لدى الشيخين.

وقد تعرض بعض الباحثين لذكر مسوغات عدم إخراج الإمامين، البخاري ومسلم، لبعض الأحاديث في صحيحيهما، وخلصوا إلى أن عدم تخريج البخاري ومسلم لحديث يتوقع منهما تخريبه، له سبب وجيه في الغالب، وهذا السبب قد يكمن في وجود علة في إسناده الحديث، أو علة في متن الحديث، ويمكن للباحث التوصل إلى هذه العلة من خلال البحث والنظر والتثبت^(٩٨). أضف إلى ذلك من أسباب، وجود اختلاف في الوصل والإرسال، أي اختلاف الرواة الثقات في حديث ما، بأن يرويّه بعضهم متصلاً، وبعضهم مرسلًا، أو وجود اختلاف في السماع وعدمه^(٩٩).

(٩٥) تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، ط ٢ (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٨ هـ)، ص ٩٥.

(٩٦) أبو يعلى خليل بن عبدالله الخليلي، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، (الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٠٩ هـ)، ج ٣، ص ٩٦٢.

(٩٧) أبو عبدالله الحاكم بن محمد النيسابوري، معرفة علوم الحديث، تحقيق: السيد معظم حسين، ط ٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٧٧ م)، ص ٥٩.

(٩٨) ريان، إعراض الإمام البخاري عن تخريج الحديث في صحيحه، ص ٢٩٤.

(٩٩) محمد خالد كلاب، وحسين أحمد حمد، مسوغات عدم إخراج الإمام مسلم بعض الأحاديث في صحيحه عند الحافظ ابن رجب الحنبلي، مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج ٨، ع ٧٩، سبتمبر ٢٠١٨ م، ص ١٥٦-١٦٠.

المراجع:

- ١- إعراض الإمام البخاري عن تخريج الحديث في صحيحه، د. براء نزر ريان، الناشر: مجلة جامعة قطر للدراسات الإسلامية.
- ٢- أطراف الغرائب والأفراد من حديث رسول الله ﷺ للإمام الدارقطني، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني، تحقيق: محمود محمد محمود حسن نصار، والسيد يوسف، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
- ٣- إكمال الإكمال، محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، تحقيق: د. عبد القيوم عبد ريب النبي، وشارك في تحقيق الجزء الثاني: محمد صالح عبدالعزيز المراد، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٤- الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: ٥٦٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢م.
- ٥- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.
- ٦- الإلزامات، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ أبو عبد الرحمن مقل بن هادي الوداعي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- ٧- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبدالمحسن التركي، الناشر: دار هجر للنشر والتوزيع - بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.
- ٨- الحياة المذهبية والعلمية للخلافة العباسية في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، كريمة بنقّة، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع.٩.
- ٩- الدولة العباسية ومراكز القوى في عهد المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ، حامد غنيم سعيد، مجلة العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ع.٣، ١٩٧٩م.
- ١٠- القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- ١١- الباب في تهذيب الأنساب، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، الناشر: دار صادر - بيروت، ١٩٨٠م.
- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.
- ١٢- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.
- ١٣- تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.
- ١٤- تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.
- ١٥- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر - دمشق، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- ١٦- خلافة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ) دراسة في النواحي السياسية والإدارية، منى لطفي ذياب، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٣م.
- ١٧- غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (المتوفى: ٨٣٣هـ)، (مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة: الأولى عام ١٣٥١هـ برجستراسر).
- ١٨- دراسة تاريخية للأثار السلبية في اختلاف المذاهب الإسلامية في عهد الخليفة المقتدر بالله (٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م، محمد عبده صالح، مجلة أبحاث بكلية الآداب بجامعة سرت، ع. ٢٠، ٢٠٢٢م.
- ١٩- سوالات أبي بكر البرقاني للدارقطني في الجرح والتعديل، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن للنشر - القاهرة، د.ت).
- ٢٠- سوالات السلمي للدارقطني، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى النيسابوري، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق: د. سعد عبدالله الحميد وآخرين، الرياض: د.ن، الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ.
- ٢١- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن قايماز الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

- ٢٢- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- ٢٣- صحيح ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (المتوفى: ٣١١هـ)، تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، د.ت.
- ٢٤- طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وعبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للنشر والتوزيع - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.
- ٢٥- قول الحاكم في المستدرک: على شرط الشيخين أو أحدهما، عيبر عدنان بخش، مجلة العلوم الإسلامية، المركز القومي للبحوث بغزة، مج ٢، ع ٣، ٢٠١٩م.
- ٢٦- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت.
- ٢٧- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤هـ.
- ٢٨- لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧١/٥١٣٩٠م.
- ٢٩- مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ٣٠- مسوغات عدم إخراج الإمام مسلم بعض الأحاديث في صحيحه عند الحافظ ابن رجب الحنبلي، محمد خالد كلاب، وحسين أحمد حمد، الناشر: مجلة البحوث والدراسات الشرعية، مج ٨، ع ٧٩، سبتمبر ٢٠١٨م.
- ٣١- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- ٣٢- معرفة أنواع علوم الحديث، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح، تحقيق: موفق عبدالله عبدالقادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ.
- ٣٣- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: ١، ١٩٩٤م.



تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي

The development of the Christian faith from the sixth to the
tenth century AD

إعداد

علي بن محمد بن مانع النعمي
Ali Mohammad Mania Al-Naami

Doi: 10.21608/jasis.2024.367240

٢٠٢٤ / ٥ / ١٢

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٢٥

قبول البحث

النعمي، علي بن محمد بن مانع (٢٠٢٤). تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٢٥٣ - ٣١٤.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي المستخلص:

تناولت هذه الرسالة " تطور العقيدة النصرانية من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي"، وقد اشتملت على مقدمة، أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن إشكالية الموضوع التي بحثت في نشأة وتطور العقائد الدينية وكيفية الرد عليها من حيث البطلان والفساد، وكذلك يفيد معرفة مصادر نشأة تلك العقائد، والديانة النصرانية واحدة من أكبر الديانات في العالم التي مرّت بكثير من التطورات عبر أزمنة تاريخية عديدة ومتوالية، فهي بدأت في وسطٍ يهودي مضطهد للنصارى ولم يكتفي بذلك حتى غيرَ فحوى الدعوة الأولى، مرورًا بالحكم الروماني الذي اختلف فيه الباحثون: هل النصرانية التي أثرت فيه أم النصرانية هي من ترومنت، والفلسفة اليونانية اختلطت بالوثنية فأدخلت التعددية الإلهية من تثليثٍ وشركٍ مع التوحيد الخالص الذي جاء به المسيح ﷺ. وعليه: يأتي سؤالُ الرئيس في هذه الدراسة؛ ألا وهو: ما أهم التطورات التي طرأت على عقيدة الديانة النصرانية في القرن السادس الميلادي والقرن العاشر الميلادي؟، ومنهج البحث الذي تمثل في المنهج التحليلي الوصفي والمنهج التحليلي المقارن والمنهج التحليلي النقدي، وخطة البحث جاءت في خمسة مطالب بينت تطور العقيدة النصرانية خلال الفترة ما بين القرن السادس والقرن العاشر ميلادي في قضايا عدّة، ثم نقدها في ظل الدعوة الصحيحة لرسالة عيسى عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: العقيدة النصرانية، تطور العقيدة، النصرانية.

Abstract:

This thesis dealt with "the development of the Christian belief from the sixth century to the tenth century AD," and it included an introduction. As for the introduction, I talked about the problematic topic, which examined the emergence and development of religious beliefs and how to respond to them in terms of invalidity and corruption. It is also useful to know the sources of The emergence of these beliefs, and the Christian religion is one of the largest religions in the world that has undergone many developments over many successive historical times. It began in a Jewish environment that persecuted Christians, and that was not enough until it changed the content of the first call, passing through Roman rule about which researchers disagreed: Was it Christianity that influenced him, or

was Christianity from Truamanism, and Greek philosophy mixed with paganism and introduced divine pluralism, including trinity and polytheism, with the pure monotheism brought by Christ, may God bless him and grant him peace? , Therefore, my main question in this study comes: Namely: What are the most important developments that occurred in the doctrine of the Christian religion in the sixth century AD and the tenth century AD? , The research method, which was represented by the descriptive analytical method, the comparative analytical method, and the critical analytical method, and the research plan came in five demands that showed the development of the Christian doctrine during the period between the sixth century and the tenth century AD on several issues, and then criticized them in light of the correct call for the message of Jesus upon him. peace

مقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، وأن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله أرسله الله إلى بني إسرائيل ليصلح حالهم ويخفف عنهم ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، والصلاة والسلام على رسل الله أجمعين من لدن آدم إلى محمد، الذين علموا البشرية التوحيد ورسموا لها سبيل الفضيلة والنجاة. وبعد..

تعرّضت كلُّ الرسائل السماوية قبل رسالة محمد ﷺ إلى التحريف والتبديل من طرف أعداء الله تعالى وأنبيائه عليهم السلام. والقرآن الكريم تحدّث عن هذه التحريفات في أيّما موضع، أذكر منها قوله تعالى: فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون [البقرة: ٧٩]، ومما جاء في حديث النبي ﷺ في كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير^(١) بإسناد صحيح: (أنَّ عمرَ بن

(١) الإمام العلامة شيخ المحدثين عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي،

الْخَطَّابِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فغَضِبَ وَقَالَ: أَتَتَهَوَّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بِيضَاءَ نَقِيَّةٍ لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُونَكُمْ بِحَقِّ فَتَكْذِبُونَهُ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُونَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي، فَدَلَّ الْحَدِيثُ عَلَى أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى ﷺ خُرْفٌ وَبُذُلٌ.

ومن بين الرسائل السماوية التي حُرِّفَتْ سَاخَصُ حُدُوثِي فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ عَنْ رِسَالَةِ عِيسَى ﷺ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَنْ أَتِي عَلَى بَدَايَةِ التَّحْرِيفِ وَإِنَّمَا سَأَقْتَصِرُ عَلَى الْفَتْرَةِ مِنَ الْقَرْنِ السَّادِسِ مِيلَادِي إِلَى الْقَرْنِ الْعَاشِرِ مِيلَادِي، مِنْ خِلَالِهَا سَأَتَكَلَّمُ عَنْ تَطَوُّرِ عَقِيدَةِ الدِّينَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ، ثُمَّ سَأَتِي عَلَى نَقْدِ هَذَا التَّطَوُّرِ فِي ظِلِّ رِسَالَةِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الصَّحِيحَةِ.

الإشكالية:

إِنَّ النَّظَرَ فِي نَشْأَةِ وَتَطَوُّرِ الْعَقَائِدِ الدِّينِيَّةِ يَفِيدُ فِي كَيْفِيَّةِ الرَّدِّ عَلَيْهَا مِنْ حَيْثُ الْبَطْلَانُ وَالْفَسَادُ، وَكَذَلِكَ يَفِيدُ مَعْرِفَةَ مَصَادِرِ نَشْأَةِ تِلْكَ الْعَقَائِدِ، وَالدِّينَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ وَاحِدَةً مِنْ أَكْبَرِ الدِّينَانَاتِ فِي الْعَالَمِ الَّتِي مَرَّتْ بِكَثِيرٍ مِنَ التَّطَوُّرَاتِ عِبْرَ أَزْمَنَةِ تَارِيخِيَّةٍ عَدِيدَةٍ وَمَتَوَالِيَةٍ مِنْ حَيْثُ الْعَقِيدَةُ، فَهِيَ بَدَأَتْ فِي وَسْطِ يَهُودِيٍّ مُضْطَهَدٍ لِلنَّصَارَى وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ حَتَّى غَيَّرَ فَحْوَى الدَّعْوَةِ الْأُولَى، مَرُورًا بِالْحُكْمِ الرُّومَانِيِّ الَّذِي اخْتَلَفَ فِيهِ الْبَاحِثُونَ: هَلِ النَّصْرَانِيَّةُ الَّتِي أَثَّرَتْ فِيهِ أُمُّ النَّصْرَانِيَّةِ هِيَ مِنْ تَرُومَنْتَ، وَالْفَلَسَفَةِ الْيُونَانِيَّةِ اخْتَلَطَتْ بِالْوُثْنِيَّةِ فَأَدْخَلَتْ التَّعَدِيدِيَّةَ الْإِلَهِيَّةَ مِنْ تَتْلِيثٍ وَشُرْكٍِّ مَعَ التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْمَسِيحُ ﷺ.

وعليه: يَأْتِي سُؤَالِي الرَّئِيسِ فِي هَذِهِ الدِّرَاسَةِ؛ أَلَا وَهُوَ: مَا أَهَمُّ التَّطَوُّرَاتِ الَّتِي طَرَأَتْ عَلَى عَقِيدَةِ الدِّينَانَةِ النَّصْرَانِيَّةِ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ الْمِيلَادِيِّ وَالْقَرْنِ الْعَاشِرِ الْمِيلَادِيِّ؟

مِمَّا يَدْفَعُنِي إِلَى طَرَحِ التَّسْأُلَاتِ الْفُرْعِيَّةِ الْآتِيَةِ:

- ١- مَا دَوْرُ بُولَسَ فِي تَطَوُّرِ الْعَقِيدَةِ النَّصْرَانِيَّةِ؟
- ٢- كَيْفَ كَانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الْعَقِيدَةِ النَّصْرَانِيَّةِ؟
- ٣- كَيْفَ تَمَّ التَّفَلُّيقُ بَيْنَ مَذْهَبِ الْخَلْقِيدُونِيِّينَ وَغَيْرِ الْخَلْقِيدُونِيِّينَ؟

الدمشقي، الشافعي، مولده سنة إحدى وسبع مئة، تفقّه وبرع، وألف في التفسير والحديث والتاريخ تأليف نافعة مفيدة مشهورة، توفي سنة سبعمائة وأربع وسبعين، عن ثلاث وسبعين سنة وأشهر، انظر: ذيل ابن العراقي على العبر، ولي الدين العراقي، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط ١، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، (٣٦٠ - ٣٥٩ / ٢).

٤ - ما طبيعة الجدل العقدي النصراني؟

٥ - ما السيمونية في عقيدة النصارى؟

٦ - كيف تنقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام؟

أسباب اختيار الموضوع:

السبب الذاتي: شغفي في البحث في مجال الأديان وتاريخها، وخاصة الأديان الكتابية.
الأسباب الموضوعية:

● مرّت النصرانية -إلى اليوم- بتطورات عقدية تراكت عبر التاريخ لم يسَلُط الضوء إلا على البدايات، في حين نجد أن مطلع القرون الوسطى وهو من القرن السادس إلى العاشر الميلادي لم يحظَ ببحثٍ واسعٍ رغم ما حدث فيه من تطورات عقدية في الديانة النصرانية.

● ما نجده الآن في كتب التاريخ معظمه من لدن باحثين نصارى تحدّثوا عن الفترات التاريخية التي مرت بها العقيدة النصرانية.

● **أهمية الموضوع:**

١- صحيح أن البحوث في النصرانية والنصارى كثيرة، إلا أن الفترة ما بين القرن السادس والقرن العاشر الميلادي لم تحظَ بدراسات خاصة رغم ما طرأ فيها من تغيّرات عقدية.

٢- كانت بداية القرن السادس الميلادي مرحلة تزامن الإسلام مع النصرانية وما حدث فيها من تغيّرات عقدية، فكان من المهم أن أوضّحها.

● **أهداف الدراسة:**

تتمثل أهداف هذا البحث في الآتي:

١. تبين دور بولس في تطور العقيدة النصرانية

٢. توضيح طبيعة الدعوة إلى العقيدة النصرانية

٣. تبين التلقيق بين مذهب الخلقيدونيين وغير الخلقيدونيين

٤. تبين طبيعة الجدل العقدي النصراني

٥. التعريف بالسيمونية في عقيدة النصارى

٦. نقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام

الدراسات السابقة:

بعد البحث فيما كُتب عن تطور النصرانية من القرن السادس الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، لم أجد إلا بعض الدراسات القليلة وأغلبها تلك التي تحدّثت عن

الموضوع في جزئية من الموضوع الرئيس، وسأذكرها مختصر ما ورد فيها، وسأبين ما أزيد عليها أو سأنقد بعض الذي ذكر فيها أو ما سأستفيد منها:

○ **الدراسة الأولى:** ((كتاب تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ أسبابه ونتائجه)): تأليف بسمه أحمد جستنيه، صادر عن دار القلم بدمشق سوريا، سنة ٢٠٠٠هـ - ١٤٢٠م.

○ **الوصف الخارجي:** يحتوي على ٤٥٥ صفحة بغلاف خشن.

○ **الوصف الداخلي:** يحتوي على ثلاثة أبواب كل باب يندرج تحته ثلاثة فصول. ما يتفق مع بحثي في هذه الدراسة أن الباحثة عنونت الفصل الثالث من الباب الأول: بالآتي: "النصرانية والنصارى من رفع عيسى ﷺ إلى ١٩٦٥م"، وأتت على أهم التبديلات التي طرأت على الديانة في هذه المراحل التاريخية وشملت المرحلة التي أريد بحثها، لكنني سأبحثها بشيء من التوسع والتدقيق إذا سأضبط دراستي من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي فقط، لذلك سأستفيد منها في هذا الجانب أيضاً سأضيف عليها مظاهر التطورات التي أصابت النصرانية، وأيضاً آثار تلك التطورات.

○ **الدراسة الثانية:** ((تطور الديانة المسيحية حتى القرن السابع الميلادي العقيدة أنموذجاً)): رسالة دكتوراه للباحث لعمش عبد الحفيظ، سنة المناقشة ١٤٣٧هـ، ٢٠١٦م، من جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة- الجزائر، قسم العقيدة ومقارنة الأديان.

احتوت الدراسة على ثلاثة أبواب يندرج تحت كل منها فصلان، سأستفيد من هذه الدراسة الجزئية التي ذكر فيها الباحث التطور الديني حيث سأمهد لدراستي بهذا المجال حتى يتسنى للقارئ ربط موضوع الدراسة بجذوره التاريخية والمعرفية، ثم أتى الباحث إلى إرجاع التطور التاريخي للنصرانية بعصرها اليهودي؛ ومن ثم قصر بحثه على تطور العقيدة، أما في دراستي فسأزيد عليه في التطرق لكل جوانب التطور الديني للنصرانية، وأيضاً سأضيف في دراستي فترة تاريخية إلى القرن العاشر الميلادي حيث أنه توقف في القرن السابع الميلادي فقط علماً أنه من بعد هذه الفترة حدثت تطورات عديدة على الديانة سأتى عليها في فصول الدراسة.

منهج الدراسة:

سأعتمد في هذه الدراسة على عدة مناهج علمية أوضحها في الآتي:

١- **المنهج التحليلي الوصفي:**

الذي يساعديني في جمع كافة البيانات والمعلومات عن موضوع الدراسة أو مشكلة البحث الرئيسية التي أسعى إلى حلها، ثم أحلل تلك المعلومات والبيانات وأربطها بأسئلة البحث الفرعية؛ وبالتالي أحقق أهداف البحث وأصل إلى نتائجه.

٢- المنهج التحليلي المقارن:

الذي سأستخدمه في المقارنة بين النصرانية والجماعات النصرانية الأولى، والنصرانية والجماعات النصرانية في الفترة ما بين القرن السادس والعاشر الميلادي، وإن كانت جزئية يسيرة في البحث إلا أنها تفرض نفسها حتى يكون هناك تسلسل للقارئ في التطورات العقدية للديانة النصرانية.

٣- المنهج التحليلي النقدي:

وهو المنهج الذي أركز عليه في نقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة للمسيح عليه السلام.

التبويب:

المقدمة

مدخل تمهيدي:

أولاً: الأصل في الأديان هو الثبات.

ثانياً: دور بولس في تحريف عقيدة النصارى.

المطلب الأول: الدعوة إلى العقيدة النصرانية

المطلب الثاني: التلفيق بين مذهب الخلقيدونيين وغير الخلقيدونيين

المطلب الثالث: الجدل العقدي النصراني

المطلب الرابع: نيل الدرجات الكهنوتية بالمال (السيمونية)

المطلب الخامس: تحليل ونقد تطور العقيدة النصرانية في ظل الرسالة الصحيحة

للمسيح عليه السلام

الخاتمة: وتتضمن التوصيات والنتائج.

مدخل تمهيدي

أولاً: الأصل في الأديان هو الثبات

من المعلوم أنَّ الأصل في الدين هو الثبات وعدم التغير أو التطور، وجميع الأديان السماوية جاءت إلى البشرية بكل ما من شأنه صلاح الإنسان في دينه ودينه، وعندئذٍ لا يتصور منع ما يضرهم بالأمس وإباحته في الغد، بل إن المنع جارٍ في جميع الأعصار والأمصار، وثابتٌ في كل الأديان والملل واليحل، وهكذا يجري تقرير الشيء وإباحته أو منعه في غالب أحكام الشرع، فإذا تغيّر فإنما يتغير تبعاً للمصلحة في قضايا يسيرة لا تكاد تذكر أمام الثوابت، ومن أجل هذا لم يدخل التسخن -وهو من أحكام الشريعة وموجود في كل ملة- إلى الكثير من أحكام الدين، بل يطال بعض الأحكام التكاليفية فقط التي يجوز دورانها مع المصلحة وجوداً وعدمًا باختلاف الأشخاص والأزمان.

وقد قال الأمدي^(٢): "المقاصد الخمسة التي لم تَحُلْ من رعايتها مِلَّةٌ من الملل، ولا شريعة من الشرائع، وهي: حفظ الدِّين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. فإن حفظ هذه المقاصد الخمسة من الضروريات وهي أعلى مراتب المناسبات"^(٣). فالمتنبِّع للقضايا الثابتة في الشرائع يلحظ أن العقائد والضروريات والآداب يمتنع تغييرها أو تبديلها بنسخ أو غيره^(٤) في جميع الملل، ونصوص الأئمة متضافرة ومتكاثرة ومتواترة تدل على هذا الأمر وتوضِّحه بأبين بيان وأوضح برهان. قال مسعود النفتازاني^(٥): "محلُّ النَّسخ: حكم شرعي فرعي لم يلحقه تأييد^(٦)، ولا

(٢) أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم التغلبي الفقيه الأصولي، الملقب سيف الدين الأمدي؛ كان في أول اشتغاله حنبلي المذهب، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، والأمدي: نسبة إلى آمد، وهي مدينة كبيرة في ديار بكر مجاورة لبلاد الروم، ولد سنة إحدى وخمسين وخمسمائة، وتوفي سنة إحدى وثلاثين وستمائة، انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، مرجع سابق، (٤/ ٢١٦).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام، الأمدي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ، (٣/ ٢٧٤).

(٤) يلفت الإمام القرافي في هذا الباب نظر القارئ إلى أمر مفاده: أن المتأمل في جميع الفنون كال تفسير والأصول وشروح الحديث وغيرها يجد قولهم: إن شريعة الإسلام ناسخة لغيرها من الشرائع، فيبين مرادهم بقوله: «وأما نسخ شريعة بشرية فذلك لم يقع بين الشرائع في القواعد الكلية، ولا في العقائد الدينية، بل في بعض الفروع» شرح تنقيح الفصول، القرافي، المحقق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م، (ص: ٢٣٠-٢٣١)، وقال: «هذا الإطلاق وقع في كتب العلماء كثيرًا، فالمراد: أن الشريعة المتأخرة قد تنسخ بعض أحكام الشريعة المتقدمة، أما كلها فلا؛ لأن الله تعالى أجرى عادة في الشرائع؛ أنه لا ينسخ منها قواعد العقائد بأصول الدين، ولا ينسخ الكليات الخمسة... فحَرَّمَ القتل، والسكر، والزنا، والسرقه، في جميع الشرائع» نفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - والشيخ علي محمد معوض، مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م، (٤/ ١٩٣٢)، ونقله عنه السبكي وأقره، انظر: الإبهاج شرح المنهاج الإبهاج في شرح المنهاج، السبكي وولده التاج، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد جمال الزمزمي - الدكتور نور الدين عبد الجبار صغيري، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، (٢/ ١٢١)، وكذلك الزركشي، انظر: البحر المحيط في أصول الفقه، الزركشي، دار الكتبي، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ، (٤/ ٣٣٠).

(٥) مسعود بن عمر بن عبد الله الشيخ سعد الدين النفتازاني عالم بالحنو والتصريف والمعاني والبيان والأصلين، شافعي المذهب، ولد سنة ثنتي عشرة وسبعمائة، وأخذ عن القطب والعضد، وتقدَّم في الفنون، واشتهر ذكره، وطار صيته، وانتفع الناس بتصانيفه،

توقيت، فخرج الأحكام العقلية^(٧)، ومراده بالأحكام العقلية: العقائد، ولهذا يقول السمرقندي^(٨): "وإنما قَيِّدُوا بالحكم الشرعي لأن الأحكام العقلية، وهي: وجوب الإيمان، وحرمة الكفر، وكل ما يُعرف بمجرد العقل من غير دليل سمعي فإنه لا يحتمل الارتفاع والعدم بحال؛ لقيام دليله -وهو العقل- على كل حال، فلا يحتمل النَّسخ"^(٩).

ويقول صاحب التوضيح^(١٠): "اعلم أن الحكم إما أن لا يحتمل النَّسخ في نفسه كالأحكام العقلية، مثل: وحدانية الله، وأمثالها"^(١١)، وكذلك غيرهم في هذا الباب^{(١٢)(١٣)}.

انظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، (٢/ ٢٨٥).

^(٦) الأصل في الأحكام الفرعية هو الإحكام لا النسخ، حيث أن النادر والقليل لا يكون هو الأصل والأكثر هو خلاف الأصل، بل العكس هو الصواب، وغالب ما ادَّعي فيه النسخ إذا تأمله المكلف؛ وجده متنازعا فيه، ومحتملا، وقريبا من التأويل بالجمع بين الدليلين على وجه، من كون الثاني بيانا لمجمل، أو تخصيصا لعموم، أو تقييدا لمطلق، وما أشبه ذلك من وجوه الجمع مع البقاء على الأصل من الإحكام في الأول والثاني، انظر: الموافقات، الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، (٣/ ٣٣٩-٣٤١).

^(٧) التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، التفتازاني، ومعه: التوضيح، لصدر الشريعة المحبوبي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م (٢/ ٦٤).

^(٨) محمد بن أحمد بن أبي أحمد أبو بكر علاء الدين السمرقندي صاحب تحفة الفقهاء أستاذ صاحب "البدائع"، شيخ كبير فاضل جليل القدر تفقه على أبي المعين ميمون المكحولي وعلى صدر الإسلام أبي اليسر البزدوي، انظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، غنى بتصحيحه (وتعليق بعض الزوائد عليه): محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، ط ١، ١٣٢٤ هـ، (ص: ١٥٨).

^(٩) السمرقندي، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق: الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م، (ص: ٧٠٧-٧٠٨).

^(١٠) صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي، وكتابه: (التوضيح في حل غوامض التنقيح).

^(١١) شرح التلويح على التوضيح، التفتازاني، مرجع سابق، (٢/ ٦٤).

^(١٢) انظر: فصول البدائع في أصول الشرائع، شمس الدين الفناري، المحقق: محمد حسين محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ،

ومن الجدير بالذكر أن أهل العلم عند نصِّهم على ثبات الدين، وعدم تغييره، وإنما قد يتغير اجتهاد المجتهد، لا يعني هذا اطراد التغيير في الفقه المطلق بل في الجزئية المعروضة عنده ولديه، ومن ثمَّ ينزل المحلَّ الكلي الثابت على المحلَّ الجزئي الذي قد يتغير في تصوُّره، وقد لا يكون كذلك، ويخالفه فيه غيره، قال السبكي^(١٤): "خاصية المفتي تنزيل الفقه الكلي على الموضوع الجزئي، وذلك يحتاج إلى تبصُّر زائد على حفظ الفقه وأدلته؛ ولهذا نجد في فتاوى بعض المتقدمين ما ينبغي التوقف في التمسك به في الفقه، ليس لقصور ذلك المفتي -معاذ الله-، بل لأنه قد يكون في الواقعة التي سئل عنها ما يقتضي ذلك الجواب الخاص فلا يطرد في جميع صورها"^(١٥).

فالانتقال بالحكم لهذه المسألة عند قيام المقتضي لا يعني تغيير الدين، وهذا يؤكد اطراد ثبات الأديان في جميع الأعصار والأمصار، قال ابن حزم^(١٦): "رسول الله ﷺ أتانا بهذا الدين، وذكر أنه آخر الأنبياء وخاتم الرسل، وأنَّ دينه هذا لازم لكل حي، ولكل من يولد إلى القيامة في جميع الأرض.

(١٥٢/٢).

^(١٣) هذا الجعل ليس على إطلاقه، فعامّة مسائل أصول الدين الكبار؛ مثل: الإقرار بوجود الخالق، ووحدانيته، وغير ذلك مما يُعلم بالعقل: قد دلَّ الشارع على أدلته العقلية، وهذه الأصول التي يسميها أهل الكلام "العقليات" وهي ما تُعلم بالعقل فإنها تُعلم بالشرع، لا أعني بمجرد إخباره فإن ذلك لا يفيد العلم إلا بعد العلم بصدق المخبر، ولا يمكن للعقل الاهتداء إلى مسائل العقيدة التفصيلية، فإن العقول لو تُركت وعلومها التي تستفيد بها بمجرد النظر ما عرفت الله معرفة مفصَّلة بصفاته وأسمائه على وجه اليقين، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة المنورة - السعودية، عام النشر: ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، (١٩/ ٢٣٠)؛ الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، (ص: ٢٤٩).

^(١٤) علي بن عبد الكافي بن علي تَمَّام بن يوسف بن موسى السبكي الشافعي المفسِّر الأصولي اللغوي، ولد مستهلَّ صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة، توفي ليلة الاثنين المسفرة عن ثالث جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة، انظر: طبقات الشافعية، مرجع سابق، (١٣٩/١٠ - ٣١٦).

^(١٥) السبكي، أبو الحسن: فتاوى السبكي، دار المعارف، (١٢٣/٢).

^(١٦) ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد القرطبي، ذو الفنون والمعارف، ولد: بقرطبة في سنة أربع وثمانين وثلاث مائة، توفي عشية يوم الأحد لليلتين بقيتا من شعبان، سنة ست وخمسين وأربع مائة، فكان عمره إحدى وسبعين سنة وأشهرًا، انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (٢١١/١٨ - ٢١١).

فصحَّ أنه لا معنى لتبدُّل الزمان ولا لتبدُّل المكان، ولا لتغيُّر الأحوال، وأن ما ثبت فهو ثابت أبداً في كل زمان، وفي كل مكان، وعلى كل حال، حتى يأتي نصُّ ينقله عن حكمه في زمان آخر، أو مكان آخر، أو حال أخرى^(١٧).

وقال الشاطبي^(١٨): "العوائد المستمرة ضربان:

أحدهما: العوائد الشرعية التي أقرَّها الدليل الشرعي أو نفاها، ومعنى ذلك أن يكون الشرع أمر بها إيجاباً أو ندباً، أو نهى عنها كراهةً أو تحريماً، أو أذن فيها فعلاً وتركاً. والضرب الثاني: هي العوائد الجارية بين الخلق بما ليس فيه ولا إثباته دليل شرعي.

فأما الأول، فتثبت أبداً كسائر الأمور الشرعية، ... فلا تبدل لها وإن اختلفت آراء المكلفين فيها، فلا يصح أن ينقلب الحسن فيها قبيحاً، ولا القبيح حسناً... وأما الثاني، فقد تكون تلك العوائد ثابتة، وقد تتبدل، ومع ذلك فهي أسباب لأحكام تترتب عليها^(١٩).

وخلاصة القول: أن الدين ثابت، وأن التجديد لا يطاله، وإنما نسميه "تجديداً" بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكملها، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرّة بعد مرّة على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ المبيّنة له^(٢٠).

وهذا الثبات المذكور آنفاً لا يتناول سوى الأديان السماوية بمبناها ومعناها وحالها الذي كانت عليه عند وجود المبلِّغ لها، أما إذا طرأ عليها شيء، وجرى عليه بعد ذلك التغير والتبدل فلا يُعدُّ ذلك نقصاً لما قرَّرناه، فالأديان التي تتصف بالثبات والاستقرار هي الأديان السماوية، وما خالفها فهو محكوم عليه بالزوال وعدم القرار، إذ الأفهام البشرية تختلف مداركها ومستوياتها، وتتنوَّع رغبات أصحابها ومطالبهم،

(١٧) الإحكام في أصول الأحكام، قوبلت على الطبعة التي حققها: الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الأفاق الجديدة، بيروت، (٥/٥).

(١٨) الإمام العلامة المحقق أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، كان أصولياً مفسراً فقيهاً، محدثاً لغوياً بيانياً نظاراً، وله تأليف جليلة مشتملة على أبحاث نفيسة، توفي يوم الثلاثاء الثامن من شعبان سنة تسعين وسبع مائة، انظر: نيل الابتهاج بنطريز الديباج، أبو العباس التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٠ م، (ص: ٤٨-٥٠).

(١٩) الموافقات، الشاطبي، مرجع سابق، (٢/ ٤٨٨ - ٤٨٩).

(٢٠) فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض، (٢/ ٢٤٨).

وعندئذٍ تكون مزيجًا من الأفكار، وخليطًا من المعلومات التي لا جذور لها، فلا تحتاج إلى عظيم عناء لتبديلها وهدمها أو تطويرها، فليست سوى زخرف من القول تبدو للناظر لأول وهلة شيئًا متماسكًا، فإذا تأملها بأدنى تأمل ظهر له ما يعترها من خلل، وعندئذٍ يعود عليها بالهدم والإبطال، أو التغيير والتبديل والتطوير، والزيادة في مقدماتها أو نتائجها.

ثانياً: دور بولس في تحريف عقيدة النصارى

رفع الله عيسى عليه الصلاة والسلام إليه وقد قام بدوره في تبليغ الشريعة، وحدد معالم الديانة التي جاء بها مصطلحاً ومفهوماً وممارسةً بشقيها؛ العقدي والفقهية، فهذه العقيدة في مبناها ومعناها كانت صادرة عن ربّ الأرباب، حتى دخلها التحريف والتبديل على مراحل عدّة، فأخذت تنمو وتتطور وتأخذ كل يوم شكلاً آخر حتى أصبحت في حالٍ من التشبّع بالعقائد الوثنية، والفلكة الفلسفية التي غطّت شكل الديانة النصرانية الصحيحة.

إن هذا التطور والدخل الذي انتهت إليه الديانة النصرانية، ووقفت عنده مرّت بمرّاحل متعدّدة كان من أبرزها ما أحدثه بولس اليهودي من تحوّل وتطوّر وتبدّل وقضايا أخرى استوقفت كثيراً من الكُتّاب والباحثين، ودعتهم إلى نسبة عقيدة النصارى إلى بولس لا إلى عيسى عليه الصلاة والسلام، فقال بعضهم^(٢١): "ولو جاز انتساب الكنيسة لأحد الرسل، لانتسبت لبولس؛ لأنها تأسست على يده بنوع خاص"^(٢٢).

ويقول هربرت ويلز^(٢٣): "وظهر للوقت معلّم آخر عظيم يعدّه كثيرٌ من النقات العصريين المؤسّس الحقيقي للمسيحية وهو شاول الطرسوسي أو بولس"^(٢٤). ويقول مايكل هارت^(٢٥): "إنه بولس الرسول... وهو أكبر المبشرين بالمسيحية، وكان

(٢١) بنيامين بنكرتن، يقال له خادم الرب، وله شروح على الأنجيل الأربعة.

(٢٢) تفسير إنجيل متى، إرسالية الإثني عشر (إصحاح ١٠: ١-إصحاح ١١: ١؛ مرقس ١٣: ٣-١٩؛ ٧: ١٣-١٦؛ لوقا ١٢: ١٦-١٦؛ ٩: ١-٦).

(٢٣) هربرت جورج ويلز: أديب ومفكر إنجليزي، يعدّ الأب الروحي لأدب الخيال العلمي، توفي سنة: ألف وتسعمائة وست وأربعين، انظر: رؤى تأصيلية في طريق الحرية، صالح عبد الرحمن الحصين، مكتبة العبيكان، ط ١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، (ص: ٨٦).

(٢٤) معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٣م، (٢٦/٣).

(٢٥) مايكل هارت، أمريكي الجنسية، ولد في سنة: ألف وتسعمائة واثنين وثلاثين، وألف كتاباً ذاع صيته،

أثره في الديانة المسيحية هائلاً... وبولس الرسول هذا هو المسؤول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية إلى ديانة كبرى، وهو المسؤول عن تأليه المسيح، بل إن بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذي أقام المسيحية وليس المسيح^(٢٦).

ويقول الفيلسوف الروسي تولستوي^(٢٧): "إن بولس لم يفهم تعاليم السيد المسيح ولم يَرَهُ قَطُّ في حياته، ومن ثَمَّ فلم يكن من حوارِيَّيه؛ وبالتالي لم يتلقَّ تعاليمه منه مباشرة؛ الأمر الذي جعله يطمس هذه التعاليم بتفسيراته التعسفية. إن الأقوال الواردة في كتب العهد القديم، لا تدل على أن يسوع هو الله ولا ابن الله"^(٢٨).

ويقول تشارلز دود^(٢٩): "إن الرسائل البولسية كثيراً ما تُعارض الأنجيل"^(٣٠)، ويقول بعض مؤلفيهم: "يُعتبر الرسول بولس أهمَّ شخصية ظهرت في تاريخ المسيحية بعد المسيح نفسه، ولقد وضح -في خدمته الواسعة المتصلة وغيرته المتقدمة للعمل الذي يقوم به وكتاباتاته الكثيرة- أنه الرجل الذي استطاع أن يفهم عمل سيِّده ويفسِّره أكثر من أيِّ رجلٍ آخر، وكاتب سفر الأعمال"^(٣١).

إن الناظر إلى هذه التُّقُول يجد أنها أوجزت واختصرت ما فعله بولس في عقيدة النصاري بأدقِّ العبارات لفظاً، وأكثرها في المعاني حظاً، ولم يكن هذا الرأي عن بولس محصوراً ولا مقصوراً في هذه العبارات، بل إن المتأمل في ثنايا الكتب

وقد وضع النبي ﷺ على رأس هؤلاء المنة، انظر: <https://2u.pw/vQRBXUk> (٢٦) الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث، (٢٣-٢٤).

(٢٧) الكونت ليف نيكولايفيتش تولستوي، ولد سنة: ألف وثمانمائة وثمان وعشرين، وتوفي سنة: ألف وتسعمائة وعشر، اشتهر بكتاباتاته الإصلاحية والدعوة للسلام، انظر:

<https://2u.pw/PV9aBVB>

(٢٨) ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الذاكرة للنشر والإعلام، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٣م، (ص: ٥٦).

(٢٩) تشارلز هارولد دود، بروستانتني بريطاني مشهور، ألف المؤلفات العديدة، وشرح الأنجيل، ولد في ويلز سنة: ألف وثمانمائة وأربع وثمانين، وتوفي سنة ألف وتسعمائة وثلاث وسبعين وقد شاخ، انظر:

C. H. Dodd, interpreter of the New Testament, by F. W Dillistone, Eerdmans, 1977.

(٣٠) اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، (ص: ٩٢).

(٣١) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهم عزيز، دار الثقافة المسيحية-دار الجبل للطباعة، القاهرة، (ص: ٣٤٤).

يجد أن بولس كانت له اليد الطولى والعناية التامة في تحويل عقيدة النصارى من دين سماوي إلى اعتقادٍ وثنيٍّ.

ويلحظ القارئ ذلك الخط منه، وتوجيه الشنائم إليه من صدور حانقة لما فعله بعقيدة النصارى^(٣٢)؛ إذ لم يقتصر على التبديل فقط، بل أدخل إلى النصرانية قضايا عدّة تربو على ما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، وقام بطمس ديانة المسيح عيسى، والمجيء بنظريّاته التي حلت مكان الديانة النصرانية الحقيقية؛ لهذا كان لزاماً أن تُفرد مطلباً للحديث عنه؛ وذلك لعظيم خطره، وكبير ضرره، وسيئ أثره، وهدم تعاليم المسيح وشريعته وجعلها نسياً منسياً، وسنعرّف على ذلك كله في هذا المطلب من خلال مسائل عدّة:

○ المسألة الأولى: علاقة بولس بالنصرانية ودوره في تحريفها:

المتأمل في حياة هذا الرجل يجد أنه كان من الدّ الأعداء وأشدّهم فتكاً باتباع المسيح يقتلهم ويسجنهم ويطاردهم من مكان إلى آخر^(٣٣) كما سبق في قوله عن نفسه: "سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أنّي كنت أضطهد كنيسة الله بإفراطٍ وأتلفها"^(٣٤)، واختراعه قصّة ليأمنه النصارى؛ لكونه ليس من تلاميذ المسيح، ولا من حواربيّه، بل لم يره قط، مع أن التناقض في هذه القصة وغيرها يبدو جلياً واضحاً لأول وهلة وعند أدنى نظرٍ أو تأمل، ويشهد لهذا قوله في القصة: "وأما الرّجالُ المُسافرونَ معهُ فَوَقَفُوا صَامِتِينَ يَسْمَعُونَ الصَّوْتَ وَلَا يَنْظُرُونَ أَحَدًا"^(٣٥).

فالرجال المسافرون معه سمعوا صوت المسيح عليه الصلاة والسلام، ولكنهم صمتوا ولم ينبسوا ببنت شفة لكونهم يسمعون صوتاً ولا يرون أحداً، وهذا الكلام مناقض لما قاله في موطن آخر: "وَالَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ نَظَرُوا النُّورَ، وَارْتَعَبُوا، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا صَوْتَ الَّذِي كَلَّمَنِي"^(٣٦)، فنفي النظر في الرواية السابقة وأثبتته في هذه، وهناك أثبت السَّماع ونفاه هنا، فكيف الجمع بين هذا وذاك؟! ومما ينبغي التنبيه عليه ولفت النظر إليه أن هناك من يفسّر تحوُّله بتفسيرات عدّة لا علاقة لها بالكلام الذي ذكره بولس

(³²) The Apostle Paul, Translated Into Their Modern Equivalents, James Freeman Clarke, Boston James r. Osgood and Company, 1884 (P : 4).

(³³) The Letters of Paul the Apostle, Henry Coates, United Free Church of Scotland, 1923, (P:21); Cradle of the Christ. primitive Christianity, op. cit, (P : 84).

(³⁴) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١ : ١٣).

(³⁵) أعمال الرسل (٧/٩).

(³⁶) أعمال الرسل (٩/٢٢).

مع تناقضه الذي بَيَّنَّه آنفًا، ومن ذلك ما قاله ول ديورانت^(٣٧):
 "ولعلَّ ما قاساه من التعب في سفره الشَّاقَّ الطويل في شمس الصحراء اللَّفَّحَة، أو لعلَّ ومضةً برقي في السماء ناشئة من شدة الحرارة، لعلَّ شيئًا من هذا أو ذاك كله قد أثر في جسمٍ ضعيف، رُبَّما كان مصابًا بالصرَّع، وفي عقلٍ يعذِّبه الشُّكُّ والإجرام"^(٣٨)، فالقضية عند ول ديورانت تتعلَّق بمرضٍ عقليٍّ أو جسديٍّ أوصله إلى هذا القول، وهذا ما أثبتَّه بعضُ الأطباء الأمريكيين^(٣٩).
 ولم يقتصر مرضه على قضية سماعه ورؤية المسيح، بل كانت أفكاره في دعوته منوطة بمرضه، فيقول:

" That Paul was sometimes stricken down suddenly with sickness is evidenced by allusions to it in his epistles and in the Acts of the Apostles، as، for ex- ample، in the fourth chapter of Galatians،
 thirteenth verse، and in Second Corinthians، eleventh chapter and fourth verse"^(٤٠).

وهكذا يجري الحديث عنه على سَنَنِ من الاعتراف وقلة الاختلاف في تناقضه وتأثير المرض العقلي والجسمي في غالب ما صدر عنه، ومن أجل هذا لم يكن من بقي من تلاميذ المسيح يثقون به، إذ كيف تحوَّل في عشيةٍ وضحاها من خصمٍ ألدٍّ إلى حليفٍ ناصرٍ يسعى لنشر المسيحية، ومن ذلك ما جاء في أعمال الرسل: "وَلَمَّا جَاءَ سَاوُلُ إِلَى أُورُشَلِيمَ حَاوَلَ أَنْ يَلْتَصِقَ بِالتَّلَامِيذِ، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَخَافُونَهُ غَيْرَ مُصَدِّقِينَ أَنَّهُ تَلْمِيزٌ. فَأَخَذَهُ بَرَنَابَا^(٤١) وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرَّسُلِ، وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبُّ فِي الطَّرِيقِ

^(٣٧) ويليام جيمس ديورانت، فيلسوف، مؤرخ وكاتب أمريكي، من أشهر مؤلفاته كتاب «قصة الحضارة» والذي شاركته زوجته اليهودية أرييل ديورانت في تأليفه، ولد سنة: ألف وثمانمائة وخمس وثمانين، وتوفي سنة: ألف وتسعمائة وإحدى وثمانين، انظر: المؤرخ ويل ديورانت (١٨٨٥-١٩٨١م) وآراء له عن أهمية القرآن الكريم في كتاب " قصة الحضارة " -عرض ونقد-، الشريف، مجلة كلية الشريعة، جامعة الزرقاء، ٢٠٢٣م، (ص:٢٣٣).

^(٣٨) قصة الحضارة، ول وأرييل ديورانت، مرجع سابق، (١١ / ٢٥٣).
^(٣٩) Was the Apostle Paul an Epil Eptic?, by Matthew Woods, the Cosmopolitan Press, New York , 1913 , (P :27).

^(٤٠) Was the Apostle Paul an Epil Eptic? op. cit , (P :27).

^(٤١) أحد الحواريين الاثني عشر، وأحد التلاميذ السبعين الذين لزموا عيسى وصاحبوه وأثروه على كل شيء، وكان اسمه يوسف، وقد لقَّبه الرسل ببرنابا لرفقة طبعه، قُتل سنة:

وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ، وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ. فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ"^(٤٢).

فهذا النص صريح في أن برنابا هو الذي سعى لبولس عند تلاميذ المسيح ﷺ، وبذل ما بوسعه لإقناعهم في قضية تحوُّله من البغض لدعوة المسيح وأنصاره إلى حبِّ ذلك كله، ولكنهم كانوا يتوجَّسون منه خوفاً، فما سلف منه في ماضي عمره من الحقد لدعوة المسيح لا يؤهِّله إلى هذا الادِّعاء المفاجئ.

ولكنه لم يَر في ذلك مطلباً يحتاج منه إلى بذل ما بوسعه لنيله؛ لكونه غير مفتقر إلى رضاهم أو موافقتهم، فهو لا يفتأ عن الاعتراف بأنه لم يلتق بالمسيح، وفي الوقت ذاته يرى نفسه خيراً من تلاميذه في تصوُّره من خلال أقواله، ولهذا لم يأخذ عن تلاميذ المسيح، ولم يتلقَّ عقيدته النصرانية من مصدرها الأصلي، ومع تجرُّده من هذا وذاك رأى أنه المخوَّل بنشر دعوة المسيح ﷺ؛ لتجربته ومعرفته، وهذا ما يشير إليه في رسالة غلاطية^(٤٣) حيث يقول: "أَعَرَفَكُمُ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ؛ لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عَلَّمْتُهُ. بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ... أَنْ يُعْلَنَ ابْنُهُ فِيَّ لِأُبَشِّرَ بِهِ بَيْنَ الْأُمَمِ، لِئَلَوْتُ لَمْ أَسْتَشِيرَ لَحْماً وَدَمْماً وَلَا صَعَدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ"^(٤٤)، إِلَى الرُّسُلِ الَّذِينَ قَبْلِي، بَلْ انْطَلَقْتُ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعْتُ

ثلاث وستين للميلاد، وقيل: قبل ذلك، انظر: الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة، مار إغناطيوس أفرام، مطبعة السلام، حمص، ١٩٤٠م، (٧٧/١)؛ عقائد أهل الكتاب - دراسة في نصوص العهدين-، أحمد مختار رمزي، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن، ط١، ٢٠٠٨م، (ص: ٨١)؛ إنجيل برنابا هل هو إنجيل صحيح، القس عبد المسيح بسيط أبو الخير، (ص: ٤٦).

^(٤٢) أعمال الرسل (٩/٢٦-٢٨).
^(٤٣) غلاطية: ولاية في وسط آسيا الصغرى، أي: تركيا حالياً، وتشمل بلاداً كثيرة، وتمتد هذه الولاية ٢٠٠ ميلاً طوَّلاً وحوالي ١٥٠ ميلاً عرضاً، وسُمِّيت غلاطية نسبةً إلى غالية، أي: فرنسا التي هاجر أهلها إلى هذا المكان واشتركوا في حروب كثيرة، وتميزوا بالعنف والقوة والتقلب واختلطوا في أيام بولس بأهل فريجية واليونان، وسكانها معظمهم أمميون ومعهم قليل من اليهود، انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين، مرجع سابق، (ص: ٦٦٠)؛ تفسير رسالة بولس الرسول إلى غلاطية، كهنة وخدام كنيسة مارمرقس مصر الجديدة، مشروع الكنوز القبطية، (ص: ٢٢٩).

^(٤٤) أورشليم هي القدس في قول بعضهم، فكانت تسمَّى بأور سالم، ولمَّا دخلها العبرانيون في القرن العاشر قبل الميلاد، فأبدلوا السين بالشين لاستئصال هذا الحرف عليهم، ثم تطور هذا اللفظ حتى صار أورشليم، ومنهم من نفى أن تكون القدس هي أورشليم التي ورد ذكرها في الكتاب المقدس، انظر: القدس في الكتب السماوية الثلاثة، جاسر علي العناني، المجلة الثقافية، الجامعة الأردنية، ٢٠٠٧م، العدد: ٦٨، (ص: ٢٠٧)؛ القدس ليست

أَيْضًا إِلَى دِمَشْقَ^(٤٥).
ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَتَعَرَّفَ بِطَرُسَ، فَمَكَثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا. وَلَكِنِّي لَمْ أَرْ غَيْرَهُ مِنَ الرُّسُلِ إِلَّا يَعْقُوبَ أَخَا الرَّبِّ^(٤٦) (٤٧).
ويؤكد هذا في قوله: "وَلَكِنْ بِسَبَبِ الْإِخْوَةِ الْكَذِبَةِ الْمُذْخِلِينَ خُفِيَّةً، الَّذِينَ دَخَلُوا اخْتِلَاسًا لِيَتَجَسَّسُوا حَرَبَتَنَا الَّتِي لَنَا فِي الْمَسِيحِ كَيْ يَسْتَعْبِدُونَا، الَّذِينَ لَمْ نُدْعِن لَهُمْ بِالْخُضُوعِ وَلَا سَاعَةً، لِيَبْقَى عِنْدَكُمْ حَقُّ الْإِنْجِيلِ. وَأَمَّا الْمُعْتَبِرُونَ أَنَّهُمْ شَيْءٌ - مَهْمَا كَانُوا، لَا فَرْقَ عِنْدِي، اللَّهُ لَا يَأْخُذُ بِوَجْهِ إِنْسَانٍ - فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَبِرِينَ لَمْ يُشِيرُوا عَلَيَّ بِشَيْءٍ. بَلْ بِالْعَكْسِ، إِذْ رَأَوْا أَنِّي أَوْثَمْتُ عَلَى إِنْجِيلِ الْغُرْلَةِ كَمَا بَطَرُسُ^(٤٨) عَلَى إِنْجِيلِ الْخِتَانِ^(٤٩)".

والتف حول له تلاميذ عدة ينظرون في دعوته، ولكنهم نفروا منه لما رأوا حقيقة دعوته من إساءة الأدب مع الله ﷻ كما يصرح بذلك في مواطن كثيرة كقوله:
١ - "لَأَنَّ جَهَالَتهُ اللَّهِ أَحْكَمَ مِنَ النَّاسِ! وَضَعَفَ اللَّهُ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ"^(٥٠).
٢ - "لَأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقِ اللَّهِ"^(٥١).
فهل الإساءة إلى الله ﷻ تصدر من الأنبياء؟!

أورشليم: مساهمة في تصحيح تاريخ فلسطين، الربيعي.
^(٤٥) بكسر أوله، وفتح ثانيه، هكذا رواه الجمهور، والكسر لغة فيه، وشين معجمة، وآخره قاف: البلدة المشهورة قصبة الشام، سُميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي: أسرعوا، وناقاة دمشق، بفتح الدال وسكون الميم: سريعة، وناقاة دمشقة اللحم: خفيفة، وقيل: سُميت بدماشق بن نمروذ بن كنعان، وكان معه إبراهيم، انظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، مرجع سابق، (٤٦٣/٢ - ٤٦٤).

^(٤٦) سيأتي تعريفه في الحديث عن الاضطهاد.
^(٤٧) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (١١/١ - ١٩).
^(٤٨) اسم يوناني معناه: صخرة أو حجر، كان يسمّى أولا سمعان، فلمّا تبع يسوع سُمي: كيفا، وهي كلمة أرامية معناها صخرة، يقابلها في العربية صفا أي: صخرة، وقد سُمّاه المسيح بهذا الاسم. والصخرة باليونانية بيتروس، ومنها: بطرس، دعا يسوع بطرس ثلاث مرات فأولاً: دعاه ليكون تلميذاً، ودعاه ثانية: لكي يكون رفيقاً له ملازماً إيّاه باستمرار، ثم دعاه ثالثة: لكي يكون رسولاً له، انظر: سحابة من الشهود - صباد الجليل بطرس الرسول، القمص أشعياء ميخائيل، دار يوسف كمال للطباعة، الرسل الأطهار الاتني عشر - تلاميذ السيد الرب -، القمص أنثاسيوس فهمي جورج، دير القديس أنثاسيوس الرسولي، ط١، ٢٠٠٥م.

^(٤٩) رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية (٤/٢ - ٧).
^(٥٠) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٢٥/١).
^(٥١) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠/٢).

ولم يكن محمود السيرة أو السريرة، ولكن انبرى لوقا من تلاميذه يزود عنه ويبدل ما بوسعه لردّ أي شيء يوجّه إليه من اعتراض أو انتقاد؛ فحاز مكانة عظيمة في قلب بولس فلم يفتأ من تسمية لوقا بعد ذلك بـ: "الطبيب الحبيب" ^(٥٢)، فكتب لوقا "أعمال الرسل" التي لخص فيها حياة بولس كما فعل متى ومرقس مع المسيح، وكتب إنجيل لوقا الذي لخص فيه أفكار أستاذه، وهذا ما أكّده غير واحد منهم ^(٥٣).

ومع هذا فإنّ النصاري يتكوّنون على شخصيتين في أصول دينهم كما يقولون: عيسى عليه الصلاة والسلام صاحب الديانة ومؤسّسها، وبولس مفسّر الديانة، وهذا الاتكاء يجعل المرء يقف مستغرباً لا ينقضي عجبه، إذ أقرب الناس إلى عيسى عليه الصلاة والسلام مثل: بطرس، ويوحنا، ويعقوب لم ينقل النصاري عنهم شيئاً في تفسير رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام ^(٥٤) مع أنهم يمتلكون أدوات التفسير، ويعرفون حقيقة دعوة نبيهم عليه الصلاة والسلام، فكيف أعرضوا عن ذلك، وتركوا الأمر برمته لشخص آخر؟

إن هذا الغياب يدل على أنهم تصدّوا للتفسير، ولكن طالته يدُ التغيب والإخفاء، أو أنّ العقيدة النصرانية واضحة بيّنة لا تفتقر إلى التفسير، فمن أين جاء كل ذلك التناقض والتضادّ إليها بحيث يصعب التوفيق بين النصوص في غالب المسائل؟ إذا تقرّر ذلك فإنّ التطور هو الباعث على ذلك التناقض - وهذا ما سيظهر في هذه الرسالة -.

○ المسألة الثانية: أهم التغييرات العقيدة التي أحدثها في العقيدة النصرانية: أحدث هذا الرجل تغييرات عديدة في ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام أدّت إلى طمس ديانة عيسى، بل قال بعض المؤلفين عن بولس: "أسس باسم يسوع ديناً لا يفقهه يسوع لو كان حياً" ^(٥٥)، ومن أهم تلك التغييرات:

أولاً: القول بعالمية ديانة عيسى عليه الصلاة والسلام: الناظر إلى ديانة عيسى يجد أنها ليست عالمية، بل هو مرسل إلى اليهود المنحرفين عن ديانة موسى لردّهم إلى الصواب، وهدايتهم من الضلالة التي وقعوا فيها إلى الصراط المستقيم، ويشهد لهذا قول المسيح في إنجيل متى: "لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى خِرَافٍ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ" ^(٥٦)،

^(٥٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس (١٤/٤).

^(٥٣) انظر: يسوع المسيح - شخصيته - تعاليمه، بولس إلياس يسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٦٣م، (ص: ٢٦).

^(٥٤) بولس وتحريف المسيحية، هيم ماكبي، ترجمة: سميرة الزين، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، (ص: ١٣).

^(٥٥) حياة الحقائق، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعتير، مؤسسة هندواي، (ص: ٥٢).

^(٥٦) إنجيل متى (٢٤/١٥).

وبصرّح بأنه جاء مكتملاً ومنتماً ومفسراً لدين موسى عليه الصلاة والسلام، فيقول: "لا تَطْلُؤُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَنْقُضَ النَّامُوسَ. مَا جِئْتُ لِأَنْقُضَ بَلْ لِأُكَمِّلَ" (٥٧). وينتهي تلاميذه عن تبليغ رسالته إلى غير مَنْ أُرْسِلَ إليهم فيقول: "إِلَى طَرِيقِ أُمِّ لَا تَمْضُوا، وَإِلَى مَدِينَةِ السَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا. بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فَاهْرُبُوا إِلَى الْآخَرَى. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: لَا تُكْمَلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ابْنُ الْإِنْسَانِ" (٥٨).

وقد أيد هذا القرآن الكريم، فقال تعالى -في حكايته عن عيسى عليه الصلاة والسلام-: وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ... [آل عمران: ٤٩]، وقال تعالى: وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ [الصف: ٦]، ولم يجعل الله ﷺ لرسالة قط تشمل جميع الأمم وتعمهم بالدعوة سوى رسالة نبينا ﷺ، فقال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [الأنعام: ٩٠]، وقال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا [الفرقان: ١].

لكن بولس زعم أن ديانة عيسى عالمية (٥٩)، وليست محصورة في أمة من الأمم، وبدل على هذا قوله: "فإني أقول لكم أنها الأمم: بما أنني أنا رسول للأمم أمجد خدمتي" (٦٠)، ويقول: "ولكن لما سر الله الذي أفرزني من بطن أمي، ودعاني بنعمته أن يُعلن ابنه في لبشر به بين الأمم" (٦١)، وقوله: "أعطيت هذه النعمة، أن أبشّر بين الأمم" (٦٢). وقد رام بهذا التحريف كسب العديد من الأنصار، والترويج لديانته عند أتباع الملل (٦٣) الموافقة لفكرته التي لن تجد حرجاً في قبول ما جاء به من دين موافق لما هم عليه كما جاء في كتاب "محاضرات عن تأثيرات بولس على المسيحية" ما نصّه:

"that the t Messianic impulse would have spent itself inef-

(٥٧) إنجيل متى (١٧/٥).

(٥٨) إنجيل متى (٧-٥/١٠).

(٥٩) Lectures on the Influence of the Apostle PAUL on the Development of Christianity, op. cit, (P : 10).

(٦٠) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١٣/١١).

(٦١) الرسالة إلى أهل غلاطية (١/١٥).

(٦٢) رسالة بولس الرسول إلى أهل أفسس (٣/٨).

(٦٣) History and thought of the Early church. Henry Chadwick, London, 1982, (P : 9).

factually in a few years, had not a fresh impulse been given by a new conception of the Messiah. The Christ outlined in the earliest literature of the New Testament would hardly have founded a permanent church, or given his name to a distinct religion. A new conception came, in due time, from an unexpected Greek ; Jew by parentage, nurture, training and genius"⁽⁶⁴⁾.

إضافةً إلى ذلك فإن القول بعالمية رسالة عيسى عليه الصلاة والسلام تتلاءم وتتوافق مع فكرته التي تنصُّ على أن عيسى عليه الصلاة والسلام قدَّى البشرية وخلصها من خطيئتها الأصلية -وسنبيّن ذلك في موضعه-.

ثانياً: القول ببنوة عيسى عليه الصلاة والسلام لله ﷻ: أطلق القول بأن عيسى هو ابن الله كما في سفر "أعمال الرسل": "أما شاؤول فكان لم يزل ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الربِّ، فتقدّم إلى رئيس الكهنة، ... وكان شاؤول مع التلاميذ الذين في دمشق أياماً وللوقت جعل يكرّز في المجامع بالمسيح أنّ هذا هو ابن الله"^(٦٥)، وقال في رسالته إلى غلاطية: "وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا تَحْتَ النَّامُوسِ"^(٦٦).

وهذا القول ينافي الشواهد الكثيرة التي سبق ذكرها من قبل في إثبات بشرية عيسى من الأنجيل كما في إنجيل يوحنا قال لهم: "وَلَكِنُّكُمْ الْآنَ تَطْلُبُونَ أَنْ تَقْتُلُونِي، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمَكُم بِالْحَقِّ الَّذِي سَمِعْتُهُ مِنَ اللَّهِ"^(٦٧).

وفي القرآن تأييد القول ببشرية عيسى عليه الصلاة والسلام، والإنكار على القائلين بالوالدية والولدية، كقوله تعالى وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ [التوبة: ٣٠]، وقال تعالى: وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ [مريم: ٨٨-٩٤] وقال: وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ

(64)Cradle of the Christ.Primitive Christianity, op. cit,(P : 83).

(٦٥) أعمال الرسل (١/٩-٢٠).

(٦٦) الرسالة إلى أهل غلاطية(٤/٤).

(٦٧) إنجيل يوحنا(٨/٤٠).

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ^(٦٩) إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا [الكهف: ٤-٥].

ولكن بولس أخذ هذا القول من ديانته السابقة التي كان عليها فأطلقه على عيسى عليه الصلاة والسلام^(٦٨)، وكان هذا الاصطلاح يدور على ألسنة اليهود كما قال تعالى: وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا^(٧٠) وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ [المائدة: ١٨]، وفي سفر هوشع: "يكون عدد بني إسرائيل كرم البحر الذي لا يُكَال ولا يُعَدُّ، ويكون عَوْضًا عن أن يقال لهم: لستم شعبي، يقال لهم: أبناء الله الحي"^(٦٩)، وجاء في "سفر الخروج": "فتقول لفرعون: هكذا يقول الرَّبُّ: إسرائيل ابني البكر. فقلت لك: أَطْلِق ابني ليعبدني، فَأَبَيْتَ"^(٧٠).

أما أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام فلم يكن هذا القول موجودًا عندهم، "ولا شيء يدل على أن الناس عَدُّوا يسوع إلها في القرن الأول من النصرانية، ولم ينتشر الإيمان بالوهيئة إلا في أوائل القرن الثاني بين الجماعات النصرانية"^(٧١).

ثالثا: ابتداء قضية الخلاص: الناظر إلى هذه الفكرة يجد أنها من أكثر القضايا تعقيدًا، وذلك أن الذنب لا يحمل وزره سوى فاعله، بينما بولس رأي أن أكل آدم عليه السلام من الشجرة قد جعل البشرية جمعاء تحمل وزر ذلك الأكل، ولا يتخلص البشر منها إلا بدم إلهي، فزعم أن الله عليه السلام أرسل ابنه -في زعمه- ليستسلم لليهود فيصلبوه ويقتلوه، فجاء في إنجيل يوحنا: "فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرْسِلْ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيُذِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيُخْلَصَ الْعَالَمُ بِهِ"^(٧٢)، وفي إنجيل لوقا: "لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخْلَصَ"^(٧٣)، وفي إنجيل مرقس: "لَأَنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخْدِمَ بَلْ لِيُخْدَمَ

(68) See: The Theology of Paul the Apostle, James D. G. Dunn, William b. Eerdmans Publishing Company Grand Rapids, Michigan / Cambridge, U.K, 1998, (P : 204 , 224); The Creed: What Christians Believe and Why it Matters, de Luke Timothy Johnson, New York, 2003, (P : 120) ; The Closing of the Western Mind: The Rise of Faith and the Fall of Reason, de Charles Freeman, Knopf, New York, 2003, (P:168).

(٦٩) سفر هوشع (١٠ / ١).

(٧٠) سفر الخروج (٢٢ / ٤).

(٧١) حياة الحقائق، مرجع سابق، (ص: ٥٢).

(٧٢) إنجيل يوحنا (١٧ / ٣).

(٧٣) إنجيل لوقا (٥٦ / ٩).

وَلْيَبْذِلْ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ" (٧٤).

وفي إنجيل يوحنا: "وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هَكَذَا يَبْنِي أُنْ يُرْفَعُ ابْنُ الْإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (٧٥). وقال بولس: "وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ، مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ. بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ. لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ. إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَاوُا وَأَعْوَزَ هُمْ مَجْدُ اللَّهِ. مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ، لِإِظْهَارِ بَرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ" (٧٦)، وقال أيضًا: "الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ، الشَّهَادَةُ فِي أَوْقَاتِهَا الْخَاصَّةِ" (٧٧).

فالخلاص من خلال هذه النصوص يقتضي تناول الناس كلهم برفع الإثم عنهم، ولكن نجدهم في موضع آخر يقولون بأن الخلاص إنما كان لشعبه فقط، ففي إنجيل متى ما نصّه: "اسْمُهُ يَسُوعُ؛ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ" (٧٨)، فكيف تحمّل شعبه خطيئة آدم من بين سائر الناس ليكون التكفير خاصًا بهم دون غيرهم، وهو يناقض قولهم بأن البشرية تحمّلت خطيئة أبويهم لوحدة الجنس البشري، فالبشر أتوا من أب واحد وأم واحدة، ويشهد لهذا قول بولس: "كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ، وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ، وَهَكَذَا أَجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ" (٧٩)، ويؤكد هذا الكلام أحدُهم فيقول: "فَالْخَطِيئَةُ قَدْ مَلَكْتَ عَلَى الْعَالَمِ نَتِيجَةً لَخَطِيئَةِ آدَمَ؛ لِأَنَّ الْبَشَرِيَّةَ كَانَتْ وَاحِدَةً فِيهِ، هَذِهِ الْوَحْدَةُ بَيْنَ الْبَشَرِيَّةِ فِي آدَمَ عِنَصَرٌ مَهْمٌ جَدًّا فِي مَفْهُومِ الرِّسُولِ بُولَسَ، فَهُوَ يُوَكِّدُ أَنَّ الْجَمِيعَ سِوَاءٌ" (٨٠).

وهذا الكلام مرفوض عقلاً ونقلاً، فالناس وإن كان أصلهم واحدًا فإنهم يتفاوتون في الإيمان والكفر، والصلاح والفساد، والخير والشر، ولو كان الأصل يقتضي الاشتراك والاتفاق في الذرية؛ لاشتراك الجميع في الخير أو الشر. ومع ذلك فإن بولس رأى في عيسى عليه السلام تخليص البشرية من ذنب أبيهم (٨١)، فلمّا

(٧٤) إنجيل مرقس (١٠/٤٤ - ٤٥).

(٧٥) إنجيل يوحنا (٦/٣).

(٧٦) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (٢١/٣-٢٥).

(٧٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس (٦/٢).

(٧٨) إنجيل متى (١/٢١).

(٧٩) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (١٢/٥).

(٨٠) المدخل إلى العهد الجديد، القس فهم عزي، مرجع سابق، (ص: ٣٨٧).

(٨١) See: Theology of the New Testament, Rudolf Bultmann, London: Scm/New York: Scribner, 1952, (P:88-92), The Epistle to the

تناهى إلى فكره أن ذلك سيأتي عليه باعتراض في بقية أعمال الناس، فما قيمة الفعل إذا كان سيخلصهم من ذنب أبيهم ولا يخلصهم من الخطيئة المتأصلة في البشرية^(٨٢)، فأتى بإتمام لهذه الفكرة في تصوّره، فقال: "يَشْهَدُ جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ كُلَّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَبَالُ بِاسْمِهِ غُفْرَانَ الْخَطَايَا"^(٨٣)، وفي رسالة يوحنا: "اَكْتُبْ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْأَوَّلَادُ، لِأَنَّهُ قَدْ غُفِرَتْ لَكُمْ الْخَطَايَا مِنْ أَجْلِ اسْمِهِ"^(٨٤)، وقال بولس: "وَإِذْ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فِي الْخَطَايَا وَغُلْفَ جَسَدِكُمْ، أَحْيَاكُمْ مَعَهُ، مُسَامِحًا لَكُمْ بِجَمِيعِ الْخَطَايَا"^(٨٥).

إنَّ المتأمل لهذا الكلام يجد أنَّ تصديقه والإيمان به متعذّر أو متعسّر، وذلك لتناقضه فيما بينه، ومنافاته للنصوص الأخرى التي تدل على عكس هذا كله، ففي إنجيل متى قول يسوع: "لَا تَطْنُبُوا أَنِّي جِئْتُ لِأَلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأَلْقِي سَلَامًا بَلْ سَيفًا. فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالْإِثْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَالْكَنَّةَ ضِدَّ حِمَاتِهَا. وَأَعْدَاءُ الْإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ"^(٨٦)، وفي رؤيا يوحنا: "وَمِنْ فَمِهِ يَخْرُجُ سَيْفٌ مَاضٍ، لِكَيْ يَضْرِبَ بِهِ الْأُمَمَ، وَهُوَ سَيَرْعَاهُمْ بَعْصًا مِنْ حَيِّدٍ"^(٨٧).

فها هو يصرّح بأنه لم يأت إلى البشرية ليخلصها ويشفق عليها ويرحمها ويتحمّل من أجلها الذل والهوان وتعريض نفسه للصّلب، بل ما جاء إلا ليعمل فيها الذبح، ويسفك الدماء، ويسعى لبثّ روح الكراهية والقطيعة بين الأب وابنه والأخ وأخيه، ويمزّق جميع أواصر المجتمعات، فهاتان صفتان في المسيح تتناقضان ولا تلتقيان بأيّ حال من الأحوال، ولا تثبت إحداها إلا على حساب ارتفاع الأخرى.

إثباتٌ ضدّين معاً في حال أقبح ما يأتى من المحال^(٨٨)

Romans ,Black's New Testament Commentary, de C. K. Barrett, Bntc/Hntc; London: Black/New York Harper and Row, 1975, 1991,(P : 87 - 91) , Why I Love the Apostle Paul, John piper, Library of Congress,1946, (P: 117-120).

(٨٢) إيماني - قضايا المسيحية الكبرى، القس إلياس مقار، دار الثقافة، الطبعة: الأولى، (ص: ٢٦٠).

(٨٣) سفر أعمال الرسل (١٠/٤٣)

(٨٤) رسالة يوحنا الأولى (٢/١٢)

(٨٥) رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثوس (٢/١٣).

(٨٦) إنجيل متى (١٠/٣٤-٣٦).

(٨٧) رؤيا يوحنا (١٩/١٥).

(٨٨) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، المحقق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، (٢/٩١٩).

وليس هذا الأمر فقط، بل لم يأت قط في كلام المخلص نفسه أنه كذلك، فكيف يُنسب إليه شيء لم يدرّ بخلده ولا نطق به لسانه، وهل يكون ذلك إلا افتراءً عليه، يقول هربرت ويلز: "يعسر عليك أن تجد كلمة تُنسب فعلاً إلى يسوع فسّر فيها مبادئ الكفارة والفداء"^(٨٩).

ولم يقتصر خلؤ نصّ عن المسيح يُثبت ذلك عن نفسه، بل وتلاميذه رفضوا هذه الفكرة وأبدوا معارضتها وأجلّوا عليها بخیلهم ورَجَلهم إنكاراً وتجاهلاً، ولا يزال صدى هذا الاختلاف جاريًا في أوساط النصارى إلى هذه اللحظة^(٩٠).

فإذا لم يصرّح بها المسيح ولا تلاميذه، فلا شك أنها أجنبية عن عقيدة النصارى، ولا تمت إليها بأي صلة، ولو كانت من صلب عقيدة النصارى لدلّ عليها دليل قطعي أو ظني، ولا سيّما أنها تتعلق بقضايا عدّة: كالصليب، والأقانيم الثلاثة: الأب والابن، وروح القدس، وأن الثلاثة واحد، وغير ذلك مما يذكرونه من القضايا العقيدية التي تنفّر عن عقيدة الخلاص وتنبت منها.

رابعاً: إلغاء شريعة موسى عليه الصلاة والسلام: لم يكتفِ بولس بادعاء شمول وعموم وعالمية دعوة عيسى عليه الصلاة والسلام، فيقول: "إذ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَنْتَبِرُّ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِنَنْتَبِرَّ بِإِيمَانِ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ. لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَنْتَبِرُّ جَسَدًا"^(٩١).

وهذا يناقض قول المسيح في إنجيل متى: "لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأَكْمِلَ"^(٩٢)، فالمسيح عليه الصلاة والسلام كان يتعبد بشريعة موسى في سائر عباداته^(٩٣)، وحين سئل المسيح عن العمل الذي يدخل الجنة فأجاب سائله عن الالتزام بشريعة موسى، يروي ذلك متى فيقول: "وإذا شابّ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ وَيَسْأَلُ: أَتَبَا الْمُعْلَمُ الصَّالِحُ، أَيْ صَلاَحُ أَعْمَلٍ لَأَخْصُلَ عَلَى الْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ؟ فَأَجَابَهُ: لِمَاذَا تَسْأَلُنِي عَنِ الصَّالِحِ؟ وَاجِدْ هُوَ الصَّالِحُ. وَلَكِنْ، إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ، فَاعْمَلْ بِالْوَصَايَا. فَسَأَلَ: أَيَّةُ وَصَايَا؟ أَجَابَهُ يَسُوعُ: لَا تَقْتُلْ؛ لَا تَزْنِ؛ لَا تَسْرِقْ؛ لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ؛ أَكْرَمُ أَبَاكَ وَأَمَّاكَ؛ وَأَحَبُّ قَرِينِكَ كَنَفْسِكَ... قَالَ لَهُ الشَّابُّ: هَذِهِ كُلُّهَا عَمِلْتُ بِهَا مِنْذُ صَغُرِي، فَمَاذَا يَنْقُصُنِي بَعْدُ؟ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا، فَادْهَبْ وَبِعْ كُلَّ مَا تَمْلِكُ، وَوَرِّغْ عَلَى الْفُقَرَاءِ، فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاوَاتِ.

^(٨٩) معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، مرجع سابق، (١٧/٣).

^(٩٠) المسيح في مصادر العقائد المسيحية - خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٨-١٩٨٨م، (ص: ٢٧١).

^(٩١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية (٢/١٦).

^(٩٢) إنجيل متى (١٧/٥).

^(٩٣) سيرة المسيح، جورج فورد، كنيسة قصر الدوبارة، القاهرة، (ص: ١٦).

وَتَعَالَ اَتْبَعْنِي" (٩٤).

ويلحظ الدارس لتاريخ كنيسة القدس بأن أتباع المسيح لم يؤسسوا بعد غيابه مركزاً دينياً مُناظرًا للمعبد اليهودي في القدس، بل ظلوا يترددون على المعبد، ويحترمون التوراة، وينسجمون معهم في قالب اليهودية، ولا يتميزون إلا ببعض الأفكار، أو التسمية بالحواريين، وأما ما يتعلق ببقية مظاهر الديانة اليهودية فهم منهم، يستمدون أفكارهم من مصادر الديانة اليهودية بغير حرج أو تميز، وهذا يعني أنهم جزء من اليهود أو فرقة يهودية تختلف عن بقية الفرق في اعتقاد كون المسيح هو المنتظر لا أقل ولا أكثر.

ولكن النصارى تركوا أقوال نبيهم هذه وراءهم ظهرياً، وتمسكوا بقول بولس (٩٥)، ويفسرون ذلك بأن: "بولس كان يعتبر أن طريقة النعمة وطريق الناموس متعارضان تمامًا، والخطأ الأساسي الذي يقع فيه من يختار طريق طاعة الناموس، هو أن يظن أن ما يفعله سيُكسبه الثواب أمام الله، وطريق الناموس يجعل الخلاص يعتمد على المنجزات البشرية. أما من يختار سبيل النعمة فإنه يلقي بنفسه وخطيئته على رحمة محبة الله....، وكان كل ما يهّم بولس هو ذلك الإيمان الحاصل عن طريق المحبة. وهذا يعني بصورة أخرى- أن جوهر الدين ليس هو الناموس، ولكن العلاقة الشخصية مع المسيح يسوع..."

فإيمان المسيحي لا يتأسس أبدًا على كتاب، ولكن على شخص، والقوة الدافعة فيه ليست طاعة أيّ ناموس، ولكن الحب للمسيح يسوع" (٩٦)، فيكفي الإنسان معرفة أن عيسى هو المخلص، وبعد ذلك يحرف الشريعة أو يتركها وينبذها كما يشاء. إن هذه الأمور التي ابتدعها واخترعها وأتى بها لم يكن لها أثر إيجابي في العقيدة النصرانية؛ إذ شكّل النشاط الذي قام به هدمًا لديانة المسيح، وفي ضوء ذلك وجد جماعات من الحواريين يخالفونه ويبتلون انحرافه عمّا جاء به عيسى، فانقسمت الكنيسة بعد أن كانت واحدة، وتفرقت شذر ومذر، فلم يكن من بولس سوى الشعور بالألم الشديد، حيث رأى الانشقاق يتتابع بين النصارى، وهو سبب ذلك الانقسام، ويصرح بذلك فيقول: "وَلَكِنِّي أَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ، بِاسْمِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنْ

(٩٤) إنجيل متى (١٩/١٦-٢٢).

(٩٥) Primitive Christianity In Irs Contemporary Selling, Rudolf Bultmann, Fortress Press, Philadelphia, 1956,(P:176) ; Lost Christianities: The Battles for Scripture and the Faiths We Never Knew, de Bart D. Ehrman, Oxford University Press, New York, 2005 ,(P :98).

(٩٦) تفسير العهد الجديد، وليم باركلي، مرجع سابق، (ص: ٧٣-٧٤).



تَقُولُوا جَمِيعُكُمْ قَوْلًا وَاحِدًا، وَلَا يَكُونُ بَيْنَكُمْ انْتِفَاقَاتٌ، بَلْ كُونُوا كَامِلِينَ فِي فِكْرٍ وَاحِدٍ وَرَأْيٍ وَاحِدٍ. لِأَيِّ أَخْبِرْتُ عَنْكُمْ يَا إِخْوَتِي مِنْ أَهْلِ خُلُوي أَنْ بَيْنَكُمْ خُصُومَاتٍ" (٩٧).

ولا شك ولا مرية في أن الدين منوطٌ بالنقل، والعقل يقوم بفهم ذلك، أما استقلال العقل بالتشريع فمردودٌ لعدم قدرته على ذلك، ومن هنا وقع بولس فيما وقع فيه لعدم استقائه هذه الأمور مما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، بل كانت من بنات أفكاره وأرائه الشخصية التي لا تمتُّ إلى الشرع بأيِّ صلة، وعندئذٍ فالخطأ هو الأصل إذا كان الحال كذلك، والمخالفة هي النتيجة الحتمية، ويشهد لهذا الأمر في عدم علاقة الله سبحانه بما يقوله في رسائله كقوله: " فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ، وَلَكِنِّي أُعْطِيَ رَأْيًا" (٩٨)، ويقول: "لَسْتُ أَقُولُ عَلَى سَبِيلِ الْأَمْرِ، بَلْ بِاجْتِهَادٍ آخَرِينَ" (٩٩)، ويقول: "الَّذِي أَتَكَلَّمُ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ الرَّبِّ، بَلْ كَأَنَّهُ فِي غَبَاوَةٍ، فِي جَسَارَةٍ الْفَتْخَارِ هَذِهِ" (١٠٠).

ويؤكد القول بأن أفكاره غيبيةٌ تُناقض العقل فيقول: "لَيْتَكُمْ تَحْتَمِلُونَ غَبَاوَتِي قَلِيلًا!" (١٠١)، فكيف يتطور الغباء ليتحوَّل إلى دينٍ يعتقده أناسٌ كثير؟ وإذ قلنا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا [الكهف: ٥٠]، فمن ضرب عن الوحي صفحاً، وطوى عنه كشفاً فسيقع في مثل هذا الغباء الذي يتحدث عنه بولس، ويكون حاله كمن فقد مصباحه فيهم في ظلامٍ بهيم، جزاءً وقافاً [النبا: ٢٦].

وإنَّ تَعَجَّبَ فَعَجَبٌ تصديقٌ ديني يصدر من شخصٍ كهذا، وأن تنهال عليه من الصفات التي تتنافى مع شخصيته كالقول بأنه رسول، مع تقريره بأن ما يقوله صادر عن رأيه الخاص، وبيان أتباع عيسى منافاة ما يدعو إليه لتعاليم المسيح ودينه وعقيدته، بل هي أمور وثنية وفلسفات يونانية دخيلة على عقيدة المسيح أتت على بنيانها من القواعد واستطاعت هدمها من الأساس، ولم يستطع الحواريون وتلاميذهم فعل أي شيء لهذا التحريف الذي حصل لعقيدتهم التي عرفوها وآمنوا بها، واكتفوا بالنقد الذي لم يَرُقْ إلى رِدِّ هذا التحريف، فنجح بولس فيما أراد، ووصل إلى ما قاله في كونه يريد استيعاب كافة الأمم ليكسب الجميع بمختلف أحوالهم (١٠٢).

(٩٧) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٠/١-١١).

(٩٨) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٢٥/٧).

(٩٩) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (٨/٨).

(١٠٠) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (٧/١١).

(١٠١) رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس (١/١١).

(١٠٢) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٢٢/٩).

وهذا منهج ساسة لا منهج دعاة، وهذه حقيقة دعوته وخلاصتها بمبناها ومعناها لا تزيد ولا تنقص، اخترعها وابتدعها، وسلك طرقاً شتى لبيان اتفاقها وانثاقها من الديانة النصرانية، وهذا أمر متقرر عند أهل الباطل جميعاً كما قال تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ [الأنعام: ١١٢]، أي: "يزين بعضهم لبعض الأمر الذي يدعون إليه من الباطل، ويزخرفون له العبارات حتى يجعلوه في أحسن صورة، ليغترّ به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تُعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموّهة، فيعتقدون الحقّ باطلاً والباطل حقاً، ولهذا قال تعالى: وَلَتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلَيَرْضَوْنَهُ وَلَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ [الأنعام: ١١٣] أي: ولتميل إلى ذلك الكلام المزخرف لأن عدم إيمانهم باليوم الآخر وعدم عقولهم النافعة، يحملهم على ذلك، ثم بعد أن يصغوا إليه، فيصغون إليه أولاً فإذا مالوا إليه ورأوا تلك العبارات المستحسنة، رضوه، ورزّين في قلوبهم، وصار عقيدة راسخة، وصفة لازمة، ثم ينتج من ذلك أن يقترفوا من الأعمال والأقوال ما هم مقترفون، أي: يأتون من الكذب بالقول والفعل ما هو من لوازم تلك العقائد القبيحة، فهذه حال المغترّين بشياطين الإنس والجن، المستجيبين لدعوتهم" (١٠٣).

المطلب الأول: الدعوة إلى العقيدة النصرانية

المتأمل في هذه الفترة يجد أن النصارى أصابهم ركود فكري، ولم يظهر في أوساطهم من يحاول أن يقف أمام الأفكار المتقرّرة في الكنيسة (١٠٤)، بل غالبهم يسعى إلى تثبيت ما توصّل إليه الآباء الرسوليون قبلهم، ونبذ أيّ هرطقة (١٠٥) تبرز على

(١٠٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، (ص: ٢٦٩).

(١٠٤) مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمع، نحو تقارب في المسيحية الأرثوذكسية، يولس غريغوريوس - ولیم لازاريت - نيكوس نيسيتيس -، ترجمة: الأب: ميشال نجم، (ص: ٤٨).

(١٠٥) يستخدم النصارى لفظ الهرطقة لقضية الابتداع في ديانتهم أكثر من استعمال لفظ البدعة، والهرطقة في أصلها كلمة إغريقية تدور معانيها حول مجموعة من الأفكار الدينية التي يدين بها السواد الأعظم من الناس في أيّ مصر أو أيّ عصر، وقد جاء ذكرها في الإنجيل كثيراً، وأراد بها الإنجيل معنى البدعة تارة، ومعنى الفرقة تارة أخرى، ويقسمونها إلى قسمين:

● هرطقات روحية أخلاقية: هي التي تضاد تعاليم المسيحية وتخالف التقوى، وتعدّه الكنيسة انحراقاً عن طريقة القداسة والتطهر.

الناس، وبشهاد لهذا قول بعض كهّان^(١٠٦) القرن السادس: "شرط الخلاص هو الحفاظ على قاعدة الإيمان الصحيح، وتجنّب أيّ انحراف عمّا رسمه الآباء، ولأنّه يمكن إهمال قول ربنا يسوع المسيح: أَنْتَ صَخْرٌ. وَعَلَى هَذِهِ الصَّخْرَةِ أَبْنِي كَنِيسَتِي^(١٠٧)، فهذا القول قد أثبتته الوقائع. إذ بقيت الديانة الكاثوليكية دائماً مصونة من أيّ شائبة لدى الكرسي الرسولي ... ونبتبع الآباء في كل شيء رسموه، فنحن نبسّل جميع الهرطقة"^(١٠٨).

فهذا الحفظ -في زعمهم- روعي من قبل أصحاب الكنائس الخلقونية وغير الخلقونية، ولا تختص به كنيسة عن الأخرى، ولكنهم طوّروا في أساليب الدعوة كما هي السمة عندهم^(١٠٩)، فمتى أظهروا الحرص على الوقوف أمام الهرطقة التي تطرأ وتبرز فإن النظر لأول وهلة يقود الإنسان إلى اكتشاف حجم التغيرات، ولا أدلّ على هذا الأمر من طريقة تعاملهم مع المدعو، مع المدعو ما أوصاهم به المسيح من التسامح مع المدعو، وحبّ الخير له، والرفق به، والصبر عليه كما يقول: "أَقُولُ لَكُمْ: أَجْبُوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَأَعْيُنِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَيَّ مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى

● هرطقات لاهوتية إيمانية: هي خلاف التسليم الرسولي فيما يتصل بجوهر ذات الله وطبيعته، أو لاهوت الابن وطبيعته ومشينته، أو لاهوت الروح القدس، وغيرها من مسائل العقيدة المسيحية كأسرار الكنيسة، وشفاعة القديسين، وما يتصل بالطقوس والعبادات، كالصلوات والأصوام والأعياد والصور. انظر: الهرطقة في الغرب، رمسيس عوض، دار الانتشار، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، (ص:ص ٧-٨)؛ اللاهوت المقارن، المنتيج الأنبا غريغوريوس، مرجع سابق، (ص: ١٢).

^(١٠٦) هو البابا هور مسداس.

^(١٠٧) إنجيل متى (١٦/١٨).

^(١٠٨) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، ترجمة: المطران يوحنا منصور -الأب: حنا الفاخوري، منشورات المكتبة البولسية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، (١٢٩/١).

^(١٠٩) See: Aulus Gellius, Th e Attic Nights of Aulus Gellius, by Gellius ,T: J. C. Rolfe, London and New York: Heineman, Putnam, 1927-1928, (P : 4-19) ; The Lives of the Twelve Caesars, Suetonius, Harvard University Press, 1998, (P : 74) ; Supplements to Vigiliae Christianae the Earliest History of the Christian Gathering Origin, Development and Content of the Christian Gathering in the First to Third Centuries, by Valeriy A. Alikin, Revision of the author's thesis—Leiden University, 2009,(P : 157).

الْأَشْرَارَ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمِطِرُ عَلَى الْبَرَّارِ وَالظَّالِمِينَ" (١١٠).
وقال أيضاً: "فَكُلُّ مَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمْ أَفْعَلُوا هَكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا بِهِمْ لِأَنَّ هَذَا هُوَ
النَّمُوسُ وَالْأَنْبِيَاءُ" (١١١).

فهذه الأساليب المتبعة في الدعوة إلى الدين كما تصوّرها غالب نصوص الإنجيل، في حين هناك أساليب أخرى ظهرت في القرن السادس وما بعده، فيلاحظ الناظر بدء التطور من الدعوة السلمية إلى استخدام القوة في الدعوة إلى أفكارهم، والتبرير لذلك بقولهم: "نحن في الواقع جزء صغير من المسيحية في العالم، لكننا نزعّم أن العالم كله مرغم على اتّباع آرائنا، ونزعم أيضاً أن هذا العالم يرتعد تحت وطأة توجيهاتنا" (١١٢)، ويشهد لهذا الحملات الكثيرة ضد الساكسون (١١٣)، وقتلهم في سبيل دعوتهم إلى اعتناق الديانة النصرانية، والتفنن في تعذيبهم عند عدم استجابتهم لذلك (١١٤).

بل كانت تجري ضد المخالفين ذبائح بأكملها، بحيث يُجمع المخالفون في صعيد واحد، ثم يُذبحون كما تُذبح النعاج، ولا أدلّ على هذا من الوحشية التي جرت ضد الساكسون، حيث ذُبح منهم في يوم واحد أربعة آلاف وخمسمائة شخص (١١٥). وفي اتجاه التغيير والتطور عندهم في هذا الباب ما حصل من إقحام الحكام في الدعوة وقضايا العقيدة، مع أن قول المسيح عليه الصلاة والسلام يقتضي تحييد السلطة عن

(١١٠) إنجيل متى (٤٥/٥-٤٦).

(١١١) إنجيل متى (١٢/٧).

(١١٢) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سودرن، ترجمة: رضوان السيّد، المدار الإسلامي، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦م، (ص: ٢٦).

(١١٣) الساكسون: هم مجتمع من قبائل ألمانيا القدامى، بيد أن معظمهم استوطنوا شمال ألمانيا، ثم حصل الاندماج والتعايش مع قبائل الانجليز ليشكلوا بذلك الأنجلوسكسونيين التي شكلت أول مملكة لحكم إنجلترا، وقد ساهموا في نشر لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم مع من اندمجوا معهم.

See: The Continental Saxons from the Migration Period to the Tenth Century: An Ethnographic Perspective (Studies in Historical Archaeoethnology, 6), by Dennis H. Green-Frank Siegmund (Editor), Perspective, Boydell Press, 2003, (P: 14-15).

(١١٤) انظر: أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٩م، القاهرة، (١/١٧٩).

(١١٥) حملات شارلمان المبكرة، تحليل دبلوماسي وعسكري، برنارد ستانلي باشراش، دار بريل للنشر، ٢٠١٣م، (ص: ٧٦٨-٧٧٦).

الدين حيث قال: "أَعْطُوا إِذَا مَا لَقِيَصَرَ لَقِيَصَرَ، وَمَا لِلَّهِ" (١١٦). ولكنهم أقحموا القياصرة والسلاطين بعد ذلك في شؤون الدين والتدخل في قرار الصواب أو نبذ الخطأ، وطريقة الدعوة وقضايا كثيرة تتعلق بالدعوة، وقد تفتن لهذا التغير بعضهم فحاول تحييد السلطة عند الدعوة إلى العقيدة النصرانية لئلا يحصل لدى العوام كثير من الغموض واللبس حول الدين الذي يعتنقونه، ولكنه لم يلق آذانا واعية من الرهبان والحكام (١١٧).

ومن الأساليب التي اخترعوها في هذه القرون قيام الجماعات بالدعوة إلى النصرانية، فبدلاً من أن يقوم بالدعوة شخص واحد، فيصيب تارةً ويخطئ أخرى، أصبحوا جماعات، فقامت الدعوة على أسس منظمة، وشروط معتبرة، رأوا أنها تنفع في أن تؤتي الدعوة أكلها إذا قاموا بالدعوة بتلك الطريقة (١١٨). وهكذا يلحظ الناظر إلى تاريخهم مدى التغير والتطور عندهم بوضوح وجلاء من خلال سؤق الأدلة والبراهين على ذلك، وبيان القصد من ذلك التطور، وعدم الجدوى من وراء ذلك التغير، فأسلوب الغلظة والقهر والقتل لا يجعل الباطل حقاً عند الاعتياض به عن أسلوب الرفق واللين، بل هي معاني خارجة عن الشيء المدعو إليه، قد تنفع مع شخص، وتخفق مع آخر.

ومثله إقحام الحكام والسلاطين، وتنظيم الدعوة، ومراعاة ما قرره الآباء، وغيرها من الأمور قليلة الفائدة والعائدة، إذ مناط ذلك كله إلى الشيء المدعو إليه، وكيف يستقر الناس عليه أو يبادرون بالدخول إليه وهو مزيج من الآراء الفلسفية، والأفكار الوثنية الدخيلة والمتسللة إلى ديانة النصارى.

المطلب الثاني: التفتيق بين مذهب الخلقودنيين وغير الخلقودنيين

تحدثنا عن الانشقاق الذي حصل بين الكنائس الشرقية والغربية عقيب مجمع خلقدونية، وكانت العلاقة بين طبيعتي المسيح -الإلهية، والإنسانية- هي سبب الخلاف، فكل استحسن رأياً لم يتقبله الطرف الآخر، ورأى كل منهما في الآخر تحريف طبيعة المسيح والعبث بها، وعندئذ لا ينبغي الوقوف طويلاً أمام الرأي الآخر، بل تتعين المفصلة، ويتحتم الانشقاق.

واشتدت وطأة الخلاف في القرن السادس، فالكنائس الغربية قبلت بهذا المجمع - مجمع خلقدونية-، واعتبرته مجمعاً رابعاً، وامتلكت ما توصل إليه المجمع من نتائج تتعلق بطبيعتي المسيح الإلهية والإنسانية.

(١١٦) إنجيل متى (٢١/٢٢).

(١١٧) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١/٢٨٨).

(١١٨) أوربا في العصور الوسطى، سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، (١/١٧٩).

ولكن الكنيسة الشرقية رفضت هذا المجمع، وتمسكت بالمجامع المسكونية السابقة^(١١٩).

ومن ثم فإن الكنيسة الغربية قد أكدت وجود طبيعتين وفعلين ومشيتين متحدتين أقنومياً في يسوع، بينما الكنيسة الشرقية أكدت وجود طبيعة إلهية إنسانية متحدة، وكذلك في الفعل والإرادة^(١٢٠).

ولم يطل الزمان حتى هجم الفرس على بلاد الشام ومصر واستطاعوا هزيمة الروم، ومن ثم فقد عاشت الكنيسة الشرقية أفضل أيام حياتها بعد مجمع خلقدونية، فالهيمنة التي كان يفرضها هرقل -الذي كان مؤمناً بنتائج المجمع- قد ذهبت أدراج الرياح، ولم تعد له سلطة حقيقية على الكنيسة الشرقية، وحمل كهانها وأتباعهم على القول بالطبيعتين، أو السياسة التي كان يتبعها في عدم الاعتراف بالبطريرك الشرعي -على حد تعبيرهم-، بل كان يفرض عليهم بطريركاً خاصاً به يُعرف بالبطريرك الملكي^(١٢١).

ثم دالت دولة الفرس، واستعاد هرقل ما فقده، وهنا عاد القول بالطبيعتين يؤرّق أصحاب الكنيسة الشرقية.

ولكن هرقل رأى أن التوحيد بين الكنيستين بات وشيئاً، فالخطر يهدّد الكنيستين بظهور دعوة جديدة في العرب هي دعوة النبي ﷺ^(١٢٢)، وحينئذ رأى أن الوحدة في الإيمان والكنيسة أمرٌ ملحٌ، والحاجة إليها ماسةٌ، ولا يمكن لأيٍّ من الكنيستين أن تتحاشى هذه الوحدة، ولكن الكنيسة الشرقية متمسكة برأيها في طبيعة المسيح، وتسمّي من خالفها هرطقة، وكذلك الحال في الكنيسة الغربية.

ولعل الطرفين رآيا نقاط الاتفاق بينهما من حيث الكلام عن الاختلاط والتغير والانقسام والانفصال بين الطبيعتين، فجميعهم يؤكد استمرار اللاهوت والناسوت من الخصائص والوظيفة والطبيعة في المسيح، فالذين يرون الطبيعتين لا يجزؤون، والذين يرون الطبيعة الواحدة لا يخلطون أو يمزجون^(١٢٣)، فالقاسم المشترك

^(١١٩) بولس غريغوريوس -وليم لازاريث -نيكوس نيسيوتيس مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمع، نحو تقارب في المسيحية الأرثوذكسية، -، مرجع سابق، (ص: ١٢).

^(١٢٠) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١/ ١٢٩).

^(١٢١) قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، أناسيوس المقاري، مطابع نوبار، الطبعة: الأولى، ٢٠١٣م، (ص: ١٤٨).

^(١٢٢) See: Maximus the Confessor and his Companions: Documents from Exile -Oxford Early Christian Texts-, by Pauline Allen-Bronwen Neil, Oxford Univ, 2004, (P : 1-2).

^(١٢٣) مجمع خلقيدونية، أيفرق أم يجمع، نحو تقارب في المسيحية الأرثوذكسية، بولس

موجود^(١٢٤)، والطقوس الإيمانية عندهم تكاد تكون واحدة كالمعمودية والإيمان بالأنجيل، وتبجيل اللاهوتيين القدامى، والاعتراف بما توصّلت إليه المجامع المسكونية الثلاثة الأولى: نيقية، والقسطنطينية، وأفسس، وغير هذه الأمور المساعدة على إنهاء هذه المقاطعة بين الكنيستين والاعتياض عن ذلك بالاتحاد والاتفاق^(١٢٥).
لقد تم اختيار الإشكالية -في زعم المونوثليتيّة- جيّدًا من خلال تحديد أساس المشكلة ليكون هناك حلّ صحيح لها، فظهر سرجيوس الأول بطريرك القسطنطينية^(١٢٦) منذ السنوات الأولى من حكمه، ورأى أن يسترضي الجميع بحيث يوافق الكنيسة الغربية في كون المسيح له طبيعتان، وأن يوافق الكنيسة الشرقية ولكن يعتاض عن قولهم بطبيعة واحدة إلى مشيئة واحدة، وهو ما عُرف بـ"المونوثليّة"، حيث قامت هذه الفكرة على أن مشيئتي المسيح -الناسوتية، واللاهوتية- متطابقتان، وليستا متغيرتين، وعندئذ فهما مشيئة واحدة.
وفي ضوء هذا أمل الإمبراطور قبول الكنيستين المتنازعتين بهذه العقيدة الملفقة بين الخلقونيين وغير الخلقونيين، وأن يتفرغ هو لما يهدد أمر مملكته من الفرس والعرب الذين برزوا مؤخرًا^(١٢٧) كما قال بعض الكتاب:
"The project of reconciliation of the Monophysites with the

غريغوريوس -وليم لازاريث -نيكوس نيسيوتيس-، مرجع سابق، (ص: ٢٤-٢٥).
(¹²⁴)See: Nicene and Post-Nicene Fathers: First Series -The Early Church Fathers, First Series-, by Alexander Roberts - James Donaldson - Philip Schaff - Henry Wace, Hendrickson, 1999, (P : 440); A History of the Christian Church, by Williston Walker - Richard A. Norris - David W. Lotz , Scribner, New York, 2014, (P : 171-172); The Early Church -The Penguin History of the Church-, by Henry Chadwick, Penguin Books, London, 1993, (P : 204).
(¹²⁵) الحوار اللاهوتي - المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية-، أوتو موير، ترجمة: مارسيل خوري، دار ماردين، حلب، الطبعة: الأولى، ١٩٩٧م، (ص: ١٠-١١).
(¹²⁶) البطريرك سرجيوس الأول من القسطنطينية، مخترع العقيدة النصرانية المونوثليتيّة للجمع بين الخلقونيين وغير خلقونيين، توفي سنة ستمائة وثمان وثلاثين، وعُيّن بطريرك للقسطنطينية إلى وفاته، انظر: تأمل وصل مع مسيحيي القرنين السادس والسابع، ريمون رزق، تعاونية النور الأرثوذكسية للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠١٢، (ص: ٧٩).
(¹²⁷) الحوار اللاهوتي - المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية-، أوتو موير، مرجع سابق، (ص: ٢٧)؛ قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، أثناسيوس المقاري، مرجع سابق، (ص: ١٤٨).

Chalcedonians on the basis of the formula two natures - one activity (energeia) was designed by the Emperor Heraclius and the Patriarch of Constantinople Sergius"⁽¹²⁸⁾.

فهذه العقيدة الملققة كان الغرض منها سياسياً بحثاً، وتم اختراعها لوأد الخلاف الحاصل بين الكنيستين: الشرقية والغربية، وعُقدَ مجمع "ترو للو" - وهو المجمع المسكوني السادس في القرن السابع-^(١٢٩)، ورامَ الأباطرة والبطاركة الخروجَ بحلِّ وتوفيقٍ بين المذهبين ولكنهم باعوا بالفشل^(١٣٠).

ولكنَّ هرقل طَبَعَ هذه العقيدة الجديدة، وأصرَّ عليها، ورأى أنها تُرضي الجميع، ولا تتنافى مع أيِّ طرف من الأطراف، ومن ثم فإنَّ الضرب عنها صفحاً يُعتبر تمرداً على قرارات الإمبراطور وإصراراً على الانقسام والانشقاق الذي بات يهدد الإمبراطورية التي أصبحت على شفا جرفٍ هارٍ، فأرغم الجميع على قبول المونوثيلية.

ولكن الأقباط لم يستجيبوا له، فازدادت النار تأججاً، ورأوا أن هذه العقيدة الملققة ليست سوى اختلاق وإفك، وأنها نصرت الخلقونيين فقط، وأن القول بالمشيئة الواحدة لا يمكن أن يكون عَوْضاً عن الطبيعة الواحدة^(١٣١).

لم يلتفت هرقل إلى ما أبداه الأقباط من تذمُّر تجاه هذه العقيدة الملققة، بل عيَّن رجلاً من عنده بطريركاً ملكانياً على مصر، وأمره أن يحمل جميع المصريين بالقوة على الاعتقاد الجديد والرضا به، فامتثل لهذه الأوامر التي جاءت من هرقل، وجعل

(¹²⁸)Theological controversy in the seventh century concerning activities and wills in Christ, Hovorun, Serhiy, Faculty of Theology-University of Durham, 2003,(P : 97). And See: Microcosm and Mediator: The Theological Anthropology of Maximus the Confessor, by Lars Thunberg, Chicago: Open court,1995,(P:430) ; The Œcumenical Synods of the Orthodox Church, Thornton, James, Concise History , 2012 ,(P : 93); Jesus: Fallen?: The Human Nature of Christ Examined from an Eastern Orthodox Perspective, Hatzidakis, Emmanuel, 2013 ,(P:7).

(^{١٢٩}) سيأتي الحديث عنه مستوفى في مكانه.
(^{١٣٠}) الحوار اللاهوتي - المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية -، أوتو موير، مرجع سابق، (ص: ٢٧).

(¹³¹)See: A History of the Christian Church, by Williston Walker - Richard A. Norris - David W. Lotz , op. cit ,(P :173).

السجن والضرب والنفي عقوبة لكل أحد يخالف هذه العقيدة الملققة من عقيدة الخلقونيين واللا خلقونيين^(١٣٢).

وفي المقابل فإن بعض الخلقونيين بعد ذلك تغيّر رأيهم تجاه هذا الجمع، ورأوا أن القول بمشيئة واحدة فيه انتقاص لما قرّره ولا سيّما في طبيعة المسيح البشرية، وحينئذٍ انتهى النصارى في طبيعة المسيح إلى ثلاثة مذاهب: الخلقونيين، وغير الخلقونيين، وأتباع المونوثليتيّة^(١٣٣).

وبدلاً من أن يتصارع مذهبان، برز إلى وسط الصراع مذهب ثالث، وكلّ يكفر الآخر ويصفه بالهرطقة، وييدي رأيهم في منشأ البدعة عند مناوئيه^(١٣٤).

إذا تبين ذلك، فإن الذي قصده الإمبراطور باختراع هذه العقيدة لم يتحقق كما أراد، بل زاد الأمر ضغطاً على إباله، ولهذا تراجع عن فرض العقيدة الملققة، ومنع النقاش عن هذه المسألة تماماً^(١٣٥)، وأتى له ذلك، بل كانت الرسائل والمناقشات والسبّ وتهيج الكهّان لأتباعهم من العوامّ ضدّ المخالفين، وغير ذلك مما هو مذكور في كتبهم^(١٣٦).

وهذا شأن البدع، ولم يكن للإمبراطور التدخل في قضايا لا يدرك معانيها، ولا يفهم مناط الخلاف فيها، وإقحامه هو أثرٌ لتطويع النصارى عقيدة إقحام الحاكم في قضايا الدين بعد أن كانت مستقرة على تحييده، ولعل الحاكم لم يكن ليتدخل لولا الخلاف الذي كان يقضّ مضجع مملكته، وليس لأيّ من المتنازعين دليلٌ يلجأ إليه أو برهانٌ يعتمد عليه، وإنما إذا جرى نقاشٌ فكريٌّ فاللعن والتكفير هو السمة البارزة على

(١٣٢) قوانين المجامع المسكونية وخلاصة قوانين المجامع المكانية، أثناسيوس المقاري، مرجع سابق، (ص: ١٤٨-١٤٩).

(١٣٣) See: Cyril of Alexandria: The Christological Controversy, Its History, Theology, and Texts, McGuckin, John A. St, Place of publication not identified: St Vladimir'S Seminary, 2006, (P : 356-357).

(١٣٤) See: Orthodox Dogmatic Theology: A Concise Exposition, by Michael Pomazansky-T: Seraphim Rose, Platina, Calif: Saint Herman of Alaska Brotherhood, 2015, (P : 380).

(١٣٥) الحوار اللاهوتي – المداولة المسكونية بين لاهوتيين من الكنائس الأرثوذكسية والكنيسة الكاثوليكية-، أوتو موير، مرجع سابق، (ص: ٢٨).

(١٣٦) الخريستولوجي بعد مجمع خلقيدونية – الرسائل بين القديس ساويرس الأنطاكي وسرجيوس النحوي-، لاين تورانس، ترجمة: راهب من دير أنبا أنطونيوس، (ص: ١٧-٣٥).

أخلاق المتناقشين، وإن تركهم وشأنهم أشغلو الناس بالخلاف الذي لا ينتهي أو يقف عند حدٍ.

إن هذا التأييد الذي جرى من البعض يؤكد مدى انصياع النصارى للأفكار الدخيلة على العقيدة، وعدم امتثالهم بما يتغنون به من التمسك بما رسمه الآباء، وهذه نتيجة حتمية، إذ ما رسمه الآباء لم يكن سوى أفكارا تُلَقَّوْها من آراء الفلاسفة، والعقائد الوثنية، فما الذي يجعل تقريرهم مقدّمًا على غيره؟

المطلب الثالث: الجدل العقدي النصراني

إن الناظر إلى عقيدة النصارى يجد أن الوشائج بين النصارى كبيت العنكبوت، فالخلاف والجدال فيما بينهم أو مع غيرهم هي السمة الظاهرة على المنتسبين إليهم في قضايا تقتضي التسليم بها لا محالة، لا الجدل والمراء فيها، ولكن العناد الذي يتصفون به جعل النشاط الجدلي حاضرًا لدى المنتسبين إلى هذه العقيدة، فلا يخلو في زمنٍ دون زمن، بل كان مصاحبًا لهم طيلة حياتهم، ولم يكونوا يخرجون من جدالهم بعد نزاعهم بوفاقٍ يتوصلون إليه، أو هدى يسировن عليه، بل البغض والكراهية واللعن والطعن وغيرها من المعاني التي تدور في هذا الفلك هي التي تسيطر على الموقف، وتشغل الحيز بعد كل نزاع أو جدال، وما يصاحبه من كلام يتسم بالإجمال والإهمال والإغفال للحجج والبراهين، والاعتياض عن ذلك بالسلطة لتأييد رأيٍ على رأي⁽¹³⁷⁾.

فإذا كان ذلك كذلك، فقد ظهرت أساليب جديدة ومواقع جديدة في العقيدة النصرانية دعتهم إلى تغيير أساليب الجدل، فالكنيسة الشرقية لم تعد تهتم لرأي الامبراطور بعد مجمع خلقونونية، ولا يستطيع فرض رأيٍ معيّن عليهم إلا من خلال استخدام القتل أو النفي لرهبانها، ومن ثم فإن القيود التي كانت تؤثر على فرض الآراء لم تعد موجودة.

إضافةً إلى ذلك؛ فإن الدين القائم على عقول الرجال لن يصل إلى حالة من الثبات والاستقرار، بل إن العقول تتفاوت في فهم النصوص، ويظهر الخلاف، ويبرز أصحاب تضخيم المسائل والاصطلاحات، فكيف إذا كان الشيء المتناظر فيه لا أساس

(137) See: A history of Simony in the Christian Church-From the Beginning to the Death of Charlemagne (814), Dissertation Fob the Doctorate in the Ology at the Catholic University of America, Keverend N. a. Weber, S.M., S.T.L, Baltimore J. H. Furst Company, 1909, (P : 1) ; Lessons from the Adventist Pioneers in Dealing with Doctrinal Controversy,” unpublished presentation to a symposium of the Adventist Theological Society, Jerry Moon, Andrews University, 1997,(P : 16).

له سوى عقول الرجال، فإن إمكانية الاتفاق بعد ذلك متعذرة أو متعسرة، والسعي إلى ذلك عملٌ بلا جدوى، ووجود قوانين تضبط ذلك الجدل منتفية.

وظهر في الأرجاء والأنحاء دعوة جديدة لا تخضع لأي سلطان سوى سلطان الباري ﷻ مما جعل النصارى يغيرون الأساليب التي يلجأون إليها في الغالب، ولا سيما من كانوا ينتسبون إلى الكنائس الشرقية، فكانت حُججهم تتهاوى أمام براهين المسلمين فإذا هي زاهقة، قال تعالى بَلْ تَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ [الأنبياء: ١٨].

○ أولاً: الجدل بين النصارى:

ظلَّ الجدل مسيطرًا على النصارى في هذا العصر في قضايا عدة يمكن جمع أطرافها في صعيد واحد عند التقصي والاستقراء، ولم يكن حوارًا يُبرز فيه كل ما عنده من الحقائق والبراهين فيجعل خصمه عاجزًا عن الرد، بل كانت سمة الجدل هو المرء والرمي بالبدعة والهرطقة لا أقل ولا أكثر، وكان من أبرز هذه القضايا المتعلقة بالعقيدة في هذه القرون ما يأتي:

● القضية الأولى: طبيعة المسيح؟

● القضية الثانية: الإيمان بالمسيح أهو من طبيعته فقط أم من طبيعته ونعمته؟

● القضية الثالثة: هل الألم الذي شعر به المسيح وقت الصلب وقبله كان عن طريق اللاهوت أم الناسوت؟

● القضية الرابعة: هل المسيح أقنوم باعتباره إنسانًا أم لاهوتًا؟

● القضية الخامسة: هل تسمية مريم بوالدة الإله على وجه الحقيقة أم المجاز (١٣٨)؟

أما القضية الأولى وهي طبيعة المسيح فهي قضية شائكة لدى النصارى، كانت ولا زالت وستظل عندهم معضلة لن تُحلَّ ما بقوا حتى يؤمنوا بالواحد الأحد، وقد نالت حظًا من الجدل، إلا أن التطور الجديد كان يتمثل في الجدل حولها في المجامع وغيرها، والحجاج يجري بين الأساقفة عن طريق الاجتماع الذاتي البعيد عن أعين السلطة ورعايتها، أو عن طريق إرسال الرسائل التي كانت تتضمن الأسئلة والأجوبة (١٣٩)، وتطور الأمر إلى أن الجدل حولها لا يقتصر على ترك المخالفة كما كان في السابق، بل يُعتبر انسلاخًا من النصرانية جملةً وتفصيلاً، ومن ثم فإن من أراد أن يرجع عن مخالفته فإن ذلك لا يكفيهِ لأن يعود إلى النصرانية، بل يرجع إليها من

(١٣٨) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر - هونرمان، مرجع سابق، (١/١٤١).

(١٣٩) انظر: الاصطلاحان: طبيعة وأقنوم في الكنيسة الأولى، القصص: تادرس يعقوب

ملطي، كنيسة مار جرجس - اسبورتنج، الإسكندرية، (ص: ١٨)؛ لماذا ترفضون التجسد؟

الأغنسطس: حسام كمال عبد المسيح، مرجع سابق، (ص: ٣-٧)؛

خلال الطقوس المعروفة عندهم لمن يريد أن يدخل إلى النصرانية في أول حياته كالتعميد مثلاً، وهذا الأمر هو ما كان يفعله الخلقونيون في القرن السادس، حيث كانوا يرفضون الرجوع إليهم من مخالفهم غير الخلقونيين بدون التعميد حتى وإن عُمدوا قبل ذلك^(١٤٠).

فهذا التطور المتمثل في التكفير مجافٍ لمألوف النصارى عند ظهور أي هرطقة، وغلو في موقف الجميع من الخصم، ومجازفة في إطلاق الأحكام على قضايا ينكرونها اليوم ويقرّونها في الغد، ثم يعود الإقرار إلى ما كان عليه من النقص والإبطال والرفض، ويجري هذا وذلك في ظلّ علمٍ قليل وفقهٍ قليل.

وأما القضية الثانية، فالحديث عن نعمة الله التي امتنّ بها عن طريق يسوع لا يكاد النصارى يفتأون من الحديث عنها، وذكرها، وكم تكرّرت في أعمال الرسل، ومن ذلك قول بطرس: " فلماذا تُجربون الله الآن بأن تجعلوا على أعناق التلاميذ نيراً لم يقو أبائنا ولا نحن قلوبنا على حمله؟ فنحن نؤمن أننا بنعمة الرب يسوع ننال الخلاص كما ينال الخلاص هؤلاء أيضاً"^(١٤١).

وكثيراً ما يختم بولس رسائله بقوله: " وَالْآنَ أَسْتَوْدِعُكُمْ يَا إِخْوَتِي لِلَّهِ وَلِكَلِمَةِ نِعْمَتِهِ، الْقَائِرَةِ أَنْ تَبْنِيَكُمْ وَتُعْطِيَكُمْ مِيرَاثًا مَعَ جَمِيعِ الْمُقَدَّسِينَ"^(١٤٢)، فالله ﷻ -عندهم- برّ بالإنسانية خيراً عن طريق نعمته يسوع.

فهذا التطور الجديد في الخوض عن الإيمان بالمسيح لم يكن موجوداً، بل كانوا يتحدثون عنه وعن الذي جاء به في آن واحد، دون الفصل بينهما أو التخيير بينهما. ولا جرم أن يحصل نزاع بعد ذلك، إذ الحديث عن النعمة كان من اختراع بولس، فلمّا ابتدع قضية الخلاص، لم يكن له بُدٌّ من إظهار القول بنعمة المسيح، فحصل النزاع بعد ذلك في موجب تأليه المسيح أهو طبيعته اللاهوتية أم نعمة الله المتجلية في خلاص البشرية من الخطيئة عن طريق يسوع -وكلاهما من ابتداع النصارى-^(١٤٣).

وأما القضية الثالثة: هل الألم الذي شعر به المسيح وقت الصلب وقبله كان عن طريق اللاهوت أم الناسوت؟

^(١٤٠) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٥٦/١).

^(١٤١) سفر أعمال الرسل (١٥-١١/١٠).

^(١٤٢) سفر أعمال الرسل (٣٢/٢٠).

^(١٤٣) براهين تحتاج إلى تأمل في ألوهية المسيح، محمد حسن عبد الرحمن، دار الكتب الحديثة، الطبعة: الأولى، ١٩٨٩م، (ص: ٦٦-٧٦)؛ ثلاث حقائق أساسية في الإيمان المسيحي، يوسف رياض، الطبعة: السادسة، ١٩٩٩م، (ص: ٩٨)؛ الكفارة في المفهوم المسيحي، يوسف رياض، مطبعة كنيسة الأخوة، مصر، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م، (ص: ٥-٦).

وهذا تساؤل منطقي، إذ لو كان اللاهوت فهو بعيد، فكيف يصح التصوّر بالله يتألم ويناله الأذى، وإن كان الناسوت، فعلى أيّ أساس وقع الاختيار على عيسى، فهذا الأمر جعل الجدل يحتدم، والنقاش يحدّد، فرأى بعضهم أن الألم لم يقع على اللاهوت، بل أصاب الجسد الإنساني، وهو الذي نزل منه الدم، وتم فرض هذا الرأي، والحكم على المخالف بالهرطقة^(١٤٤)، وهو أيضاً من القضايا الجديدة.

لكن يثار سؤال وهو: كيف قام من الموت بعدئذٍ، وهل هناك بشر يموت ويُدفن ثم يقوم بعد ذلك من القبر ويصعد إلى السماء؟، وقد أشار بولس نفسه إلى هذا الأمر فقال: "لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: كَيْفَ يُقَامُ الْأَمْوَاتُ؟ وَيَأَيَّ جِسْمٍ يَأْتُونَ؟"^(١٤٥)، ثم أجاب عن ذلك بقوله: "يُزْرَعُ فِي هَوَانٍ وَيُقَامُ فِي مَجْدٍ. يُزْرَعُ فِي ضَعْفٍ وَيُقَامُ فِي قُوَّةٍ. يُزْرَعُ جِسْماً حَيَوَانِيّاً وَيُقَامُ جِسْماً رُوحَانِيّاً. يُوجَدُ جِسْمٌ حَيَوَانِيٌّ وَيُوجَدُ جِسْمٌ رُوحَانِيٌّ"^(١٤٦)، فالقيامة بعد الموت لأيّ شخص لا تكون بالجسد، بل بالروح، ولكن لوقا يحكي أن المسيح وقف على أصحابه الذين هربوا وتركوه ولم يبق أحد منهم بعد القبض عليه، فقال لهم وهم في تحفٍ وجزع و: "هُم يَتَكَلَّمُونَ بِهَذَا وَقَفَ يَسُوعُ نَفْسُهُ فِي وَسْطِهِمْ، وَقَالَ لَهُمْ: سَلَامٌ لَكُمْ! فَجَزَعُوا وَخَافُوا، وَظَنُّوا أَنَّهُمْ تَنْظُرُوا رُوحاً"^(١٤٧)، فخافوا وأصابهم الهلع والجزع، وظنّوا أن جيئاً أو شبحاً يقف فوق رؤوسهم، ولم يصدقوا حتى طلب منهم سمكاً وعسلًا: "فَقَالَ لَهُمْ: مَا بَالُكُمْ مُضْطَرِبِينَ، وَلِمَاذَا تَخْطُرُ أَفْكَارٌ فِي قُلُوبِكُمْ؟ أَنْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنِّي أَنَا هُوَ! جُسُونِي وَأَنْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي. وَحِينَ قَالَ هَذَا أَرَاهُمْ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ. وَبَيْنَمَا هُمْ غَيْرُ مُصَدِّقِينَ مِنَ الْفَرَحِ، وَمُنْعَجِبُونَ، قَالَ لَهُمْ: أَعِنْدَكُمْ هَهُنَا طَعَامٌ؟ فَتَأَوَّلُوهُ جُزْءًا مِنْ سَمَكٍ مَسْثُويٍّ، وَشَيْئاً مِنْ شَهْدٍ عَسَلٍ. فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ"^(١٤٨).

فها هو المسيح بينهم بجسده وروحه، ولم يقل بأنه مات أو صُلب، فمن أين جاءت فكرة الصلب سواء أكانت للابن أو للمسيح؟!

بل إن بولس نفسه -كما سبق الحديث عن سبب رجوعه إلى ديانة النصارى- لم يقل بأن عيسى ظهر له ورآه، وأكل أمامه، وقال له: تحسّني، كلّ هذا لم يحصل، فإن كان عيسى قد صُلب ورجع بعد صلبه لطلابه كما كان، فلماذا لم يظلّ ظهوره بعد ذلك

(١٤٤) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسنغر -هونرمان، مرجع سابق، (١٤١/١)؛ الصليب في المسيحية - رؤية كنسية أبائية -، الأنبا ياكوبوس، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص: ١٩).

(١٤٥) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٣٥/١٥).

(١٤٦) رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (٤٣/١٥-٤٤).

(١٤٧) إنجيل لوقا (٣٦/٢٤-٣٧).

(١٤٨) إنجيل لوقا (٣٨/٢٤-٤٣).

على غير طلابه بذات الصورة التي ظهر بها لطلابه؟
والجواب: بأن الصَّلْب لم يحصل لشخص المسيح مطلقاً، وإنما لشبهه كما أخبر القرآن فقال تعالى: وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا [النساء: ١٥٧]، وكان هذا الشبه مؤمناً به، متبعاً له، وقد فعل ذلك منه رغبة في فداء المسيح لا كما تزعم النصارى، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (لما أراد الله أن يرفع عيسى عليه السلام إلى السماء، خرج على أصحابه وهم في بيت، اثنا عشر رجلاً، ورأسه يقطر ماءً، فقال: أَيُّكُمْ يُلْقَى شَبْهِي عَلَيْهِ فَيُقْتَلْ مَكَانِي فَيَكُونُ مَعِيَ فِي دَرَجَتِي؟، فقام شابٌ مِنْ أَحدِهِمْ سَبَّأً، فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشاب، فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم الثالثة، فقال الشاب: أنا، فقال عيسى عليه السلام: نعم أنت، فألقى عليه شبه عيسى عليه السلام، ثم رُفِعَ عيسى من روضة كان في البيت إلى السماء، وجاء الطلب من اليهود، فأخذوا الشاب للشبه فقتلوه، ثم صلبوه)^(١٤٩).
وأما القضية الرابعة، فلا عجب أن يحدث النزاع حولها، فإن مصطلح الأقانيم وما يدور حولها من أشدّ المصطلحات التي يلاقيها النصارى، فلم يقدروا على فهمها، ومن ثم فإن الاتفاق حول معناها والمراد منها غير متأتّ، وكيف يكون الاتفاق على شيء لم يُتصوّر، وكلُّ مَنْ رام إيقاظ عقله لفهمه أو لمعرفة المراد منه جاءت عبارات التي تحول بينه وبين ذلك.

والحاصل: أنهم يعنون بالأقنوم الذات، أو الشخص، وهي لفظة بالسريانية^(١٥٠)، والإشكالات المتعلقة بالأقانيم كثيرة جداً^(١٥١)، وهم يقرّون بذلك، ويقول قائلهم: " لماذا نؤمن بأن الله هو في ثلاثة أقانيم؟ أليس من الأسهل أن نؤمن وببساطة بوحدة الله كما

^(١٤٩) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب: التفسير، سورة الصف، حقه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (١٠/ ٢٩٩)، برقم (١١٥٢٧).

^(١٥٠) العهد الجديد السرياني، ترجمة بين السطور - سرياني وعربي، مركز الدراسات والأبحاث المشرقية، ٢٠٠٣ م، (ص: ٣٠٣)؛ مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، القس بيشوي حلمي، دار نوبار، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٤ م، (ص: ١٢)؛ مائة سؤال يبحث عن جواب، الأستاذ: عماد حنا، هيئة الخدمة الروحية، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩ م، (ص: ٢٦-٢٧).

^(١٥١) التفسير البيضاوية المسيحية، الرسالة إلى العبرانيين، القس و. هـ. ت. جردنر وغيره، الخدمة العربية للكراسة بالإنجيل، (ص: ٢١)؛ مئة سؤال يبحث عن جواب، الأستاذ: عماد حنا، مرجع سابق، (ص: ٢٦)؛ منطق الثالوث، هنري بولاد اليسوعي، دار المشرق، بيروت، الطبعة: السادسة، ٢٠١٢ م، (ص: ٤٣-٤٤).

في أديان أخرى؟ إنه لمن الأسهل بالتأكيد، ولكن عقيدة الثالوث القدوس هنا أمامنا كتحدٍ وكصليب بالمعنى الصحيح لكلمة الصليب" (١٥٢).

فالإيمان بالأقانيم الثلاثة هي إيمان بعذاب عقلي وجسدي وروحي كحال المصلوب تمامًا، وهو في الوقت ذاته تحجر وتصلب وجمود كالمصلوب تمامًا، أمواتٌ غيرٌ أحياءٍ وَمَا يَسْغُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ [النحل: ٢١]، ومن أجل هذا جحدٌ غالبٌ النصراني هذه الديانة الخرافية التي لا يصدقها عقل، ولم يأت بها نقل، ولا تقرها الفطر السليمة أو الأذهان المستقيمة، فاتجهوا إلى الإلحاد وإنكار المسيح جملةً وتفصيلاً، وجعله خرافة لا حقيقة له (١٥٣).

ولكن النصراني يصرون على هذه الفكرة فيقول قائلهم: " لماذا -إذن- الإيمان بالله كثالوث؟ ... الله شخصي ومحبة، هذا المفهومان يفرضان المشاركة والمبادلة... لا يكون الإنسان شخصاً حقيقياً إذا كان منعزلاً ومستقلاً بذاته، بل يكون فرداً، رقمًا في إحصاء!

إن الله أفضل بكثير من الأفضل الذي نعرفه فينا. إن كانت العلاقة: أنا وأنت هي العنصر الأثمن في حياتنا الإنسانية، فلماذا لا نطبقها بطريقة ما على كيان الله الأزلي" (١٥٤).

وإن هذا التفسير الذي يؤكد ضرورة الثالوث، وافتقار الله ﷻ إلى علاقته بالأقنومين - الابن والروح القدس- كافتقار الإنسان إلى شريك لكيلا يكون منعزلاً ومستقلاً بذاته، أو رقمًا في إحصاء لمن أعجب العجائب، وهو مرفوض من جهات شتى: الأولى: أن الإنسان ليس محتاجاً لشريك ليسعد ويمرح، بل السعادة قد لا تكون إلا مع عدم وجود شريك ينعصها ويكرها.

الثاني: أن تشبيه الخالق بالمخلوق ممتنع لوجود الفرق بينهما.

الثالث: أن النصراني يثبتون الفرق من خلال تفريقهم بين عيسى المسيح وعيسى الابن، ويقولون بأن الابن صار أقنومًا باعتباره لاهوتًا لا ناسوتًا، فإن كان الخالق مثل الإنسان، فلماذا لم يكن المسيح عيسى أقنومًا باعتباره ناسوتًا إن كان الفرق بين الخالق والمخلوق منقياً وغير موجود.

وهذه هي الإشكالية التي بدأت تظهر في القرن السادس، وهي الحديث عن أي قسم من طبيعتي المسيح -اللاهوتية والناسوتية- أصبح أقنومًا بها، وعلى هذا الكلام

(١٥٢) في معرفة الله: الله ثالث، المطران: كاليستوس وير، ١٩٩٢م، (ص: ٤).

(١٥٣) انظر: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، أحمد زكي، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٩٩٥م، (ص: ٨٣-٩١).

(١٥٤) في معرفة الله: الله ثالث، المطران: كاليستوس وير، مرجع سابق، (ص: ٥).

المذكور آنفاً ينتفي هذا الإشكال جملةً وتفصيلاً. وظهر في القرن السادس من يرى استحالة كون الواحد ثلاثةً والثلاثة واحداً، لهذا رأى أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة آلهة، وثلاث طبائع، وجوهر واحد^(١٥٥)، وظهر في هذا القرن من يرى اتحاد المسيح بالله ﷻ قبل الاستقرار في أحشاء مريم^(١٥٦).

واختلاف الآراء في هذه القضية لصعوبة فهمها، ويصرّحون بذلك بلا خفاء، فيقولون: "although the doctrine remains a highly complicated area of Christian theology to this day"^(١٥٧).

ونصّ كثيرٌ منهم على استقاء هذه العقيدة من الديانات الوثنية القديمة^(١٥٨)، وحينئذ فإن الثالوث هو الباب الواسع الذي يلج منه من يريد عقيدة الوثنيين القدامى.

وأما القضية الخامسة، فقد جرى الحديث عن النزاع بين النصارى حول تسمية مريم بوالدة الإله، وقد أنكرها نسطور، وانهقد بشأنه مجمع أفسس، وقرّروا جواز تسمية مريم بوالدة الإله، ولكن سرعان ما دبّ الخلاف بين المجيزين في القرن السادس، فمنهم من قال بأن هذه التسمية هي من قبيل التكريم والتشريف، وليست على سبيل الحقيقة، وأن ما جرى إقراره في مجمع أفسس كان على هذا النحو فقط^(١٥٩).

وأما من قال بأنها على الحقيقة فاستدلّ بما جاء في لوقا في مخاطبة الملك لمريم وقوله لها: "فَإِنَّكَ أَيْضاً الْقُدُّوسُ الْمُؤَلَّدُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنُ اللَّهِ"^(١٦٠)، وما دام أنه ابن

^(١٥٥) تاريخ الأقباط، المقريري، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، (ص:٧٦)؛ مجمع خلقيدونية، إعادة فحص، -بحث تاريخي ولاهوتي-، الأب: ف. سي. صموئيل، ترجمة: عماد مورييس إسكندر-جوزيف مورييس فلتنس، (ص:٤٩٦).

^(١٥٦) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسغر -هونرمان، مرجع سابق، (١/٤٣).
^(١٥٧) Early Christian Explanations of the Trinity in Arabic in the Context of Muslim the Ology, by Sara Leila Hussein, A thesis submitted to the University of Birmingham for the degree of Doctor of Philosophy- School of Philosophy, Theology and Religion-, University of Birmingham, 2011, (P :37).

^(١٥٨) See: An Analysis of the Historical Records of Ancient Egypt; with extracts from the treatise on Egyptian Chronology of the late Professor Rask, J. C. Prichard, Kessinger Publishing, 2007, (P :285).

^(١٥٩) والدة الإله القديسة العذراء مريم - الأنبا بيشوي، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص:١٦).

^(١٦٠) إنجيل لوقا (٣٥/١).

الله وهي التي ولدته حقيقة؛ فالاسم كذلك على وجه الحقيقة لا المجاز، كذلك أيضًا بأن الذين يشار إليهم بالبنان من الآباء الرسولين قد أقرُّوا بهذا القلب على وجه الحقيقة وليس المجاز^(١٦١)، وهو لقبٌ مختَرع لم يأت له ذكرٌ في الإنجيل نصًّا، وإنما استدلوا بدليل لم يُقبل إلا بالقهر والغلبة، وإلا لما احتاجوا إلى انعقاد مجمع أفسس، ومن أجل هذا جاءت المعارضة والإنكار وقد قادهم إلى تأليه مريم ومحاذير كثيرة.

○ ثانيًا: الجدل مع المسلمين^(١٦٢):

جرى الجدل، والحجاج، والمناظرات بين المسلمين والنصارى في مسائل شتى، وقد خُصَّ المسلمون على "المناظرة والمشاورة، لاستخراج الصواب في الدنيا والآخرة، حيث يقول لمن رضي دينهم: وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ [الشورى: ٣٨]، كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة لمن عدل عن السبيل العادلة، حيث يقول أمرًا وناهيا لنبيه والمؤمنين، لبيان ما يرضاه منه ومنهم: أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ [النحل: ١٢٥]، وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَالْهَذَا وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ [العنكبوت: ٤٦].

فكان أئمة الإسلام ممثلين لأمر المليك العلام، يجادلون أهل الأهواء المضلة، حتى يردوهم إلى سواء الملة، كمجادلة ابن عباس - رضي الله عنهما - للخوارج المارقين^(١٦٣)، حتى رجع كثيرٌ منهم إلى ما خرج عنه من الدين، وكمناظرة كثيرٍ من السلف الأوَّلين لصنوف المبتدعة الماضين، ومن في قلبه ريبٌ يخالف اليقين، حتى هدى الله من شاء من البشر، وعلن الحق وظهر، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر^(١٦٤).

(١٦١) سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم العذراء، القمص: يوسف أسعد، مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرائية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٦م، (ص: ٣٦٩-٤١٠)؛ العذراء مريم والدة الإله، الأستاذة: إبريس حبيب المصري، الكنوز القبطية، ٢٠١٩م، (ص: ٦).

(١٦٢) كتب علي بن سهل الطبري كتابًا بعنوان: «الجدل الإسلامي المسيحي في القرن الثالث الهجري»، والكتاب مطبوع، وقد نشرته دار المدار الإسلامي، ولم يتسنَّ لي الوقوف عليه.

(١٦٣) طائفة من المسلمين خزجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وخلعوه؛ فقاتلهم، ثم غلب عليهم هذا المذهب، وفارقوا الطاعة، ولم يدخلوا في بيعة أحد من الأئمة والخلفاء، ولهم عدة أسماء، منها: الحرورية والشراسة والمحكمة والنجيدات وغيرها، انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، مرجع سابق، (٤٨١/٧).

(١٦٤) تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران

والناظر إلى عقيدة الإسلام، وما يعتقده النصارى يجد الفرق الواسع، والبون الشاسع بين العقيدتين، فالإسلام دين ربّانيّ يقوم على التوحيد المطلق الذي لا يقبل الشرك بأيّ حال من الأحوال، بينما العقيدة النصرانية ليست ديناً سماوياً، بل خليط من الأفكار البوليسية، والوثنية، والفلسفية، ومزيج من الأفكار التي يصعب تصوّرها، فلا يكاد يفهمها أهلها لكي يشرحوها لغيرهم، ولا يمكن للأجانب عنها قبولها بأيّ حال من الأحوال، وقد نصّ بعضهم على تحرير محلّ النزاع الخلاف فقط في مسألة طبيعة الإله^(١٦٥)، وأشار بعضهم إلى أكثر من ذلك فقال:

"that the Qur'an proposes extol-ling Jesus and his mother Mary, as Christians do, and therefore that the two religions are one in this regard. that Christians were not declared infidels for extolling Jesus and Mary, but for attributing to them things unbefitting to both the divine majesty and human lowliness, such as paternity, sonship, inhabitation, union, or that God should take consort and son"^(١٦٦).

إضافةً إلى ذلك، فإن النصارى يعترفون بالمزايا الكثيرة التي تشكّلت عندهم عن الإسلام وأهله، وانتفاء تلك المزايا لدى النصارى^(١٦٧)، ومن ثم فإنّ حصر الخلاف بين المسلمين والنصارى في طبيعة المسيح تحجيراً لواسع لا يستند إلى الدقة. فإذا كان ذلك كذلك، فإن الجدل حتميّ وسافح، وإن كان يعتريه بعض المعوّقات لضعف التصوّر عند النصارى عن الإسلام، فلم يُجمعوا أمرهم على قول واحد عن الإسلام، فهل هو هرطقة من هرطقات النصارى، أم هو فرقة منشقة عنهم، أم هو دين جديد، أم هو بدعة إنسانية أم عمل شيطانيّ، أم حملة ساخرة ضد النصارى أم منظومة فكرية معتبرة تستحق الاحترام والاهتمام والنقاش^(١٦٨)؟ وقد اعترفوا بأن الحوار مع المسلمين فيه صعوبة لما يتمتع به النصارى من

- محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم، الرياض-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م، (ص: ٤).

^(١٦٥) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سودرن، مرجع سابق، (ص: ٣٧).

^(١٦٦) Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit, (P : 124).

^(١٦٧) المرجع السابق(ص: ٤٣).

^(١٦٨) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سودرن، مرجع سابق، (ص: ٣٧).

الظلم للآخرين وعدم الموضوعية واحتقار الآخر، وذمّه، واستباحة دمه، فيقول قائلهم: "يجب علينا كمسيحيين ونحن نخطب المسلمين أن نفكر قبل كل شيء في صعوبات وعوائق الحوار مع المسلمين والتي تتعلق بنا إلى حد كبير، وإلى الظلم والجور الذي أحاط به الغرب ذو التربية المسيحية- المسلمين" (١٦٩).

وكان لهذه المناظرات فوائد في إظهار تغنّت النصارى وبحثهم عن وسائل جديدة في المناظرات ليطوّروا بذلك خطابهم لغيرهم، ودعوة الآخر عندهم إلى عقيدتهم، فمنهم من رجع عن عقيدته إلى ديانة الإسلام كما فعل علي الطبري (١٧٠)، ومنهم من ظلّ مكابراً على الباطل مصرّاً على حاله الذي هو عليه.

وقد سجّل التاريخ مناظرات عدة جرت بين المسلمين مع النصارى منذ أول وهلة التقى فيها الطرفان مع بعضهم البعض، وحصل إبداء الرأي من الطرفين، وممن ذلك: مناظرة حاطب ابن أبي بلتعة (١٧١) مع المقوقس (١٧٢) النصراني، إذ قال المقوقس عن الحرب بين النبي ﷺ وبين قومه: أنبي الله يُغلب؟! فقال حاطب:

(١٦٩) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سودرن، مرجع سابق، (ص: ١١).

(١٧٠) الكاتب أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري، كان يكتب للمازيار بن قارن فلماً أسلم على يد المعتصم قرّبه وظهر فضله بالحضرة وأدخله المتوكل في جملة ندمائه، وكان مولده ومنشؤه بطبرستان، عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، المحقق: الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة - بيروت، (ص: ٤١٤).

(١٧١) حاطب بن أبي بلتعة عمرو بن عمير اللخمي، حليف بني أسد بن عبد العزى شهد بدرًا وما بعدها، وهو الذي كان كتب إلى المشركين يعلمهم بعزم رسول الله ﷺ، على فتح مكة، فعذره رسول الله ﷺ، بما اعتذر به، ثم بعثه بعد ذلك برسالة إلى المقوقس ملك الإسكندرية، انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، مرجع سابق، (٢٣٥/١٠).

(١٧٢) المقوقس: لقب، ومعناه: المطوّل للبناء، يقال في المثل: أنا في القوس وأنت في القوقس متى نجتمع؟، واسمه: جريج بن ميني القبطي، وهو ملك مصر بعث له رسول الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة، وجبراً مولى أبي رهم بكتاب، فلم يبعد عن الإسلام، وأهدى له مارية، ويقال: وأختها سيرين، وبغلة تسمّى: الدكّل. والدلّل: القنفذ العظيم، وقد عدّه بعضهم في الصحابة، ولكن ردّه بعضهم، انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، تحقيق: محيي الدين ديب ميسو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق - دار الكلم الطيب، بيروت- دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م، (٥٠٠/٦)؛ العباب الزاخر واللباب الفاخر، الصغاني، (١٧٠/١)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (١٣٨٥ - ١٤٢٢ هـ) = (١٩٦٥ - ٢٠٠١ م)، (٣٨٨/١٦).

أنبيُّ الله يُصَلَّب؟! فُبِهَتْ المقوقسُ وسكَّتْ^(١٧٣).
وهذه المناظرات منها ما هو مترجم إلى أكثر من لغة مثل مناظرات يوحنا
الدمشقي^(١٧٤)، وأبي قَرَّة^(١٧٥)، وقد اعتبر هذان الرجلان الإسلام فرقة مسيحية
هرطوقية، ولهذا لم يصغوا إلى حقائقه فجاءت عنهم تلك الغرائب التي تدل على عدم
معرفتهم بما هيّة الإسلام^(١٧٦)^(١٧٧)، فجمعوا بين أمرين صَدَّاهم عن الحق:

^(١٧٣) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الفلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦/ ٣٤٥)؛ التراثيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، الكتاني، تحقيق: الخالدي، دار الأرقم - بيروت، الطبعة: الثانية، (١/ ١٧٦).
^(١٧٤) يوحنا الدمشقي أحد النصارى المشهورين، يلقب بدفاق الذهب لفصاحة لسانه، ولد سنة ستمائة وخمس وخمسين، وتوفي سنة سبعمائة وتسع وأربعين، انظر: كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، أسد رستم، مرجع سابق، (٧١/٢).
^(١٧٥) تضاربت آراء المستشرقين حول هذا الرجل، وخطوا فيه خطأ كبيراً، والصواب فيه أن اسمه: ثاذوروس أبو قرة أسقف حران، وكان من تلاميذ يوحنا الدمشقي، وبه تأثر، وانتحل مذهبه، عاش في سوريا وفلسطين، وكانت له صولات وجولات مع بني جنسه وغيرهم، وأكثر مناظراته مع اليعاقبة والنساطرة، والمسلمين، ولد سنة سبعمائة وأربعين، وتوفي سنة ثمانمائة وعشرين.

See: History of Christian Arabic Literature (Geschichte Der Christlichen Arabischen Literatur , Georg Graf's, Città del Vaticano, 1947, (P: 7-25); Lettre du R.P. Constantin Bacha sur un nouveau manuscrit carchouni de la Chronique de Michel le Syrien at sur Théodore Abou-Kurra, Nau, F, Journal:Revue de l'Orient chrétien, Volume:11, 1906, (P: 102-104); Compte rendu des éditions du P. Bacha, in Théologisches Revue, H. Goussen, 1906, (P: 148-150); Some unpublished Arabic Sayings attributed to Theodore AbuQurrah, in le Muséon, 1979, (P: 29-35); The Biography of Theodore Abū Qurrah Revisited, John C. Lamoreaux, Published By: Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University ,2002, Vol. 56, (P: 25-40); Theodore Abuqurra, La personne et son milieu, by Ignace Dick, (P: 209-223).

^(١٧٦) الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانيّة، العدد: ٢٩، (ص: ٤).
^(١٧٧) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٣٩)؛ الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين

الأمر الأول: استعمال العاطفة في المقارنة بين الأديان، وعدم إعمال العقل في المقارنة، وهذا يحجب الإنسان عن تمييز الحق عن الباطل، قال علي الطبري -وهو أحد النصارى المهتدين-: "فإنَّ من شأن كل ذي دين أن يفضِّل دينه بحبِّ على دين غيره، ولا سبيل إلى معرفة الأفضل من الأرذل إلا بالاختبار، ولا يكون الاختبار إلا بالعقل، ... ومن لم يستعمل العقل جهل، ومن جهل فقد ضلَّ، ومن ضلَّ فقد كفر" (١٧٨).

الأمر الثاني: أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوُّره، فيتعيَّن التصوُّر العلمي الدقيق عن الشيء الذي يتعيَّن بيانُ حكمه من حيث القبول أو الرد، وصدق الله إذ يقول تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَّابٌ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ [يونس: ٣٩]، فلَمَّا انتفى هذا الأمر عند النصارى وقعوا في ذلك كله.

وقد كانت هذه المناظرات تدور حول قضايا عدة (١٧٩)، ومن أهمها:

القضية الأولى: طبيعة المسيح (١٨٠):

تحدَّث النصارى عن وجود المسيح في القرآن، والمصادر التي استقاها الإسلام عن المسيح عليه الصلاة والسلام (١٨١)، وفي هذا يقول يوحنا الدمشقي: "إنهم يدعوننا مشركين لأننا -كما يقولون- نُشيع إلى جانب الله شريكاً له، عندما نقول بأن المسيح هو ابن الله، وأنه الله.

فنقول نحن لهم: هذا ما نقله إلينا الأنبياء، والكتاب المقدس، وأنتم أيضاً تقبلون بالأنبياء كما تجزمون، وإذا ما قلنا نحن خطأ بأن المسيح هو ابن الله، فهم من علمونا ذلك،

الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانية، العدد: ٢٩، (ص: ٤).

(١٧٨) الرد على أصناف النصارى، مرجع سابق، (ص: ٤٣).

(179) See: Manuel II. Palaiologos Muslim, Kementerte griechisch deutsche Textasate vas, Karl Förstel, Paris, 1966, (P : 138-213) ; The early Christian-Muslim dialogue : a collection of documents from the first three Islamic centuries (632-900 a.D.) : translations with commentary, N. A. Newman, Interdisciplinary Biblical Research Institute, Hatfield, Pennsylvania, 1993, (P : 144-152).

(180) Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit, (P : 124).

(١٨١) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص: ٤١-٤٢)؛ الهرطقة المائة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٤٩-٥٠).

ومن نقلوه إلينا. ويقول بعضهم بأننا أضفنا ذلك على الأنبياء في تفسيرنا لأقوالهم بطريقة رمزية، وآخرون بأن العبرانيين أغوونا عن حقدٍ منهم في إسناد هذه النصوص إلى الأنبياء بغية تضليلنا.

فنقول لهم من جديد: أنتم القائلون بأن المسيح هو كلمة الله وروحه، لم تُهينونا كمشركين؟

فالكلمة والروح هما غير منفصلين عمن يكونان فيه بالطبيعة، وإذا ما كان المسيح في الله من ثم على أنه كلمة الله، فيكون هو أيضاً الله بالتأكيد. أما إذا كان خارج الله فيكون الله بدون كلمة، وبدون روح حسب رأيكم، وهكذا تشوّهون الله في تحاشيكم إشراك أحدٍ بالله، وكان الأحرى بكم فعلاً أن تقولوا بأن له شريكاً من أن تشوّهوه جاعلين إياه شبيهاً بحجرٍ أو خشبٍ أو شيءٍ ما من الجوامد الفاقدة الحسّ، ولأجل ذلك أنتم تنطقون بالكاذب عندما تدعوننا مشركين، ونحن ندعوكم بالمقابل مشوّهي الله^(١٨٢).

وهذا الكلام ينتظم في الاستدلال بصحة النصرانية التي طوّرها النصارى طيلة سبعة قرون بما جاء في القرآن، وهو أمر غير معقول ولا مقبول، إذ كيف يشهد القرآن بصحة ما هم عليه ثم يحكم بكفرهم للفعل ذاته، ولكن كُتِبَ النصارى منذ القدم يحاولون التمسك بهذه الحجة، ويظنون أنها تقطع المكالمة مع الخصم، وتُلزِمه الحجة، فيدندنون بهذا المعنى ولكن بطرقٍ شتى وأساليب مختلفة^(١٨٣)، ويكتفون بقول القائل:

"When we advance one part of the Qur'ān in argument, we are not bound by the rest of it"⁽¹⁸⁴⁾.

ومثل هذه الكلمات التي يظن قائلها أنها قضايا وجوبية تُلزم المسلمين. ثم إن ما يذكرونه غير صحيح، فالاستدلال بكونه روح من الله أنه من ذات الله^(١٨٥)

^(١٨٢) الهرطقة المائة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٥٣-٥٤).

⁽¹⁸³⁾ See: An Arabic account of Theodore Abu Qurra in debate at the court of caliph al-Ma'mun : study in early Christian and Muslim literary dialogues, David Bertaina, PhD diss, Catholic University of America, 2007 ,(P : 397); The Melkites and the Muslims: The Qur'ān, Christology, and Arab Orthodoxy, Sidney H. Griffith, February 2013 Al-Qantara 33,(P : 413-443).

⁽¹⁸⁴⁾ Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfī-, op. cit,(P : 123).

⁽¹⁸⁵⁾ See: John of Damascus on Islam: The Heresy of the Ishmaelites,

مردودٌ، وذلك أن الإضافة إلى الله إضافة تشريف، لا إضافة بعضية وجزئية كما تقول النصارى، وقد يكون أضيف إلى الله لكون النفخ سبباً في وجود الروح كما قال ﷺ عن آدم عليه الصلاة والسلام: فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ [الحجر: ٢٩]، فهل سنقول النصارى في آدم ما نقوله في المسيح؟

ومن المناظرات حول طبيعة المسيح في القرن الثامن، واستدلال النصارى بهذه الشبهة ما جاء من أحد النصارى مع أحد خلفاء المسلمين، حيث قال النصراني: في كتابكم القرآن حجة على ما أنتحلّه من دين النصارى، وهو قوله تعالى: يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلَّمْتُهُ آَلَفَاها إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ [النساء: ١٧١]، فهذا نص في أن المسيح جزء من الله، فدعا الخليفة أهل العلم، فأجاب على النصراني أحدُهم وقال: إن الله ﷻ يقول: وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [الجن: ١٣]، فإن كان قوله: رُوحٌ مِنْهُ يُوجب أن عيسى بعضٌ منه، وجب أن يكون ما في السماوات وما في الأرض بعضاً منه؛ فانقطع النصراني، وأسلم^(١٨٦).

وقال الكندي^(١٨٧): "ألا تعلم أن الواحد لا يُقال له واحداً إلا على ثلاثة أوجه: إمّا في الجنس، وإمّا في النوع، وإمّا في العدد. ولست أرى أحداً يدعي غير هذا، أو يقدر أن يجد غير هذه الأوجه الثلاثة.

Daniel J. Sahas, Leiden: Brill, 1972, (P : 132-133).

^(١٨٦) الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، (٩٧/١١)، (٩٨).

^(١٨٧) عبد المسيح بن إسحاق الكندي، عاش في زمن المأمون، وكتب كتابات عدة، دافع فيها عن النصرانية، وحط من الديانات الأخرى، ولا يُعرف له أكثر من هذا، وقد أنكر ما تُنسب إليه من كتابات غير واحد من النصارى لجهالة شخص الكاتب.

See: Freethinkers of medieval Islam : Ibn al-Rawāndī, Abū Bakr al-Rāzī and their impact on Islamic thought, by Stroumsa, Sarah, Publisher Leiden ; Boston : Brill, 1999, (P :193) ; Anthology of Arabic Discourse on Translation-The Letter of 'Abdullah al-Hashimi to 'Abd al-Masih al-Kindi, Inviting him to Islam, and al-Kindi's Response, Inviting al-Hashimi to Christianity (ninth–eleventh centuries), By 'Abdullah al-Hashimi, 'Abd al-Masih al-Kindi, ImprintRoutledge, Edition1st Edition, 2021, (P :61).



فعلى أي وجه تصف الله - جلّ وعزّ - واحداً من هذه الوجوه التي ذكرتها لك، أفي الجنس، أم في النوع، أم في العدد؟
فإن قلت: إنه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لأنواع شتى؛ لأن حكم الواحد في الجنس هو الذي يضم أنواعاً كثيرة مختلفة، وذلك مما لا يجوز في الله.
وإن قلت: إنه واحد في النوع، صار ذلك نوعاً عاماً لأقانيم شتى، لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة في العدد.

وإن قلت: إنه واحد في العدد، كان ذلك نقضاً لكلامك أنه واحد فرد صمد، لأنه لو سألك سائل عن نفسك: كم أنت؟ لا تقدر أن تجيبه أنك واحد فرد. فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تُفصلُ إلهك عن سائر خلقه؟

وليتك - مع وصفك إياه بالعدد - كنت وصفته أيضاً بالتبعض والنقصان.
أترأى لا تعلم، أنت الرجل الذي فتشت الكتب وقرأتها، وناظرت أهل الملل المختلفة، وفهمت اعتقاداتهم، أن الواحد الفرد بعض العدد، لأن كمال العدد ما عم جميع أنواع العدد، فالواحد بعض العدد.
وهذا نقض لكلامك^(١٨٨).

والجواب عن هذا - الذي ذكره - من وجوه كثيرة، سأكتفي بوجهين ذكرهما من كان نصرانياً فأسلم، وإلا فالأجوبة عنه كثيرة^(١٨٩).

أولاً: لم يجب عن الإشكالات التي وُجّهت إليه في مسألة التثليث عندهم، وحاد عنها إلى هذه التفسيرات التي رأى أنها ملزمة لخصمه ودافعة عنه استشكالاته حول التثليث وليس كذلك، بل يعاد ويقال: إن كان هؤلاء الثلاثة: الأب والابن وروح القدس متساوين في العلم والقدرة والحكمة، فإن ما زاد عن الواحد غير محتاج إليه في المخلوقات، فكيف بالآلهة، وإن كانوا متفاضلين، فالمفضل فيه نقص، والناقص لا يجوز أن يكون إلهاً^(١٩٠).

ثانياً: مخالفة هذا التثليث لنصوص الكتاب المقدس، ولا يمكن دخولها تحت الحصر والعِدْ لكثرتها، ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج: "أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمْنَالاً مَنُحَوْتاً، وَلَا صُورَةً مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي

^(١٨٨) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص: ٤١-٤٢).

^(١٨٩) كتب أبو الثناء الألوسي كتاباً في الرد عليها بعنوان: «الجواب الفسيح، لما لفته عبد المسيح»، والكتاب مطبوع، ونشرته أكثر من دار للنشر.

^(١٩٠) النصيحة الإيمانية في الإيمان فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى، تحقيق: محمد عبد الله الشرقاوي، مطبعة دار التأليف، ١٩٨٦-١٤٠٦م، (ص: ٦٣-٦٤).

الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهَكَ إِلَهٌ غَيْرٌ" (١٩١)، فَمَنْ كَفَرَ بِهَذَا الْكَلَامِ، وَرَدَّهْ جَمْلَةً وَتَفْصِيلاً، وَجَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى، مَعَ وَرُودِ النَّهْيِ عَنْهُ، وَقَدْ افْتَتَحَ مَتَّى إِنْجِيلَهُ بِقَوْلِهِ: "كِتَابُ مِيلَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ" (١٩٢)، فَهَذَا إِقْرَارُ بَأَنِ يَسُوعَ حَدَثَ، وَالْحَادِثُ مَتَوَلَّدُ، وَاللَّهُ ﷻ مُحْدِثُ كُلِّ حَدَثٍ.

وقد سبق من كلام يسوع ما يدل على عبادته لرَبِّه، وأنه لا يتصرَّف من تلقاء نفسه بل تبعٌ لمراد مَنْ أرسله، فإن قالوا: لكن المسيح قد بيَّن في مواضع أخرى بأنه خالقٌ أزلِيٌّ؟

قلنا: هذا تناقض، فكيف يُثبت أنه خالقٌ مَرَّةً، وأنه مخلوقٌ، وكيف يستقيم أن يخبر بأنه يتحرَّك ضمن إرادة غيره، ثم يكون هذا الغير هو ذات المسيح، فهل صدق المسيح في كونه مربوباً أم في كونه رباً، وهل صدق في كونه خالقاً أم في كونه مخلوقاً، وهل صدق في كونه مرسلأ أم في كونه مرسلأ فإن قالوا: صدق في بعض دون بعض، فقد كفروا به، وإن قالوا كان محققاً في بعض دون بعض فالحكم نفسه (١٩٣).

القضية الثانية: عبادة الأوثان عند النصارى:

جاء الإسلام، وحَرَّمَ التماثيل، ولكن النصارى جعلوا من الحجارة والأشجار والثياب والأخشاب تماثيل يقدِّسونها ويتقربون إليها بشئى أنواع القربات، ويمارسون معها طقوساً عجيبة (١٩٤)، وسيأتي الحديث عن اختلافهم فيما بينهم عن هذه الأمور، إلا أنهم فوجئوا في بداية اصطدامهم بالمسلمين بتحريم المسلمين لهذه الأوثان، فبدأوا يبتكرون طريقة لإقناع المسلمين بصحة نظريتهم تجاه هذه الأوثان، والاحتجاج لها، فيقول يوحنا الدمشقي: "ويتهموننا أيضاً بعبادة الأوثان لأننا نسجد أمام الصليب الذي يستفظعون. فنقول لهم عندئذٍ: لماذا إذا تحتكُون بحَجَرٍ كعبتكم هذا، وتحبُّون الحَجَرَ حتى معانقته؟"

فيقول بعضهم: إن إبراهيم قد جامع هاجر عليه، وآخرون: إنه قد ربط الناقة به عند تضحيتِه بإسحاق (١٩٥).

وهذا الكلام مرفوض، فمساواة الأحجار والقماش والأخشاب وما يُفعل معها من سجد

(١٩١) سفر الخروج (٢٠/٥).

(١٩٢) إنجيل متى (١/١).

(١٩٣) الرد على أصناف النصارى، علي بن ربن الطبري، مرجع سابق، (ص: ٥٠-٥١).

(١٩٤) النصيحة الإيمانية في الإيمان فضيحة الملة النصرانية، نصر بن يحيى بن عيسى، مرجع سابق، (ص: ٧٤-٧٥).

(١٩٥) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٥٤-٥٥).

لها، ومن ممارسة تلك الطقوس، وكل كنيسة تتخذ لها حجراً معيّناً، وكل راهب يتخذ لها خشباً معيّناً، مع أنهم يعترفون بأنه لا وجود لدليل يدل على فعلهم ذلك، ومن أجل هذا حصل بينهم ما حصل كما سيأتي إيضاحه، وأما ما ذكره عن إبراهيم وهاجر فمن مخيلته، ولم يذكره أحدٌ من المسلمين.

وقال الكندي: "والصليب ممثّل هذه النعمة نُصّب أعيننا، بحثنا على شكر المنعم بها، وإليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا إلى الخشب وغيره مما تُصنع منه الصُّلبان. ولو كنّا نعظم الخشب كما توهّمَت لما اتخذنا الصليب من غيره، ولكننا نتخذ من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها، ونخطه خطاً، ونرسمه بإيماننا، وذلك دليل على أننا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تُتخذ منها الصُّلبان، بل من هو ممثّل بالصليب" (١٩٦).

فالتعظيم عندهم لا لذات الحجر، وإنما للمعنى الذي حصل على ذلك الحجر، وهو الفداء، وهنا لقائل أن يقول: إن كان للمعنى الذي حصل على الحجر وهو الفداء، فإن الفداء وقع من عيسى بأحد أمرين: إما أنه وقع بإرادة من عيسى أو بغير إرادته. فإن كان بإرادته، فلماذا البكاء والعويل على شيء سألته وناله؟

وإن كان بغير إرادته كما يظهر في لوقا أن عيسى عليه الصلاة والسلام قال: "يَا أَبَتَاهُ، إِنَّ شَيْئاً أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَاسُ" (١٩٧)، وفي متى: "نَحْوَ السَّاعَةِ الثَّاسَةِ صَرَخَ يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً: «إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَا شَبَقْتَنِي؟» أَي: إِلَهِي، إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (١٩٨)، فكيف يوصف بالألوهية من تمكّن منه أعداؤه وقتلوه وصلبوه كما تقول النصارى، وهل يمكن أن يكون الإله مغلوباً من أعدائه؟، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، وصدق الله: وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِّصْرَ لَا مِرَاءَ أَكْرَمِي مَنَوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ [يوسف: ٢١].

القضية الثالثة: إنكار نبوة النبي ﷺ:

شكّلت دعوة النبي ﷺ حدثاً مهماً في تاريخ الكنيسة، إذ وجدوا دعوة لا يستطيعون أن يرفضوا عليها شيئاً مما كانوا يتمتعون به ضدّ مخالفهم، فحاولوا وأدّ دعوته عسكرياً وفكرياً فلم ينجحوا، وحينئذ لجؤوا إلى الجدل مع المسلمين مباشرة، وتدوين تلك المناظرات التي كانت تجري بينهم وبين المسلمين، وسعوا إلى تطوير

(١٩٦) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص: ١٠٣).

(١٩٧) إنجيل لوقا (٤٢/٢٢).

(١٩٨) إنجيل متى (٢٧/٤٦).

أساليبهم في المناظرات التي كانت تتسم باللعن وفرض الرأي بالقوة، وإلزام المخالف بالرجوع من خلال الضغط عليه بالحرمان من منصبه إذا استمر على رأيه الذي يخالف فيه ما تقره الكنيسة من تعاليم.

لقد طوّر النصارى لغتهم مع المخالف الجديد؛ لكونها لا تجدي نفعاً مع المسلمين مطلقاً، فالمسلمون يتمتعون بدين يدخل الناس فيه أفواجا لموافقته فطرهم، وعقولهم، وذلك أنهم يدعون التمسك بقول المسيح: " أَقُولُ لَكُمْ: أَجْبُوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لِأَعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسَيِّئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الْأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الْأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ" (١٩٩).

ولكنهم يتناسون هذه الكلمات مع أبناء قومهم وملتهم، ويحاولون التمسك بها مع غيرهم متى ما كان الضعف مصاحباً وملازماً لهم، فإذا لاحت لهم القوة من أي مكان رجعوا إلى القسوة التي لا يستطيعون التعامل بغيرها، ولهذا تظهر عليهم في مواطن كقول الكندي: "ولا يختفي على متدبره ومتعقبه أنه كلام سرق من موضعين مختلفين، أعني: التوراة والإنجيل. وإن أقررت كل واحد من هذين الحكمين وأدعيتيه، فلا يدعك أصحابهما، لأنهم ورثوه فصار في أيديهم حقاً مسلماً لهم، ويقولون لك إنك متعدي ظالم تروم أخذ إرثنا من أيدينا، مع إقرارك أنت أنه لنا. فإن حاولت أخذه فأنت غاصب لا حق لك، بل آتينا أنت بما في يدك وعندك مما ليس في أيدينا ولا عندنا، لنعلم أنك صادق في ادعائك" (٢٠٠).

فيرى أن الحديث عن شريعة من كان قبلنا سرقة، مع أن الآية كانت تتحدث عن التوراة وليس الإنجيل، بينما قول عيسى عليه الصلاة والسلام: "لَا تَنْظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نَقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغِيرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ" (٢٠١)، فهذا الذي ذكره بأنه متبع لكل شيء لم يقع عليه الوصف الذي ذكره لغير عيسى، بينما من ذكره على سبيل الحكاية لا على سبيل الإقرار أو الإنكار أنزل عليه ذلك الوصف، ازدواجية غريبة.

(١٩٩) إنجيل متى (٥: ٤٥-٤٦).

(٢٠٠) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص: ٤١-٤٢).

(٢٠١) إنجيل متى (١٩: ١٧).

فتنوعت أقوالهم وأفكارهم التي لم تتسم بالدقة، بل كانت مجرد تسويد صفحات، وتكثير كلمات، وغالبها يصدق القول عليها بأنها خبط عشواء وسير في ظلمات، ومن ذلك قول يوحنا الدمشقي: " وبعد أن تسلل للنوايا الطيبة للناس، بإظهاره تقوى مزعومة، قام بإدعاء أن كتاباً معيناً أرسل إليه من السماء وحياً من الله. وفي إنشائه لبعض المعتقدات المثيرة للضحك في كتابه، والتي لا تستحق سوى السخرية"^(٢٠٢)، فليت شعري أي العقيدتين أحق بالسخرية، عقيدة واضحة ومفهومة توافق الفطر السليمة وتقبلها العقول المستقيمة، وكيف توصل إلى القول بأن العقيدة الإسلامية تستحق السخرية وهو الفقير فيها، صاحب البضاعة المزجاة، ولا أدل على ذلك من المواطن الكثيرة التي يذكرها عن الإسلام وأهله، ولا تمت إلى الإسلام بأي صلة^(٢٠٣). ومن هذا قول الكندي: "إلى أن كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوجها إياها، للسبب الذي تعرفه. فلما قوته بمالها نازعته نفسه إلى أن يدعي الملك والترؤس على عشيرته وأهل بلده، فلم يتبعه عليه إلا قليل من الناس. فعندما يئس مما سؤلت له نفسه ادعى النبوة، وأنه رسول مبعوث من رب العالمين، فدخل عليهم من باب لطيف لا يعرفون عاقبته ما هي، ولا يفهمون كيف امتحان مثله، ولا ما يعود عليهم من ضرر منه، وإنما هم قوم عرب أصحاب بدو لم يفهموا شروط الرسالة، ولم يعرفوا علامات النبوة، لأنه لم يُبعث فيهم نبي قط"^(٢٠٤).

والجواب عن هذا كله، بأن النصارى انقسموا قسمين، فكثير منهم بادر إلى الدخول في الإسلام، فإن كان العرب لا يميزون النبوة وعلاماتها لكونهم لم يُبعث إليهم نبي قط، فماذا عن النصارى الذين دخلوا في دين الإسلام أفواجا؟ وما هي علامات النبوة التي تجب معرفتها، فهذا أبو قرة يقول: "إن قصدنا في كتابنا هذا أن نثبت ديننا من العقل وليس من الكتب، ونقول: إنه من قبل تثبيت العقل لم يكن عندنا موسى مقبولا أنه من عند الله، ولا ما جاء به غيره، وذلك لما أتوا به من النقصان والخلاف بما علمتنا طبيعتنا، فلسنا نقبل من وجه العقل ديناً من عند الله إلا الإنجيل وحده، لما ذكرنا من التمام والصواب الذي أتى به. فأما من وجه آخر، فإننا نقبل موسى والأنبياء وحدهم أنهم من الله، وذلك حيث عرفنا أن الإنجيل من عند الله، وقبلناه، وصدقنا جميع ما فيه، أخبرنا الإنجيل أن موسى والأنبياء المسمين في العتيقة، من الله بُعثوا، فصدقناهم وقبلناهم"^(٢٠٥).

^(٢٠٢) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٥١-٥٢).

^(٢٠٣) الهرطقة المئة، يوحنا الدمشقي (ص: ٤٥).

^(٢٠٤) رد عبد المسيح بن إسحاق الكندي على رسالة عبد الله إسماعيل الهاشمي مع تعليقات ويليام موير، (ص: ٥٠).

^(٢٠٥) ميمر في وجود الخالق والدين القويم، ثاودورس أبو قرة، تحقيق: اغناطيوس ديك،

إن الناظر إلى هذا الكلام لا يحتاج فيه سوى غدوة أو روحة فإذا به يجعله أحاديث، ويمزّقه كلّ ممزّق، وذلك من وجوه عدة أقتصر على ما يأتي:
جعل أبو قرّة علامات النبوة لدى موسى غير كافية للتصديق بنبوّته وأناطها بإنجيل عيسى عليه الصلاة والسلام، وهذا غريب، إذ كيف يتوقف التصديق بالموجود على شهادة المعدم، وهل كان نعمة إنجيل في عهد موسى عليه الصلاة والسلام.
وإن وقع هذا على نبوة موسى فلماذا لا تقع على نبوة عيسى، فتفتقر صحتها على شهادة الرسالة التي تتلوها، وهكذا حتى ندخل في التسلسل.
وإن كانت المعجزات التي وقعت من عيسى جعلت غيره يصدّق بنبوّته، فلماذا لا تكون معجزات غيره أيضًا شاهدة بنفسها على نبوة النبي الذي جاء بها.
أما إن كانت المسألة منوطة بالتحكم، فالتحكم لا يعجز عنه أحد.
والحاصل: أن قول من قال بأن العرب لم يعرفوا علامات النبوة حتى يعرفوا صدق دعوة النبي ﷺ غير صحيح، وغير مطرد عندهم.

وقد كان هناك إقبالٌ على الإسلام وتعاليمه والانبهار بعقيدته وشريعته، وهذا ما يعبر عنه أحد النصارى في القرن التاسع فيقول: "إن المسيحيين يحبّون قراءة قصائد العرب ورواياتهم، ويدرسون علماء الدين والفلاسفة العرب، لا بقصد مجادلتهم، وإنما لاكتساب لغة عربية صحيحة ورشيقة. وأين هو الشخص العادي الذي يقرأ دراسات الكتاب المقدس باللاتينية، أو يدرس سير الأنبياء والقديسين؟ يا للخسارة، إن جميع الشباب المسيحيين الموهوبين يقرؤون الكتب العربية ويدرسونها بحماس، يجمعون مكتبات هائلة بتكلفة ضخمة، ويحتقرون الآداب المسيحية كونها غير جديرة بالاهتمام. لقد نسوا لغتهم هم...، حتى إنه مقابل كل من يستطيع كتابة خطاب باللاتينية لصديق، يوجد ألف يستطيعون التعبير عن أنفسهم بلغة عربية أنيقة" (٢٠٦).

ثم ماذا عن القول باتفاق الرسلتين في قضايا عدة، فهل هذا العداء للإسلام وأهله لأنهم لم يقولوا بتعدد الآلهة كما تقول النصارى، وهل هذا النفي للتعدد مقصور على دين الإسلام؟ أم أن جميع الديانات السماوية تحاربه، بما في ذلك النصارى الذين تعجّبوا من القول به عند ظهوره في القرن الرابع، ولكن كلام لا يعي صاحبه ما يخرج من رأسه.

وإضافةً إلى ذلك، فإن الجهل الذي كان يعترهم كما بيّنّا، وعدم فهم الإسلام من

المكتبة البولسية، لبنان، ١٩٨٢م، (ص: ١٤٣).
(٢٠٦) صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، ريتشارد سودرن، مرجع سابق، (ص: ٥٨).

مصادره جعلهم يقعون في هذه المزالق كلها، ولهذا كانوا يقولون كلاماً لا يعرف الإنسان من أين مصدره وكيف استقى ذلك، ولا أدلّ على ذلك من قول يوحنا الدمشقي: "توجد أيضاً السورة التي تتحدث عن ناقة الله. فبشأنها يقول إن ناقة أرسلها الله وإنها شربت النهر كله فلم تستطع من ثم العبور في ما بين جبلين لانعدام المسافة الكافية لذلك. وكان ثمة قوم في ذلك الموقع كما يقول: وفي أحد الأيام شرب هو من الماء ثم تبعته الناقة. وعندما شربت الماء صارت تغذّهم باللبن بدلاً من الماء، أما هؤلاء الرجال فكانوا خبثاء في رأيه إذ قاموا وقتلوا الناقة. والحال أن كان لديها ناقة صغيرة صرخت إلى الله بعد موت والدتها بحسب زعمه والله أخذها إلى جواره"^(٢٠٧). وهذا الكلام غير مذكور في أي آية من آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن قصة صالح عليه السلام مع قومه، إلخ ما قصّه الله في القرآن عنه وعن قومه، ولخصّ أحدُ كُتّاب النصراري سبب الخلاف قائلًا:

"of Islam's superiority over other confessions and religions," namely, that Muslims honor all of God's envoys. Thus, even if Christian claims about Jesus were true, the Muslims would still be in a better position, since at least they speak approvingly of him, whereas the Christians accuse Muhammad of lying and debauchery, and of shedding blood without God's permission"⁽²⁰⁸⁾.

المطلب الرابع: نيل الدرجات الكهنوتية بالمال (السيمونية)

لما كانت المسؤولية الملقاة على الكهنة كبيرة في نظر النصراري، فهو يتحمّل قيادة الكنيسة، ويصبر على الأذى الذي قد يأتيه من الداخل أو الخارج، ومن ثم فقد وضع بولس شروطاً كثيرة لنيل درجة الكهنوت، بحيث يكون صالحاً لتعليم العقيدة النصرانية البولييسية، مبتعداً عن المجاهرة بالكبائر أو الإدمان لفعلها، كثير الحلم والصفح، فلا يذهب إلى عقوبة منحرف إلا بعد التنبيه والتقويم وفهم سبب المخالفة. إضافةً إلى تلك الشروط: يتعيّن عليه أن يكون زاهداً في الأموال التي تأتي إلى الكنيسة أو الأموال التي تأتي من الناس عند ممارسة كهنوتيته، فيكون المال الذي يكتسبه وسيلة له لخدمة الناس، وإعالة المحتاجين، ولا يهتم بوجوده أو عدمه، وهذا الشرط المتعلق بالمال لكونه أصل كل الشرور، فكيف يليق بالأسقف أن يملك قلبه

^(٢٠٧) الهرطقة المائة، يوحنا الدمشقي، (ص: ٥٧-٥٨).

⁽²⁰⁸⁾ Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfi-, op. cit, (P : 124).

حبُّ المال والسعي وراءه، فيقتدي به الناس في الشر، فيخالف بذلك الأصل الذي ينبغي أن يكون عليه وهو الاقتداء به في الخير، يقول بولس: " إِنْ ابْتَغَى أَحَدُ الْأُسْفُفِيَّةَ، فَيَسْتَهْيِ عَمَلًا صَالِحًا. فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْفُفُ بِلَا لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِبًا، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيًّا لِلْعُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، غَيْرَ مُدْمِنٍ الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَّابٍ، وَلَا طَامِعٍ بِالرَّبْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ خَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلَا مُحِبٍّ لِلْمَالِ، يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا، لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. وَإِنَّمَا، إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَتَعَنَّى بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟ غَيْرَ حَدِيثِ الْإِيمَانِ لِنَلَّا يَتَصَلَّفَ فَيَسْفُطَ فِي دَيْئُونَةِ إِبْلِيسَ. وَيَجِبُ أَيْضًا أَنْ تَكُونَ لَهُ شَهَادَةٌ حَسَنَةٌ مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ، لِنَلَّا يَسْفُطَ فِي تَغْيِيرِ وَفَحٍ إِبْلِيسَ... وَلَا طَامِعِينَ بِالرَّبْحِ الْقَبِيحِ" (٢٠٩).

ولكن هذا الأمر مع مرور الزمن وتطول العمر، وتدفع الأموال الطائلة إلى الكنيسة، والثراء الذي أصبح ظاهرًا لكل أحد من الكهّان جعل الناس يتنافسون على نيل درجة الكهنوت ابتغاء الدنيا والعيش في ظل النعمة الوارفة التي يعيشها الكهّان، وتبديلهم لأي شيء لقاء لعاعة من الدنيا وحطامها، دفع كثير من الناس إلى التطلع للعيش الوارف الذي عليه الكهّان (٢١٠).

وكعادتهم في التبديل لكل شيء، وطمس معالم دينهم لقاء مصلحة دنيوية على حد قول بعضهم (٢١١): "Christian Rules Violate Jesus' Lessons"، فظهر بعد ذلك ما اصطلح عليه المترجمون بقولهم: ((السيمونية)) (٢١٢)، وهي دفع الأموال الطائلة لنيل الدرجة الكهنوتية، ويُنسب هذا الاصطلاح إلى سيمون وهو اسم عبراني معناه: السامع (٢١٣)، وقد وردت قصته في أعمال الرسل، "وَكَانَ قَبْلًا فِي الْمَدِينَةِ رَجُلٌ اسْمُهُ سِيمُونُ، يَسْتَعْمِلُ السِّحْرَ وَيُدْهَشُ شَعْبَ السَّامِرَةِ، قَائِلًا إِنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ! وَكَانَ الْجَمِيعُ يَتَّبِعُونَهُ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ قَائِلِينَ: هَذَا هُوَ قُوَّةُ اللَّهِ الْعَظِيمَةِ. وَكَانُوا يَتَّبِعُونَهُ

(٢٠٩) رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس (١/٣-٨).

(210) See: Der Ostgotenkönig Theoderich Der Grosse Und Die Katholische Kirche, by Georg Pfeilschifter, Munster, 1896, (P : 172-173); The Book of Memory: A Study of Memory in Medieval Culture (Cambridge Studies in Medieval Literature, Series Number 70), by Mary Carruthers Cambridge University Press, New York, 1990, (P : 190-191).

(211) Christian Controversies: Seeking the Truth, Scott S. Haraburda, Spencer, Indiana, 2013, (P : 37).

(٢١٢) قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، مرجع سابق، (ص: ٣٩).

(٢١٣) قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبد الملك وآخرون، مرجع سابق، (ص: ٣٩).

لِكُونِهِمْ قَدْ اُنْذَهَشُوا زَمَانًا طَوِيلًا بِسَحْرِهِ. وَلَكِنْ لَمَّا صَدَّقُوا فِيلُبُّسَ وَهُوَ يُبَشِّرُ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَصَّةِ بِمَلَكُوتِ اللَّهِ وَبِاسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، اعْتَمَدُوا رَجَالًا وَنِسَاءً. وَسَيَمُونُ أَيْضًا نَفْسَهُ آمَنَ. وَلَمَّا اعْتَمَدَ كَانَ يُلَازِمُ فِيلِبُّسَ، وَإِذْ رَأَى آيَاتٍ وَقُوَاتٍ عَظِيمَةً تُجْرَى اُنْذَهَشَ. وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللَّهِ أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَبُوحَنَّا الَّذِينَ لَمَّا نَزَلَا صَلَبًا لِأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ - غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. حِينَئِذٍ وَضَعَا الْيَدَيِ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. وَلَمَّا رَأَى سَيَمُونُ أَنَّهُ بَوَضَعَ أَيْدِي الرُّسُلِ يُعْطَى الرُّوحُ الْقُدُسُ قَدَّمَ لَهُمَا دَرَاهِمَ. قَائِلًا: أَعْطِيَانِي أَنَا أَيْضًا هَذَا السُّلْطَانَ حَتَّى أَتِي مَنْ وَضَعَتْ عَلَيْهِ يَدَيَّ يَقْبَلُ الرُّوحَ الْقُدُسَ. فَقَالَ لَهُ بُطْرُسُ: لِيَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلَاكِ لِأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنَّ تَقْتَنِي مَوْهَبَةَ اللَّهِ بِدَرَاهِمَ. لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلَا قُرْعَةٌ فِي هَذَا الْأَمْرِ لِأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ اللَّهِ. فَتُبَّ مِنْ شَرِّكَ هَذَا وَاطْلُبْ إِلَى اللَّهِ عَسَى أَنْ يُعْفَرَ لَكَ فِكْرُ قَلْبِكَ. لِأَنِّي أَرَاكَ فِي مَرَارَةِ الْمُرِّ وَرِبَاطِ الظُّلْمِ. فَأَجَابَ سَيَمُونُ: اطْلُبَا أَنْتُمَا إِلَى الرَّبِّ مِنْ أَجْلِي لِكَيْ لَا يَأْتِيَ عَلَيَّ شَيْءٌ مِمَّا ذَكَرْتُمَا^(٢١٤).

وقد أخذت هذه البدعة في الانتشار في القرن السادس وعصفت بالكنيسة عصفًا^(٢١٥)، ومن ثم فإن القول بأن هذه البدعة نشأت في عهد انتشار الإسلام وقيام دولتهم وما فرضوه على الكنيسة من أموال^(٢١٦) مرفوض من جهات عدة:

الجهة الأولى: أن هذا الأمر ينافي المصادر الأخرى التي دلت على وجود هذه البدعة في القرن السادس الذي لم يكن فيه للإسلام يومئذ دولة.

الجهة الثانية: أن هذه البدعة نشأت لابتغاء المال وطلبه لا لبذله والتضحية به من أجل الحفاظ على الكنيسة.

الجهة الثالثة: أن دول أوربا شهدت في أوائل القرن السادس قوانين عدة تتعلق بقضايا الاستفادة من الأموال الكنسية خشية أن يرغب الناس في الأعمال الكنسية لقاء الأموال التي تتدفق إليها، وإجبار الكهنة على ردِّ الأموال التي تمَّ أخذها من الناس لتوظيفهم في الكنيسة^(٢١٧)، وألا يتمَّ تعيين الكهَّان إلا بإجماع من رجال الكنيسة، بحيث يمنع هذا الأمر أن ينفرد شخص ببيع الوظيفة والاستفادة من المال المدفوع مقابل التعيين^(٢١٨).

^(٢١٤) سفر أعمال الرسل (٨/ ٩-٢٤).

^(٢١٥) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتنغر - هونرمان، مرجع سابق، (١/ ١٦٢-١٦٣).

^(٢١٦) انظر: البدع والهرطقات المعاصرة - البدعة السيمونية، <https://cutt.us/dB8u8>.
^(٢١٧) See: Conciliengeschichte, Karl Josef von Hefele, 2d ed, 1873 (P: 643-645).

^(٢١٨) See: pist. Rom. Pontiff. (461-523), Andreas Thiel, Braunsberg, 1868, (1/645).

فهذه البدعة أُرقت الكنيسة ولم تستطع وقفها لكون المال هو أكثر شيء يسعى إليه الكهان، والملذات هي التي تدفعهم لنيل درجة الكهنوت، فإذا كانت الكبائر مستساغة لهم، يرتكبونها ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، فما الذي يمنعه من بيع درجة الكهنوتية لغيره؟

نعم، ظهر من ينكرها ويسوق الأدلة لمنع إعطاء درجة الكهنوتية إذا كانت مقابل دفع الهدايا والعطايا وليست مقابل العلم والعمل، ولكن الدعوات لم تلقَ أذنان واعية، بل ظلّ هذا العمل ينتشر ويسري ويستشري وسط رجال الكهنوت^(٢١٩).

المطلب الخامس: تحليل ونقد في ظل دعوة

المسيح ﷺ الصحيحة الأولى

مرّ على الديانة النصرانية من القرن الأول إلى القرن السادس الميلادي حين من الدهر كانت المهمة الوحيدة لديهم هي تطوير ديانتهم وتغييرها وتبديلها، فكثرت المآخذ عليهم من جرّاء ذلك، وتعددت وتنوعت الهنات في عقيدتهم، وكان الواحد من رجالهم لا يغادر شيئاً صغيراً ولا كبيراً من التطوير إلا وجاء به، دون أن يتوخّى الحذر، ودون أن يعرف أن الدين القيم ليس مزيجاً من أفكار الرجال وآراء الناس، بل هو دين الله ﷻ الذي ارتضاه للناس، ولو عرف ذلك لكان كفيلاً برده ورده إلى جادة الصواب.

ومع هذا يمكن إجمال وجوه نقد النصرانية في هذه المرحلة فيما يأتي:

(١) كان دخول بولس إلى الديانة النصرانية سبباً لتحريفها وتطويرها، وقلبها رأساً على عقب.

(٢) سارت النصرانية في هذه القرون على إثر التحريف الذي وصلت إليه النصرانية عقيب رفع عيسى عليه الصلاة والسلام، وأصابهم ركود فكري.

(٣) ظهر قولٌ جديد في طبيعة المسيح يضاف إلى الأقوال السابقة، وهي مخالفة لطبيعة المسيح الحقيقية.

(٤) اشتدّت وطأة الخلاف في هذه القرون وظهرت قضايا عمّقت الخلاف، ودعت إلى التشرذم والانقسام أكثر مما كانوا عليه من قبل.

(٥) ظهرت دعوة جديدة هي خاتمة الرسائل فقابلها النصرانية بمواقف عدة، وكانوا بين مؤيّد ومتّبع، وبين مضادّ ومُعادٍ، وخائفٍ من ذهاب الناس وانفلاتهم من الديانة النصرانية إلى ألدّ الديانة الحقّة.

(٦) خلافتهم في الأقانيم لا يقدّم ولا يؤخّر لكونه مخالفاً لنصوص الكتاب المقدس، ومن ذلك ما جاء في سفر الخروج: "أنا الربُّ إِلَهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ

(٢١٩) الكنيسة الكاثوليكية في وثائقها، دنتسغر - هونرمان، مرجع سابق، (١٦٢/١-١٦٣).

بَيَّنَّ الْعُبُودِيَّةَ. لَا يَكُنْ لَكَ إِلَهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي. لَا تَصْنَعْ لَكَ تِمَثُّلاً مَنُحَوَّثًا، وَلَا صُورَةً مَّا مِمَّا فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقَ، وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ تَحْتِ، وَمَا فِي الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ. لَا تَسْجُدْ لَهُنَّ وَلَا تَعْبُدُهُنَّ، لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلَهُكَ إِلَهٌ غَيْرٌ" (٢٢٠).

(٧) إنكار نبوة النبي ﷺ، وتحريف النصوص التي دلت على نبوته هو من جنس تحريفهم لنصوص الكتاب المقدس التي تدل على القضايا الأخرى.

(٨) لم يقتصر تحريفهم للنصوص على إنكار دعوة النبي ﷺ وتوجيهها لنبوة عيسى عليه الصلاة والسلام مع بُعد ذلك التوجيه، بل طال تحريفهم النصوص المتعلقة بالشريعة والأحكام المتعلقة بالفقه كنصوص السجود والختان.

(٩) خالفت النصارى نصوص عيسى عليه الصلاة والسلام في قضايا كثيرة ولا سيَّما القضايا المتعلقة بالتشريع، وقد قال: " لَا تَطْنُوا أَنِّي جِنْتُ لِأَنْفُضِ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لِأَنْفُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ. فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ" (٢٢١).

(١٠) خالفت النصارى قضايا النذر إلى درجة جعلتهم سبباً لدى الآخرين، ولا سيَّما القضايا المتعلقة بالعفة والاعتياض عنها بالسيفاح، وقد ضُربت بهم الأمثلة كقول العرب: "أَلُوْطُ مِنْ رَاهِبٍ".

خاتمة:

النتائج:

- إن الذين ثابت، وأن التجديد لا يطاله، وإنما نسميه "تجديداً" بالنسبة للأمة، لا بالنسبة للدين الذي شرعه الله وأكمّله، فإن التغير والضعف والانحراف إنما يطرأ مرةً بعد مرةً على الأمة، أما الإسلام نفسه فمحفوظ بحفظ كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ المبيّنة له.

- إن أركان العقيدة النصرانية المتمثلة في عقيدة الفداء والصلب والقيامة، بعد تطورها توجت بالقول بعقيدة التثليث والتجسد الذي حملت لواءه الفرق الثلاثة التاريخية الكنسية وهي: فرقة الملكانية والنسطورية واليعقوبية، وأعطت هذه الفرق صوراً للتجسد الأقنومي ومدعمة لمبررات الاعتقاد في التجسد والتثليث بغرض الإقناع والمجادلة، فحاولت هذه الفرق بشتى الطرق تقريب القول بالتثليث وتأليه المسيح وروح القدس، غير أنّ الأدلة العقلية والعقلية نفت ذلك.

- يتأكد أن النصرانية المتطورة خلال تلك القرون التي أخذتها بالدراسة إلى يومنا هذا هي نصرانية بولس الذي اختلق فيها كل التراكمات الموجودة حالياً ولا تمد بصلة إلى

(٢٢٠) سفر الخروج (٢٠/٥-٥).

(٢٢١) إنجيل متى (٥/١٧).

رسالة التوحيد الذي جاء بها المسيح عيسى عليه السلام.

التوصيات:

- أوصي في النهاية كل طالب علم في هذا التخصص وكل باحث في هذا المجال أن يأخذ بعين الاعتبار هذه المحطات التي أخذتها بالدراسة لأنها تعد نقطة الارتكاز في البحث في الديانة النصرانية.

- أوصي بإعادة البحث في هذا الموضوع لكن من جوانب أخرى كما يأتي:

- تطور الطقوس النصرانية خلال القرون الميلادية الأولى.
- تطور التعاليم النصرانية خلال القرون الميلادية الأولى.
- تطور الكنائس النصرانية خلال القرون الميلادية الأولى.
- تأثير النصرانية بالديانات الأخرى خلال القرون الميلادية الأولى.

المصادر والمراجع

الكتب العربية:

١. الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ، مايكل هارت، ترجمة: أنيس منصور، المكتب المصري الحديث.
٢. الأحكام في أصول الأحكام، الأمدي، المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت)، الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ.
٣. اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية، أحمد عبد الوهاب، مكتبة وهبة.
٤. الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العمانية، العدد: ٢٩، (ص: ٤).
٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، السيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
٦. التلويح على التوضيح لمتن التنقيح، التفازاني، ومعه: التوضيح، لصدر الشريعة المحبوبي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م.
٧. تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل، ابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران - محمد عزيز شمس، دار عطاءات العلم - دار ابن حزم، الرياض-بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩ م.
٨. الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٩. رؤى تأصيلية في طريق الحرية، صالح عبد الرحمن الحصين، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٣٧-٢٠١٦ م.
١٠. السبكي، أبو الحسن: فتاوى السبكي، دار المعارف.
١١. السمرقندي، ميزان الأصول في نتائج العقول، تحقيق: الدكتور محمد زكي عبد البر، مطابع الدوحة الحديثة، قطر، ط١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
١٢. سيدتنا ملكتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم العذراء، القمص: يوسف أسعد، مكتبة كنيسة السيدة العذراء بالعمرائية، الطبعة: الأولى، ١٩٧٦ م، (ص: ٣٦٩-٤١٠)؛ العذراء مريم والدة الإله، الأستاذة: إيريس حبيب المصري، الكنوز القبطية، ٢٠١٩ م.
١٣. الصارم المسلول على شاتم الرسول، ابن تيمية، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية.
١٤. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦/ ٣٤٥)؛ التراثيب الإدارية والعمالات والصناعات والمناجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة الإسلامية في المدينة المنورة العلمية، الكتاني، تحقيق: الخالدي، دار الأرقم - بيروت، الطبعة: الثانية.
١٥. فتاوى اللجنة الدائمة، اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع - الرياض.
١٦. فصول البدائع في أصول الشرائع، شمس الدين الفناري، المحقق: محمد حسين محمد

- حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ٢٠٠٦ م - ١٤٢٧ هـ.
١٧. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، غنى بتصحيحه (وتعليق بعض الزوائد عليه): محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر، لصاحبها محمد إسماعيل، ط١، ١٣٢٤ هـ.
١٨. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، الثعلبي، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل التحقيق: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٩. ماذا تعرف عن المسيحية، عبد الفتاح حسين الزيات، مركز الرؤية للنشر والإعلام، الطبعة: الثالثة، ٢٠٠٣ م.
٢٠. المدخل إلى العهد الجديد، القس فهم عزيز، دار الثقافة المسيحية-دار الجيل للطباعة، القاهرة.
٢١. معالم تاريخ الإنسانية، هربرت جورج ويلز، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، الطبعة: الثالثة، ١٩٦٣ م.
٢٢. الموافقات، الشاطبي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٣. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أبو العباس التنبكتي، دار الكاتب، طرابلس، ط٢، ٢٠٠٠ م.
٢٤. الهرطقة المنة، يوحنا الدمشقي، الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة، أنجيليكي غريغوري زياكا، مجلة التسامح العماني، العدد: ٢٩.
٢٥. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان.

الكتب الأعجمية:

26. Muslim-Christian Polemics across the Mediterranean- The Splendid Replies of Shihāb al-Dīn al-Qarāfi-, op. cit.
27. John of Damascus on Islam: The Heresy of the Ishmaelites, Daniel J. Sahas, Leiden: Brill, 1972.
28. History of Christian Arabic Literature (Geschichte Der Christlichen Arabischen Literatur , Georg Graf's, Città del Vaticano, 1947.
29. The Biography of Theodore Abū Qurrah Revisited, John C. Lamoreaux, Published By: Dumbarton Oaks, Trustees for Harvard University ,2002, Vol. 56, Theodore Abuqurra, La personne et son milieu, by Ignace Dick.
30. C. H. Dodd, interpreter of the New Testament, by F. W Dillistone, Eerdmans, 1977.



مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة

Osama bin Zaid Al-Laithi's Narrations from Al-Zuhri in The
Five Books
(Collection, Authentication, and Study)

إعداد

فهمي الفيان نورمانشاه
Fahmi Alfian Normansyah

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم السنة وعلومها

Doi: 10.21608/jasis.2024.367241

٢٠٢٤ / ٥ / ١٤

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٥ / ٢٩

قبول البحث

نورمانشاه، فهمي الفيان (٢٠٢٤). مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨ (٢٩)، ٣١٥ - ٣٣٨.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة

المستخلص:

هذا البحث يجمع مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة -وهي سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسنند أحمد-، ثم تخريجها ودراستها. اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي من خلال جمع رواياته، ثم يتبعه بالمنهج الوصفي التحليلي، ثم يتبعه بالمنهج النقدي في معالجتها. ومن أهم نتائجها: أولاً- عدد روايات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة ثمانية أحاديث، ثانياً: وافق أسامة بن زيد الليثي بقية الرواة عن الزهري في حديثين (٢٥%)، وخالفهم في ثلاثة أحاديث (٣٨%)، وتفرّد في ثلاثة أحاديث (٣٨%)، ثالثاً: نوع المخالفة التي وقع عليها الراوي يضر بروايته عن الزهري؛ فنزل رتبة روايته عن الزهري خصوصاً؛ فهو ليس ممن يعتمد في الزهري لاحتمال مخالفته، وقد يستأنس به ما لم يخالف غيره أو تفرّد بحديث.

الكلمات المفاحية: أسامة بن زيد - الزهري - المرويات - الكتب الخمسة.

Abstract:

This research collects the narrations of Usama bin Zayd al-Laithi from Al-Zuhri in the five books - Sunnah Abu Dawud, Sunnah al-Tirmidhi, Sunnah al-Nisa'i, Sunnah Ibn Majah, and Musnad Ahmad - and then graduates and studies them. The researcher followed the inductive method by collecting his narrations, followed by the descriptive and analytical method, and followed by the critical method in addressing them. Among the most important results: First, the number of Usama bin Zayd al-Lithi's narrations from Zuhri in the five books is eight hadiths; second, Usama bin Zayd al-Lithi agreed with the other narrators from Zuhri in two hadiths (25%), disagreed with them in three hadiths (38%), and was unique in three hadiths (38%); third, the type of difference that the narrator fell on affected his narrations from Zuhri; he is not a reliable narrator from Zuhri because of his error possibility, and he may be recommended as long as he does not contradicts others narrators from Al-Zuhri or he does not narrates an odd narration from him.

Keyword: Usama bin Zayd al-Laithi, Al-Zuhri, The Five Books,



Narrations.

مقدمة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..
فإن أحاديث الرسول صل الله عليه وسلم ثروة هذه الأمة، وهي تمثل المصدر الثاني لاعتقادات وتشريع أبناء الإسلام، وقد قيض الله من حفظها واشتغل بها منذ زمان النبوة إلى يومنا هذا إلى ما شاء الله، مصداقاً لقوله تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ [الحجر: ٩].

وقد انبرى لهذا العلم عدد من الأئمة والرواة حيث كانت هذه الأحاديث شغلهم الشاغل، أفنوا في جمعها أعمارهم.

ولقد اجتهد في روايتها أناسٌ كثيرٌ على مختلف طبقاتهم من بارع جهبذ، ومجتهد فاضل، وثقة حافظ، ومن دونهم في المرتبة من الإتقان والحفظ، حتى دخل في روايتها الضعفاء والمتروكون، فأصبح في الأحاديث صحيح وسقيم، وما يصلح منها للعمل والاحتجاج، وما لا يصلح، مما أدى إلى وجود حاجة علمية للتمييز بين صحيح الأحاديث وسقيمها، ولا يتأتى ذلك إلا بدراسة روايتها، ومعرفة حال كل راوٍ من خلال ما قاله أهل الفن فيهم.

ومن هؤلاء الجهابذة الذين حرس الله بهم السنة الإمام الفاضل، أمير المؤمنين في الحديث محمد بن شهاب الزهري الذي قد انتشر صيته وطاب ذكره بين العام والخاص.

قد كثر القادمون إليه للدراسة والرواية، حتى عجز لعهده العاد، فمنهم أسامة بن زيد الليثي رحمه الله.

وقد تكلم فيه نقاد الحديث بين معدل ومجرح، فأحببت في هذه الدراسة المتواضعة الوصول إلى القول المناسب لحال مروياته خصوصاً عن الزهري مستعيناً بالله، ومفتقراً إلى توفيقه وتسديده.

مشكلة البحث:

- ١- ما مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة ؟
- ٢- وما مدى توافق روايات أسامة برواية الثقات من أصحاب الزهري؟

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع فيما يلي:

- ١- كونه يتعلق بعلم العلل والرجال، وهما من أهم علوم الحديث.
- ٢- كثرة مرويات الراوي في كتب السنة، لا سيما في الأحكام.
- ٣- وجود اختلاف بين الأئمة النقاد في حال أسامة بن زيد.

أهداف البحث:

هذه الدراسة تهدف إلى ما يلي:

- ١ - جمع ودراسة مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة.
- ٢ - دراسة المرويات والحكم عليها.

حدود البحث:

الأحاديث الواردة لأسامة بن زيد الليثي، عن الزهري في سنن أبي داود، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند أحمد.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الاستقرائي من خلال جمع رواياته في الكتب الخمسة، ثم أتبعه بالمنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع المعلومات، ثم أسلك المنهج النقدي في معالجتها.

خطة البحث:

تشتمل الدراسة على: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس.

مقدمة:

وفيها بيان أهمية الموضوع، وأهداف البحث وحدوده، ومنهج البحث وخطة.

المبحث الأول: الدراسة النظرية، وتشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: ترجمة أسامة بن زيد الليثي.

المطلب الثاني: ترجمة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية، وفيها دراسة ثمانية مرويات أسامة بن زيد عن الزهري في الكتب الخمسة.

الخاتمة:

وفيها أهم النتائج.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الدراسة النظرية

المطلب الأول: ترجمة أسامة بن زيد الليثي

هو أسامة بن زيد الليثي -بفتح اللام وتشديدها، ثم الياء الساكنة- المدني، أبو زيد مولى الليثيين، ولد في الفترة بين ٧٤-٨٢هـ، ولم أقف على مكان ولادته ووفاته، ولا رحلاته، ولكن أغلب مروياته عن أهل المدينة، وأغلب تلاميذه والرواة عنه من أهل العراق والخراسان، وتوفي سنة ١٥٣هـ وهو ابن بضع وسبعين^(١)، وذكر

(١) انظر: الطبقات الكبرى - متمم التابعين - مخرجاً (ص: ٣٩٨)، وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٤٣/٦)، وميزان الاعتدال (١٧٥/١)، وإكمال تهذيب الكمال (٥٧/٢).

الصفدي^(٢) أنه توفي في حدود ستين بعد المائة، وما أثبتته هو الأظهر، لأن أكثر أصحاب التراجم ذهبوا إليه^(٣).

ومن أبرز شيوخه:

- ١- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري.^٥
- ٢- نافع المدني القرشي العدوي، أبو عبد الله، مولى ابن عمر، توفي سنة ١١٧ هـ، قال ابن حجر: " ثقة ثبت فقيه مشهور".^٦
- ٣- سعيد بن أبي سعيد واسم أبي سعيد كيسان، أبو سعد أو أبو عباد المقبري، المدني، الليثي مولاهم، مات في حدود سنة ١٢٠ هـ، من الطبقة الثالثة، ثقة، تغير قبل موته بأربع سنين، وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة^(٧).

من أبرز تلاميذه:

- ١- عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الحافظ الفقيه القرشي مولاهم المصري الفهري، توفي سنة ١٩٧ هـ، من الطبقة التاسعة، ثقة حافظ، عابد^(٨).
- ٢- وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الحافظ، الرؤاسي، النيسابوري، الكوفي، الأعر، القيسي، وقيل: الصغد، توفي في سنة ١٩٦ هـ، أو ١٩٧ هـ، من كبار التاسعة، ثقة حافظ عابد^(٩).
- ٣- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي مولاهم التميمي مولاهم المروزي، أبو عبد الرحمن، توفي سنة ١٨١ هـ، أو ١٨٢ هـ، قال ابن حجر: " ثقة ثبت ، فقيه عالم ،

(٢) الوافي بالوفيات (٢٤/٨).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى - متمم التابعين - مخرجاً (ص: ٣٩٨)، وسير أعلام النبلاء ط الرسالة (٣٤٣/٦)، وميزان الاعتدال (١٧٥/١)، وإكمال تهذيب الكمال (٥٧/٢).

(٤) ينظر ترجمته :

(٥) سنأتي ترجمته في المطلب الثاني.

(٦) ينظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٥١/٨-٤٥٢)، والثقات لابن حبان (٤٦٧/٥)، وتهذيب الكمال (٢٩٨/٢٩-٣٠٦)، وتاريخ الإسلام (٣٢٨/٣-٣٢٩)، وتهذيب التهذيب (٢١٠/٤-٢١١)، والتقريب (٧١٣٦).

(٧) ينظر: تهذيب الكمال (٤٦٦/١٠-٤٧٣)، والإكمال (٣٠١/٥)، والتقريب (٢٣٢١).

(٨) ينظر: تهذيب الكمال (٢٧٧/١٦-٢٨٧)، وسير أعلام النبلاء (٢٢٣/٩-٢٣٤)، والتقريب (٣٦٩٤).

(٩) ينظر: تهذيب الكمال (٤٦٢/٣٠-٤٨٤)، والإكمال (٢٢٥/١٢-٢٣١)، والتقريب (٧٤١٤).

جواد مجاهد ، جمعت فيه خصال الخير".^{١٠}
المطلب الثاني: ترجمة محمد بن مسلم بن شهاب الزهري
هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الحافظ القرشي الزهري المدني،
أبو بكر، ولد سنة ٥٠ هـ على قول، وتوفي سنة ١٢٤ هـ.^{١١}
من أبرز شيوخه:

- ١- عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني القرشي، أبو عبد الله، توفي س ٩٤ هـ،
قال ابن حجر: "ثقة فقيه مشهور".^{١٢}
- ٢- سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب القرشي المخزومي المدني، أبو محمد، توفي
بعد عام ٩٠ هـ، وقال ابن حجر: "أحد العلماء الأثبات الفقهاء الكبار".^{١٣}
- ٣- سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي المدني، أبو عمر، توفي سنة
١٠٥ هـ، قال ابن حجر: "كان ثبنا عابدا فاضلا، كان يشبه بأبيه في الهدى
والسمت".^{١٤}

المبحث الثاني: الدراسة التطبيقية

الحديث الأول:

قال أبو داود^(١٥): حدثنا محمد بن سلمة المرادي، نا ابن وهب، عن أسامة بن زيد الليثي،

(١٠) ينظر ترجمته في: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٧٩/٥)، والثقات (٧/٧)، وتاريخ
بغداد (٣٨٨/١١)، وتهذيب الكمال (٥/١٦)، وتاريخ الإسلام (٨٨٢/٤)، وسير أعلام
النبلاء (٣٧٨/٨)، وإكمال تهذيب الكمال (١٥٣/٨)، وتهذيب التهذيب (٤١٥/٢)،
والتقريب (٣٥٩٥).

(١١) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧١/٨)، والثقات (٣٤٩/٥)، وتهذيب الكمال
(٤١٩/٢٦)، وتاريخ الإسلام (٤٩٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (٣٢٦/٥)، وإكمال تهذيب
الكمال (٣٤١/١٠)، وتهذيب التهذيب (٦٩٦/٣)، والتقريب (٦٣٣٦).

(١٢) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٩٥/٦)، والثقات (١٩٤/٥)، والكمال في
الضعفاء (١٣٠/١)، وتهذيب الكمال (١١/٢٠)، وتاريخ الإسلام (١١٣٩/٢)، وسير
أعلام النبلاء (٤٢١/٤)، وإكمال تهذيب الكمال (٢٢٤/٩)، وتهذيب التهذيب (٩٢/٣)،
والتقريب (٤٥٩٣).

(١٣) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥٩/٤)، والثقات (٢٧٣/٤)، والكمال في
الضعفاء (١٢٥/١)، وتهذيب الكمال (٦٦/١١)، وتاريخ الإسلام (١١٠٣/٢)، وسير
أعلام النبلاء (٢١٧/٤)، وإكمال تهذيب الكمال (٣٥١/٥)، وتهذيب التهذيب (٤٣/٢)،
والتقريب (٢٤٠٩).

(١٤) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٨٤/٤)، والثقات (٣٠٥/٤)، وتهذيب الكمال
(١٤٥/١٠)، وتاريخ الإسلام (٤٩٩/٣)، وسير أعلام النبلاء (٤٥٧/٤)، وإكمال تهذيب
الكمال (١٨٤/٥)، وتهذيب التهذيب (٦٧٦/١)، والتقريب (٢١٨٩).

أن ابن شهاب أخبره، أن عمر بن عبد العزيز كان قاعداً على المنبر فأخر العصر شيئاً، فقال له عروة بن الزبير: أما إن جبريل قد أخبر محمداً صل الله عليه وسلم بوقت الصلاة، فقال له عمر: اعلم ما تقول، فقال عروة: سمعت بشير بن أبي مسعود يقول: سمعت أبا مسعود الأنصاري يقول: سمعت رسول الله صل الله عليه وسلم يقول: نزل جبريل، فأخبرني بوقت الصلاة فصليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، ثم صليت معه، يحسب بأصابعه خمس صلوات، فرأيت رسول الله صل الله عليه وسلم صلى الظهر حين تزول الشمس، وربما أخرها حين يشتد الحر، ورأيت يصلي العصر والشمس مرتفعة بيضاء قبل أن تدخلها الصفرة، فينصرف الرجل من الصلاة فيأتي ذا الحليفة^(١٦) قبل غروب الشمس، ويصلي المغرب حين تسقط الشمس، ويصلي العشاء حين يسود الأفق، وربما أخرها حتى يجتمع الناس، وصلى الصبح مرة بغلس^(١٧)، ثم صلى مرة أخرى فأسفر^(١٨) بها، ثم كانت صلاته بعد ذلك التغليس حتى مات، ولم يعد إلى أن يسفر.

تخريج الحديث:

* أخرجه ابن خزيمة (٤٠٨)، وابن حبان (١٤٥٣)، (١٤٩٨) من طريق الربيع بن سليمان المرادي، عن عبد الله بن وهب القرشي به بمثله.

* وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٨٦٣)، (٩٨٣)، (١٠٥٤)، (١٠٥٥)، (١٠٧١) والطبراني في "الأوسط" (٨٧٠٢)، وفي "الكبير" (١٥٨١٥)، والدارقطني في "السنن" (٩٩١)، والحاكم في "المستدرک" (٦٩٧) من طريق الليث، عن يزيد بن أبي حبيب الأزدي، عن أسامة بن زيد الليثي به بنحوه.

* وأخرجه البخاري (٥٢١)، ومسلم (٦١١)، وأحمد (٢٢٧٨٥)، والدارمي (١٢٢٣) من طريق مالك بن أنس الأصبحي (٣).

والبخاري (٣٢٢١)، ومسلم (٦١٠)، والنسائي (٤٩٣)، وابن ماجه (٦٦٨) من طريق الليث بن سعد الفهمي.

والبخاري (٤٠٠٧) من طريق شعيب بن أبي حمزة الأموي.

وأحمد (١٧٣٦٤) من طريق معمر بن راشد الأزدي.

(١٥) في "السنن" (٣٩٤).

(١٦) ذو الحليفة: كائنه تصغير حلفة: من أشهر ما يتردد في تأريخ المدينة والسيرة، وهو ميقات أهل المدينة ومن مر به من غيرهم، وشهرته تغني عن المزيد، يبعد عن المدينة على طريق مكة، تسعة أكيال جنوباً وهي اليوم بلدة عامرة، فيها مسجد، وتعرف عند العامة بأبيار علي (معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ١٠٤/١).

(١٧) الغلس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح (النهاية ٣/٣٧٧).

(١٨) أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء (النهاية ٢/٣٧١).

أربعتهم (مالك، والليث، وشعيب، ومعمّر) عن الزهري به نحوه ولم يفصلوا الأوقات.

زاد مالك: "قال عروة: ولقد حدثتني عائشة زوج النبي أن رسول الله صل الله عليه وسلم كان يصلي العصر والشمس في جرتها قبل أن تظهر".

دراسة الحديث:

الحديث صحيح مُخَرَّج في (الصحيحين)، وخالف أسامة بقية أصحاب الزهري ممن روى هذا الحديث فذكر التفصيل لأوقات الصلاة، ولم يذكره غيره، نص عليه أبو داود، وابن خزيمة، والطبراني.

وهذا التفرد يعد نكارة، لأنه تفرد صدوق في طبقة نازلة، فهذه الزيادة منكراة إذن، والله أعلم.

الحديث الثاني:

قال أبو داود^(١٩): حدثنا هشام بن عمار، نا حاتم بن إسماعيل، (ح) ونا سليمان بن داود المهري، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني عبد العزيز بن محمد. (ح) ونا نصر بن علي، قال: أنا صفوان بن عيسى، -وهذا لفظ حديثه- كُلم عن أسامة بن زيد، عن الزهري، عن مالك بن أوس ابن الحدثان قال: كان فيما احتج به عمر أنه قال: كَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثُ صَفَايَا: بَنُو النَّضِيرِ، وَخَبِيرٌ، وَفَدَكٌ، فَأَمَّا بَنُو النَّضِيرِ فَكَانَتْ حَبَسًا^(٢٠) لِنَوَائِهِ^(٢١)، وَأَمَّا فَدَكٌ فَكَانَتْ حَبَسًا لِأَبْنَاءِ السَّبِيلِ، وَأَمَّا خَبِيرٌ فَجَرَّأَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ جَزَأَيْنِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، وَجَزْءًا ثَفَقَةً أَهْلِهِ، فَمَا فَضَّلَ عَنْ ثَفَقَةِ أَهْلِهِ، جَعَلَهُ بَيْنَ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ.

تخريج الحديث:

* وأخرجه البزار (٢٥٦) عن أحمد بن ثابت الجحدري عن صفوان بن موسى القرشي به بمثله.

* وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٣٥٣١) عن يونس بن عبد الأعلى الصدفي، عن عبد الله بن وهب القرشي به بمثله إلا ثمة سقط في لفظه.

* وأخرجه أحمد بن يحيى البلاذري في "البلدان وفتوحها وأحكامها" (٢٤/١). والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢٥١) من طريق أحمد بن عمرو الشيباني.

(١٩) في "السنن" (٢٩٦٧).

(٢٠) يقال: حبست أحبس حبسًا، وأحبست أحبس إحباسًا: أي وقفت، والاسم الحبس بالضم (النهاية ٣٢٨/١).

(٢١) النوائب: جمع نائبة، وهي ما ينوب الإنسان: أي ينزل به من المهمات والحوادث. وقد نابه ينوبه نوبًا، وانتابه، إذا قصده مرة بعد مرة. (النهاية ١٢٣/٥).

كلاهما (البلاذري، والشيباني) عن هشام بن عمار السلمي به بمثله.
* وأخرجه يحيى بن آدم في "الخراج" (٨٧)، وابن شبة النميري في "تاريخ المدينة" (٥٠٩)، وأحمد بن يحيى البلاذري في "أنساب الأشراف" (١٧٢/٢)، و"البلدان وفتوحها وأحكامها" (٣٦/١) من طريق إبراهيم بن حميد الرؤاسي.
وابن سعد في الطبقات الكبرى (٢٤٦/١) عن محمد بن عمر الواقدي.
كلاهما (إبراهيم، والواقدي) عن أسامة بن زيد الليثي به بمثله.

وزاد إبراهيم عند يحيى بن آدم في آخره: "ثم قال عمر: إن الله خص رسول الله صل الله عليه وسلم من هذا الفيء بشيء لم يعطه أحدًا غيره، ثم قرأ: **ثُمَّ ثَنَى ثِيَابُ فُيٍّ** [الحشر: ٧] إلى آخر الآية، ثم قال: فكانت هذه خالصة لرسول الله صل الله عليه وسلم فوالله ما استأثر بها عليكم، ولقد بثها فيكم حتى بقي منها هذا المال، فكان رسول الله صل الله عليه وسلم ينفق منها على أهله نفقة سنتهم، ثم يأخذ ما بقي من ذلك فيجعله مجعل مال الله عمل بذلك رسول الله صل الله عليه وسلم حتى توفاه الله"، ثم قبضها أبو بكر، فعمل فيها بمثل عمل رسول الله صل الله عليه وسلم، ثم توفي أبو بكر فقبضتها، فعملت فيها بما عمل رسول الله صل الله عليه وسلم، وبما عمل أبو بكر رضي الله عنه بعده".

* وأخرجه أبو عوانة في "المستخرج" (٦٦٧٤) عن إسماعيل بن عيسى الجيشاني، عن إبراهيم ابن محمد الجندي، عن ابن أبي الزناد، عن أبي الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي، عن الزهري به بمثله.

دراسة الحديث:

تبين من التخريج أن مدار الحديث على ابن شهاب الزهري، روى عنه أسامة بن زيد الليثي، وأبو الزناد؛ ولكن رواية أبي الزناد ليست صحيحة لأمرين:

١- أنها من رواية إسماعيل بن عيسى الجيشاني، عن إبراهيم بن محمد الجندي، وكلاهما مجهول، لم أقف على من تكلم فيهما جرحًا وتعديلًا.

٢- فيها عبد الرحمن بن أبي الزناد، قال فيه ابن سعد: "كان يضعف لروايته عن أبيه" (٢٢)، وقال صالح بن محمد: "روى عن أبيه أشياء لم يروها غيره، وتكلم فيه مالك لروايته عن أبيه كتاب "السبعة" -يعني الفقهاء- وقال: أين كنا عن هذا؟" (٢٣).

فأصبح المدار على أسامة بن زيد الليثي، ولم يتابع في روايته عن الزهري، ولا يحتمل تفرده، فالحكم المناسب للحديث بهذا اللفظ أنه ضعيف، والله أعلم.

(٢٢) تهذيب الكمال (٩٥/١٧).

(٢٣) تهذيب التهذيب: (٥٠٤/٢).

الحديث الثالث:

قال أبو داود^(٢٤): حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ فَارِسٍ، نَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ حَمْرَةَ، نَا حَاتِمُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ بِإِسْنَادِهِ نَحْوَهُ، قُلْتُ: أَلَا تَنْتَقِيَنَّ اللَّهَ؟ أَلَمْ تَسْمَعْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا نُورِثُ مَا تَرَكَنَا فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِأَلِ مُحَمَّدٍ لِنَائِبَتِهِمْ، وَلِضَيْفِهِمْ، فَإِذَا مِتُّ فَهُوَ إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي.

والإسناد المقصود في الحديث هو ابن شهاب عن عروة، عن عائشة □.

تخريج الحديث:

* أخرجه أحمد (٢٥٧٦٥) عن صفوان بن عيسى القرشي عباية، عن أسامة بن زيد الليثي به بمثله مختصراً على قوله: "لا نورث، ما تركنا فهو صدقة".

* وأخرجه البخاري (٦٧٣٠)، ومسلم (١٧٥٨)، وأبو داود (٢٧٩٦)، وأحمد (٢٦٩٠١) من طريق مالك بن أنس الأصبحي (٣٦٤٣).

والبخاري (٦٧٦٢) من طريق يونس بن يزيد القرشي.

كلاهما (مالك، ويونس) عن الزهري به بنحوه.

وزاد مالك في أوله: "أن أزواج النبي صل الله عليه وسلم حين توفي رسول الله صل الله عليه وسلم أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر الصديق فيسألنه ميراثهن من رسول الله صل الله عليه وسلم".

ولم يذكر مالك ويونس المقطع الأخير من الحديث: "وإنما هذا المال لآل محمد لنائبتهم، ولضيفهم، فإذا مِتُّ فهو إلى من ولي الأمر من بعدي".

دراسة الحديث:

الحديث صحيح مُخَرَّج في (الصحيحين)، ورواية أسامة توافق روايات مالك ويونس في الجملة إلا قوله: "وإنما هذا المال لآل مُحَمَّدٍ لِنَائِبَتِهِمْ، وَلِضَيْفِهِمْ، فَإِذَا مِتُّ فَهُوَ إِلَى مَنْ وَلِيَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِي".

هذه الزيادة تفرد بها أسامة عن الزهري لم يذكرها مالك، ويونس، ولا يحتمل تفرد أسامة بها، فهذه الزيادة منكورة، والله أعلم.

يشهد لها حديث أبي بكر الصديق: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَطْعَمَ نَبِيًّا طُعْمَةً فَهِيَ لِلَّذِي يَقُومُ مِنْ بَعْدِهِ"، أخرجه أبو داود (٢٩٧٣)، وأحمد (١٥)، ومداره على محمد بن الفضيل الضبي، وهو صدوق^(٢٥)، ووقع هذا التفرد في طبقة نازلة من راو صدوق، فالحديث

(٢٤) في "السنن" (٢٩٧٧).

(٢٥) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٥٧/٨)، وتهذيب الكمال (٢٦/٢٩٣-٢٩٩)، والتقريب (٦٢٦٧).

الشاهد ضعيف أيضاً، والله أعلم.

الحديث الرابع:

قال أبو داود^(٢٦): حدثنا الحسن بن علي، نا عثمان بن عمر، نا أسامة بن زيد، عن الزهري، عن عبد الرحمن بن أزهر قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَاةَ الْفُتُوحِ - وَأَنَا غُلَامٌ شَابٌّ يَتَخَلَّلُ النَّاسَ - يَسْأَلُ عَنْ مَنْزِلِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَأَتَيْ بِشَارِبٍ فَأَمَرَهُمْ، فَضَرَبُوهُ بِمَا فِي أَيْدِيهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَهُ بِعَصَا، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَرَبَهُ بِنَعْلِهِ، وَحَتَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّرَابَ، فَلَمَّا كَانَ أَبُو بَكْرٍ أَتَى بِشَارِبٍ، فَسَأَلَهُمْ عَنْ ضَرْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي ضَرَبَهُ، فَحَزَرُوهُ أَرْبَعِينَ فَضَرَبَ أَبُو بَكْرٍ أَرْبَعِينَ، فَلَمَّا كَانَ عَمْرٌو كَتَبَ إِلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ أَنَهَمَكُوا^(٢٧) فِي الشَّرْبِ، وَتَحَاقَرُوا الْحَدَّ^(٢٨) وَالْعُقُوبَةَ، قَالَ: هُمْ عِنْدَكَ فَسَلُّهُمْ، وَعِنْدَهُ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ فَسَأَلَهُمْ، فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَضْرِبَ ثَمَانِينَ، قَالَ: وَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا شَرِبَ افْتَرَى، فَأَرَى أَنْ يَجْعَلَهُ كَحَدِّ الْفَرِيَةِ.

تخريج الحديث:

* وهو عند أحمد (١٧٠٨٤)، (١٩٣٨٦) عن عثمان بن عمر العبدي به بمثله إلا أنه لم يذكر قصة أبي بكر مع شارب إلى آخره.
* وأخرجه أبو داود (٤٤٨٧) من طريق عبد الله بن وهب القرشي.
وأحمد (١٧٠٨٣)، (١٩٣٨٥) من طريق زيد بن الحباب التميمي.
وأحمد (١٩٣٩٥) من طريق صفوان بن عيسى القاضي.
وأحمد (١٩٣٩٦) من طريق روح بن عباد القيسي.
أربعتهم (ابن وهب، وزيد، وصفوان، وروح) عن أسامة بن زيد الليثي به بنحوه مختصراً، ولم يذكر قصة أبي بكر مع الشارب إلى لفظ الأصل.
* وأخرجه أبو داود (٤٤٨٨) عن ابن السرح، عن خاله عبد الرحمن بن عبد الحميد المصري -وجادة-، عن عقيل بن خالد الأيلي.
وأحمد (١٩٣٨٧) من طريق معمر بن راشد الأزدي.
وأحمد (١٩٣٨٨) من طريق صالح بن كيسان الدوسي.
ثلاثتهم (عقيل، ومعمر، وصالح) عن الزهري به بنحوه.
ورواية عقيل: عن ابن شهاب، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأزهر، عن

(٢٦) في "السنن" (٤٤٨٩).

(٢٧) الانهماك: التمادي في الشيء واللجاج فيه. (النهاية ٢٧٤/٥).

(٢٨) الحد والحدود في غير موضع وهي محارم الله وعقوباته التي قرن بها بالذنوب، وأصل الحد المنع والفصل بين الشينين، فكان حدود الشرع فصلت بين الحلال والحرام. (النهاية ٣٥٢/١).

عبد الرحمن بن الأزهر.
ولم يذكر معمر وصالح تصريح الزهري بالسماع عن عبد الرحمن بن الأزهر.
وقال عقيل: "وهو بحنين".
ولم يذكر معمر قصة شارب الخمر.
دراسة الحديث:

تبين من التخريج السابق أن مدار الحديث على الزهري، ووقع الاختلاف فيه على وجهين:

الأول: الزهري، عن عبد الرحمن بن الأزهر:
رواه معمر، وصالح بن كيسان، وأسامة بن زيد الليثي؛ ولكن تفرد أسامة بذكر تصريح الزهري بالسماع من عبد الرحمن.

الثاني: الزهري، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن الأزهر، عن أبيه.
رواه عقيل بن خالد الأيلي.

قد قال أبو حاتم وأبو زرعة الرازيان: "لم يسمع الزهري هذا الحديث من عبد الرحمن بن أزهر، يدخل بينهم: عبد الله بن عبد الرحمن بن أزهر"، وصوب النسائي الوجه الثاني^(٢٩) أيضاً؛ ولكن إسناد الوجه الثاني منقطع بين ابن السرح وبين خاله، لأنه وجادة -كما تقدم في التخريج-، فلعل الأئمة صوبوا الوجه الثاني لاطلاعهم على طريق آخر، والله أعلم.

وللحديث شواهد عدة، منها حديث عقبة بن الحارث: "جاء بالنعمان، أو ابن النعمان، شارباً، فأمر رسول الله صل الله عليه وسلم من كان في البيت أن يضربوا، قال: فكنت أنا فيمن ضربته، فضربناه بالنعال والجريد"^(٣٠).

ومنها حديث أنس بن مالك: "أن النبي صل الله عليه وسلم ضرب في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين"^(٣١).

ومنها حديث أبي هريرة: "أتى النبي صل الله عليه وسلم برجل قد شرب، قال: اضربوه قال أبو هريرة: فمنا الضارب بيده، والضارب بنعله، والضارب بثوبه، فلما أنصرف قال بعض القوم: أخزأك الله، قال: لا تقولوا هكذا لا تعينوا عليه الشيطان"^(٣٢).

(٢٩) ينظر: السنن الكبرى (١٣٦/٥).

(٣٠) أخرجه البخاري (٢٣١٦)، (٦٧٤٤)، وأحمد (١٦٤٠١)، (١٦٤٠٦)، (١٩٧٣٥).

(٣١) أخرجه البخاري (٦٧٧٣)، (٦٧٧٦)، ومسلم (١٧٠٦).

(٣٢) أخرجه البخاري (٦٧٧٧)، (٦٧٨١)، وأبو داود (٤٤٧٧)، وأحمد (٨١٠١).

الحديث الخامس:

قال أبو داود^(٣٣): حدثنا عثمان وأبو بكر ابنا أبي شيبة قالوا: نا وكيع، عن سفيان، عن أسامة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا فَصْلًا، يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ.

تخريج الحديث:

* أخرجه أحمد (٢٥٧١٧) عن وكيع بن الجراح الرؤاسي به بمثله، وزاد في آخره: "ولم يكن يسرده سرًا".

* وأخرجه النسائي في "السنن الكبرى" (١٠١٧٣)، وفي "عمل اليوم والليلة" (٤١٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥٨٢٣) من طريق قبيصة بن عقبة السوائي. والنسائي في "السنن الكبرى" (١٠١٧٤) من طريق أبي أسامة حماد بن أسامة القرشي.

والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥٨٣٩) من طريق خلاد بن يحيى الأرحبي.

ثلاثتهم (قبيصة، أبو أسامة، وخلاد) عن سفيان بن سعيد الثوري به بنحوه.

ورواية قبيصة عن الثوري: عن أسامة بن زيد، عن القاسم بن محمد، عن عائشة.

وزاد كلهم في أوله: "كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَسْرُدُ الْكَلَامَ كَسَرْدِكُمْ هَذَا".

* وأخرجه الترمذي (٣٦٣٩) من طريق حميد بن الأسود البصري.

وأحمد (٢٦٨٥٠) من طريق روح بن عباد القيسي.

كلاهما (حميد، وروح) عن أسامة بن زيد الليثي به بنحوه.

زاد حميد، وروح في أوله: "ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا".

* وأخرجه البخاري -معلقًا- (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣)، وأبو داود (٣٦٥٥)، وأحمد (٢٥٥٠٥)، (٢٥٨٧٧) من طريق يونس بن يزيد الأيلي، عن الزهري به بنحوه.

ولفظه: "ألا يعجبك أبو فلان؟ جاء فجلس إلى جانب حجرتي يحدث عن رسول الله

صل الله عليه وسلم يسمعي ذلك، وكنت أسبح، فقام قبل أن أقضي سبحتي، ولو

أدركته لرددت عليه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم".

دراسة الحديث:

تبين من التخريج أنه قد وقع اختلاف في رواية الثوري على وجهين:

الوجه الأول: الثوري، عن أسامة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، روى هذا

الوجه وكيع، وأبو أسامة، وخلاد.

الوجه الثاني: الثوري، عن أسامة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، روى هذا الوجه

قبيصة.

الوجه الأول هو الصواب، لأن وكيعاً وحده أولى من قبيصة حسب ترتيب أصحاب سفيان الثوري لدى ابن معين^(٣٤)، وقد تابع وكيعاً أبو أسامة، وخلاّد. ورواه عن أسامة على الوجه الأول حميد، وروح، وقد صحح الدارقطني هذا الوجه أيضاً^(٣٥).

تبين مما مضى أن رواية أسامة توافق رواية يونس في الأصل، إلا أن ثمة فرق في اللفظ، أسامة لم يذكر قصة أبي هريرة.

والحديث مداره على الزهري، وقد تفرد به من بين أصحاب عروة، ولكن تفرد لا يضر، لأنه ممن تحمل تفرد لثقته وتبحره في الروايات، فالحديث صحيح، مُخْرَج في (صحيح مسلم).

الحديث السادس:

قال الترمذي^(٣٦): حدثنا قتيبة، قال: حدثنا أبو صفوان، عن أسامة بن زيد، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: أتى رسول الله صل الله عليه وسلم على حمزة يوم أُحُد، فوقف عليه فرآه قد مَثَلَ به، فقال: لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةً فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ حَتَّى يُحْشَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ بَطُونِهَا. قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِنَمْرَةَ^(٣٧) فَكَفَّنَهُ فِيهَا، فَكَانَتْ إِذَا مَدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا مَدَّتْ عَلَى رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، قَالَ: فَكَثُرَ الْقَتْلَى وَقَلَّتِ الثِّيَابُ، قَالَ: فَكَفَّنَ الرَّجُلَ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةَ فِي الثُّوبِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرِ وَاحِدٍ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُ عَنْهُمْ أَكْثَرَ قُرْآنًا فَيَقْدِمُهُ إِلَى الْقَبْلَةِ. قَالَ: فَدَفَنَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِمْ.

تخريج الحديث:

* أخرجه أبو داود (٣١٣٦) عن قتيبة بن سعيد الثقفي به بمثله.
* وأخرجه أبو داود (٣١٣٥)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٢٨٨٣)، (٤٠٥٠)، وفي "شرح مشكل الآثار" (٤٩١٢)، (٤٩١٧)، والحاكم في "المستدرک" (١٣٥٦)، (٢٥٧٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٦٨٩٩) من طريق عبد الله بن وهب القرشي.

وأبو داود (٣١٣٦)، وأحمد (١٢٤٩)، وابن أبي شيبة (٣٧٩٠٧)، والطبراني في "الكبير" (٢٩٣٩) من طريق زيد بن الحباب التميمي.
وأبو داود (٣١٣٧)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٢٨٨٤)، (٤٩١٣)،

(٣٤) ينظر: شرح علل الترمذي (٧٢٢/٢).

(٣٥) ينظر: علل الدارقطني (٢٤٤/١٤).

(٣٦) في "الجامع" (١٠١٦).

(٣٧) كل شملة مخططة من مآزر الأعراب فهي نمرة، وجمعها: نمار (النهاية ١١٧/٥).

والدارقطني في "العلل" (٤٢٠٥)، (٤٢٠٦)، والحاكم في "المستدرک" (٤٩١٥) من طريق عثمان بن عمر بن فارس.

وابن أبي شيبة (١١٧٦٢)، (١١٧٧٧)، (٣٧٦١١)، وعبد بن حميد في "المسند" (١١٦٤)، وأبو يعلى الموصلي في "المسند" (٣٥٦٨)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢٦٠٨)، (٢٦١٠) من طريق عبيد بن موسى الحافظ.

والبزار (٦٣٤٧) من طريق عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي.

والحاكم في "المستدرک" (١٣٥٥)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٦٩٠٠) من طريق روح بن عبادة القيسي.

والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢٦٠٩) من طريق صفوان بن عيسى عباية.

سبعته (ابن وهب، وزيد، وعثمان، وعبيد، وأبو بكر، وروح، وعباية) عن أسامة بن زيد الليثي به بنحوه.

وزاد ابن وهب -عند الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٩١٧)-، وزيد -عند الطبراني-، وعثمان -عند الطحاوي-، وروح: "قال رسول الله صل الله عليه وسلم: مدوها على رأسه".

وزاد عثمان -عند غير الحاكم-، وعبيد -عند الضياء المقدسي-، وروح: "ولم يصل على أحد من الشهداء غيره"،

وزاد عثمان -عند الطحاوي والدارقطني-، وعبيد -عند ابن أبي شيبة-، وروح: "أنا شهيد عليكم اليوم".

وزاد ابن وهب -عند الطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤٩١٧)-، وعثمان -عند الدارقطني (٤٢٠٦)-: "جعل على رجليه الإذخر".

وزاد عبيد -عند ابن أبي شيبة-: "انظروا أيهم أكثر جمعاً للقرآن قدموه في اللحد".

* وأخرجه البخاري (١٣٤٥)، (١٣٤٦)، (١٣٤٧)، (١٣٥٣)، (٤٠٧٩)، وأبو داود (٣١٣٨)، (٣١٣٩)، والترمذي (١٠٣٦)، والنسائي (١٩٥٤)، وابن ماجه (١٥١٤) من طريق الليث بن سعد الفهمي.

والبخاري (١٣٤٨) من طريق عبد الرحمن بن عمرو الأزاعي.

وأحمد (١٤٤٠٩) من طريق عبد ربه بن سعيد الأنصاري.

وأحمد (٢٤١٤٩) من طريق معمر بن راشد الأزدي.

أربعته (الليث، والأوزاعي، وعبد ربه، ومعمر) عن ابن شهاب بنحوه مختصراً، ولم يذكروا قصة حمزة، ولفظه: "أن رسول الله صل الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد في ثوب واحد، ثم يقول: أيهم أكثر أخذاً للقرآن". فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد، وقال: أنا شهيد على هؤلاء". وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم

يصل عليهم، ولم يغسلهم".

ورواية الليث: ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب، عن جابر.

ورواية الأوزاعي: ابن شهاب، عن سمع من جابر، عن جابر.

ورواية عبد ربه: ابن شهاب، عن ابن جابر، عن جابر.

ورواية معمر: ابن شهاب، عن ابن أبي صغير، عن جابر.

دراسة الحديث:

مدار الحديث بهذا اللفظ على أسامة بن زيد الليثي، لم يتابعه أحد من أصحاب

ابن شهاب، وتفرد له لم يتحمل، فحديثه بهذا اللفظ ضعيف.

قال الترمذي عقب إيراده لفظ حديث أسامة: "حديث أنس حديث غريب، لا نعرفه من

حديث أنس إلا من هذا الوجه"، وقال: "وقد خولف أسامة بن زيد في رواية هذا

الحديث، فروى الليث بن سعد، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك،

عن جابر بن عبد الله بن زيد، وروى معمر، عن الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة، عن

جابر، ولا نعلم أحداً ذكره عن الزهري عن أنس إلا أسامة بن زيد، وسألت محمداً عن

هذا الحديث، فقال: حديث الليث، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك،

عن جابر أصح" (٣٨).

وقال البزار: "وهذا الحديث لا نعلم أحداً تابع أسامة على روايته عن الزهري، عن

أنس، وقد رواه الزهري، عن ابن كعب بن مالك، عن جابر" (٣٩).

وقال الدارقطني: "ويشبه أن يكون حديث أسامة بن زيد محفوظاً" (٤٠).

المقدار المشترك لألفاظ حديث أسامة وحديث الليث وغيره يتركز في قضية الأحكام

كالتكفين، وعدم الغسل، والصلاة على الشهداء، والتقديم في اللحد، ولعله المقصود من

قول الدارقطني كما نقل الضياء المقدسي عنه أنه قال: "يشبه أن يكون حديث أسامة

بن زيد محفوظاً" (٤١).

وأما زيادة "لم يصل على أحد من الشهداء غيره" فغير صحيحة أيضاً، قد قال

الدارقطني: "لم يقل هذا اللفظ غير عثمان بن عمر... وليست بمحفوظة" (٤٢).

الحديث السابع:

قال النسائي (٤٣): أخبرنا سليمان بن داود، قال: حدثنا عبد الله بن وهب، قال:

(٣٨) جامع الترمذي (٣٢٥/٢).

(٣٩) مسند البزار (٣٧/١٣).

(٤٠) علل الدارقطني (١٧٤/١٢).

(٤١) الأحاديث المختارة (١٧٧/٧).

(٤٢) سنن الدارقطني (٢٠٥/٥).

(٤٣) في "السنن" (٤٣٤٦).

أخبرني يونس، ومالك، وأسامة، عن ابن شهاب، عن الحسن وعبد الله ابني محمد، عن أبيهما، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: نَهَى رسول الله صل الله عليه وسلم عن مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمْرِ الْإِنْسِيَّةِ.

تخريج الحديث:

* أخرجه البخاري (٤٢١٦) عن يحيى بن قزعة القرشي.

والبخاري (٥٥٢٣) عن عبد الله بن يوسف التنيسي.

ومسلم (١٤٠٧) عن يحيى بن يحيى النيسابوري.

ومسلم (١٤٠٧) عن جويرية بن أسماء الضبعي.

والترمذي (١٧٩٤)، والنسائي (٣٣٦٧)، والدارقطني في "العلل" (١١٧/٤)، ومحمد

بن مخلد العصار في "ما رواه الأكابر عن مالك" (ص ٣٨)، وابن أبي حافض في

"تحريم نكاح المتعة" (ص ٢٥) من طريق يحيى بن سعيد الأنصاري.

والنسائي (٣٣٦٦) من طريق عبد الرحمن بن القاسم العتقي.

وابن ماجه (١٩٦١) من طريق بشر بن عمر الزهراني.

والدارمي (٢٠٣٣) من طريق أحمد بن يونس التميمي.

ثمانيتهم (يحيى بن قزعة، وعبد الله التنيسي، ويحيى النيسابوري، وجويرية، ويحيى

بن سعيد، وابن القاسم، وبشر، وأحمد) عن مالك بن أنس الأصبحي (١٩٩٣) به

بنحوه.

ورواية يحيى عند الدارقطني عن الزهري، ولم يذكر مالكا بينهما.

وزاد جويرية في أوله: "علي بن أبي طالب يقول لفلان: إنك رجل تائه نهانا رسول

الله صل الله عليه وسلم..."، وزاد أحمد نحوه وسمى الرجل، ألا وهو ابن عباس.

ورواية يحيى بن سعيد الأنصاري عند النسائي في وجه- "يوم حنين".

* وأخرجه مسلم (١٤٠٧) عن حرمة بن يحيى التجيبي.

ومسلم (١٤٠٧) عن أبي الطاهر أحمد بن عمرو القرشي.

والنسائي (٤٣٤٦) عن سليمان بن داود المهري.

ثلاثتهم (حرمة، وأبو الطاهر، وسليمان) عن عبد الله بن وهب القرشي به بمثله.

* وأخرجه البخاري (٥١١٥)، ومسلم (١٤٠٧)، والترمذي (١١٢١)، (١٧٩٤)،

(١٧٩٦)، والنسائي (٤٣٤٥)، وأحمد (٦٠٢)، والدارمي (٢٢٤٣) من طريق سفيان

بن عيينة الهلالي.

والبخاري (٦٩٦١)، ومسلم (١٤٠٧)، والنسائي (٣٣٦٥) من طريق عبيد الله بن

عمر العمري.

ومسلم (١٤٠٧)، وأحمد (١٢١٩) من طريق معمر بن راشد الأزدي.

ثلاثتهم (سفيان، وعبيد الله، ومعمر) عن محمد بن مسلم الزهري به بنحوه.

وفي بعض الوجوه لرواية ابن عيينة: "أن عليًا رضي الله عنه قال لابن عباس: إن النبي صل الله عليه وسلم نهى..."،
وفي رواية معمر وعبيد الله -واللفظ له-: "أن عليًا رضي الله عنه قيل له: إن ابن عباس لا يرى بمتعة النساء بأسًا".

دراسة الحديث:

الحديث صحيح، مُخرَج في "الصحيحين".
وأما لفظ "يوم حنين" فمروي عن عبد الوهاب، عن يحيى، وقد اختلف على عبد الوهاب على وجهين:

١- من روى بلفظ "يوم حنين": محمد بن المثنى -عند النسائي-، وقال محمد: "هكذا حدثنا عبد الوهاب من كتابه".

٢- من روى بلفظ "يوم خيبر": محمد بن بشار بن دار -عند الترمذي والنسائي-، وعمر بن علي الفلاس -عند النسائي-.

هؤلاء الثلاثة كلهم ثقات؛ ولكن اللفظ الثاني أرجح، لأن من رواه أكثر عددًا، ولعله وقع تصحيف في اللفظ الأول، والله أعلم.

وقد اختلف على يحيى بن سعيد الأنصاري أيضًا على وجهين:

الأول: يحيى، عن مالك، عن الزهري.

رواه عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي عند الترمذي والنسائي، وحماد بن زيد عند محمد بن مخلد العصار وابن أبي حافض.

الثاني: يحيى، عن الزهري.

رواه زفر بن الهذيل العنبري عند الدارقطني.

تبين أن من رواه على الوجه الأول أولى من حيث العدد، وقال الدارقطني بعد أن ساق الوجه الثاني: "كذا قال عن يحيى بن سعيد، عن الزهري، ويحيى لم يسمع هذا من الزهري، إنما سمعه من مالك بن أنس، عن الزهري، قال ذلك عبد الوهاب الثقفي، وإسماعيل بن عياش، وحماد بن زيد" (٤٤)، فالوجه الصواب في رواية يحيى بن سعيد الأنصاري هو الأول.

وأما رواية أسامة بن زيد الليثي فيبدو أنها توافق رواية بقية أصحاب الزهري من الثقات حسبما يفهم من صنيع النسائي الذي جمعه مع مالك ويونس، ولم أقف على لفظ أسامة.

(٤٤) علل الدارقطني (١١٧/٤).

الحديث الثامن:

قال ابن ماجه^(٤٥): حَدَّثَنَا إِبرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ الْجَرَامِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى التَّيْمِيُّ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صَائِمٌ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ كَالْمُفْطِرِ فِي الْحَضَرِ.

تخريج الحديث:

* أخرجه البزار (١٠٢٥) من طريق عبد الله بن عيسى المدني، عن أسامة بن زيد الليثي به بمثله.

* وأخرجه النسائي (٢٢٨٣) من طريق معن بن عيسى القزاز، والنسائي (٢٢٨٤) من طريق حماد بن خالد الخياط، وأبي عامر العقدي، والنسائي (٢٢٨٥) من طريق أبي معاوية الضرير، وابن أبي شيبة (٩٠٥٥) من طريق خالد بن مخلد القطواني، خمستهم (معن، وحماد، وأبو عامر، وأبو معاوية، وخالد) عن ابن أبي ذئب القرشي. والبزار (١٠٢٥) -معلقًا-، والدارقطني في "العلل" (٢٨١/٤) -معلقًا، عن يونس بن يزيد القرشي.

والدارقطني في "العلل" (٢٨١/٤) -معلقًا-، وابن الأعرابي في "المعجم" (٣٢١) من طريق يزيد بن عياض الليثي.

والدارقطني في "العلل" (٢٨١/٤) -معلقًا-، عن داود بن عبد الرحمن العطار، عن معمر بن راشد الأزدي.

والدارقطني في "العلل" (٢٨١/٤) -معلقًا-، عن سلامة، عن عقيل بن خالد الأيلي. خمستهم (ابن أبي ذئب، ويونس، ويزيد، ومعمر، وعقيل) عن الزهري به بمثله. ورواية ابن أبي ذئب موقوفة على عبد الرحمن بن عوف، وروايته عند أبي معاوية: الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه موقوفة. ورواية يونس عند الدارقطني: الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة مرفوعة.

دراسة الحديث:

تبين من التخريج أن مدار الحديث على الزهري، وقد روى عنه:

١ - أسامة بن زيد الليثي، رواه عنه مرفوعًا.

٢ - ابن أبي ذئب، وقد اختلف عنه على وجهين:

الوجه الأول: الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف موقوفًا.

رواه معن، وحماد الخياط، وأبو عامر، وخالد بن مخلد.

الوجه الثاني: الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبيه موقوفًا.

(٤٥) في "السنن (١٦٦٦).



رواه أبو معاوية الضرير الكوفي.

لعل الوجه الأول أرجح، لأنه من رواية معن، وهو من أهل المدينة، ذكر مسلم أن رواية أهل الحجاز عنه صحيحة، وفي حديث العراقيين عنه وهم كبير^(٤٦)، وقد تابعه غيره من أصحاب ابن أبي ذئب، فالصحيح في رواية ابن أبي ذئب عن الزهري أنها موقوفة.

٣- يونس بن يزيد، وقد اختلف عنه على وجهين أيضاً:

الأول: الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف -مرفوعاً-، رواه القاسم بن مبرور الأيلي.

الثاني: الزهري، عن أبي سلمة، عن عائشة -مرفوعاً-، رواه ابن لهيعة.

القاسم بن مبرور أحد الفقهاء، كما قاله ابن حجر، ولم يوجد من جرحه، وذكره ابن حبان في (الثقات)^(٤٧)، وأما ابن لهيعة فقد تكلم فيه، قال الذهبي: "ضعف، العمل على تضعيف حديثه"^(٤٨)، بهذا ترجح رواية مبرور، فالصحيح من رواية يونس أنها عن الزهري، عن أبي سلمة، عن عبد الرحمن بن عوف -مرفوعاً-، كرواية أسامة بن زيد الليثي.

٤- يزيد بن عياض، رواه عن الزهري مرفوعاً كرواية أسامة بن زيد الليثي.

٥- معمر، رواه عنه مرفوعاً أيضاً.

٦- عقيل بن خالد، رواه عنه مرفوعاً أيضاً.

تلخص مما مضى أن الحديث اختلف فيه عن الزهري على وجهين:

أولاً: الوجه المرفوع، رواه أسامة، ويزيد، ويونس، ومعمر، وعقيل.

ثانياً: الوجه الموقوف، رواه ابن أبي ذئب.

الظاهر أن رواية الأكثر هي المقدمة؛ ولكني لم أقف على من أورد طرق يونس، ومعمر، وعقيل مسندة، فهذه الطرق لم تصلح متابعة لطريق أسامة حتى يتبين حالها، وفي طريق عقيل سلامة ابن روح بن خالد، وقد قال عنبسة بن خالد الأيلي إنه لم

(٤٦) ينظر: شرح علل الترمذي (٢/٧٨٠).

(٤٧) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/١٢١)، والثقات لابن حبان (٩/١٧)، وتهذيب الكمال (٢٣/٤٢٦)، والتقريب (٥٥٢٣).

(٤٨) ينظر: الكاشف (٢٩٣٤)، والنكت الرفيعة في الفصل في ابن لهيعة (ص ٤٤-٤٧).

يسمع من عمه عقيل بن خالد، كذلك يفهم من كلام إسحاق بن إسماعيل الأيلي^(٤٩).
 ويزيد بن عياض الليثي قد جرحه الأئمة، قال فيه الذهبي: "ترك"^(٥٠)، فلم تنهض هذا
 الطريق لتقوية طريق أسامة أيضاً.
 وأما الوجه الثاني فهو من رواية ابن أبي ذئب وهو ثقة، فترجحت روايته عن رواية
 أسامة، قال الدارقطني: "الصحيح عن أبي سلمة، عن أبيه موقوفاً"^(٥١)، والله تعالى
 أعلم بالصواب.

الخاتمة

تبين للباحث من خلال دراسة أحاديث الراوي أسامة بن زيد الليثي عن
 الزهري في الكتب الخمسة على ما يلي:

١ - عدد مرويات أسامة بن زيد الليثي عن الزهري في الكتب الخمسة ثمانية أحاديث:

الرقم	المخرج	طرف الحديث	حال رواية أسامة بن زيد الليثي	نوع المخالفة	ملاحظة
١	أبو داود	لَا تُورَثُ مَا تَرَكَنَا فَهِيَ صَدَقَةٌ، وَإِنَّمَا هَذَا الْمَالُ لِلَّأَلِ مُحَمَّدٍ لِإِنَابَتِهِمْ، وَلِضَيُّوهُمْ...	مخالفة	زيادة لفظ	-
٢	أبو داود	رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَدَاةَ الْفُتُوحِ	مخالفة	ذكر السماع	-
٣	أبو داود	كَانَ كَلَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَامًا فَصْلًا	موافقة	-	-
٤	الترمذي	أَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَمْرَةٍ يَوْمَ أُحُدٍ...	تفرد	-	-
٥	النسائي	نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مُتْعَةِ النِّسَاءِ يَوْمَ خَيْبَرَ، وَعَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ	موافقة	-	-
٦	ابن ماجه	صَائِمٌ رَمَضَانَ فِي السَّفَرِ كَالْمُقِطِرِ فِي الْحَضَرِ.	مخالفة	رفع الموقوف	-
٧	أحمد	أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِصَلَاةِ الْمُنَافِقِ؟ يَدْعُ الْعَصْرَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْئِي شَيْطَانٍ...	تفرد	-	-

(٤٩) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٠١/٤)، وتهذيب الكمال (٣٠٤/١٢).
 (٥٠) ينظر: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢٨٢/٩)، والكمال في الضعفاء (١٤٠/٩)،
 والكاشف (٦٣٤٧).
 (٥١) علل الدارقطني (٢٨١/٤).

الرقم	المخرج	طرف الحديث	حال رواية أسامة بن زيد الليثي	نوع المخالفة	ملاحظة
٨	أحمد	أَنَّ جَارِيَةَ لِكُعْبٍ كَانَتْ تَزْعَى غَنَمًا لَهُ بِسَلْعٍ، فَعَدَا الذَّنْبُ عَلَى شَاةٍ...	تفرد	-	-

- ٢- وافق الراوي أسامة بن زيد الليثي غيره في روايته عن الزهري في حديثين (٢٥%)، وخالفهم في ثلاثة أحاديث (٣٨%)، وتفرد في ثلاثة أحاديث (٣٨%).
- ٣- نوع المخالفة التي وقع عليه الراوي يضر بروايته فنزل رتبة روايته عن الزهري خصوصاً؛ فهو ليس ممن يعتمد في الزهري لاحتتمال مخالفته، وقد يستأنس به ما لم يخالف غيره أو تفرد برواية، والله أعلم.

المصادر والمراجع

- ابن أبي حاتم. الجرح والتعديل. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٢٧١هـ.
- ابن حبان. الثقات لابن حبان. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ.
- ابن حجر العسقلاني. تقريب التهذيب. شركة حرف، ٢٠١٤م.
- ابن حجر العسقلاني. تهذيب التهذيب. الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ١٣٢٦هـ.
- ابن رجب الحنبلي. شرح علل الترمذي. الزرقاء: مكتبة المنار، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
- ابن سعد. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، ١٩٦٨م.
- أبو أحمد بن عدي الجرجاني. الكامل في ضعفاء الرجال. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.
- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني. العلل الواردة في الأحاديث النبوية (علل الدارقطني). الرياض: دار طيبة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني. سنن الدارقطني. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
- أبو السعادات ابن الأثير. النهاية في غريب الحديث والأثر. بيروت: المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي. السنن الكبرى. الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، ١٣٥٢-١٣٥٥هـ.
- أبو بكر أحمد بن عمرو البزار. البحر الزخار المعروف بمسند البزار. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩-١٤٣٠هـ/١٩٨٨-٢٠٠٩م.
- الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- الذهبي. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة. جدة: دار القبة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، ١٤١٣هـ.
- الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام - تحقيق الدكتور بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- الذهبي. سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.
- صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. الوافي بالوفيات. بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.
- ضياء الدين المقدسي. الأحاديث المختارة تحقيق عبد الملك دهيش.. لبنان: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ.

- عاتق بن غيث الحربي. معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية. مكة المكرمة: دار مكة للنشر والتوزيع، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- علاء الدين مغلطاي بن قليج الحنفي. إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١١ م.
- يوسف بن عبد الرحمن أبو الحجاج المزي. هذيب الكمال في أسماء الرجال. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠ هـ.



منهج الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ

Al-Dhahabi method in his book ticket preservation

إعداد
معاذ بن محمد المهنا
Moaz Mohammad Al-Muhanna

Doi: 10.21608/jasis.2024.367242

٢٠٢٤ / ٥ / ١٩

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٦ / ١

قبول البحث

المهنا، معاذ بن محمد (٢٠٢٤). منهج الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٢٩)، ٣٣٩-٣٧٨.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

منهج الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ

المستخلص:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا

محمد ﷺ وبعد:

عنوان البحث: الأحاديث التي حكم عليها الذهبي في كتابه (تذكرة الحفاظ) جمعاً وتخریجاً ودراسةً.

أهداف البحث: معرفة حال الذهبي في الرواية، ومعرفة منزلته في الجرح والتعديل، والكشف عن منهج الذهبي في الحكم على الأحاديث، وإظهار القرائن التي يستعملها الذهبي في التصحيح والتضعيف، وبيان مدى موافقة الذهبي في أحكامه على الأحاديث لأئمة النقد.

منهج البحث: يعتمد هذا البحث على منهجين:

أولاً: المنهج الاستقرائي، وذلك بتتبع الأحاديث التي حكم عليها الذهبي في كتابه (تذكرة الحفاظ).

ثانياً: المنهج النقدي، وذلك من خلال دراسة الأحاديث، والحكم عليها.

خاتمة البحث: تضمنت النتائج والتوصيات.

نتائج البحث: أن الأئمة الكبار لهم عبارات يطلقوها على الأحاديث، والرواة تحتل أكثر من معنى فيجب التنبيه لهذا وعدم التسرع في نقل كلامهم، وأنه يجب علينا أن نعلم أن الغالب على هذا العلم هو نقل عن الأئمة والحفاظ وليس فيه إنشاء منا إلا القليل، ولكن يتميز بعض الباحثين عن الآخر في توسعه في بحثه، كما تبين صعوبة الوقوف على شيوخ شيوخ الحفاظ لقلة المصادر، وأن الحفاظ معتدل في أحكامه فإنه لا ينكلم عن راوي إلا بعد سبر أقوال أئمة النقد فيه ويجتهد في تحريرها.

توصيات البحث: على الباحث أن يعلم أن لكل راوٍ حال وإن كان ثقة، فقد يضعف حديثه وكل هذا مبناه على الزمان والمكان، واختصاص الرواة عن الشيوخ فلا بد من معرفة أحوال الرواة والقرائن التي تحف بهم حتى لا تقع في الخطأ الذي وقع فيه من صنف في العصور المتأخرة، من النظر لظاهر الإسناد ومن ثم الحكم على الحديث دون النظر إلى قرائن الأخرى، وهذا خلاف لمنهج أئمة الحديث ونقاده.

Abstract:

Praise be to Allah, Lord of the worlds, and peace and blessings be upon the mercy-envoy of the worlds, our Prophet Muhammad:

Title of the research: the hadiths that were judged by the golden one in his book (ticket of preservation) collection, graduation and study.

The objectives of the research: to find out the status of Al-dhahabi in the novel, to find out his status in the wound and modification, to reveal the method of Al-dhahabi in judging Hadiths, to show the clues that Al-dhahabi uses in correction and weakening, and to indicate the extent of approval of Al-dhahabi in his judgments on Hadiths to the imams of criticism.

Research approach: this research is based on two approaches: First: the inductive method, by tracing the hadiths that Al-dhahabi ruled on in his book (the ticket of preservation.) Secondly: the critical approach, through the study of hadiths, and judging them.

Conclusion of the research: included results and recommendations.

The results of the research: that the great imams have phrases that they call Hadiths, and narrators bear more than one meaning, we must pay attention to this and not rush to convey their words, and that we must know that the majority of this science is a transmission of imams and preservation and there is little creation from us, but some researchers are distinguished from the other in its expansion in its research, as it turned out difficult to stand up to the sheikhs of the sheikhs of Al-Hafiz because of the lack of sources, and that Al-Hafiz is moderate in his judgments, he does not speak about the narrator only after hearing the statements of the imams of criticism in it and strives to edit them.

Research recommendations: the researcher should know that each narrator has a condition, even if he is confident, his speech may be weakened, and all this is based on time and place, and the competence of narrators about the elders, it is necessary to



know the conditions of narrators and the clues that they have so as not to make the mistake that someone made in late times, from looking at the appearance of Isnad and then judging the Hadith without looking at other clues, and this is contrary to the approach of the imams of Hadith and its critics.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن علم الحديث من أعظم المفاخر الإسلامية، فهو أول منهج في تاريخ الإنسانية عني بتمحيص الرواية، ومعرفة الصحيح منها، والضعيف، بينما كان هذا الأمر غير معروف في الأمم السابقة، بل كانوا ينقلون الروايات والقصص دون أي ضابط عندهم لتمييز الروايات، حتى لو كانت تلك الرواية تتعلق بالمعتقدات وأمور الدين، ولذا شاب بعض الأديان الخرافات والأباطيل في الأحكام والمعتقدات.

وقد اختص الله ﷺ هذه الأمة بالإسناد وأفردها به فلم تشاركها فيه أمة من أمم الأرض، وسخر الله ﷻ رجالاً حفظوا حديث رسوله ﷺ، وأفنوا أعمارهم في تدوينه والذب عنه، ووضعوا لذلك قواعد يتميز بها الصحيح من الضعيف، ودوّن علماء الأمة الإسلامية كتباً خاصة بتراجم الرواة ونقله الأخبار وبيان حالهم، فحفظوا لنا تراجم حفاظ الأمة ونقاد الحديث، وبيّنوا ما كانوا عليه من الديانة والصدق والأمانة والزهد والورع والتثبت في الرواية، والتحري الدقيق في نقد الحديث ورواته، مع النصح للأمة فرحمهم الله رحمة واسعة وجزاهم عن أمة الإسلام خير الجزاء.

ومن أهم تلك الكتب التي عنيت بتراجم الرجال وبيان أحوالهم ومصنفاتهم كتاب: "تذكرة الحفاظ" للإمام المؤرخ شمس الدين الذهبي، والذي جمع فيه أكثر من (١١٧٠) ترجمة، وأودع فيه أكثر من (٧٠٠) حديث، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث، والذي عنونت له بـ: "منهج الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ".

• مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١. ما حال الذهبي في الرواية؟
٢. ما منهج الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ؟
٣. ما هي طريقته في عرض التراجم؟

• أهمية البحث وأسباب اختياره:

يرى الباحث أن أهمية هذا البحث تكمن في:

١. أن هذا الكتاب من أوسع كتب الإمام الذهبي التي ذكر فيه جملة من الأحاديث وحكم عليها.

٢. مكانة الإمام الذهبي في علم الحديث، ورسوخ قدمه.

• أهداف البحث:

١. معرفة حال الذهبي في الرواية، ومعرفة منزلته في الجرح والتعديل.

٢. الكشف عن منهج الذهبي في كتابة تذكرة الحفاظ.

٣. استعراض طريقة الإمام الذهبي في عرض التراجم.

• الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على فهارس المكتبات العامة، والمكتبات الإلكترونية والرقمية، والدوريات العلمية، وقوائم الرسائل الجامعية، ومراسلة المكتبات المختصة، لم أقف على بحثٍ تعرّض لمنهج الذهبي في كتاب (تذكرة الحفاظ).

وقد وجدت دراسة عُنيّت بكتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي، وهي: (كشف الغطاء عن أحكام الذهبي في سير أعلام النبلاء)، للباحث: يحيى بن عبدالله الشهري.

• منهج البحث:

التعرض لمنهج الإمام الذهبي في كتابه "تذكرة الحفاظ"، مع بيان طريقته في عرض التراجم، وإثبات الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها الأصلية مع بيان درجتها صحة وضعفاً.

• خطة البحث:

يحتوي البحث على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهارس.

• المقدمة، وفيها:

- مشكلة البحث.

- أهمية البحث وأسباب اختياره.

- أهداف البحث.

- الدراسات السابقة.

- منهج البحث.

- خطة البحث.

• الفصل الأول: الدراسة النظرية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة الذهبي.

المبحث الثاني: التعريف بكتاب تذكرة الحفاظ.

المبحث الثالث: منهج الذهبي في كتابه "تذكرة الحفاظ".

المبحث الرابع: منهج الذهبي في الحكم على الأحاديث.

- **الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية،** وفيه تخريج ودراسة خمسة أحاديث حكم عليها الذهبي في كتابه (تذكرة الحفاظ).
- **الخاتمة،** وفيها أهم النتائج والتوصيات.
- **الفهارس،** وفيها:
 - فهرس المصادر والمراجع.
 - فهرس الموضوعات.

الفصل الأول

المبحث الأول: ترجمة الإمام الذهبي رحمه الله.

لم تعرف المكتبة العربية مؤرخًا غزير الإنتاج، متنوع التأليف مثل الحافظ الذهبي، فهو يعد واحد من الأفاضل القلائل في مسيرة علوم الحديث والرجال والتأريخ الإسلامي، وقد دلت آثاره العلمية واتجاهاته الفكرية على سعة أفقه وعلمه وحفظه، وقدرته الفائقة على نقد الرجال وتصوير التاريخ، برجاحة عقله وسعة أفقه أن يجمع بين أكبر قدر ممكن من حوادث التاريخ الإسلامي ورجاله، مع معرفة وإمام كبير بعلم الجرح والتعديل (وهو من العلوم المتعلقة برواة الحديث)، واهتمام فائق بالتراجم التي استحوذت على جزء كبير من كتبه ومؤلفاته، وقد ترك الإمام الذهبي إرثًا ضخمًا للمكتبة العربية الإسلامية، حيث إن مؤلفاته قد جاوزت مائتي كتاب.

• **أسمه ونسبته:**

هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ابن الشيخ عبدالله التركماني الغارقي^(١)، ثم الدمشقي ابن الذهبي. الشافعي المقرئ المحدث^(٢). ولد في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وستمائة^(٣).

(١) هكذا كتبت في معجم الشيوخ (٢١/١) تحقيق د. محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق وهو تصحيف والصواب (الفارقي) نسبة إلى مدينة ميفارقين أشهر مدن ديار بكر، وقد أجمعت المصادر على ذلك انظر:

معجم الشيوخ (٧٥/١)، والمعجم المختص (٩٧)، والوافي بالوفيات (١١٦/٢)، وذيل تذكرة الحفاظ (٣٤/٥)، وذيل العبر في خبر من غير للحسيني (١٤٨/٤)، والرد الوافر (٨٣) والدرر الكامنة (٦٦/٥)، وذيل طبقات الحفاظ (٣٤٧/٥) وشذرات الذهب (٢٦٥/٨) والبدر الطالع (٦٢٦)

وهذه البلدة الآن قرية في جنوب تركيا تسمى ((سافا)) انظر "معجم البلدان" (٢٣٥/٥)، والحافظ الذهبي مؤرخ الإسلام ناقد المحدثين لعبدالستار الشيخ (٢٧)

(٢) هكذا ساق الذهبي اسمه حين ترجم لنفسه في معجم الشيوخ (٢١/١)، والمعجم المختص (٩٧)

وذكر ابن حجر أن مولده في الثالث من الشهر المذكور^(٤).
كان مولوده في مدينة دمشق^(٥).

فجد أبيه هو قايماز ابن الشيخ عبدالله. قال الذهبي: قال لي ابن عم والدي علي فارس النجار: توفي جدنا عن مائة وتسع سنين، وسماه الحاج قايماز، مات سنة إحدى وستين وقد أضّر ودخل في الهرم^(٦).

وجده عثمان، ترجم له الذهبي فقال: عثمان بن قايماز.. الفارقي ثم الدمشقي النجار أبو أحمد فخر الدين.

رجل أُمي حسن اليقين بالله، كان يسأل الله أن يتوفاه ليلة الجمعة، فأعطاه الله ذلك. وقال: شهدت دفنه بسفح قاسيون عقيب الجمعة في سنة ثلاث وثمانين وست مائة، مات في عشر السبعين^(٧).

وأما والده شهاب الدين أحمد فقد ترجمه الذهبي فقال: أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبد الله التركماني الفارقي الأصل ثم الدمشقي شهاب الدين الذهبي والذي أحسن الله جزاءه ولد سنة إحدى وأربعين وست مائة تقريباً.

وعدل عن حرفة أبيه إلى صنعة الذهب المدقوق، فبرع فيها وحصل منه، ما أعتق منه خمس رقاب، وسمع الصحيح في سنة ست وستين وست مائة من المقداد القيسي، وحج في أواخر عمره، كان يقوم من الليل.

وتوفي في آخر جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وست مائة ليلة الجمعة، وصلى عليهم الخلق يؤمهم قاضي القضاة ابن جماعة^(٨).

فالذهبي نسبته إلى أبيه أحمد، الذي برع في صنع الذهب، وكثيراً ما يعبر عن نفسه بقوله: "ابن الذهبي" ويكتب هذه النسبة في مؤلفاته كقوله في "معجم الشيوخ": (أما بعد: فهذا معجم العبد المسكين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز ابن الشيخ عبدالله التركماني ثم الدمشقي، ابن الذهبي...) ^(٩).

(٣) الوافي بالوفيات (١١٦/٢)، وذيل تذكرة الحفاظ (٣٤/٥)، وذيل طبقات الحفاظ (٣٤٧/٥)، وشذرات الذهب (٢٦٥/٨)

(٤) الدرر الكامنة (٦٦/٥)

(٥) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٤/٥)، وأهل المئة فصاعدا نشره د. بشار عواد في مجلة المورد (ج ٢ / عدد ٤ / ١٠٨).

(٦) أهل المئة فصاعداً (١٠٧)، ومعجم الشيوخ (٤٣٦/١).

(٧) معجم الشيوخ (٤٣٦/١). قال د. بشار عواد يبدو أن جده عثمان هو الذي قدم دمشق واتخذها سكناً له، الذهبي ومنهجه في كتاب تاريخ الإسلام (٧٤).

(٨) معجم الشيوخ (٧٥/١)

(٩) السابق (٢١/١)

فهو من أسرة تركمانية الأصل، سكنت مدينة ميفارقين ويرجع في ولائه إلى بني تميم، فقد ذكر بشار عواد في ترجمته للذهبي أن الذهبي كتب بخطه طرة المجلد التاسع عشر من "تاريخ الإسلام" (نسخة أيا صوفيا ٣٠١٢)، "تأليف محمد أحمد عثمان بن قايمار مولى بني تميم" (١٠).

• البيئة التي عاش فيها:

عاش الذهبي في أجواء أسرة متدينة متعلمة ميسورة الحال، الأمر الذي ساعده على تحصيل العلمي منذ نعومة أظفاره. فكانت مرضعته عمته ست الأهل بنت عثمان بن قايمار، وهي أمه من الرضاعة، أخذت الإجازة عن جماعة (١١).

وخاله علي بن سنجر، سمع من جماعة من أهل العلم، ورى عنه الذهبي (١٢) وزوج خالته فاطمة: أحمد من عبدالغني الحرساني، وكان حافظاً للقرآن، كثير التلاوة (١٣).

وأبوه من الرضاعة: إبراهيم بن داود العطار، كان له عناية بالعلم والرواية (١٤) وأخوه من الرضاعة: داود بن إبراهيم، كان فقيهاً علماً (١٥) وأخوه الآخر: علي بن إبراهيم بن داود العطار، ممن كتب واشتهر ذكره. قال الذهبي عنه "انتفعت به، وأحسن إليّ باستجازته لي كبار المشيخة" (١٦) أما عن حياته في الصغر، وشدة حرصه على العلم، فيقول الذهبي عن مؤدبه علي بن محمد الحلبي: "كان من أحسن الناس خلقاً، وأبرهم بتعليم الصبيان، أقمت في مكتبه أربعة أعوام، وتعلم عنه خلائق.." (١٧)

(١٠) انظر الذهبي ومنهجه (٧٣)، وسير أعلام النبلاء (١٥/١)

(١١) معجم الشيوخ (٢٨٤/١)

(١٢) السابق (٢٧/٢)

(١٣) السابق (٦٨، ٦٩/١)

(١٤) السابق (١٣٦/١)

(١٥) السابق (٢٣٦/١)، والمعجم المختص (٩٤)

(١٦) معجم الشيوخ (٧/٢)، والمعجم المختص (١٥٧، ١٥٦). ومراد الذهبي أنه انتفع بهذه الإجازة، لكونها في سنة مولده (٥٦٧٣)، فنتفع بجمله من المشيخة. منهم من دمشق:

الحافظ: محمد بن علي الصابوني ت (٥٦٨٠)، انظر معجم الشيوخ (٢٤٧/٢)

ومن حلب: أحمد بن محمد الحلبي ت (٥٢٩٢) معجم الشيوخ (٩٥/١)

ومن مكة: محب الدين أحمد الطبري ت (٥٦٩٤) وغيرهم. معجم الشيوخ (٥٠/١)

قال ابن حجر عن العطار: "وهو الذي استجاز الذهبي سنة مولده فانتفع الذهبي بعد ذلك بهذه الإجازة انتفاعاً شديداً". انظر الدرر الكامنة (٤/٤)

وتلقن القرآن من شيخه: مسعود بن عبدالله الأعزازي. قال عنه: المقرئ الصالح، لقنني جميع القرآن ثم جرّدت عليه نحواً من أربعين ختمة^(١٨)

• أسرته:

وتزوج الذهبي بامرأة صالحة، من أهل بلدته، أنجبت له عدة أولاد، وتوفيت بعده بثمانى سنوات.

قال ابن رافع في سنة ت (٥٧٥٦هـ): " وفي ليلة الاثنين الثاني عشر من شوال منها: توفيت الشيخة الصالحة أم عبد الله ابنة محمد بن نصر الله بن عمر بن القمر من أهل كفر بطنا زوج شيخنا الحافظ الذهبي بدمشق وصلي عليها من الغد ودفنت بمقابر باب الصغير"^(١٩)

وقد رُزق الذهبي بثلاثة أولاد، هم:

١- ابنته أمّة العزيز أم سلمة، وهي أكبرهم، وقد أجاز لها غير واحد باستدعاء والدها^(٢٠)، وتزوجت في حياة أبيها، وأنجبت عبدالقادر بن محمد المشهور بابن القمر الدمشقي ت (٥٨٠٣هـ)^(٢١).

٢- ابنه: أبو الدرداء عبدالله، أسمعه أبوه من خلق كثير .. مات ت (٥٧٥٤هـ)^(٢٢)

٣- ابنه شهاب الدين: أبو هريرة عبدالرحمن، أصغر إخوانه، وكان مسند الشام في عصره قال ابن حجر: أسمعه من عيسى المطعم، وابن الشيرازي وأهل عصره بأكثر عنهم .. وحدّث في غالب عُمره، وكان صبوراً عل السماع، محباً لأهل الحديث والروايات .. وأجاز لي غير مرة، ت (٥٧٩٩هـ)^(٢٣)

• رحلاته العلمية وأبرز شيوخه:

كان الذهبي مولعاً بالعلم، محباً له منذ الصغر، فأخذ يتردد على مجالس الشيوخ، وحلقات المحدثين. قال في ترجمة شيخه، محمد بن عمر بن مكي الدمشقي: "وكان من أفراد الأذكياء، جلسْتُ إليه، وأول ما سمعْتُ كلامه في سنة ثلاث وثمانين وستمئة، وسمعت منه في صحيح مسلم بدار الحديث"^(٢٤)

وكان سماعه بذلك وهو ابن عشر سنين.

(١٧) معجم الشيوخ (٥٢/٢)

(١٨) معجم الشيوخ (٣٣٩/٢)

(١٩) الوفيات (١٨٨/٢)، والدرر الكامنة (١٨٨/٢)

(٢٠) انظر مثال ذلك في معجم الشيوخ (٢٠٤/٢)

(٢١) إنباء الغمر بأبناء العمر (١٦٩/٢)، وحظ الألاحظ بذيّل طبقات الحفاظ (١٩١/٥)

(٢٢) الدرر الكامنة (٦٧/٣)

(٢٣) إنباء الغمر بأبناء العمر (٥٣٦/١)، والمجمع المؤسس (١٤٥/٢)

(٢٤) معجم الشيوخ (٢٥٩/٢)

وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره بدأ يعتني بطلب العلم والرحلة له إلا أن والده لم يكن يشجعه على الرحلة بل منعه في بعض الأحيان وكان الذهبي يتحسر على ذلك لما لذلك من أهمية بالغة في تحصيل علو الإسناد وقدم السماع ولقاء الحفاظ والمذاكرة لهم والاستفادة عنهم. قال في ترجمة أبي الفرج عبدالرحمن بن عبداللطيف .. البغدادي الحنبلي شيخ المستنصرية ت (٦٩٧هـ): "وانفرد عن أقرانه وكنت أتحسر على الرحلة إليه، وما أتجسر خوفاً من الوالد، فإنه كان يمنعني"^(٢٥)، وقال في معجم الشيوخ: "وقد هممت بالرحلة إليه ثم تركته لمكان الوالدة"^(٢٦)، وقال في ترجمة المكين الأسمر المقرئ الإسكندراني ت (٦٩٢هـ): "ولما مات شيخنا الفاضلي، فازددت تلهفاً وتحسراً على لقيته، ولم يكن الوالد يمكنني من السفر"^(٢٧).

ومع ما أسلفنا من أن والد الذهبي كان يمنعه من السفر والرحلة في طلب العلم وهو في مقتبل شبابه، فقد سمح له بالرحلة حينما بلغ العشرين من عمره، وذلك سنة (٦٩٣هـ). تمكنه من خلالها الالتقاء ببعض العلماء واشتراط عليه ألا يغيب أكثر من أربعة أشهر^(٢٨).

ومن بين تلك الرحلات التي قام بها أثناء حياة والده، رحلته إلى بعض المدن الشامية، ومنها: بعلبك، وحلب، وحمص، وحماة، وطرابلس، والكرك، والمعرّة، وبصرى، والقدس، وتبوك^(٢٩).

■ ويمكن تقسيم رحلاته إلى عدة أماكن:

أ - رحلاته داخل البلاد الشامية:

ففي دمشق وأحيائها والقرى القريبة منها:

قرأ ببقرته "كفر بطنا" على الحافظ أحمد بن أبي طالب الحجار "صحيح البخاري"^(٣٠)، وعلى عبدالحميد بن عبدالرحيم^(٣١)، وعلى علي بن محمد بن عمر الأزدي^(٣٢)، وتقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي^(٣٣)، وغيرهم.

(٢٥) معرفة القراء (٣٧٣)، تاريخ علماء المستنصرية ناجي معروف (٢٤٠/١)

(٢٦) معجم الشيوخ (٣٦٥، ٣٦٦/١)

(٢٧) معرفة القراء (٣٠٧)، ذكر د. بشار عواد قال: يبدو لنا أن الذهبي كان وحيد أبيه، لأننا لم نقف على أخ لمحمد بن أحمد الذهبي في جميع الكتب المطبوعة والمخطوطة التي اطلعنا عليها، مع أن الذهبي كثير العناية بذكر أقربائه، أو كان هو البارز بين أبنائه في الأقل، بحيث كان يخاف عليه هذا خوف كله. انظر الذهبي ومنهجه (٨٢)

(٢٨) كان والده يرافقه في رحلته إلى حلب سنة (٦٩٣هـ) وقد سمع معه فيها. انظر الذهبي ومنهجه (٨٢)

(٢٩) انظر نكت العميان (٢٤٢)، وسير أعلام (٢٥/١)

(٣٠) معجم الشيوخ (١١٩/١)

وأخذ بدمشق عن كثير منهم:
أبو حفص عمر بن عبد المنعم ابن القواس^(٣٤)، وأبو الحسين علي بن محمد اليونيني^(٣٥)،
وعثمان بن محمد بن منيع^(٣٦)، وغيرهم.
وبجبل قاسيون عن جماعة منهم: إسماعيل بن عبد الرحمن المعروف بابن
المنادي^(٣٧)، وزينب بنت عبد الباقي الصالحية^(٣٨)، وغيرهم.
وطاف في كثر من مدن سورية وقراها:
فأخذ ببصرى عن الفقيه عبد الغني بن منصور الحراني^(٣٩). وبمدينة حمص أخذ عن
خطيبها علي بن عبد الله القيسي^(٤٠).
وسمع بمدينة حماة من عبدالعزيز بن عمر الحموي^(٤١)، والعلامة عبدالعزيز محمد
الحلبي^(٤٢)، وغيرهما.
ورحل إلى حلب سنة (٦٩٣هـ) برفقة والده فأخذ عن جملة من أعيانها^(٤٣)، وفي
مقدمتهم: سنقر بن عبد الله^(٤٤)، وعبد الله بن محمد ابن عبد القادر^(٤٥).
ورحل إلى بلبك مرتين في سنتين (٦٩٣هـ)، (٧٠٧هـ)^(٤٦).
فأخذ عن جماعة من علمائها، وسمع عليهم كثير، ففي رحلته الأولى أشار في ترجمة
المقرئ محمد بن أحمد بن علي الرقي، ثم الدمشقي الحنفي، فقال: "أفادنا أشياء، ولما

- (٣١) السابق (٣٥٠/١)
(٣٢) المعجم المختص (١٧٠)
(٣٣) السابق (١٦٦)
(٣٤) معجم الشيوخ (٧٤/٢)
(٣٥) السابق (٤٠/٢)
(٣٦) السابق (٤٣٨/١)
(٣٧) السابق (١٧٥/١)
(٣٨) السابق (١٥٢/١)
(٣٩) السابق (٤٠٥/١)
(٤٠) السابق (٣٠/٢)
(٤١) السابق (٣٩٩/١)
(٤٢) السابق (٤٠٠/١)
(٤٣) الذهبي ومنهجه (٨٢، ٨٣)
(٤٤) معجم الشيوخ (٢٧٦/١) سنقر أو بالكسرة كما في العلي مقدمة ٣٧
(٤٥) السابق (٣٣٨/١)
(٤٦) الذهبي ومنهجه (٨٣)

سافرت إلى بعلبك، سنة ثلاث وتسعين وتعوقت بالقراءة على الموفق، وثب على حلقتي..^(٤٧)

وأما رحلته الثانية فقد أشار إليها في ذكر ترجمة شيخه سعد بن محمد بن علي الحسيني، فقال: "رأيت هذا الشيخ بعلبك في أول سنة سبع وسبع مئة"^(٤٨)

وسمع في رحلتيه وقرأ على كثيرين، منهم: تاج الدين عبدالخالق بن عبدالسلام البعلبكي^(٤٩)، وموفق الدين محمد بن علي النصيبي^(٥٠)، وموسى بن عبدالعزيز الحنبلي^(٥١)، وغيرهم.

وفي طرابلس قرأ وسمع من جماعة منهم: إبراهيم بن بركات^(٥٢)، وعلي بن محمد بن سليمان ابن حمائل^(٥٣)، وغيرهم.

ب - رحلته إلى البلاد المصرية:

رحل الحافظ الذهبي إلى مصر سنة (٥٦٩٥هـ) وكان رفيقة في الرحلة داود ابن إبراهيم العطار^(٥٤)، وهو أخوه من الرضاع.

قال في ترجمة شيخته أم محمد سيدة بنت موسى بن عثمان المارانية المصرية: "وقد رحلت إلى لقيائها فماتت وأنا بفلسطين في رجب سنة خمس وتسعين وستمائة"^(٥٥). وقال في "تاريخ الإسلام": "شيخة صالحة، معمرة، كنت أتلّهُ على لُقيّها، ورحلتُ إلى مصر وعلمي أنها باقية، فدخلت فوجدتها قد ماتت من عشرة أيام توفيت يوم الجمعة سادس رجب وأنا بوادي فحمة"^(٥٦)

فسمع من الحافظ أحمد بن محمد بن عبدالله الحلبي المعروف بابن الظاهري^(٥٧)، ومن أحمد بن إسحاق بن محمد المصري المعروف بالأبرقُوهي^(٥٨)، ومن الحافظ عبدالمؤمن بن خلف الدميّاطي^(٥٩)، وغيرهم كثير.

(٤٧) معرفة القراء (٤٠٢)

(٤٨) معجم الشيوخ (٢٦٤/١)

(٤٩) السابق (٣٥١/١)

(٥٠) السابق (٣٢٣/٢)

(٥١) السابق (٣٤٦/٢)

(٥٢) السابق (١٣١/١)

(٥٣) السابق (٤١/٢)

(٥٤) علي بن إبراهيم بن داود أبو الحسن ابن العطار الشافعي (٦٥٤-٧٢٤هـ)

(٥٥) معجم (٢٩٤/١)

(٥٦) تاريخ الإسلام (٨١٣/٣٠)

(٥٧) معجم (٩٣/١)

(٥٨) السابق (٣٧/١)

ج - رحلته للحج:

وتوفي والد الذهبي في سنة (٥٦٩٧هـ)، وفي السنة التالية (٥٦٩٨هـ)، رحل للحج، قال في حوادث السنة من تاريخ الإسلام: "وحج بنا الأمير شمس الدين العينتابي"^(٦٠)، وكان يرافقه في حجه جماعة من أصحابه وشيوخه، منهم شيخ دار الحديث المسند محمد بن عبدالمحسن ابن الخراط قال الذهبي: "ورافقنا في الحج فسمعت منه بالعلی ومعان كتاب "الفرج بعد الشدة"^(٦١) وقد سمع بالمدن والأماكن المقدسة، وعدد من البلدان التي مر بها، من ذلك:

في مكة أخذ عن إمام المقام: إبراهيم بن محمد الطبري^(٦٢).

وبعرفة من عبدالسلام بن عبدالخالق ابن علوان^(٦٣).

ومنى المحدث عثمان بن محمد التّوّري^(٦٤).

وسمع بالمدينة من عمر بن العباس الدمشقي^(٦٥)، ومن محمد بن عبدالولي ابن خولان^(٦٦)،

وبتبوك من محمد بن عبدالولي بن أبي محمد بن خولان^(٦٧)، وغيرهم كثير.

كما أخذ الحافظ عن عددٍ كبير من النساء، مثل:

أسماء بنت محمد بن عبدالرحيم بن عبدالواحد^(٦٨)، زاهدة بن أسحاق المصرية، أخذ شيخنا الأبرزقوهي^(٦٩)، صفية بنت أحمد بن عبدالله بن ميسرة الأزديّة^(٧٠). وغيرهم كثير.

فذكر الصفدي أن عدد شيوخ الذهبي وصل إلى ألف وثلاثمائة شيخ^(٧١)

(٥٩) السابق (٤٢٤/١)

(٦٠) تاريخ الإسلام (٧٠٢/٣٠)

(٦١) معجم (٢٢٦/٢)، والكتاب المذكور للقاضي أبي علي المحسن التنوخي ت(٥٣٨٤).

(٦٢) المعجم المختص (٦٢)

(٦٣) معجم (٣٩٢/١)

(٦٤) معجم (٤٣٨/١)

(٦٥) السابق (٧٢/٢)

(٦٦) السابق (٢٢٧/٢)

(٦٧) المعجم المختص (٢٤٢)

(٦٨) المعجم (١٨٨/١)

(٦٩) معجم (٢٤٥/١)، تقدم ذكره

(٧٠) معجم (٣٠٨/١)

(٧١) نكت العميان (٢٤٣)

وقد حرص الذهبي على تدوين أسماء شيوخه الذين استفاد منهم عن طريق السماع أو الإجازة، فكتب معجم الشيوخ الكبير، والمعجم المختص "بالمحدثين"، والمعجم اللطيف^(٧٢)

ولم يكتف رحمه الله بالأخذ عن الشيوخ والمشاهير ممن هم أكبر منه سنًا، بل اتصل بمن هم مثل سنه أو أكبر قليلًا، أو أصغر قليلًا، من ذلك:

- أبو الحجاج المزني: يوسف بن عبدالرحمن الدمشقي (٦٥٤-٥٧٤٢هـ).
- شيخ الإسلام: أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٦٦١-٥٧٢٨هـ).
- علم الدين البرزالي: القاسم بن محمد الدمشقي (٦٦٥-٥٧٣٩هـ)^(٧٣).

ومن أقرانه:

- أحمد بن يعقوب بن أحمد الصابوني (٦٧٥ أو ٦٧٦-٥٧٣١هـ)
 - تقي الدين السبكي: علي بن عبد الكافي السبكي (٦٨٣-٥٧٥٦هـ)
 - ابن القيم: محمد بن أبي بكر الدمشقي (٦٩١-٥٧٥١هـ)، وغيرهم^(٧٤).
- وهكذا فإن الحافظ الذهبي قد رحل وجالَّ في كثير من البلدان والديار الشامية، والمصرية، والحجازية، وسمع بأكثر من أربعين بلدًا^(٧٥).
- فسمع ما لا يحصى من الكتب الكبار، والأجزاء الصغار، والمجاميع، والفوائد، والمعجمات، والمشیخات^(٧٦).

• تلاميذه:

تبوأ الحافظ الذهبي مكانةً عالية في عصره بين أسياده وأقرانه، ومما زاد أمره شهرةً، وذكره علوًا، توليه تدريس الحديث وعلومه في كُبريات مدارس الحديث في وقته، فأثاحت له هذه المناصب أن تُدرَّس عليه مئات الطلبة. قال تلميذه الحسيني: "وحمل عنه الكتاب والسنة خلائق"^(٧٧)

فمن تلاميذه- باختصار:

- الحافظ أحمد بن محمد بن إبراهيم المقدسي، المتوفى سنة (٥٧٦٥هـ)^(٧٨)
- الفقيه أحمد بن محمد العلائي، المتوفى سنة (٥٧٤٥هـ)^(٧٩)

(٧٢) سيأتي ذكرها عند آثار المؤلف

(٧٣) راجع مواضع تراجمهم حسب ورودهم: معجم الشيوخ (٣٨٩/٢، ٥٦/١، ١١٥/٢)، والمعجم المختص (٢٩٩، ٢٥، ١٩٤)

(٧٤) المعجم المختص (٤٦، ١٦٦، ٢٦٩)

(٧٥) السير (٤٠١/١٦)

(٧٦) انظر سرُّدها في كتاب عبدالستار (٦٥)

(٧٧) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٦/٥)

(٧٨) المعجم المختص (٣٣)، لحظ الألبان بذيل طبقات الحفاظ (١٤٨/٥)

- القاضي إبراهيم بن عبدالرحيم بن بدر الدين محمد ابن جماعة، المتوفى سنة (٥٧٩٠هـ)^(٨٠)
 - المؤرخ، والمفسر، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، المتوفى سنة (٥٧٧٤هـ)^(٨١)
 - القاضي عبدالوهاب بن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، المتوفى سنة (٥٧٧١هـ)^(٨٢)
 - بن رافع السَّلَامي الحوراني، المتوفى سنة (٥٧٧٤هـ)^(٨٣)
 - الفقيه محمد بن علي بن الحسن الحسيني، المتوفى سنة (٥٧٦٥هـ)^(٨٤)
 - الأديب خليل بن أبيك بن عبدالله الصَّفدي، المتوفى سنة (٥٧٦٤هـ)^(٨٥)
- أبرز آثاره:

تبوأ الحافظ الذهبي مكانةً رفيعةً عند المحدثين والباحثين والمؤرخين، واعتمدوا على آثاره، واستشهدوا بأرائه، وانتفع به الخاصة والعامة منذ عصره وحتى أيامنا هذه، فاشتهرت كتبه في أيامه.

عبر عن ذلك ابن حجر بقوله: "ورغب الناس في تواليفه، ورحلوا إليه بسببها، وتداولوها قراءةً ونسخاً وسماعاً"^(٨٦).

وقال الحُسَيني: "وقد سار بجملته منها الركبان في أقطار البلدان"^(٨٧).

والحافظ الذهبي بدأ نشاطه في التأليف منذ وقت مبكر وعمره نحو خمس وعشرين سنة، ينتقي ويحقق ويختصر ويكتب زهاء نصف قرن حتى أضرَّ آخر عُمره.

وتمتاز تصانيفه بالشمول، فهو حين يكتب [يصنف] في المصطلح أو في علم الحرج والتعديل أو في التاريخ، نجد التراجم شاملة لكل من شرط ذكرهم.

ومما يميز تأليفه: بروز شخصيته في المختصرات أو التأليف فمختصراته ليست تلخيصاً وتقليداً، بل فيها استدراقات وتمحيص وتحقيق وتدقيق، وبيان وهم، وكشف خطأ.

(٧٩) المعجم المختص (٣٥)، الذيل على طبقات الحنابلة (١٢٧/٥)

(٨٠) المعجم المختص (٥٧)

(٨١) المعجم المختص (٧٥)، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (٨٥/٣)

(٨٢) المعجم المختص (١٥٢)، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (١٠٤/٣)

(٨٣) المعجم المختص (٢٢٩)، ذيل تذكرة الحفاظ (٥٢/٥)

(٨٤) طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (١٣٠/٣)، لحظ الألاحظ بذيل طبقات الحفاظ

(١٥٠/٥)

(٨٥) المعجم المختص (٩٢)، طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة (٩٠/٣)

(٨٦) الدرر الكامنة (٦٧/٥)

(٨٧) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٦/٥)

وفي تأليفه فتبدوا شخصيته الفذة على انتقاء موارده، واختيار النصوص وإعادة كتابتها في قالبٍ من الانسجام البديع. يقول الشوكاني: "... وله أي: في كتبه- تعبيرات رانقة، وألفاظ رشيقة غالباً، لم يسلك مسلّكه فيها أهل عصره ولا من قبلهم ولا من بعدهم" (٨٨).

فمنها الكبير الذي يربو على أربعين مجلداً، كتاريخ الإسلام، والمتوسط الذي يقع في مجلدين كتذكرة الحفاظ، ومنها جزءٌ صغير مثل: جزء في الشفاعة، وجزأين في صفة النار، وغيرها.

ويُعدُّ الذهبي من العلماء المكثرين في التصنيف، وقد ذكر كثيرٌ ممن ترجم له أن مؤلفاته تقارب المائة (٨٩)، ولكن هذا العدد أقل من الواقع بكثير، ولعل ذلك راجع إلى اعتبار مصنفاته الكبيرة دون الكتب الصغيرة، والأجزاء المنثورة.

ومن أبرزها:

١- "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام": وهو أضخم مؤلفات الذهبي، وأوسع التواريخ العامة، تتناول فيه مؤلفه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية سنة (٥٧٠٠)، طبع بتحقيق بشار عواد، بدار الغرب الإسلامي.

٢- "تذكرة الحفاظ": سيأتي عليه الكلام.

٣- "ديوان الضعفاء والمتروكين": جمع فيه تراجم الرجال الكذابين والوضاعين والمتروكين الهالكين ونحوهم، مع اختصار العبارة فيهم، طُبع بتحقيق الشيخ حماد الأنصاري في مجلد، ثم طبع مؤخراً بتحقيق محمد سيد الأزهرى في مجلدين، دار البشائر الإسلامية.

٤- "ذكر من يعتمد قوله في الجرح والتعديل": رسالة صغيرة في سرد الأئمة على طبقات العصور، طبع بتحقيق عبدالفتاح أو غدة.

٥- "سير أعلام النبلاء": أفرد الذهبي المجلدين الأول والثاني للسيرة النبوية وسيرة اللفاء الراشدين، ولم يعد صياغة هذين المجلدين، بل أحال على كتابه "تاريخ الإسلام"، كما كُتِبَ ذلك على طرة السير. وهو يتناول تراجم اللفاء والملوك، والأئمة الأعلام، وأصحاب المذاهب، رتبه المؤلف على الطبقات. وطبع الكتاب بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، بمؤسسة الرسالة.

(٨٨) البدر الطالع (٦٢٦)

(٨٩) فمثلاً ذكر الصفدي في نكت العميان [٤٤] مصنفاً (٢٤٣، ٢٤٢)، وابن شاعر الكتبي في فوات الوفيات [٤٢] مصنفاً، (٣١٦/٣)، والسيوطي في ذيل التذكرة [٢١] مؤلفاً (٣٤٨/٥).

- ٦_ "العبر في خبر من غبر": هو كتاب مختصر في التاريخ على السنوات، انتهى إلى سنة (٥٧٠٠هـ) وقد اعتنى العلماء بالتذييل عليه ابتداء من المؤلف، ثم الحسيني وغيره. طبع بتحقيق أبي هاجر محمد زغلول، بدار الكتب العلمية.
- ٧_ "العرش": إثبات صفة الغلو والفوقية لله تعالى. أثبت المؤلف صفة العلو بالآيات، والأحاديث، والآثار، وأتبع ذلك بأقوال الأئمة من التابعين ومن بعدهم إلى حوالي القرن السابع، طبع الكتاب بتحقيق د. محمد بن خليفة التميمي، بدار منار التوحيد.
- ٨_ "العلو للعلي الغفار": إثبات صفة الغلو والفوقية لله تعالى. سار المؤلف في منهجه وطريقة عرضه للموضوع على نسق واحد في كلا الكتابين - العلو والعرش - بإثبات المؤلف صفة العلو بالآيات، والأحاديث، والآثار، وأتبع ذلك بأقوال الأئمة من التابعين ومن بعدهم إلى حوالي القرن السابع، طبع الكتاب بتحقيق د. عبدالله بن صالح البراك، بدار العقيدة^(٩٠).
- ٩_ "الكاشف في معرفة من له رواية من الكتب الستة": وهو مختصر من كتاب "تهذيب الكمال" وهو في رجال الكتب الستة، طبع على أصول خطية بتحقيق محمد عوامة، باشتراك دار اليسر ودار المنهاج
- ١٠_ "معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار": مرتب على الطبقات بدءاً بالصحابة وانتهاءً بشيوخه في القراءات، طبع بتحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرين، بمؤسسة الرسالة.
- ١١_ "ميزان الاعتدال في نقد الرجال": وهو من أجل كتب الحافظ الذهبي وأحسنها جمعاً، جمعه من جملة كبيرة من الكتب المؤلفة في هذا الفن، طبع بتحقيق محمد عرقسوسي وآخرين، بدار الرسالة.
- ١٢_ "المستدرك على مستدرك الحاكم": جمع فيه الذهبي ما وقع في "المستدرك" من الموضوعات، وهي نحو مائة حديث في جزء، ومنه نسخة - قطعة - في الظاهرية ضمن مجموع برقم (٦٢). انظر كتاب الذهبي ومنهجه .. (١٣١)

- (٩٠) وقع اختلاف هل كتاب "العرش" و كتاب "العلو" كتاب واحد أو كتابين فذكر محقق كتاب "العرش" د. محمد التميمي أنها كتابين مختلفين لأمر منها:
- ١_ مقدمة الكتابين ليست واحدة، فكل من الكتابين له مقدمة تختلف عن مقدمة الكتاب الآخر.
- ٢_ اختلفت طريقة عرض الفصل الأول من كتاب "العرش" والمتعلق بالأدلة من الكتاب عن طريقة كتاب "العلو".
- ٣- مع الاشتراك في كثير من الأحاديث في الفصل المتعلق بالأدلة إلا أن كل كتاب انفرد ببعض الأحاديث مع اختلاف في التعليقات الذهبي على كل أحديث الكتاب مما يترتب عليه أن كل كتاب احتوى على فوائد لا توجد في الكتاب الآخر. انظر كتاب العرش (٣٠٧)

١٣ _ "الموقظة": رسالة اختصرها الحافظ من كتاب شيخه ابن دقيق العيد " الاقتراح في بيان الاصطلاح" ذكر فيها المؤلف جُملة من أنواع علم المصطلح، حققها عبدالفتاح أبو غدة، ثم طبعة بتحقيق أحمد بن شهاب الحامد، بدار ركانز.
- "معاجم الذهبي الثلاثة":

أكثر الذين ترجموا لذهبي ذكروا له ثلاثة معاجم.
قال ابن حجر في وصفها: "المعجم الكبير" لذهبي تخريجه لنفسه، و"المعجم اللطيف" له، و"المعجم المختص بالمحدثين" للذهبي

١٤ _ "معجم الشيوخ الكبير" أو "المعجم الكبير": عدد شيوخه (١٠٤٠)، طبع بتحقيق د. محمد الحبيب الهيلة في مجلدين، ونشر بمكتبة الصديق.

١٥ _ "المعجم اللطيف": يذكر فيه أحاديث وآثاراً يرويها عن شيوخه، وعدد النصوص (٦٧)، طبع بتحقيق جاسم الدوسري - ضمن الرسائل الست لذهبي.

١٦ _ "المعجم المختص بالمحدثين": مُختص بمن جالسهم من المحدثين أو أجازوا له، طبع بتحقيق محمد الحبيب الهيلة في مجلد، وعدد تراجمه (٣٩٤) مع مقدمة مهمة حول الكتاب، ونشر بمكتبة الصديق.

وله آثار كثيرة قام الدكتور بشار عواد في كتاب "الذهبي ومنهجه في كتابه تاريخ الإسلام" في تتبعها [حصرها] فبلغت (٣٠٩)^(٩١).

• وفاته:

بقي الذهبي طيلة حياته في عمل متواصل، وجهد متصاعد، يدأب في العلم ويجتهد في خدمته، ويسمع ويُسمع ويُقرأ ويُقَرَأ عليه، وكان ابنه أبو هريرة يقرأ عليه في سنة وفاته^(٩٢).

وقد أضرَّ في أخريات سني حياته قبل موته بسنوات بماء نزل في عينه، فكان يتأذى ويغضب إذا قيل له: لو قدحت هذا لرجع بصرك، ويقول: ليس هذا بماء، وأنا أعرفُ بنفسي، لأنني مازال بصري ينقص قليلاً قليلاً إلى تكامل عدمه^(٩٣)، وذكر تلميذه الحسيني أنه أضرَّ سنة (٥٧٤١)^(٩٤).

وتوفي الذهبي رحمه الله تعالى قبل منتصف ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة، سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وكان بلغ من العمر حينذاك خمسة وسبعين عاماً وسبعة أشهر.

(٩١) الذهبي ومنهجه (٢٦٧)

(٩٢) المجمع المؤسس (١٤٧/٢)

(٩٣) نكت العميان (٢٤٢)

(٩٤) ذيل تذكرة الحفاظ (٣٦/٥)

وكانت وفاته بدمشق، ودفن بها رحمه الله بمقبرة الباب الصغير، وصلي عليه عُقيب الظهر من يوم الاثنين بجامعها^(٩٥).

المبحث الثاني: التعريف بكتاب (تذكرة الحفاظ)

تذكرة الحفاظ هو كتاب يبحث في علم تراجم الرجال، أورد فيه مصنفه أسماء الحفاظ الثقات من رواة الأحاديث عن رسول الله ﷺ وترجم لهم وقسمهم إلى واحد وعشرين طبقة، يذكر نسب الراوي ومولده ونشأته وشيوخه الذين سمع منهم، وتلاميذه الذين سمعوا منه، وفيه ١١٧٦ ترجمة لحفاظ الحديث، مرتبة على ٢١ طبقة، وقد كتب أمام كل ترجمة ثلاثة أرقام وحرفاً، هكذا مثلاً (١/١١ ع أبو بكر الصديق)، ومعناها: الترجمة الأولى من الكتاب، والأولى من الطبقة الأولى، أخرج له الستة جميعهم، والمراد بالستة: كتب الحديث والسنة، واتخذ لكل كتاب حرفاً يرمز به إليه، وقد ترجم الحافظ الذهبي في آخر كتابه لشيوخه، وعددهم ٣٦ شيخاً.

المبحث الثالث: منهج الذهبي في كتاب (تذكرة الحفاظ)

ذكر هذا الكتاب الصفدي والسبكي وابن حجر وابن دقماق وغيرهم ممن ترجم للذهبي، وللكتاب نسخ عديدة في أنحاء العالم، وقد طبع غير مرة، وقد رتب الذهبي كتابه على الطبقات فجعله في إحدى وعشرين طبقة، ابتدأ فيه بالصحابة وهم الطبقة الأولى، وانتهى به إلى زمانه، وآخر من فيه ترجمته شيخه ابن الحجاج المزني المتوفى سنة ٧٤٢هـ، فبلغ مجموع تراجم الكتاب ١١٧٦ ترجمة، يزداد على ذلك أنه ذكر في نهايته كثير من التراجم، من توفى من المشهورين في سنة وفاة المترجم له، ولا سيما في الطبقات المتوسطة والأخيرة، وفي نهاية كثير من الطبقات أوجز الذهبي بعبارة قصيرة الأوضاع السياسية والعلمية للعالم الإسلامي في المدة التي تناولتها تلك الطبقة.

ولم يقصد الذهبي استيعاب جميع الحفاظ في هذا الكتاب فاعتذر عن ذلك في غير موضع من كتابه فقال في نهاية الطبقة الثانية: ولعل فيمن تركناهم من هو أجل وأعلم، وقال في نهاية الطبقة الخامسة: "وإنما اقتصرنا على إيراد هذا النيف والسبعين إماماً طلباً للتخفيف" وقال في نهاية الطبقة السابعة: "وهم عدد كثير اقتصرنا منهم على الأعلام"، وأحال القارئ على تاريخه الكبير، تاريخ الإسلام، ومعجمه المختص، لمن أراد تفصيلاً إذ أوضح أنه إنما اقتصر على نبذ من أخبارهم في هذا الكتاب.

ولقد احتلت "تذكرة الحفاظ" أهمية كبيرة في التاريخ العلمي عند المسلمين، فقد ذيل عليها تلميذه الحافظ شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن الحسين

(٩٥) السابق (٣٦/٥)، طبقات الشافعية (١٠٥/٩)، الوفيات لابن رافع (٥٥/٢)

الدمشقي المتوفى سنة ٧٦٥هـ فذكر الطبقات: من الثانية والعشرين إلى الرابعة والعشرين، وجملة ما زاده على شيخه اثنتان وعشرون ترجمة، ثم جاء الحافظ تقي الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن فهد الهاشمي المكي المتوفى سنة ٨٧١هـ فاستدرك اثنتي عشرة ترجمة على الذهبي وثمانية تراجم على الحسيني، ثم ذيل من الطبقة الخامسة والعشرين إلى الطبقة السابعة والعشرين، وألحق بها طبقة صغيرة فكان مجموع ما زاده اثنتين وثلاثين ترجمة، وقد رتب والده نجم الدين عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٨٨٥هـ الأصل والذيل على حروف المعجم، وعمل محمد بن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ ذيلًا على كتاب والد جده "لحظ الألفاظ" سماه "تحفة الأيقاظ بتتمة ذيل طبقات الحفاظ"، واختصر الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ "تذكرة الحفاظ" للذهبي، وذيل الحسيني بن فهد واستدرك على الحسيني ست تراجم، وترجمتين على ابن فهد، وزاد في بعض التراجم كترجمة الذهبي مثلاً، وقام عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن محمد بن بردس البعلبكي الحنبلي كاتب الذهبي المتوفى سنة ٧٨٦هـ بنظم وفيات الحفاظ الواردة تراجمهم في التذكرة بحروف الجمل وسماه "الإعلام في وفيات الأعلام" كما نظم الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة ٨٤٢هـ "تذكرة الحفاظ" بمنظومة سماها "بديعة البيان في وفيات الأعيان" وشرحها في مجلس نفيس سماه "التبيان لبديعة البيان" وجمله ما زاده على الذهبي ٢٦ ترجمة.

المبحث الرابع: منهج الذهبي في الحكم على الأحاديث.

اختلفت مناهج المؤرخين المسلمين في الاهتمام بالنقد، فاعتنت به طائفة منهم وأهملته طائفة أخرى، ثم وجدنا بعد ذلك تفاوتاً بين المعنيين به، فأكثر من الاهتمام به قسم منهم مثل الخطيب البغدادي، وابن الديبشي، وابن النجار، بينما أولاه القسم الآخر عناية أقل فلم يظهر في كتبهم بشكل واسع مثل المنذري وتلميذه عز الدين الحسيني. أما الذهبي فقد كان من المعنيين بالنقد كل العناية بحيث أصبح يحتل مكاناً بارزاً في كتبه وألف الكتب الخاصة به، ولذلك وجدناه عظيم الاهتمام به في كابه تاريخ الإسلام، مارسه في كل أقسامه وعده جزءاً أساسياً في منهجه في الدراسة التاريخية. وانطلق الذهبي في هذه العناية وذلك الاهتمام من تكوينه الفكري المتصل بدراسة الحديث النبوي الشريف وروايته ودرايته الذي يؤكد ضرورة تبين أحوال الرواية ودرجة الوثوق بهم بتميز الصادقين منهم عن الكاذبين، فسحب بعد ذلك على جميع كتابه سواء أكان ذلك في تراجم المحدثين أم في غيرهم، وسواء أكانوا من المتقدمين أم من المتأخرين، كما طبقه في نقد الأخبار أيضاً.

وقد صار الحافظ الذهبي-رحمه الله- على منهج واحد في الحكم على الأحاديث، فإنه لا يحكم على الحديث دون النظر في منته ورجال إسناده أو دون

الرجوع إلى روايات الحديث، فقد تكون رواية أرجح من رواية، وقد عني بنقد المترجمين وتبيين أحوالهم، جرحاً وتعديلاً، بإيراد آراء الثقات المتقدمين ولا يجعلها من المسلمات لا يمكن ردها والطعن فيها دائماً، بالرغم من احترامه الشديد للثقات، ويبدو أنه عدّ باب الاجتهاد مفتوحاً لذلك عني به كل هذه العناية، يدل على ذلك رده لآراء كثير من كبار النقاد وعدم قبولها مثل كلام أبي نعيم في ابن منده قال أبو نعيم في تاريخه في ترجمة ابن منده: "هو حافظ من أولاد المحدثين اختلط في آخر عمره فحدث عن أبي أسيد وابن أخي أبي زرعة وابن الجارود بعد أن سمع منه أن له منهم إجازة، وتخطى في أماليه، ونسب إلى جماعة أقوالاً في المعتقدات لم يعرفوا بها؛ نسأل الله الستر والصيانة".

قال الحفاظ الذهبي-رحمه الله-: لا يعبأ بقولك في خصمك للعداوة المشهورة بينكما، كما لا يعبأ بقوله فيك فقد رأيت لابن منده مقالاً في الحط على أبي نعيم من أجل العقيدة أقذع فيه، وكل منهما صدوق غير متهم بحمد الله في الحديث^(٩٦)، وغيره مما يطول ذكره.

وقد راعى الحافظ في مثل هذا النوع من النقد أن يرود ما يبين حال المترجم مما يتصل بعقيدته كأن يكون شعيماً، أو رافضياً، أو معتزلياً، أو قديراً، ونحو ذلك مما يتصل بأخلاقه، أو مما يتصل بروايته كأن يكون قليل الفهم والضبط، متساهلاً في الرواية، متهاوناً فيها، أو مجازفاً، أو مخلطاً، أو يحدث من غير أصل، أو يقلب الأحاديث، ونحو ذلك.

ونجد نقده لسند واضحاً في كثير من الأحاديث النبوية وفي بعض الروايات الأولى، ويكون هذا النقد عادة بتضعيف السند بسبب كلام في راو واحد من رواته أو أكثر، أو تقديمه استناداً إلى مقاييس المحدثين، فيحكم بعد ذلك على قوة الحديث وضعفه باستعمال العبارات الدالة عليه كأن يقول مثلاً (منقطع، أو مرسل، أو صحيح، أو حسن الإسناد) أو غير ذلك من المصطلحات. فقال الصفدي "وأعجني منه ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن أو ظلام أسناد أو طعن في رواته وهذا لم أر غيره يراعى هذه الفائدة فيما يورده"^(٩٧). وقال ابن ناصر الدين الدمشقي "وكان آية في نقد الرجال، وعمدة في الجرح والتعديل، عالماً بالتفريغ والتأصيل، له دراية بمذاهب الأئمة وأرباب المقالات"^(٩٨).

(٩٦) انظر تذكرة الحفاظ (٣/ ١٥٨).

(٩٧) انظر الوافي بالوفيات لصفدي (٢/ ١١٥).

(٩٨) انظر الرد الوافر (٣١).

وكان الحافظ مما له عناية بهذا فقد طبق هذي الطريقة على بعض الأخبار بعد دراسة أسانيدھا، ولا يكتفي بنقد السند في معظم الأخبار التي يوردها ويضعفها استناداً إلى ضعف في سندھا، بل يحاول جاهداً، إيراد ما يقوي هذا التضعيف من الأدلة التاريخية التي تتوفر له.

وكذلك نقده متن الراوية بإيراده للأدلة التي تثبت دعواه وهذا النقد الذي عني به الذهبي في كتابه فرد مئات الروايات وأبطلها بنقده المتن.

الفصل الثاني: الدراسة التطبيقية

وفيه تخريج ودراسة الأحاديث التي حكم عليها الذهبي في كتابه (تذكرة الحفاظ).

الحديث الأول

قال الذهبي^(٩٩): قال عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة عن أسماء بن الحكم الفزاري أنه سمع علياً يقول كنت إذا سمعت من رسول ﷺ حديثاً نفعتني الله بما شاء أن ينفعتني منه وكان إذا حدثني عنه غيره استحلقتة فإذا حلف صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال سمعت رسول ﷺ يقول: "ما من عبد مسلم يذنب ذنباً ثم يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يستغفر الله إلا غفر الله له" رواه مسعر وشريك وسفيان وأبو عوانة وقيس عنه وإسناده حسن. قال أبو داود^(١٠٠): حَدَّثَنَا مسددٌ، حَدَّثَنَا أبو عَوَانَةَ، عن عثمان بن المغيرة الثقفي، عن علي بن ربيعة الأسدي، عن أسماء بن الحكم قال: سمعت علياً يقول: كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعتني، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلقتة، فإذا حلف لي صدقته، قال: وحدثني أبو بكر، وصدق أبو بكر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يذنب ذنباً فيحس الطهور، ثم يقوم فيصلّي ركعتين، ثم يستغفر الله إلا غفر الله له" ثم قرأ هذه الآية: والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم [آل عمران: ١٣٥] إلى آخر الآية.

ترجمة رواة الاسناد:

مسدد: مسدد بن مسرهد بن مسربل الأسدي، أبو الحسن ويقال اسمه عبدالعزيز بن عبدالعزيز ومسدد لقب، روى عن أبو عوانة، ومسلمة بن محمد، وروى عنه أبو داود، والبخاري، قال ابن حجر "ثقة"، توفي سنة (٥٢٢٨هـ)^(١٠١)

(١) تذكرة الحفاظ (١/ ١٤).

(١٠٠) سنن أبي داود (١٥٢١).

(٣) انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٧ / ٤٤٣)، وتقريب التهذيب (٩٣٥)

أبو عوانة: الوضاح بن عبدالله الشكري الواسطي، أبو عوانة ويقال الكندي، روى عن عثمان بن المغيرة، وأيوب السختياني، وروى عنه مسدد، أبو داود الطيالسي، قال ابن حجر "ثقة ثبت" توفي سنة (١٧٥هـ، أو ١٧٦هـ) (١٠٢).

عثمان بن المغيرة الثقفي: عثمان بن المغيرة الثقفي الكوفي، أبو المغيرة، مولى أبي عقيل الثقفي، وهو عثمان بن أبي زرعة، وهو عثمان الأعشى، روى عن علي بن ربيعة الوالبي، وسعيد بن جبير، وروى عنه سفيان الثوري، ومسعر بن كدام، وقال ابن حجر "ثقة" توفي بين (١٢١، ١٣٠هـ) (١٠٣).

علي بن ربيعة: علي بن ربيعة بن نضلة الوالبي الأسدي، ويقال: البجلي، أبو المغيرة الكوفي، روى عن أسماء بن الحكم الفزاري، وسلمان الفارسي، وروى عنه عثمان بن المغيرة الثقفي، وسلمة بن كهيل، قال ابن حبان وروى عن أسماء بن الحكم ويخطئ قال ابن حجر "ثقة" توفي بين (٩١، ١٠٠هـ) (١٠٤).

أسماء بن الحكم: أسماء بن الحكم الفزاري، وقيل السلمي أبو حسان الكوفي، روى عن علي بن أبي طالب، وروى عنه علي بن ربيعة الوالبي، قال البخاري أسماء بن الحكم الفزاري سمع علياً، روى عنه علي بن ربيعة، قال كنت إذا حدثني رجل من أصحاب النبي ﷺ استحفته، فإذا حلف لي صدقته قال العجلي كوفي تابعي ثقة، قال ابن حجر "صدوق" من الثالثة (١٠٥).

علي: علي بن أبي طالب بن عبد المطلب القرشي الهاشمي "حيدرة، أبو تراب، وأبو الحسين" ﷺ، ابن عم رسول الله ﷺ توفي سنة (٤٠هـ) (١٠٦).

تخريج الحديث:

*أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٦٢) عن الفضل بن الحباب، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق معاذ بن المثني، كلاهما (الفضل، ومعاذ) عن مسدد به بنحوه.

(١) انظر تهذيب الكمال (٣٠ / ٤٤١)، وتقريب التهذيب (١٠٣٦)
(١٠٣) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٦٧/٦)، وتهذيب الكمال (٤٩٧/١٩)، وتقريب التهذيب (٦٦٩).

(١٠٤) انظر الثقات لابن حبان (٥٩/٤)، وتهذيب الكمال (٤٣١/٢٠)، وتقريب التهذيب (٦٩٥).

(١٠٥) انظر الثقات للعجلي (٢٢٣/١)، الكامل في ضعفاء الرجال (١٤٢/٢)، وتهذيب الكمال (٥٣٣/٢)، وتقريب التهذيب (١٣٥).

(٥) تقريب التهذيب (٦٩٨).

*وأخرجه الترمذي في جامعه (٤٠٦)، والنسائي في الكبرى (١٠١٧٨)، (١١٠١٢)، وعمل اليوم والليلة (٤١٧)، أحمد في فضائل الصحابة (٦٤٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٦) من طريق قتيبة بن سعيد، وأحمد في مسنده (٥٦) عن أبي كامل الفضل ابن الحسن الجحدري، وأبو بكر المروزي في مسنده (١١)، والبزار في مسنده (١٠) عن عبدالواحد بن غياث، وأبو داود الطيالسي (٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٥) من طريق أبي عمر الحوضي، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق يحيى بن عبد الحميد الحماني، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق عبدالله بن الحسن الحراني، وعفان بن مسلم، ثمانيتهم (قتيبة، وأبو كامل، وعبدالواحد، وأبو داود، وأبو عمر، ويحيى، عبدالله، وعفان) عن أبي عوانة به نحوه.

*وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٨٥٢) — ومن طريقه ابن ماجه في سننه (١٣٩٥) —، وأحمد في مسنده (٢)، وفضائل الصحابة (٤٣)، والحميدي في مسنده (٤)، والمروزي في مسنده (٩) والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٤).

وأبو يعلى في مسنده (١٢) من طريق وكيع بن الجراح الرواسي والحميدي في مسنده (١) — ومن طريقه النسائي في الكبرى (١٠١٧٥) وابن السني في عمل اليوم والليلة (٤١٤) —، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق سفيان بن عيينة والنسائي في الكبرى (١٠١٧٥) من طريق جعفر بن عون. وأبو يعلى في مسنده (١٥)، والنسائي في الكبرى (١٠١٧٧) من طريق يحيى بن سعيد القطان والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٣٨) من طريق محمد بن عبدالله الزبيري. والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٣٩) من طريق محمد بن يوسف الفريابي والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٠) من طريق محمد بن عبدالوهاب القناد والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٣) من طريق أبي عاصم الضحاك والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق خالد يزيد اليعمرى. تسعتهم، عن سفيان الثوري، ومسعر بن كدام.

وأحمد في مسنده (٤٨) عن عبدالرحمن بن مهدي. وأحمد في مسنده (٤٨)، المروزي في مسنده (١٠) وأبو يعلى في مسنده (١٣)، والبزار في مسنده (٨)، من طريق محمد بن جعفر، وأبو داود الطيالسي (١) — ومن طريقه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٣٥٩) ثلاثتهم عن شعبة بن الحجاج، وابن المبارك في الزهد (١٠٨٨)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٨)، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق شريك بن عبدالله القاضي،

أبو يعلى في مسنده (١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٦٠٤٧)، والطبراني في الدعاء (١٨٤٢) من طريق قيس بن الربيع، والطبراني في الدعاء (١٨٤٣) من طريق عبدالله بن وهب، والدارقطني في العلل - معلقاً- (٨) عن عبدالله بن يوسف الجبيري كلاهما عن علي بن عابس، والدارقطني في العلل -معلقاً- (٨) عن اسرائيل، والدارقطني في العلل -معلقاً- (٨) عن الحسن بن عمار، ثمانيتهم (سفيان، ومسعر، وشعبة، وشريك، وقيس، وعلي، واسرائيل، والحسن) عن عثمان بن المغيرة به بنحوه إلا أن جعفر بن عون، ومحمد بن يوسف يرويان عن مسعر وحده، وكذا يحيى القطان، وأبو عاصم النبيل يرويان عن سفيان الثوري وحده. ورواه شعبة كما في رواية محمد بن جعفر عنه على الشك أبو أسماء أو أسماء الفزاري. ورواه علي بن عابس فيما يرويه عنه عبدالله بن وهب عن عثمان بن المغيرة، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد قال علي فذكره، وخالفه عبدالله بن يوسف الجبيري فرواه عن علي بن عابس، عن عثمان بن المغيرة عن رجل، عن علي. ولم يذكر شريك القاضي الآية في روايته. *وأخرجه الطبراني في الأوسط (٥٨٤)، والدعاء (١٨٤٤)، من طريق معاوية بن العباس القيسي عن علي بن ربيعة به بنحوه. *وأخرجه الطبراني في الدعاء (١٨٤٧) من طريق داود بن مهران، عن عمر بن يزيد، عن أبي اسحاق السبيعي، عن عبد خير، والطبراني في الدعاء (١٨٤٦) من طريق حجاج بن نصر، عن المعارك بن عباد، عن عبدالله بن سعيد المقبري، عن جده أبي سعيد المقبري، والطبراني في الدعاء (١٨٤٥) من طريق عبدالله بن نافع، عن سليمان بن يزيد، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، والدارقطني في العلل -معلقاً- (٨) من طريق عمر بن يزيد، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن سلمة، والدارقطني في العلل -معلقاً- (٨) من طريق أبان بن عياش، وموسى بن محمد بن عطاء المقدسي عن أبي اسحاق السبيعي، والدارقطني في العلل -معلقاً- (٨) من طريق أبو اسحاق السبيعي، عن الحارث أو غيره، ستتهم (عبد خير، وأبو سعيد، وأبو هريرة، وعبدالله بن سلمة، وأبو اسحاق، والحارث) عن علي عن أبي بكر بنحوه.

دراسته والحكم عليه:

هذا الحديث يروى عن علي ؓ من سبعة طرق:
الطريق الأول: أسماء بن الحكم الفزاري، عن علي ؓ.
إسناده صحيح ورجاله ثقات.

الطريق الثاني: عبد خير، عن علي ؓ.
إسناده ضعيف فيه عمر بن يزيد منكر الحديث^(١٠٧)

الطريق الثالث: أبو سعيد المقبري، عن علي ؓ.
إسناده ضعيف جداً فيه عبدالله بن سعيد المقبري، وحجاج بن نصير وهما
ضعيفان^(١٠٨)

الطريق الرابع: أبو هريرة ؓ، عن علي ؓ.
إسناده ضعيف فيه عبدالله بن نافع وهو مجهول، وسليمان بن يزيد الكعبي وهو
ضعيف^(١٠٩)

الطريق الخامس: عبدالله بن سلمة، عن علي ؓ.
إسناده ضعيف فيه عمر بن يزيد منكر الحديث^(١١٠)

الطريق السادس: أبو اسحاق السبيعي، عن علي ؓ.
هذا الطريق اعله الدارقطني في العلل وقد اختلف فيه على أبي إسحاق السبيعي فمرة
يرويه عن علي ؓ ومرة يرويه عن الحارث ومرة عن عبد خير وكلها معلولة وأيضاً
فيه موسى بن محمد بن عطاء وهو متروك^(١١١)

الطريق السابع: الحارث، عن علي ؓ.
إسناده ضعيف فيه الحارث الأعور وهو ضعيف^(١١٢)

الحديث الثاني

قال الذهبي^(١١٣): قال أبو شهاب عبد ربه الحنات عن محمد بن واسع عن سعيد
بن جببر عن أبي الدرداء قال خطب النبي ﷺ خطبة خفيفة ثم قال: "قم يا أبا بكر" فقام
فخطب فقصر دون النبي ﷺ

(١) الكامل في الضعفاء (٥٥/٦)

(٢) انظر الكامل في الضعفاء (٢٦٨/٥)، وميزان الاعتدال (٤٦٥/١)

(٣) تقريب التهذيب (١٢٠٠).

(٤) الكامل في الضعفاء (٥٥/٦)

(٥) العلل للدارقطني (١٥/١)

(٦) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧٨/٣)

(١١٣) تذكرة الحفاظ (١٥/١)

فقال: "قم يا عمر فاخطب". فقام فخطب فقصر دون أبي بكر، ثم قال: قم يا فلان فاخطب إلى أن قال: قم يا بن أم عبد فاخطب فقام عبد الله بن أم عبد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن الله ربنا وإن الإسلام ديننا وإن هذا نبينا وأوماً بيده إلى النبي ﷺ رضينا ما رضى الله لنا ورسوله السلام عليكم قال رسول الله ﷺ أصاب ابن أم عبد، صدق ابن أم عبد. هذا منقطع

قال الحاكم^(١١٤): حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا العباس بن محمد الدوري، ثنا أحمد بن يونس، ثنا أبو شهاب، ثنا محمد بن واسع، عن سعيد بن جبيرة، عن أبي الدرداء ﷺ قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة خفيفة، فلما فرغ من خطبته قال: يا أبا بكر، قم فاخطب، فقام أبو بكر رضي الله عنه فخطب فقصر دون النبي ﷺ فلما فرغ أبو بكر من خطبته قال: "يا عمر، قم فاخطب"، فقام عمر ﷺ فخطب فقصر دون النبي ﷺ صلى الله عليه ودون أبي بكر رضي الله عنه.

ترجمة رواية الاسناد:

محمد بن يعقوب: محمد بن يعقوب بن يوسف الأموي مولاهم النيسابوري، أبو العباس ويلقب بالأصم روى عن العباس محمد الدوري، ويحيى بن أبي طالب، وروى عنه أبو عبد الله الحاكم، وأبو عبد الله بن مندة، سأل ابن خزيمة عن سماع كتاب المبسوط من أبي العباس الأصم، فقال: اسمعوا منه؛ فإنه ثقة، قد رأيته يسمع مع أبيه بمصر، وأبوه يضبط سماعه، وقال ابن أبي حاتم ثقة صدوق توفي سنة (٣٤٦هـ)^(١١٥)

عباس بن محمد بن حاتم الدوري: عباس بن محمد بن حاتم الدوري، أبو الفضل البغدادي، خوارزمي الأصل، روى عن: أحمد بن يونس، وأبو داود، وروى عنه محمد بن يعقوب، والنسائي، قال ابن حجر "ثقة حافظ" توفي سنة (٢٧١هـ)^(١١٦)

أحمد بن يونس: أحمد بن عبد الله بن يونس الكوفي التميمي، أبو عبد الله، روى عن عبد ربه بن نافع، وسفيان الثوري، وروى عنه عباس بن محمد، والبخاري قال ابن حجر "ثقة حافظ" توفي سنة (٢٢٧هـ)^(١١٧)

أبو شهاب: عبد ربه بن نافع الكناني الحنات، أبو شهاب الأصغر، روى عن محمد بن واسع، وخالد الحذاء، وروى عنه أحمد بن عبد الله بن يونس، وحجاج بن إبراهيم الأزرق، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم أبو شهاب الحنات عبد ربه بن نافع صالح

(١١٤) مستدرک الحاكم (٤٥٢٦)

(٢) انظر تاريخ الإسلام (٨٤١/٧)، وسير أعلام النبلاء (٤٥٢/١٥)

(٣) انظر تهذيب الكمال (٢٤٥/١٤)، وتقريب التقریب (٤٨٨)

(١) انظر تهذيب الكمال (٣٧٥/١)، وتقريب التقریب (٩٣)

الحديث، وذكر ابن حجر أن الخطيب أشار في مقدمة تاريخه إلى أنه دلس حديثاً، قال ابن حجر "صدوق يهم"، توفي سنة (١٧١، أو ١٧٢هـ)^(١١٨)

محمد بن واسع: محمد بن واسع بن جابر بن الأخنس، الأزدي، أبو بكر، أو أبو عبد الله البصري، روى عن سعيد بن جبير، ومحمد بن سريين، وروى عنه عبدربه بن نافع، وحمام بن سلمة، قال ابن حجر "ثقة" توفي سنة (٥٢٣هـ)^(١١٩)

سعيد بن جبير: سعيد بن جبير الأسدي، مولا هم، أبو عبد الله الكوفي، روى عن أبو الدرداء رضي الله عنه، وأبو هريرة رضي الله عنه، وروى عنه محمد بن واسع، وعمرو بن دينار، قال ابن حجر "ثقة ثبت" قتل بين يدي الحجاج سنة (٩٥هـ)^(١٢٠)

أبو الدرداء: عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أبو الدرداء رضي الله عنه، مختلف في اسم أبيه، وأما هو فمشهور بكنيته، وقيل: اسمه عامر وعويمر لقب، صاحبي جليل أول مشاهده أحد، مات في أواخر خلافة عثمان، وقيل: عاش بعد ذلك قال ابن عبد البر: قيل: إنه مات بعد صفين، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات في خلافة عثمان^(١٢١)

تخريج الحديث:
لم أقف عليه.

دراسته والحكم عليه:

حديث منقطع بهذا الإسناد، وأوضح ابن عساكر الانقطاع بقوله: "سعيد بن جبير لم يدرك أبا الدرداء"^(١٢٢)، حيث إن أبا الدرداء رضي الله عنه توفي في خلافة عثمان رضي الله عنه، وعثمان قتل سنة خمس وثلاثين للهجرة، أما سعيد بن جبير، فإن الحجاج قتله سنة خمس وتسعين، وله من العمر تسع وأربعون سنة، فيكون مولده حوالي سنة ست وأربعين فلا يمكن أن يكون أدرك أبا الدرداء الذي مات قبل مولده بسنين. فالحديث ضعيف بهذا الإسناد لانقطاعه.

الحديث الثالث

قال الذهبي^(١٢٣): أن النبي ﷺ قال: "يأتي معاذ أمام العلماء برتوة" إسناده مرسل.

(٢) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤٢ / ٦)، وتهذيب التهذيب (٤٨٣ / ٢)، وتعريف أهل التقديس (٢٢).

(٣) انظر الثقات (٢٢٥ / ٢)، وتقريب التقریب (٩٠٤).

(٤) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٩ / ٤)، وتقريب التقریب (٣٧٤).

(٥) انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١٢٢٩ / ٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٦٥ / ٧).

(١) تاريخ دمشق (١٢٢ / ٣٣).

(٢) تذكرة الحفاظ (١٩ / ١).

قال الطبراني^(١٢٤): حدثنا أحمد بن حماد بن زغبة، ثنا سعيد بن أبي مريم أنا يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية، عن محمد بن عبد الله بن أزهر الأنصاري، عن محمد بن كعب القرظي، قال: قال رسول الله ﷺ: معاذ بن جبل أمام العلماء برتوة. **غريب الحديث:**

برتوة: قال أبو عبيد: الرتوة الخطوة هاهنا أي: بخطوة، ويقال بدرجة. وقال ابن الأثير: أي برمية سهم. وقيل: بميل، وقيل: مدى البصر^(١٢٥). **ترجمة رواية الاسناد:**

أحمد بن حماد بن زغبة: أحمد بن حماد بن مسلم التجيبي المصري، أبو جعفر لقبه زغبة روى عن روح بن صلاح، وسعيد بن أبي مريم، وروى عنه الطبراني، والنسائي، قال النسائي صالح وقال الذهبي ثقة مأمون، قال ابن حجر "صدوق" توفي سنة (٢٩٦هـ)^(١٢٦)

سعيد بن أبي مريم: سعيد بن الحكم بن محمد بن أبي مريم الجمحي بالولاء، أبو محمد المصري روى عن عمارة بن غزية، ويحيى بن أيوب، وروى عن سعيد بن أبي مريم، والبخاري، قال ابن حجر "ثقة ثبت فقيه" توفي سنة (٢٢٤هـ)^(١٢٧)

يحيى بن أيوب: يحيى بن بن أيوب الغافقي، أبو العباس روى عن عمارة بن غزية، وحמיד الطويل، وروى عن سعيد بن أبي مريم، وعبد الله بن المبارك، قال يحيى بن معين: يحيى بن أيوب ثقة ثقة عابد، وقال البخاري ثقة. قال أبو حاتم: محله الصدق يكتب حديثه ولا يحتج به، وقال النسائي: ليس بالقوي، قال أحمد بن حنبل كان سيئ الحفظ، وكان يحدث من حفظه، وكان لا بأس به، وكأنه ذكر الوهم في حفظه قال ابن حجر "صدوق ربما أخطأ" واختلف في وفاته (١٦٣، أو ١٦٧) قال ابن حجر (١٦٨هـ)^(١٢٨)

عمارة بن غازية: عمارة بن غزية بن الحارث النجار الأنصاري، روى عن محمد بن عبد الله بن أزهر الأنصاري، وأنس بن مالك، وروى عنه يحيى بن أيوب، سفيان الثوري، قال أحمد وأبو زرعة ثقة، قال ابن حجر "لا بأس به روايته عن أنس مرسله" توفي سنة (١٤٠هـ)^(١٢٩)

(٣) المعجم الكبير لطبراني (٤١)

(٤) انظر النهاية في غريب الحديث (١٩٤/٢)، ولسان العرب (٩٧/٦)

(١) انظر تهذيب الكمال (٢٩٦/١)، الكاشف (١٣/٢)، وتقريب التهذيب (٨٨)

(٢) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٣/٤)، تقريب التهذيب (٣٧٥)

(٣) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١٢٧/٩)، وإكمال تهذيب الكمال (١٢ / ٢٨٧)،

وتهذيب التهذيب (٣٤٢/٣)، وتقريب التهذيب (١٠٤٩)

(٤) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٦٨/٦)، وتقريب التهذيب (٧١٣)

محمد بن عبد الله بن أزهر الأنصاري^(١٣٠).

محمد بن كعب القرظي: محمد بن كعب بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله المدني، روى عن ابن عمر، والمغيرة بن شعبة وروى عنه محمد بن عبد الله بن أزهر الأنصاري، محمد بن المنكدر، قال ابن حجر "ثقة عالم" واختلف في وفاته (١٠٨، أو ١١٦، أو ١١٧، أو ١١٨، أو ١١٩، أو ١٢٠، أو ١٢٩)^(١٣١)

تخريج الحديث:

* أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٦/٥٨) من طريق محمد بن أبي أزهر الأنصاري به بنحوه

* وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣٤٧/٢) من طريق عمرو بن عمرو أبي عثمان،

وابن سعد في الطبقات الكبرى (٤٢٤/٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٦/٥٨) من طريق النعمان بن عمار،

وأبي نعيم في الحلية (٢٢٨/١) وابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٠٦/٥٨) من طريق عمار بن غزية،

ثلاثتهم (عمرو، والنعمان، وعمار) عن محمد بن كعب القرظي به بنحوه.

دراسته والحكم عليه:

فيه علتان:

١- محمد بن أبي أزهر الأنصاري مجهول.

٢- الارسال.

الحديث الرابع

قال الذهبي^(١٣٢): عن شعبة وغيره عن سماك بن حرب سمعت عياضا الأشعري يقول: لما نزلت بآيها الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِيعٌ عَلِيمٌ [المائدة: ٥٤] قال رسول الله ﷺ: "هم قومك يا أبا موسى" وأومى إليه. صححه الحاكم وإنما يرويه عياض عن أبي موسى.

^(١٣٠) لم أقف له على ترجمة.

^(١) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٦٧/٨)، وتهذيب الكمال (٣٤٠/٢٦)، وتقريب التهذيب (٨٩١).

^(١٣٢) تذكرة الحفاظ (٢٣/١)

قال ابن أبي شيبه^(١٣٣): حدثنا ابن إدريس، عن شعبة، عن سماك، عن عياض الأشعري أن النبي ﷺ قال لأبي موسى هم قوم هذا، يعني في قوله نبي الله ه ه بنى [المائدة: ٥٤] قال رسول الله ﷺ: هم قوم هذا.
ترجمة رواية الاسناد:

ابن إدريس: عبد الله بن إدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي، أبو محمد، الكوفي روى عن شعبة، ومحمد بن عجلان، وروى عنه ابن أبي شيبه، ويحيى بن معين، قال ابن حجر "ثقة، فقيه عابد" توفي سنة (١٩٢هـ) (١٣٤).
شعبة: شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولا هم، أبو بسطام الواسطي، روى عن سماك بن حرب، وسعيد المقبري، وروى عنه سعيد بن عامر، سفيان الثوري، قال ابن حجر "ثقة حافظ" توفي سنة (١٦٠هـ) (١٣٥).
سماك ابن حرب: سماك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي، أبو المغيرة روى عن عياض الأشعري، وأنس بن مالك ﷺ، وروى عنه شعبة، سفيان الثوري، قال يحيى بن معين ثقة، وقال أبو حاتم الرازي صدوق ثقة، وقال أبو بكر بن عياش: سمعت أبا إسحاق الهمداني يقول: خذوا العلم من سماك بن حرب .
وكان شعبة يضعفه، وكان يقول: في التفسير عكرمة، ولو شئت أن أقول له: ابن عباس لقاله. قال يحيى: فكان شعبة لا يروي تفسيره إلا عن عكرمة - يعني لا يذكر فيه عن ابن عباس -.

وضعه الثوري، وابن المبارك. وقال عنه أحمد بن حنبل: مضطرب الحديث.
وقال يعقوب بن شيبه: قلت لابن المديني: رواية سماك عن عكرمة؟ قال: مضطربة

وسأل يحيى بن معين عن سماك بن حرب فقيل له ما الذي عيب عليه؟ قال أسند أحاديث لم يسندها غيره.
وقال النسائي: ليس به بأس، وفي حديثه شيء كان ربما لقن، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة؛ لأنه كان يلحن فيتلحن.

وقال أحمد بن عبد الله العجلي: سماك بن حرب بكري جائز الحديث، إلا أنه كان في حديث عكرمة ربما وصل الشيء عن ابن عباس، وربما قال: قال رسول ﷺ، وإنما كان عكرمة يحدث عن ابن عباس، وكان الثوري يضعفه بعض الضعف، وكان

(٣) مصنف ابن أبي شيبه (٣٢٩٢٧)

(١) انظر تهذيب الكمال (٢٩٣/١٤)، وتقريب التهذيب (٤٩١)

(١٣٥) نظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٦٩/٤)، وتقريب التهذيب (٤٣٦)

جائز الحديث لم يترك حديثه أحد ولم يرغب عنه أحد ، وكان عالماً بالشعر وأيام الناس ، وكان فصيحاً.

قال يعقوب بن أبي شيبه: وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وهو في غير عكرمة صالح ، وليس من المتنبتين. ومن سمع من سماك قديماً مثل شعبة وسفيان فحديثهم عنه صحيح مستقيم، والذي قاله ابن المبارك إنما يرى أنه فيمن سمع منه بآخره.

وقال البزار: كان رجلاً مشهوراً لا أعلم أحداً تركه وكان قد تغير قبل موته ، وكان صاحب شعر ولقي غير واحد من الصحابة.

وقال الدارقطني: إذا حدث عنه شعبة والثوري، وأبو الأحوص فأحاديثهم عنه سليمة، وما كان عن شريك، وحفص بن جميع، ونظرانهم ففي بعضها نكارة.

وقال أبو مسلم: تكلم مالك وسفيان في قوم ، فلم يضرهم ذلك شيئاً، مالك في ابن إسحاق، والثوري في سماك من أجل الشعر.

قال الذهبي: له نحو مائتي حديث ، قال -سماك-: أدركت ثمانين صحابياً ، قلت : هو ثقة ، ساء حفظه.

قال ابن حجر " صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير بأخرة ، فكان ربما يلقن" توفي سنة (١٢٣هـ) (١٣٦)

عياض الأشعري: عياض بن عمرو الأشعري. مختلف في صحبته، سكن الكوفة. روى عن: النبي ﷺ، وأبي موسى الأشعري، وروى عنه سماك بن حرب، والشعبي، قال ابن حبان له صحبه وجزم ابن عبد البر بصحبته، وشك البغوي في صحبته، وقال أبو حاتم هو تابعي، روى عن النبي ﷺ مرسلًا، ورأى أبا عبيدة بن الجراح، قال ابن حجر وحديثه عن النبي ﷺ، عند ابن ماجه (١٣٧)، من طريق الشعبي ، قال: شهد عياض عيدا بالأنبار ، فقال: ما لي أراكم لا تَقْلُسُون كما كان يُقْلَسُ عند رسول الله ﷺ ؟ ولم يُسمَّ أباه فيها .

وأخرجه ابن منده من هذا الوجه، فسمى أباه عمرًا، واختلف فيه على شريك عن مغيرة ، فقليل عنه : زياد بن عياض [بن عوض بن] عياض بن عمرو .

قال الخطيب: وقد ذكره غير واحد من العلماء في جملة الصحابة، وأخرج حديثه في المسند.

(١٣٦) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤ / ٢٧٩)، وتهذيب الكمال (١٢ / ١١٥)،

والكاشف (٢ / ٥٣٨)، وإكمال تهذيب الكمال (٦ / ١٠٩)، وتهذيب التهذيب (٢ / ١١٤)،

وتقريب التهذيب (٤١٥).

(١٣٧) سنن ابن ماجه (١٣٠٢).

وقال ابن حجر في التهذيب مختلف في صحبته. وفي والتقريب صحابي توفي سنة (٥٦٠) (١٣٨)

تخريج الحديث:

*أخرجه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٢٥١٥) عن أبي بكر بن أبي شيبة به بنحوه.

*وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠١٦) عن أحمد القطراني وسليمان بن حرب، وأبو خليفة وحفص الحوضي، والحاكم في مستدركه (٣٢٣٩) من طريق سعيد بن عامر،

خمسهم (أحمد، وسليمان، وأبو خليفة، وحفص، وسعيد) عن شعبة بن الحجاج به بنحوه.

دراسته والحكم عليه:

هذا الحديث ضعيف الإسناد لأنه مرسل فيه عياض الأشعري مختلف في صحبته، والأصح أنه لم يسمع من النبي ﷺ كما قال ابن أبي حاتم.

الحديث الخامس

قال الذهبي (١٣٩): من الغيلانيات حدثنا محمد بن شداد أخبرنا أبو نعيم أنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أوحى الله إلى محمد ﷺ أني قتلت بيحيى سبعين ألفا وإني قاتل بابين ابنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا غريب وعبد الله خرج له مسلم

قال الحاكم (١٤٠): حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي من أصل كتابه، ثنا محمد بن شداد المسمعي، ثنا أبو نعيم ثنا عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أوحى الله تعالى إلى محمد ﷺ: إنني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفا وإني قاتل بابين ابنتك سبعين ألفا وسبعين ألفا.

ترجمة رواية الاسناد:

أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي: أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البزاز، أبو بكر المعروف بالشافعي، روى محمد بن شداد المسمعي، ومحمد بن الفرغ

(١٣٨) انظر المراسيل (١٥١)، تاريخ بغداد (٥٧٣/١)، جامع التحصيل في أحكام المراسيل (٥٩٦) الإصابة في تمييز الصحابة (٨٥٠/٧)، وتهذيب التهذيب (٣ / ٣٥٣)، وتقريب التهذيب (٧٦٥).

(٣) تذكرة الحفاظ (٧٧/١)

(١) مستدرك الحاكم (٤٨٥٠)

الأزرق، وروى عنه الحاكم، والدارقطني وقال إنه جبلي وكان ثقة مأمونا توفي سنة (٣٥٤هـ) (١٤١)

محمد بن شداد المُسمَّعي: محمد بن شداد بن عيسى، أبو يعلى المسمعي المتكلم المعتزلي المعروف بزرقان. روى عن أبو نعيم، وروح بن عبادة، وروى عنه أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، ومكرم القاضي، قال البرقاني: ضعيف جداً؛ كان الدارقطني يقول: لا يكتب حديثه. توفي سنة (٢٧٨، أو ٢٧٩هـ) (١٤٢)

أبو نعيم: الفضل بن دكين الكوفي، واسم دكين عمرو بن حماد بن زهير التيمي، أبو نعيم الملائي، مشهور بكنيته روى عن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، وأبان بن عبد الله الجبلي وروى عنه محمد بن شداد المسمعي، والبخاري، قال ابن حجر "ثقة ثبت" توفي سنة (٢١٨، أو ٢١٩هـ) (١٤٣)

عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت: عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت الكوفي، واسمه قيس بن دينار روى عن أبيه حبيب بن أبي ثابت، وعطاء، وروى عنه أبو نعيم، ووکیع، قال يحيى بن معين وابن حجر "ثقة"، من السادسة (١٤٤).

أبيه: حبيب بن أبي ثابت قيس، ويقال: هند بن دينار الأسدي، أبو يحيى الكوفي، روى عن سعيد بن جبیر، وابن عمر وروى عنه عبد الله بن حبيب، والأعمش قال عنه يحيى بن معين كوفي ثقة، قال ابن حجر "ثقة فقيه جليل، وكان كثير الإرسال والتدليس" توفي سنة (١١٩هـ) (١٤٥)

سعيد بن جبیر: تقدم في الحديث (٢)

ابن عباس: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس ؓ، ابن عم رسول الله ﷺ، اختلف في وفاته (٦٥، أو ٦٧، أو ٦٨، وقيل: ٦٩، وقيل: ٧٠، - وقيل: ٧٣ هـ) والأقرب (٦٨هـ) قال ابن حجر وهو الصحيح قول الجمهور (١٤٦)

تخريج الحديث:

* أخرجه الحاكم في مستدرکه (٤٨٥٠) من طريق حميد بن الربيع، والحاكم في مستدرکه (٤٨٥٠) من طريق محمد بن يزيد الأدمي، والحاكم في مستدرکه (٤٨٥٠) من طريق الحسين بن عمرو العنقزي، والقاسم بن دينار،

(٢) انظر تاريخ بغداد (٤٨٣/٣)

(٣) السابق (٣٢٠/٣)

(٤) انظر السابق (١٠٣/١٤)، وتهذيب التهذيب (٧٨٢)

(١) انظر الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٧/٥)، وتهذيب التهذيب (٤٩٩)

(٢) انظر السابق (١٠٧/٣)، (٢١٨)

(٣) تهذيب الكمال (١٥٤/١٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٢٨/٦)

والحاكم في مستدركه (٤٨٥٠) من طريق القاسم بن إسماعيل العزرمي،
والحاكم في مستدركه (٤٨٥٠) من طريق كثير بن محمد أبو أنس الكوفي،
ستتهم (حميد، محمد، الحسين، القاسم بن دينار، القاسم بن إسماعيل، كثير) عن أبي نعيم
به بنحوه إلا أن كثير والقاسم لم يذكر العدد.
دراسته والحكم عليه:

هذا الحديث في إسناده محمد بن شداد المُسمَّعي وقد تقدم في ترجمته أنه
ضعيف وقد توبع إلا أن الحديث فيه علة أخرى وهي تدليس حبيب بن أبي ثابت فهو
كثير الإرسال والتدليس كما تقدم^(١٤٧) ولم يصرح في هذا الحديث بالسماع فهذا
الحديث ضعيف الإسناد والله اعلم

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة والتي هي بعنوان: (منهج الذهبي في كتابه "تذكرة الحفاظ")
يَحْسُنُ بالباحث أن يستعرض أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها من خلال
بحثه:

أولاً: النتائج:

- صعوبة الوقوف على الرواة في القرن الخامس والسادس وذلك لعدم توفر المصادر.
- تبين لي أن الحافظ معتدل في أحكامه فإنه لا يتكلم عن راوي إلا بعد سبر أقوال أئمة النقد فيه ويجتهد في تحريرها.
- للحافظ - رحمه الله - تعبيرات دقيقة وعبارة قصيرة مع الإشارة في الوقت ذاته إلى قاعدة يتحتم على الناقد الإمام بها أو ضابط يلزمه التنبيه له عند اختباره حكماً على راوٍ من الرواة، جرحاً أو تعديلاً.
- أنه يجب علينا أن نعلم أن الغالب على هذا العلم هو نقل عن الأئمة والحفاظ وليس فيه إنشاء منا إلا القليل، ولكن يتميز بعض الباحثين عن الآخر في توسعه في بحثه.

ثانياً: التوصيات:

- ومن خلال النتائج السابقة التي توصل إليها الباحث يوصي بما يلي:
- إعادة تحقيق الكتاب لما له من أهمية فقد حوى على تراجم ثقات ليس بالقليل وتكلم فيه.
- دراسة الأحاديث التي سكت عنها الذهبي في كتابه تذكرة الحفاظ.
- أن على الباحث أن يعلم أن لكل راوٍ حال وإن كان ثقة، فقد يضعف حديثه وكل هذا مبناه على الزمان والمكان، واختصاص الرواة عن الشيوخ فلا بد من معرفة أحوال

(١) انظر الثقات (٤ / ١٣٧)، تعريف أهل التقديس (١ / ١٣٢).

الرواة والقرائن التي تحف بهم حتى لا نفع في الخطأ الذي وقع فيه من صنف في العصور المتأخرة، من النظر لظاهر الإسناد ومن ثم الحكم على الحديث دون النظر إلى قرائن الأخرى، وهذا خلاف لمنهج أئمة الحديث ونقاده.

فهرس المصادر والمراجع

١. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر وآخرون، مركز خدمة السنة النبوية في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٢. الأحاديث المختارة، ضياء الدين المقدسي، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبع الأولى، ١٤١٠ : ١٤٢٠هـ.
٣. البحر الزخار المعروف بمسند البزار أبو بكر أحمد بن عمرو البزار، تحقيق: مجموعة باحثين، مكتبة العلوم والحكم، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ : ١٤٣٠هـ.
٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ٢٠١١م.
٥. تقريب التهذيب، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف، دار العاصمة.
٦. تهذيب التهذيب، لأحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: إبراهيم الزبيق وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ.
٧. تهذيب الكمال في أسمال الرجال، لأبي الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٣٨هـ.
٨. الجامع الكبير، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.
٩. حفة الأشراف بمعرفة الأطراف، لأبي الحجاج يوسف بن الزكي عبدالرحمن المزي، تحقيق: عبدالصمد شرف الدين، المكتب الاسلامي والدار القيمة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ.
١٠. سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
١١. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المكتبة العصرية.
١٢. سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.
١٣. السنن الكبرى للبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة

- المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن، ترقيم الأحاديث، وفق ترقيم شركة حرف؛ لعدم وجود ترقيم في النسخة المطبوعة الطبعة الأولى، ١٣٥٢ : ١٣٥٥ هـ.
١٤. السنن الكبرى للنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، إشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
١٥. سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، اعتنى به: عبدالفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الخامسة ١٤٣٥ هـ.
١٦. سنن سعيد بن منصور، سنن سعيد بن منصور، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الدار السلفية الطبعة الأولى، ١٤١٤ : ١٤١٧ هـ - ١٩٩٣ : ١٩٩٧ م ط. دار الصميعي، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ م ط. الدار السلفية.
١٧. سير أعلام النبلاء، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٣٩ هـ.
١٨. شرح مشكل الآثار، أبو جعفر الطحاوي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
١٩. شرح معاني الآثار، أبو جعفر الطحاوي، تحقيق: محد النجار، ومحمد جاد الحق، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ.
٢٠. شمائل النبي ﷺ، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق: ماهر الفحل، دار الغرب الإسلامي.
٢١. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.
٢٢. صحيح البخاري المسمى لجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٦ هـ.
٢٣. صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، دار إحياء التراث العربية.
٢٤. مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي ﷺ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق: ماهر الفحل، دار الميمان، الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
٢٥. المراسيل، أبو داود السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.

٢٦. المستدرك على الصحيحين، الإمام الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، ترقيم الأحاديث، وفق ترقيم شركة حرف؛ لعدم وجود ترقيم في النسخة المطبوعة.
٢٧. مسند أبي داود الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي، تحقيق: عبدالله التركي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
٢٨. مسند أبي يعلى الموصلي، أبو يعلى أحمد بن علي، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٤ : ١٤١٠ هـ.
٢٩. مسند الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث - دمشق، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.
٣٠. مسند الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
٣١. مصنف عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٣٩٠ : ١٤٠٣هـ.
٣٢. المصنف لابن أبي شيبه، المصنف لابن أبي شيبه، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة، مؤسسة علوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.
٣٣. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، ابن حجر العسقلاني، دار العاصمة، دار الغيث، الطبعة، الأولى ١٤١٩ : ١٤٢٠هـ.
٣٤. المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: طارق عوض الله، وعبدالمحسن الحسيني، دار الحرمين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
٣٥. المعجم الصغير، سليمان بن أحمد الطبراني، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
٣٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية.
٣٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: السيد صبحي البدري، ومحمود محمد خليل، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
٣٨. المنتقى من السنن المسندة عن رسول الله ﷺ، ابن الجارود النيسابوري، دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
٣٩. موطأ مالك، مالك بن أنس، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية

والإنسانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٠. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، لأبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.



الشواهد الشعرية وأثرها في تفسير القرآن الكريم من خلال ديوان الحماسة - دراسة نظرية تطبيقية -

Poetic evidence and its impact on the interpretation of the
Holy Qur'an through the collection of enthusiasm - an
- applied theoretical study

إعداد

هديل بنت حامد بن عوض السحيمي

Hadeel Hamed Al-Suhaimi

تخصص التفسير وعلوم القرآن - كلية الشريعة والقانون - جامعة جدة

د. هبة الله بنت صادق أبو عرب

Dr. Heba Allah Saleh Abo arb

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن

Doi: 10.21608/jasis.2024.367243

٢٠٢٤ / ٥ / ١٩

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٦ / ١

قبول البحث

السحيمي، هديل بنت حامد بن عوض و أبو عرب، هبة الله بنت صادق (٢٠٢٤).
الشواهد الشعرية وأثرها في تفسير القرآن الكريم من خلال ديوان الحماسة - دراسة
نظرية تطبيقية. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية
للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨(٢٩)، ٣٧٩ - ٤٠٨.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الشواهد الشعرية وأنثرها في تفسير القرآن الكريم من خلال ديوان الحماسة دراسة نظرية تطبيقية-

المستخلص:

يهدف البحث إلى جمع الشواهد الشعرية من ديوان الحماسة المذكورة في كتب التفسير، ودراستها دراسة تفسيرية، وموازنتها بالأدلة الأخرى، واستنتاج الآثار المترتبة عليها في كل موضع، وينتظم البحث في مقدمة، ومبحث يحتوي على مجموعة من المطالب، وخاتمة، على النحو الآتي: المقدمة: فيها ذكر أهمية الموضوع، وأهدافه، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وحدوده، ثم خطته ومنهجه، والمبحث الأول: أثر الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، وفيه الحديث عن: أثر الشواهد الشعرية في بيان غريب القرآن الكريم، وفي إيضاح المعنى الإجمالي للآية، وأثره في توجيه القراءات القرآنية، وفي نسبة اللغات إلى القبائل، وأثره في الجاني الفقهي واللغوي. الخاتمة: ذكرت فيها أهم النتائج والتوصيات، هذا والله ولي التوفيق، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

Abstract :

Praise be to Allah, Lord of the worlds, prayers and peace be upon the best of all Allah's creation. As to what follows: This is a research paper submitted for obtaining a Master's degree at the University of Jeddah, College of Sharia and Law, Department of Islamic Studies, specializing in Quranic interpretation and sciences. The title of the research is "Poetic Evidence and Its Impact on Quranic Interpretation through the Diwan of Al-Hamasah - A Theoretical and Applied Study.", The research aims to collect poetic evidence from the mentioned Diwan of Al-Hamasah in interpretation books, study it interpretively, balance it with other evidence, and deduce its effects in each context. The research is organized into an introduction, preface, two main sections, a conclusion, and scientific indices as follows:

Introduction: This section discusses the importance, objectives, reasons for choosing the topic, research problem, its limitations, objectives, previous studies, outline, and methodology, **Preface:** It includes a brief biography of the Diwan's author, Abu

Tammam Al-Ta'i, in terms of personal and scholarly life. It also provides a translation of his famous Diwan (Diwan Al-Hamasah) and highlights the practical value of the Diwan in interpretation books, **First Section - Theoretical Study:** This section consists of three sub-sections. The first sub-section defines poetic evidence and its types, covering both linguistic and technical aspects. The second sub-section discusses the historical stance of early scholars regarding citing poetry, focusing on the attitudes of companions and their followers. The third sub-section examines the impact of poetic evidence on Quranic interpretation, addressing its role in explaining Quranic uniqueness, clarifying overall meanings, guiding recitations, associating languages with tribes, and its influence on jurisprudential and linguistic aspects. **Second Section - Collection and Study:** This section explores a selection of poetic evidence cited by interpreters in their works, highlighting the impact of each piece on the interpretation of the Quran, **Conclusion:** This section summarizes the most important results and recommendations, **Scientific Indices:** Includes an index of Quranic verses, prophetic traditions, notable figures, poetic verses, references, and a topic index, May Allah grant success, and all praise is due to Allah, the Lord of all worlds. Peace and blessings be upon our Prophet Muhammad.

المقدمة

الحمد لله حمداً يكون لقايله ذخراً، والصلاة والسلام على نبيه محمد ﷺ القائل إنَّ من البيان لسحراً، صلاةً دائمة على مرّ الأيام تتراءى، وعلى آله الهداة الأطهار، وأصحابه الميامين الأبرار، الذين أخفى بهم نجم الشّرك قهراً وقسراً. أمّا بعد:

إنَّ أعظم ما أنعم الله تعالى به على عباده أن أرسل لهم الرُّسل ﷺ، وأنزل معهم الكتب بلسان قومهم ليفهموا مراد الله تعالى من خطابه؛ فيؤمنون به ويصدقونه، ويمتثلون أوامره ويجتنبون نواهيه، وإنَّ ممّا اختصَّ الله تعالى به هذه الأمّة وميّزها

عن سائر الأمم، أن جعل كتابهم الذي أنزل على يد نبيهم محمد ﷺ بأفصح اللغات وأعلاها مكانة ورفعة وهي لغة العرب، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: ٢]، وقال تعالى: ﴿ كُتِبَ فَصِّلْتُ ءَايَتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت: ٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]، وقال تعالى: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، واللسان العربي: اللغة العربية التي نطق بها أصحاب السليقة في الحواضر والبادي.

لذلك تُعد اللغة العربية من أهم المصادر التي يستند عليها المفسر في تفسيره لكلام الله ﷻ، ومعرفة أسرارها شرطاً أساسياً من شروط من يتصدر لعلم التفسير؛ لأن من خلالها يعرفون معاني القرآني الكريم، ويستنبطون هداياته، ويفقهون أحكامه، قال الشاطبي: «إن القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾، وقال: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [١٩٥] وقال: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَتُهُ ءَأَعْجَمِيٍّ وَعَرَبِيٍّ ﴾، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي ولسان العرب، لا أنه أعجمي أو بلسان العجم، فمن أراد تفهّمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة» (١).

ومن صور استعانة المفسرين بـ دليل اللغة احتفاؤهم بالشعر العربي على اختلاف توجهاتهم، وتباين مناهجهم؛ فقاموا بتوظيفه في تفسير القرآن الكريم، يستخرجون أحكامه، ويحلّون إشكاله، ويظهرون وجوه إعجازه، ويستخرجون كنوزه؛ وذلك نظراً لما يتضمنه الشعر من ثراء لغوي، ولما يحتويه من خصائص الأسلوب العربي المبين؛ فالشعر ديوان العرب، حفظ علومها وعاداتها، فلم يكن للعرب قبل الإسلام علم أصح منه، فهذا الصحابي الجليل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من لفت الأنظار إلى أهمية الشعر في فهم القرآن الكريم وغريب ألفاظه، فقد روي عنه أنه سئل على المنبر عن قوله تعالى: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل: ٤٧] فقال له رجل من هذيل: التحوّف عندنا التّنقّص، ثم أنشده:

تَخَوُّفَ الرَّجُلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا ... كَمَا تَخَوُّفَ عُودِ النَّبْعَةِ السْتَنِ

فقال عمر رضي الله عنه: «أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليّكم؛ فإنّه فيه تفسير كتابكم» (٢).

(١) الموافقات، الشاطبي، (٣٠٥/٢).

(٢) ينظر: الموافقات، الشاطبي، (٨٥/١)، المحرر الوجيز، ابن عطية، (٣٩٦/٣).

وممن يُستند على شعرهم في تفسير القرآن الكريم أبو تَمَام الطائي وديوانه ديوان الحماسة؛ الذي حاز مكانة رفيعة في كتب التفسير؛ فقد أكثر المفسرون ٣ من الاستشهاد به، وهو عبارة عن مجموعة من مختارة من شعر الجاهلية والإسلام وبعض المحدثين اختارها أبو تَمَام وانتقاها بعناية.

ولما كانت عناية المفسرين بالشواهد الشعرية من ديوان الحماسة في تفسير القرآن الكريم، استخرتُ الله تعالى واستعنتُ به على دراسة الموضوع فكان عنوان البحث: "الشواهد الشعرية وأثرها في تفسير القرآن الكريم من خلال ديوان الحماسة - دراسة نظرية تطبيقية."

«والله نسأل أن يثبتنا به جميل الذكر في الدنيا، وجزيل الأجر في الآخرة، وأن يستر عثارنا وزللنا، ويسدّ بسداد فضله عجزنا وضعفنا، ويصلح ما طغى به القلم، وزاغ عنه البصر، وقصر عنه الفهم، وغفل عنه خاطر، فالإنسان محلّ التّيسان، وإنّ أوّل ناسٍ أوّل الناس، وعلى تعالى الثّكلان» (٣).

أهمية البحث وبواعث اختياره:

١- الرّغبة في نيل شرف خدمة كتاب الله عز وجل، وتدبر معانيه، والارتباط به، بما تميل له النفس وتأنس به وهو الشعر العربي الأصيل.

٢- تعلّقه بكتاب الله ﷻ؛ فالقرآن نزل بلسان العرب على الجملة، وطلب فهمه إنّما يكون من طريق اللّغة العربية، والشّعر العربي يعتبر من أهمّ أجزاء الدّليل اللّغوي التي يستند عليها المفسّر في بيان كلام ربّ العالمين.

٣- الرّغبة في دراسة أهم مصادر التّفسير وهو دليل الشّعر العربي الذي يُعدّ جزء رئيسي من الدّليل اللّغوي.

٤- المكانة الكبيرة التي حاز عليها ديوان الحماسة في الأدب والشّعر وحفظ لغة العرب، وكذا القيمة العلمية عند المفسرين يظهر ذلك من خلال اعتمادهم الكبير في اختيار الشواهد الشعرية منه.

٥- حاجة الموضوع في كتب التّفسير إلى دراسة تطبيقية، تكشف عن مدى خدمة هذه الشّواهد لبيان المعنى القرآني، وأنواعها، ومناهج المفسّرين في استشهادهم بالشّعر في كتبهم.

٦- ندرة المؤلفات التي تختص بهذا اللون من ألوان التّفسير اللّغوي.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

(٣) مستفادة من مقدمة القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (ص: ٣٢).

- ١- بيان أثر الشواهد الشعرية في تفسير كتاب الله تعالى.
- ٢- دراسة تطبيقية لمجموعة من الشواهد الشعرية من ديوان الحماسة المذكورة في كتب التفسير وبيان مدى خدمتها للنص القرآني.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

- ١- ما القيمة العلمية لديوان الحماسة في كتب التفسير؟
- ٢- هل للشواهد الشعرية من ديوان الحماسة أثر في تفسير القرآن الكريم؟

حدود البحث:

الاستدلال بالشعر العربي المذكور في ديوان الحماسة من خلال التفسير التي أكثر في النقل منه.

خطة البحث:

يتكون مخطط البحث من مقدمة، ومبحث فيه مجموعة من المطالب، وخاتمة، وهي مرتبة على النحو التالي:

المقدمة: تشتمل على أهمية الموضوع وبواعث اختياره، وأهدافه، ومشكلة البحث وتساؤلاته، ومنهجه، وحدوده.

المبحث الأول: أثر الشواهد الشعرية من ديوان الحماسة في تفسير القرآن الكريم:

المطلب الأول: أثر الشواهد الشعرية في بيان غريب القرآن.

المطلب الثاني: أثر الشواهد الشعرية في إيضاح المعنى.

المطلب الثالث: أثر الشواهد الشعرية في توجيه القراءات.

المطلب الرابع: أثر الشواهد الشعرية في نسبة اللغات للقبائل.

المطلب الخامس: أثر الشواهد الشعرية في الجانب الفقهي.

المطلب السادس: أثر الشواهد الشعرية في الجانب اللغوي.

المطلب السابع: أثر الشواهد الشعرية في الجانب العقدي.

القسم الثاني: الجمع والدراسة: يشتمل على دراسة مواطن الاستدلال بالشواهد الشعرية من ديوان الحماسة عند المفسرين^٣، وتحليلها، ومقارنتها بالأدلة الأخرى التي استند عليها المفسرون، وذكر نتائجها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

اعتمدت في كتابة البحث المنهج الوصفي الاستقرائي التحليلي الاستنباطي؛ وذلك بجمع واستقراء مواضع الشواهد الشعرية من ديوان الحماسة في كتب التفسير، ثم تحليلها، ودراستها، واستنباط أثر الشواهد في تفسير كتاب الله ﷻ.

المبحث الأول

للشواهد الشعرية من ديوان الحماسة أثرٌ في تفسير القرآن الكريم؛ حيث استعان بها المفسرون ٤ كثيرًا في دروسهم ومؤلفاتهم أثناء تفسيرهم لكتاب الله تعالى، وقد تعددت أغراضهم في إيراد تلك الشواهد الشعرية وتنوعت على مناهج مختلفة، فمنهم من استشهد بها في بيان غريب القرآن، كالطبري وابن عطيةؒ، ومنهم من استشهد بها في المسائل البلاغية كالزّمخشري وابن عاشورؒ، ومنهم من استشهد بها في المسائل النحوية والصرفية كأبو حيّان والسّمين الحلبيؒ، ومنهم من استشهدا بها في المسائل الفقهية كالقرطبي والشوكانيؒ، فتشكّلت لنا جملة من آثار الشواهد في تفسير القرآن الكريم، وهذا ما سنتناوله في هذا المبحث -بإذن الله-.

المطلب الأول: أثر الشواهد الشعرية في بيان غريب القرآن

استشهد المفسرون ٤ بالشواهد الشعرية من ديوان الحماسة على بيان معاني المفردات الغريبة التي وردت في القرآن الكريم، وقد بلغ عددها (١٧١) شاهدًا شعريًا، وتُمثّل تقريبًا (٤١%) من مجمل شواهد الديوان التي لها أثرها في تفسير القرآن الكريم، ومثال ذلك:

- ما ذكره الطبري ٥ في بيان لفظ (تُبْسَل) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَدَّرَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِ أَن تُبْسَلْ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠] قال: «وأصل "الإبسال" التّحريم، يقال منه: أبسلت المكان: إذا حرّمته فلم يقرب، ومنه قوله الشاعر:

بَكَرْتُ تَلُومَكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى، ... بَسْلٌ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِتَابِي (٤)

أي: حرّام عليك ملامتي وعتابي، ومنه قولهم: أسدّ بأسل، ويراد به: لا يقربه شيء، فكأنّه قد حرّم نفسه، ثم يجعل ذلك صفة لكلّ شديد يتحامى لشدّته، ويقال: أعط الراقي بسلّته، يراد بذلك: أجرته، وشراب بسيل، بمعنى: متروك، وكذلك: المبسل بالجريرة،

(٤) وهي من أبيات الشاعر الجاهلي حريّ بن ضمرة النّهشلي وقيل أنّ اسمه: ضمرة بن ضمرة، ومعنى البيت: أي عجلت، ولم يرد بكور الغدو، بعد وهن: بعد نومة، النّدى: السّخاء والعطاء، فلامته في ذلك وأمرته بالإمساك، ينظر: النّوادر في اللّغة، لأبي زيد الأنصاري، (ص: ١٤٣، ١٤٤)، الحماسة الصّغرى، أبو تمام، (ص: ٢٥٦)، أمالي القالي، أبو علي القالي، (٢٧٩/٢).

هو المرتهن بها، قيل له: "مُبْسَل"، لأنه محرّم من كل شيء إلا مما رُهن فيه وأسلم به، ومنه قول عوف بن الأحوص الكلابي (٥):
وَأُبْسَالِي بَنِي بَغْيَرِ جُرْمٍ ... بَعُونَاهُ وَلَا يَدِمُ مَرَاقٍ (٦)
وقال الشنفرى (٧):

هُنَالِكَ لَا أَرْجُو حَيَاةً تَسْرُنِي ... سَمِيرَ اللَّيَالِي مُبْسَلًا بِالْجَرَائِرِ (٨)
فتأويل الكلام إداً: وذكر بالقرآن هؤلاء الذين يخوضون في آياتنا وغيرهم ممّن سلك سبيلهم من المشركين، كيلا تُبْسَل نفوسُ بذنوبها وكفرها بربها، وترتهن فتغلق بما كسبت من إجرامها في عذاب الله» (٩).

-وأيضاً ما ذكره الواحدي في بيان لفظ (الْحُطْمَة) الواردة في قوله تعالى: ﴿كَتَاةً لَّيْبُذَنَ فِي الْحُطْمَةِ ٤﴾ [الهمزة: ٤] بأنّها: اسم من أسماء نار جهنّم، قال: «لِيلَقِينَ فِي جَهَنَّمَ، وليطرحنّ فيها، قال الكلبي: (الْحُطْمَة) اسم من أسماء النَّار، وهي الدرجة الثانية من درج النَّار، وقال المبرد: الحُطْمَة النَّار التي تُحْطَم كل من وقع فيها، ورجل حُطْمَة، أي: شديد الأكل يأتي على زاد القوم، وكذلك يقال في السَّيْرِ: سَوَّاق حُطْم، وأنشد:
قَدْ أَفْهَأَ اللَّيْلُ بِسَوَّاقٍ حُطْمٍ (١٠)» (١١).

(٥) عوف بن الأحوص بن جعفر العامري، من بني كلاب بن عامر بن صعصعة، يكنى أبا يزيد، شاعر جاهلي، شهد حرب "الفجار"، ينظر: معجم الشعراء، المرزباني، (ص: ٢٧٥، ٢٧٦)، سمط اللالي في شرح أمالي القالي، البكري، (٣٧٧/١).

(٦) ومعنى البيت: الإبسال: التحريم، وأبسله: حرّمه، ومنها البسالة وهي الشجاعة؛ لأنها الامتناع على القرن، ومن هذا الباب قولهم: أبسلت الشيء أسلمته للهلكة، ومنه أبسلت ولدي رهنته، بغير جرم بعونه، أي: بغير ذنب أو جريمة جنينها، والبعو: الجناية، وكان حمل عن غني لبني قشير دم ابني السجفية فقالوا: لا نرضى بك، فرهنهم بنيه طلباً للصالح، فيقول: وأسلمت إليكم بني في الفداء، ولم نجرم جريمة، ولم نرق دمًا، فنحمل الحمالة في الذي اجترحنه، ينظر: العين، الفراهيدي، مادة (بسل) (٢٦٥/٢)، النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، (ص: ٤٣١)، معجم ديوان الأدب، الفارابي، (٣٢٢/٢).

(٧) ستأتي ترجمته في القسم التطبيقي -بإذن الله-.

(٨) وللبيت رواية أخرى هي: (سجيس الليالي) بدلاً من قول (سمير)، ومعناه: سجيس الليالي: أبداً، مبسل: المرتهن، الجرائر: الجرائم، المعنى: في ذلك الوقت لا أطمع في حياة سارة لي، وأنا مخذولٌ مسلمٌ بجرائري في القبائل، لا يرى إلا شامتٌ بي، أو طالبٌ للانتقام مني، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٢٦٢/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٣٤٩).

(٩) جامع البيان، الطبري، (٣٢٣/٩).



- وكذلك ما ذكره القرطبي ج عند تفسيره لمعنى «المُنُون» في قوله تعالى: في قوله «أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَبِّبَ الْمُنُونِ ۚ» [الطور: ٣٠] بأنه: الموت، قال: «والمنون: الموت، في قول ابن عباس K (١٢) قال أبو الغول الطهوي (١٣): هُمْ مَنْعُوا حَمَى الْوَقْتِ بِضَرْبٍ... يُؤْلَفُ بَيْنَ أَشْنَاتِ الْمُنُونِ (١٤) أي المنايا، يقول: إِنَّ الضَّرْبَ يَجْمَعُ بَيْنَ قَوْمٍ مُتَفَرِّقِي الْأَمَكَةِ لَوْ أَنَّتُمْ مَنَائِهِمْ فِي أَمَاكِنِهِمْ لِأَنَّتُمْ مُتَفَرِّقَةٌ، فَاجْتَمَعُوا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَأَتَتْهُمْ الْمَنَائِي مُجْتَمِعَةً» (١٥).

المطلب الثاني: أثر الشواهد الشعرية في إيضاح المعنى القرآني:

والمقصود هنا ما استشهد به المفسرين E من الشواهد الشعرية على بيان معنى الآية كاملة أو جملة منها واستخراج ما فيها من الأحكام والحكم، والمواظب الحسنة، وقد بلغت (١٧٣) شاهداً شعرياً، وتعدُّ الأكثر عدداً فهي تُمَثِّلُ قرابة (٤٢%) من مجمل الشواهد الشعرية من الديوان، ومن الأمثلة على ذلك: - ما أورده ابن عطية في بيان معنى «وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَاقِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٥» [الزمر: ٧٥]، وقوله: «وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٧٥» ختم للأمر، وقول جزم عند فصل القضاء، أي: إِنَّ هَذَا الْحَاكِمَ الْعَدْلَ يَنْبَغِي أَنْ يَحْمَدَ عِنْدَ نَفُوذِ حُكْمِهِ وَإِكْمَالِ قَضَائِهِ، ومن هذه الآية جعلت "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" خاتمة المجالس والمجتمعات في العلم، وقال قتادة (١٦): "افتتح الله أول

(١٠) وهي من أبيات الشاعر رشيد بن رميض من العنبري من بني عنزة، ستأتي ترجمته - بإذن الله - في دراسة المسائل، ومعنى البيت: كناية سرعة الخطو مع ضرب الأرض بها، كأنه يشير بهذا إلى ثباته وقوته في العمل والسير، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٢٠٦/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٢٥٧).

(١١) البسيط، الواحدي، (٣١١/٢٤).

(١٢) أورده الطبري في تفسيره (٥٩٢ / ٢١)، وابن أبي حاتم - كما في الإتيان (٤٥ / ٢) -، وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٣) ستأتي ترجمته معنا عند دراسة المسائل - بإذن الله -.

(١٤) ومعنى البيت: هؤلاء القوم الذين أشرت إليهم بقولي: فوارس صدقوا فيهم ظنوني، هم الذين منعوا حمى هذا المكان بضرب يجمع بين المنايا المتفرقة، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، باب (الحماسة) (٦٢/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٣٥).

(١٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٧٢/١٧).

(١٦) قتادة بن دعامة السدوسي البصري وهو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقال بعضهم: قتادة بن دعامة بن عكاية بن عزيز بن عمرو بن ربيعة، يُكْنَى بأبي الخطاب، وكان أعمى، صاحب أنس بن مالك - □ -، وكان من أشهر أقواله: «الْحِفْظُ فِي الصِّغَرِ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ»،

الخلق بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وختم القيامة بالحمد في هذه الآية" (١٧)، قال القاضي أبو محمد: وجعل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] فاتحة كتابه، فيه يبدأ كل أمر وبه يختم، وحمد الله تعالى وتقديسه ينبغي أن يكون من المؤمن كما قال الشاعر:

وَأَخِرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ ... وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتَ عِنْدَ هُبُوبِي (١٨) « (١٩).

وما ذكره الواحدي ج في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنْ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤]، قال: «وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ الألم: الوجع، وقد ألم يألم، فهو ألم، قال ابن عباس Ω: «يريد يوجعون كما توجعون الجراح» (٢٠)، ونحو هذا قال غيره من المفسرين، وهذا يحتمل تأويلين:

أحدهما: أَنَّ المؤمنين كانت بهم جراحات، يجدون لها ألماً يوهنهم عن المسير في آثار المشركين، والمشركون أيضاً بهم جراحات، كما بالمسلمين، فليل للمسلمين: إِنَّ أَلَمْتُمْ جراحكم، فهم أيضاً في مثل حالتكم من أثر الجراح، وعلى هذا دل كلام المفسرين أَنَّ المراد بالألم ههنا ألم جراح واقعة بالفريقين.

والآخر: أَنَّ هذا استدعاء إلى الجهاد ممَّا يوجب الصبر عليه والجِدَّ فيه؛ لرجحان حالهم على حال أعدائهم بأنهم يرجون من الله ما لا يرجونه، فقد ساووه في الصَّارِف عن القتال، وهؤلاء انفردوا بداع ليس لهم من ثواب الله على ذلك وكرامته التي هي أوكد أوكد داع إلى إيتباع مرضاته، فالمراد بالألم ههنا ألم جرح يقع ويحصل في أحد الفريقين، يقول: إن أَلَمْتُمْ جرحاً يوقعونه فيكم فهم أيضاً يألمون بما توقعونه فيهم، فلا تضعفوا ولا تجنبوا عنهم، فقد تساويتم في وجود الآلام،

وكان قدوة المفسرين والمُحدثين، حافظ ثقة، توفي بواسط في الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين بعد موت الحسن ؑ، روى عن أنس بن مالك ؓ، روى عنه: شعبة والناس، ينظر: الطبقات، ابن سعد، (٢٢٨/٩)، (٢٣٠)، الثقات، ابن حبان، (٣٢١/٥)، (١٧) أخرجه عبد الرزاق، (١٧٧/٢) من طريق معمر، وابن جرير، (٢٧٣/٢٠)، وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(١٨) نقل المدائني أَنَّ هذه الأبيات لمرأة نساء العرب قد طلقها زوجها فتزوجت محلاً فلماً صارت إليه أبى أن يطلقها فقالت في الأول هذه الأبيات، وقيل أَنَّها من أجمل ما قيل في الفراق، ينظر: بلاغات النساء، ابن طيفور، (ص: ١٠٢)، ديوان الحماسة، أبو تمام، (٧٥/٢).

(١٩) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٥٤٤/٤).

(٢٠) أخرجه ابن جرير، (٤٥٤/٧)، وابن أبي حاتم، (١٠٥٨/٤).



وعلى هذا الثاني دلّ كلام أبي إسحاق، فإنّه قال: أي إن تكونوا توجعون فإنهم يجدون من الوجد فيما ينالهم من الجراح والتعب كما تجدون، وهذا المعنى أراد الشّدّاخ بن يعمر الكناني (٢١) في قوله يحضّ قومه على الحرب:

الْقَوْمُ أَمْثَالُكُمْ لَهُمْ شَعْرٌ ... فِي الرَّأْسِ لَا يَنْشُرُونَ إِنْ قُتِلُوا (٢٢)

يقول: هم مثلكم إن قتلتم منهم لم يجيء قتلهم، كما لا يجيء منكم من قتل» (٢٣).

المطلب الثالث: أثر الشواهد الشعرية في توجيه القراءات:

استشهد المفسّرون ٣ بالشواهد الشعرية من ديوان الحماسة على توجيه القراءات القرآنية وذلك ببيان معانيها، والكشف عن وجوها في النحو واللغة، وبيان صحّة وجه القراءة من عدمه، وقد بلغت نحو (١٩) شاهداً شعرياً، وهي تُمثّل (٤%) تقريباً من مجمل شواهد الديوان، ومثال ذلك:

ما جاء عن الطبري ٤ في توجيه القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسَحَرٍ مِّثْلَةٍ فَأَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ [طه: ٥٨]، وذلك بالاستشهاد على صحّتها جميعاً؛ لكونها موافقة لما جاء في لغة العرب، قال: «وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين {مَكَانًا سُوًى} بكسر السين، وقرأته عامّة قراء الكوفة {مَكَانًا سُوًى} بضمّها (٢٤).

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا، أنّهما لغتان، أعني الكسر والضمّ في السين من "سوى" مشهورتان في العرب، وقد قرأت بكلّ واحدة منهما علماء من القراء، مع اتفاق معنييهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصف لغة هي أشهر من الكسر والضمّ وهو الفتح، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤] وإذا فتح السين منه مدّ، وإذا كسرت أو ضمّت قصر، كما قال الشاعر:

(٢١) هو يعمر بن عوف بن كعب بن عامر الليثي الكناني، و"الشّدّاخ" لقبه، سمّي بذلك؛ لشدّخه اليماء بين قريش وخزاعة، أي: وضعها تحت قدميه وإصلاحه بينهم فهو من حكام العرب، شاعر جاهلي، ينظر: الطبقات الكبير، ابن سعد، (١/٥٠)، أنساب الأشراف، البلاذري، (٨٧/١١)، (٨٧).

(٢٢) ومعنى البيت: أنهم ناسٌ كما أن خزاعة ناسٌ، فيقول: لا تهابوهم فإن خلقتهم كخلقكم، وإنهم إذا قتلوا لم يحيوا من فورهم، فيرجعوا إلى القتال، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (١/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ١٤٥).

(٢٣) البسيط، الواحدي، (٦٥/٧ - ٦٧).

(٢٤) السبعة في القراءات، البغدادي، (ص: ٤١٨)، الحجّة في القراءات السبع، ابن خالويه، (ص: ٢٤١، ٢٤٢).

فإنَّ أَبَانَا كَانَ حَلَّ بِلْدَةٍ ... سُؤْيَ بَيْنَ قَيْسٍ قَيْسَ عِيلَانَ وَالْفَزَرَ (٢٥)» (٢٦).
-وما أورده ج كذلك في توجيه القراءتين الواردتين في قوله تعالى: ﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ٢٣﴾ [النبا: ٢٣]، بالاستشهاد على صحّة أحدهما على الأخرى؛ لكونها موافقة لما جاء في لغة العرب، قال: «﴿لَبِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ٢٣﴾» [النبا: ٢٣]، يقول تعالى ذكره: إنَّ هؤلاء الطّاعين في الدُّنيا لَابِثُونَ فِي جَهَنَّمَ، فَمَا كُنْتُمْ فِيهَا أَحْقَابًا واختلف القراء في قراءة قوله: ﴿لَبِثِينَ﴾ [النبا: ٢٣] فقرأ ذلك عامّة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة: {لابثين} بالألف (٢٧)، وقرأ ذلك عامّة قراء الكوفة: (لبثين) بغير الألف (٢٨)؛ وأفصح القراءتين وأصحهما مخرجًا في العربية، قراءة من قرأ ذلك بالألف؛ وذلك أنَّ العرب لا تكاد توقع الصّفة إذا جاءت على فعيل، فتعملها في شيء، وتنصبه بها، لا يكادون أن يقولوا: هذا رجل بَحَلٌّ بماله، ولا عَسِيرٌ علينا، ولا هو خَصِمٌ لنا؛ لأنَّ فعل لا يأتي صفة إلّا مدحًا أو ذمًا، فلا يعمل المدح والذمُّ في غيره، وإذا أرادوا إعمال ذلك في الاسم أو غيره جعلوه فاعلاً، فقالوا: هو بَاخِلٌ بماله، وهو طَامِعٌ فيما عندنا، فلذلك قلت: إنَّ {لابثين} أصحُّ مخرجًا في العربية وأفصح، ولم أحلّ قراءة من قرأ: (لبثين) وإن كان غيرها أفصح؛ لأنَّ العرب ربما أعملت المدح في الأسماء، وقد ينشد بيت لبيد (٢٩):

(٢٥) والصحيح في رواية البيت: «وَجَدْنَا أَبَانًا»، وهي من أبيات الشاعر يحيى بن منصور الحنفي، والمعنى: وجدنا أبانا حل ببلدة متوسطة بين ديار قيس عيلان وسعد بن زيد مناة، أي: حل بين مُضِرٍّ ونأى عن ربيعة؛ لأنَّ قيسًا والفزr من مضر، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (١١٣/١)، شرح ديوان الحماسة، التبريزي، (١١٩/١)، (١٢٠).

(٢٦) جامع البيان، الطبري، (٢٢/٢٤)، (٢٣).
(٢٧) السّبعة في القراءات، البغدادي، (ص: ٦٦٨)، الحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٣٩٦/٦).

(٢٨) ينظر: السّبعة في القراءات، البغدادي، (ص: ٦٦٨)، الحجة للقراء السبعة، الفارسي، (٣٩٦/٦)، حجة القراءات، ابن زنجلة، (ص: ٧٤٥).

(٢٩) أبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب، فارس شجاعًا، وشاعر عذب المنطق، وكان من المخضرمين؛ قدم على رسول الله ﷺ، فأسلم، هاجر إلى الكوفة ومات فيها، ولم يقل في الإسلام شعراً وكان يقول: "أبدلني الله بذلك القرآن"، ينظر: الطبقات الكبير، ابن سعد، (١٥٥/٨)، طبقات فحول الشعراء، ابن سلام، (١٣٥/١).

أَوْ مَسْحَلٌ عَمَلٌ عَصَادَةٌ سَمَحَجٌ ... بِسَرَائِهَا نَذَبٌ لَهُ وَكُلُومٌ (٣٠)
فأعمل عمل في عصادة، ولو كانت عاملاً كانت أفصح، ويُشَدُّ أيضاً:
وَبِالْفَأْسِ ضَرَابٌ رُؤُوسَ الْكَرَانِفِ (٣١)

ومنه قول عباس بن مرداس (٣٢):
أَكْرَرْتُ وَأَحْمَى لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ ... وَأَضْرَبُ مِنَّا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِسَا (٣٣) «(٣٤).
المطلب الرابع: أثر الشواهد الشعرية في نسبة اللغات للقبائل:

استشهد المفسرون [٣] بالشواهد الشعرية من ديوان الحماسة على نسبة اللهجات العربية الواردة في القراءات القرآنية إلى قبائلها، فتارة ينصُّون على اسم القبيلة التي تنطق بتلك اللهجة، فيقولون: "هي لغة هذيل"، أو "لغة هوازن"، وتارة يذكرون اللغة دون أن ينسبوا إلى أي قبائل العرب التي تنطق بها، فالشاهد الشعري يأتي لتأكيد نسبة اللغة إلى قبيلتها، ولتبيين طريقة نطق الألفاظ ولتبيين أيضاً تركيبها النحوي، فهذه أهم آثار الشاهد الشعري في نسبة اللغات إلى القبائل، وقد بلغت (٤٩) شاهداً شعرياً، وهي تُمثِّلُ تقريباً (١٢%) من مجمل الشواهد الشعرية في تفسير القرآن الكريم، ومثال ذلك:

ما ذكره الطبري [٤] في تفسير قوله تعالى: ﴿لِلْفَقْرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا

(٣٠) وهي من أبيات الشاعر لبيد بن ربيعة يصف عيره وأتانه وسوقه إياها، ومعنى البيت: العصادة: جمع عضد، أي: هو يعصدها، يكون مرة عن يمينها ومرة عن يسارها لا يفارقتها، ينظر: تهذيب اللغة، الأزهرى، مادة (عمل) (٢٥٦/٢).

(٣١) وهذا الشطر الثاني من البيت: «مَنْ الرُّعْبُ لَمْ يَضْرِبْ غَدَوْاً بِسَيْفِهِ... وبالفأس ضراباً رُؤُوسَ الْكَرَانِفِ»، هي أبيات أنشدها الفراء عند بيانه لمعنى (الرُّعْب) وهو: القصير من الرجال، ينظر: الألفاظ، لابن السكيت، مادة (رُعْب) (ص: ١٦٨)، تهذيب اللغة، الأزهرى، مادة (رُعْب) (٨٩/٢).

(٣٢) العباس بن مرداس بن حارثة السلمي، أمه الخنساء الشاعرة بنت عمرو بن الشريد، شاعر وفارس من المخضرمين، عُرف بالفصاحة وقوة البيان، وكان سيّداً في قومه، وفد إلى النبي ﷺ وأسلم وكان من المؤلفة قلوبهم ثم حسن إسلامه، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، القرطبي، (٨١/٢)، تاريخ دمشق، ابن عساکر، (٤٠٢/٢٦).

(٣٣) ومعنى البيت: لم أر أحسن كراً، وأبلغ حمائية للحقائق منهم، ولا أضرب للقوانس بالسيف منّا، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٢٤٦/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٣١٨).

(٣٤) جامع البيان، الطبري، (٨٨/١٦)، (٨٩).

يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا وَمَا تَنْفَعُوا مَنْ خَبَرَ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۚ [البقرة: ٢٧٣]، قال: «القول في تأويل قوله تعالى: {تعرفهم بسيماهم} [البقرة: ٢٧٣] يعني بذلك جل ثناؤه: تعرفهم يا محمد بسيماهم، يعني: بعلامتهم وآثارهم من قول الله ﷻ: {سِيَمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ أَثَرُ السُّجُودِ} [الفتح: ٢٩]، هذه لغة قريش، ومن العرب من يقول: «بسيماهم» فيمدّها، وأمّا تقيف وبعض أسد فائهم يقولون: «بسيمايهم»، ومن ذلك قول الشاعر: غَلَامٌ رَمَاهُ اللَّهُ بِالْحُسْنِ يَافِعًا ... لَهُ سِيَمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى الْبَصَرِ» (٣٥).

وما ذكره السمين الحلبي في تفسير قوله تعالى: {حُسْنًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ۚ} [القمر: ٧]، قال: «قوله: {حُسْنًا} قرأ أبو عمر والأخوان «خاشعاً» وباقي السبعة «حُسْنًا»، فالقراءة الأولى جارية على اللغة الفصحى من حيث إنّ الفعل وما جرى مجراه إذا قُدِّمَ على الفاعل وجَد، تقول: تَخْشَعُ أَبْصَارُهُمْ، ولا تقول: تَخْشَعُنْ أَبْصَارُهُمْ، وأنشد قول الشاعر: وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيَادِ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدُ (٣٦) وقال آخر:

يَرْمِي الْفَجَاجَ بِهَا الرُّكْبَانُ مَعْتَرِضاً ... أَعْنَاقُ بُزْلٍ لَهَا مُرْخَى لَهَا الْجُدُلُ (٣٧)
وأمّا الثانية فجاءت على لغة طيء يقولون: أكلوني البراغيث، وقد تقدّم القول في هذا مشبيحاً في المائدة والأنبياء، ومثله قول الآخر:
بِمُطَرِّدٍ لَدُنِّ صِحَاحٍ كُغُوبُهُ ... وَذِي رَوْثٍ عَضْبٍ يَقْدُ الْقَوَانِسَا (٣٨)

(٣٥) ومعنى البيت: "له سيماهم" يعني: الحسن والبهجة، و "لا يشق له البصر" يعني: لا يكره النظر إليه، ومعناه: لا يمكن النظر إليها لفرط شعاعها كالشمس، فالعين لا تفتح لتتنظر إليها، يعشي نور البصر ويغلبه، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٢٦٢/٢)، شرح ديوان الحماسة، الفارسي، (٢٥٤/٣).

(٣٦) البيت للحارس بن دوس الإيادي، ويروى لأبي داود الإيادي، ومعناه: مررت بشبان حسن أوجهه، ينظر: ديوان أبو داود الإيادي (ص: ٩٢).

(٣٧) وهي أبيات للشاعر عمير بن شبيب التغلبي المعروف بالقطامي، ومعنى البيت: اللغة: الْفَجَاجُ: الطرق الواسعة، والبُزْلُ: جمع بازل وهي الناقة، الجُدُلُ: جمع جَدِيل وهو الخَبْلُ أو الزمام، والمعنى: أرخيت لها الزمام؛ لأنّها قد عودت ذلك ليست بصعبة، تعترض بأعناقها من نشاطها، وقوله مرخى لها الجدل: قد استوفتها من طول أعناقها، ينظر: ديوان القطامي (ص: ١٩٥)، الحماسة البصرية، صدر الدين البصري، (٣٦١/٢).

(٣٨) وهي أبيات من قول الشاعر سجيح بن حسيل الضبي، والمعنى: بِمُطَرِّدٍ: يعني برمح مستوٍ لا أود فيه، لَدُنْ: أي لين، يقول: خَوَّفْتَهُم بِالْيُرُوزِ لَهُمْ، ومعالنة ذوي الحشمة بالتنكر معهم، والشَّدَّ عليهم برمح مسوٍ لين صحيح الكعوب والأنابيب، وسيفٍ ذي ماءٍ، قاطعٍ نافذٍ في

وقيل: وجمع التكسير في اللغة في مثل هذا أكثر من الأفراد، وقرأ أبي وعبد الله «خاشعة» على تخشع هي» (٣٩).

المطلب الخامس: أثر الشواهد الشعرية في اللغة:

والمقصود بها: تلك الشواهد الشعرية التي ساهمت في بيان المسائل اللغوية (النحوية، والصرفية، والبلاغية) الواردة في الآيات القرآنية، وهي أكثر شواهد الديوان عدداً فقد بلغت (١٨٣) شاهداً شعرياً، وهي تمثل قرابة (٤٤%) من مجمل شواهد الديوان في التفسير، ومن الأمثلة على ذلك:

ما ذكره أبو حيّان في بيان قوله تعالى: «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمِنَ الظُّلُمِينَ» (٣١) [هود: ٣١]، قال: «وتزدري تقتل، والدال بدل من التاء، قال:

تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ ... وَفِي أَنْوَابِهِ أَسَدٌ هَصُورُ (٤٠)
وأنشد الفراء:

يُبَاعِذُهُ الصَّدِيقُ وَتَزْدَرِيهِ ... حَلِيلُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ (٤١)

والعائد على الموصول محذوف أي: تزدرونهم، أي: تستحقرونهم أعينكم» (٤٢).

القوانس، لا ينبو ولا يرتدع، ومعنى الاطراد في الرُمح تقومه وتوافق أنابيبه عند الهز، والقوانس: أعلى البيض؛ =قونس الفرس منه، وهو العظم الذي تحته العصفوران، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٢٩٣/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٤٠٥، ٤٠٦). (٣٩) الدر المصون، الحلبي، (١٢٥/١٠، ١٢٦).

(٤٠) وهي أبيات من قول الشاعر العباس بن مرداس، ومعنى البيت: ترى الرجل النحيف المهزول الدقيق، فتستحققه لضوولته، وإذا فتشت عنه واستشفت ما وراء ظاهره وجدته أسداً مزيراً. والمزير هو: الجلد الخفيف النافذ في الأمور، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٥٨٠/٢)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٨١٠).

(٤١) وللبيت روايات أخرى: منها «وَيُفْصِيهِ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ» وهذه المذكورة في الديوان، وقد ورد في كتب اللغة والأدب غير ذلك: منها «وَيُفْصِي فِي النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ» وكذلك «يُبَاعِذُهُ النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ» و «يُبَاعِذُهُ الْفَرِيبُ، وَتَزْدَرِيهِ» و «يُبَاعِذُ فِي النَّدَى وَتَزْدَرِيهِ»، وهذه أبيات من قول الشاعر عروة بن الورد، ينظر: ديوان عروة بن الورد (ص: ٥٨)، العقد الفريد، ابن عبد ربّه الأندلسي، (٣٤٥/٢)، الأمل والمأمول، الجاحظ، (ص: ٨)، البخلاء، الجاحظ، (ص: ٢٣٩)، البيان والتبيين، الجاحظ، (١٩٨/١).

(٤٢) البحر المحيط، أبو حيّان، (١٤٦/٦).



-وما أورده الواحدي ٣ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤﴾ [الشعراء: ٤] قال: «قال أبو إسحاق: قوله ﴿فَظَلَّتْ﴾ معناه: فظلل، والجزاء يقع فيه لفظ الماضي بمعنى المستقبل، تقول: إن أتيتني أكرمتك، معناه: أكرمك (٤٣)، وهذا الذي ذكره مختصر ممّا بسّطه الفراء؛ وهو أنه قال: لك {إن} تعطف على مجزوم الجزاء بفعل؛ لأنّ الجزاء يصلح في موضع يفعل فعل، ألا ترى أنّك تقول: إن زرتني زرتك، وإن تزرني أزرك، والمعنى واحد، ولذلك صلح {فَظَلَّتْ} مربودة على يفعل (٤٤)، وأنشد:

إِنْ يَسْمَعُوا رَيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا (٤٥)

بمعنى: يطيروا» (٤٦).

-وما ذكره ابن عاشور ٣ في بيان بلاغة القرآن الكريم عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قال: «وإظهار اسم الجلالة في الجمل الثلاث: لقصد التنويه بكل جملة منها حتى تكون مستقلة الدلالة، غير محتاجة إلى غيرها المشتمل على معاد ضميرها، حتى إذا سمع السامع كلّ واحدة منها حصل له علم مستقل، وقد لا يسمع إحداها فلا يضُرُّه ذلك في فهم أخراها، ونظير هذا الإظهار قول الحماسي:

اللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَوَالِدِهِ ... وَاللُّؤْمُ أَكْرَمُ مِنْ وَبَرٍ وَمَا وَلَدَا
وَاللُّؤْمُ ذَاؤٌ لَوْبَرٍ يُقْتَلُونَ بِهِ ... لَا يُقْتَلُونَ بِذَاءٍ غَيْرِهِ أَبَدًا (٤٧)

(٤٣) معاني القرآن، للزجاج، (٨٢/٤).

(٤٤) معاني القرآن، الفراء، (٢٧٦/٢).

(٤٥) وهذا الشطر الأول من البيت: «إِنْ يَسْمَعُوا رَيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مِثِّي وَإِنْ يَسْمَعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا» وهي لقنبر بن أمّ صاحب، ومعنى البيت: أنهم إذا رأوا حسنة كتموها، وإذا رأوا سيئة أظهروها، وقوله: "مِثِّي" أراد من جهتي، ومعنى "طَارُوا بِهَا" أي: كَتَرُوا فِي النَّاسِ وَأَذَاعُوهَا، ووصلوا القيام بالقعود في نشرها، وهذا ما ذكره من الدفن في قوله: "وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا" في المعنى، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (١٧٠/٢)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ١٠١٣).

(٤٦) البسيط، الواحدي، (١٣/١٧).

(٤٧) وهي أبيات من قول الشاعر عوف القوافي وهو الحكم بن المقداد وقيل الحكم بن زهرة، ومعنى البيت: اللؤم أكرم من أخلاق وبر وأخلاق والده، وقوله "ووالده" دخل فيه كل أب لهم، كما دخل في قوله "وما ولدا" كل ولد لهم، واللؤم: خصال منكرة، إذا اجتمعت سميت لؤمًا، كدناءة النفس والأباء والبخل مرددًا فيهم، والنظر في الأمور التافهة المخزية، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (١٤٢/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ١٨٢).

فإنه لما قصد التشنيع بالقبيلة ومن ولدها، وما ولدته، أظهر اللوم في الجمل الثلاث، ولما كانت الجملة الرابعة كالتأكيد للثالثة لم يظهر اسم اللوم بها، هذا ولإظهار اسم الجلالة نكتة أخرى وهي التهويل، وللتكرير مواقع يحسن فيها، ومواقع لا يحسن فيها، قال الشيخ في (دلائل الإعجاز) في الخاتمة التي ذكر فيها أن الذوق قد يدرك أشياء لا يهتدى لأسبابها، وأن ببعض الأئمة قد يعرض له الخطأ في التأويل... إن التكرير المستحسن هو تكرير يقع على طريق التعظيم، أو التحقير، في جمل متواليات كل جملة منها مستقلة بنفسها، والمستقبح هو أن يكون التكرير في جملة واحدة أو في جمل في معنى، ولم يكن فيه معنى التعظيم والتحقير، فالراغب موافق للأستاذ ابن العميد، وعبد القاهر موافق للصاحب بن عباد، قال المرزوقي في شرح الحماسة عند قول يحيى بن زياد (٤٨):

لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بَيَاضُهُ ... بِمَفْرَقِ رَأْسِي قُلْتُ لِلشَّيْبِ مَرْحَبًا (٤٩)
«كان الواجب أن يقول: قلت له مرحبًا، لكنهم يكررون الأعلام وأسماء الأجناس كثيرًا والقصد بالتكرير التفخيم» (٥٠).

المطلب السادس: أثر الشواهد الشعرية في الفقه:

استشهد المفسرون بالشواهد الشعرية في بيان الأحكام الفقهية الواردة في الآيات القرآنية، وذلك من خلال استناد الأحكام الفقهية عليه استنادًا كليًا، ومن خلال الترجيح بين الأحكام الفقهية التي كان سببها الخلاف الحوي أو اللغوي وأيضًا من خلال دعم وتقوية الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، وقد بلغ عددها (١٦) شاهدًا شعريًا، وهي تمثل (٤%) من مجمل شواهد الديوان الشعرية، ومن الأمثلة على ذلك:

- ما ذكره القرطبي في بيان أحكام طلاق البائن في قوله تعالى: (فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٢٣٠) [البقرة: ٢٣٠]: «وقد رتب الله على الطلقة الثالثة حكمين وهما سلب الزوج حق الرجعة، بمجرد الطلاق، وسلب المرأة حق الرضا بالرجوع إليه إلا بعد زوج، واشتراط التزوج بزواج ثانٍ بعد ذلك؛

(٤٨) يحيى بن زياد بن عبيد الله الحارثي، أبو الفضل، شاعر من أهل الكوفة، ولأه أبو جعفر المنصور على الأهواز برجاء من ابنه المهدي، وهو خال أبي العباس السفاح شاعر، ينظر: تاريخ دمشق، ابن عساكر، (٢٢١/٦٤)، شرح ديوان الحماسة، التبريزي، (٣٥٦/١).

(٤٩) ومعنى البيت: لما وجدت الشيب اشتعل رأسي ببياضه، طيبت نفسي بطلوعه وقلت له: أتيت رجلاً وسعاً، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٥٥٨/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٧٨٤).

(٥٠) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (١١٨/٣، ١١٩).



لقصد تحذير الأزواج من المسارعة بالطلاق الثالثة، إلا بعد التأمل والتريث، الذي لا يبقى بعده رجاء في حسن المعاشرة، للعلم بحرمة العود إلا بعد زوج، فهو عقاب للأزواج المستخفين بحقوق المرأة، إذا تكرّر منهم ذلك ثلاثاً، بعقوبة ترجع إلى إبلام الوجدان، لما ارتكز في النفوس من شدة النفرة من اقتران امرأته برجلٍ آخر، ويُنبّئُهُ حال المرأة قول ابن الزبير (٥١):

وَفِي النَّاسِ إِنْ رَتْنَتْ جِبَالُكَ وَاصِلٌ ... وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْفُلَى مُتَحَوِّلٌ (٥٢)» (٥٣).

وما أورده كذلك في بيان حكم كراهة ابتداء السلام بقول: (عليك السلام) بدلاً من قول (السلام عليكم) بالاستناد على الشاهد الشعري في البيان، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً﴾ [النساء: ٨٦] قال: «وقد روى النسائي وأبو داود من حديث جابر بن سليم قال: "لقيتُ رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله، فقال: ((لا تقل عليك السلام؛ فإنَّ عليك السلام تحية الميت، ولكن قل: السلام عليك))، وهذا الحديث لا يثبت، إلا أنَّه لما جرت عادة العرب بتقديم اسم المدعو عليه في الشّرّ كقولهم: عليه لعنة الله وغضب الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]، وكان ذلك أيضاً دأب الشعراء وعادتهم في تحية الموتى، كقولهم: عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ ... وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا (٥٤)

نهاه عن ذلك، لا أنَّ ذاك هو اللفظ المشروع في حق الموتى؛ لأنَّه ﷺ ثبت عنه أنَّه سلّم على الموتى كما سلّم على الأحياء فقال: ((السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنّا إن

(٥١) هو: معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني، صحابي شاعر من مخضرمي الجاهلية والإسلام، وله مدائح في جماعة من أصحاب النبي ﷺ، وكان معاوية رضي الله عنه يفضّل شعره وبعده من فحول الشعراء في الإسلام، ينظر: أنساب الأشراف، البلاذري، (٢٧/٥) (٣٣٤/١١)، (٣٣٥)، الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، (٢٤٢/٦).

(٥٢) ومعنى البيت: إن وهت أسباب مودّتك ففي النَّاسِ من يرغب في وصلي، والأرض واسعة، وفيها موضع ينتقل إليه عن قرب من يبغضك، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٥٦٤/١)، شرح ديوان الحماسة، الفارسي، (٩/٣).

(٥٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٤١٥/٢)، (٤١٦).

(٥٤) وهي للشاعر عبدة بن الطبيب وهو يرثي فيها قيس بن عاصم، ومعنى البيت: عليك من الله السّلامة؛ وسلامته وقد مات في توفر الرحمة عليه لذلك قال ما شاء أن يترحمًا، فاستدام له النّحية بقوله: ما شاء أن يترحم؛ لأنَّ التّرحم من الله دائم؛ لاتصال رحمته في خلقه، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٣٨٧/١)، شرح ديوان الحماسة، الأصفهاني، (ص: ٥٦٠).

شاء الله بكم لاحقون)) (٥٥) فقالت عائشة [١]: "قُلْتُ: يا رسول الله! كيف أقول إذا دخلت المقابر؟ قال: ((قولي السَّلَام عليكم أهل الدِّيَار من المؤمنين)) الحديث (٥٦)، وسيأتي في سورة ﴿الْهَلِكُمْ﴾ -إن شاء الله تعالى-، قُلْتُ: وقد يحتمل أن يكون حديث عائشة [١] وغيره في السَّلَام على أهل القبور جميعهم إذا دخلها وأشرف عليها، وحديث جابر بن سليم خاصٌّ بالسَّلَام على المرور المقصود بالزيارة، والله أعلم» (٥٧).

المطلب السابع: أثر الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ فِي الْعَقِيدَةِ:

استشهد المفسِّرون بالشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ من ديوان الحماسة على بعض مسائل العقيدة التي اشتملت عليها الآيات القرآنية وفق منهج أهل السُّنَّة والجماعة، غير أنَّ الأمثلة في هذا الجانب قليلة جدًّا، فقد بلغت (٨) شواهد شعريَّة، وهي تمثِّل في مجملها (٢٠%) تقريبًا من مجمل شواهد الدِّيَّوَانِ في تفسير القرآن الكريم، من الأمثلة على ذلك: -ما ذكره ابن كثير في بيان مسألة من مسائل الدُّعاء وآدابه وأسباب إجابته عند تفسيره قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] قال: «لَمَّا تَقَدَّمَ الثَّنَاءُ عَلَى الْمُسَوَّلِ نَاسِبٌ أَنْ يُعْقَبَ بِالسَّوَالِ؛ كَمَا قَالَ: ((فَنَصُفُّهَا لِي وَنُصَفُّهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ)) (٥٨) وهذا أكمل أحوال السَّائِلِ، أن يمدح مسؤوله، ثمَّ يسأل حاجته وحاجة إخوانه

(٥٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب (الطَّهَّارَةِ)، باب (استحباب إطالة الغرَّة والتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ)، رقم (٢٤٩)، (١٥١/١)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٥٦) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنائز، باب (ما يقال عند دخول القبور والدُّعاء لأهلها)، رقم (٩٧٥)، (٦٤/٣)، عن بريدة بن الحَصِيب رضي الله عنه.
(٥٧) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٣٠١، ٣٠٠/٥).
(٥٨) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب (الصلاة)، باب (من ترك القراءة في صلاته بفاتحة الكتاب)، رقم (٨٢١)، (٣٠١/١)، والترمذي في جامعهم، أبواب (تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وآله)، باب (ومن سورة فاتحة الكتاب)، رقم (٢٩٥٣)، (٦٧/٥)، والنسائي في سننه، كتاب (الافتتاح)، باب (ترك قراءة بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي فَاتِحَةِ الْكِتَابِ)، رقم (٩٠٨)، (٢٠١/١)، وابن ماجه في سننه، كتاب (الأدب)، باب (ثواب القرآن)، رقم (٣٧٨٤)، (٧٠١/٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ابن عبد البر: والحديث صحيح؛ للعلاء عن أبيه وعن أبي السَّائِبِ جميعًا عن أبي هريرة قد جمعهما عنه أبو أويس وغيره، ينظر: التَّمْهِيدُ لِمَا فِي الْمَوْطَأِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسَانِيدِ (٢٠ / ١٨٧)، وقال الترمذي حديث حسن، ينظر: (٦٧/٥)، وقال المباركفوري: أسانيد هذه الفتوى صحيحة، ينظر: تحفة الأحوذِي شرح سنن الترمذي (٢٥٤/١)، وقال الدَّارِقُطْنِي: روى هذا الحديث جماعة من الثَّقَاتِ عن العلاء بن عبد الرحمن منهم مالك بن أنس وابن جريج وروح بن القاسم وابن عيينة وابن عجلان والحسن بن الحرّ

المؤمنين بقوله: ﴿ أَهْدِنَا 》؛ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه؛ لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى عليه السلام: ﴿ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤ ﴾ [القصص: ٢٤]، وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول، كقول ذي النون: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول، كقول الشاعر:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي ... حَيَاؤُكَ إِنَّ شَيْمَتَكَ الْحَيَاءُ
إِذَا أَتْنِي عَلَيْكَ الْمَرْءُ يَوْمًا ... كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ النَّثَاءُ (٥٩) « (٦٠).

-وما جاء عن الواحدي في بيان حقيقة الشُّرك المذكور في قوله تعالى: ﴿ قَلَمًا أَتَنَلَّهُمَا صُلْحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ١٩٠ ﴾ [الأعراف: ١٩٠]، قال: «وَأَرَادَ بِالشُّرَكَاءِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ إِبْلِيسَ، أَوْقَعَ الْجَمْعَ مَوْقِعَ الْوَاحِدِ، وَذَلِكَ أَنَّ مِنْ أَطَاعَ إِبْلِيسَ فَقَدْ أَطَاعَ جَمِيعَ الشَّيَاطِينِ، فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ أَضِيفَ الشُّرْكُ إِلَى آدَمَ وَحَوَاءَ مَعَ مَنْزِلَتِهِمَا مِنْ دِينِ اللَّهِ؟ وَالْجَوَابُ عَنْ هَذَا: مَا رُوي عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: "أَشْرَكَ فِي الْأَسْمَاءِ، وَلَمْ يَشْرَكَ فِي الْعِبَادَةِ" (٦١)، يَعْنِي: أَنَّهُمَا لَمْ يَذْهَبَا إِلَى أَنَّ الْحَارِثَ رَبَّهُمَا، لَكِنَّهُمَا قَصَدَا إِلَى أَنَّ الْحَارِثَ كَانَ سَبَبَ نَجَاةِ الْوَلَدِ وَسَلَامَةِ أُمِّهِ، وَقَدْ يُطْلَقُ اسْمُ الْعَبْدِ مِضَافًا إِلَى مَنْ لَا يُرَادُ أَنَّهُ مَمْلُوكٌ لَهُ كَقَوْلِهِ:

وأبو أويس III وغيرهم على اختلاف منهم في الإسناد وأتفاق منهم على المتن فلم يذكر لأحد منهم في حديثه بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ واتفاقهم على خلاف ما رواه ابن سمعان أولى بالصواب، ينظر: سنن الدارقطني (٨٤/٢).

(٥٩) وهي قصيدة الشاعر أمية بن أبي الصلت، غير أنَّ بين البيتين ثلاث أبيات أخرى هي: «وَعَلِمْتُكَ بِالْحَقِّ وَأَنْتَ فَرَعٌ ... لَكَ الْحَسْبُ الْمُهْدَبُ وَالسَّئَاءُ خَلِيلٌ لَا يَغَيِّرُهُ صَبَاحٌ ... عَنْ الْخُلُقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءٌ وَأَرْضُكَ كُلُّ مَكْرُمَةٍ بَنَتْهَا ... بَنُو تَيْمٍ وَأَنْتَ لَهَا سَمَاءٌ»، ومعنى البيت الأول: أذكر حاجتي أم يكفيني حياؤك وعلمك بالحقوق وعادتك الحياء، وأنت فرع رفيع لا عيب في حسبك، المعنى: يصفه بصدق الخلعة، وينفي عنه التلون، والبيت الثاني: يصفه بغاية الجود، وأنه لا يحوج قاصده إلى المسألة وكيفيه منها تناوّه عليه، ينظر: ديوان الحماسة، أبو تمام، (٢٩٥/٢)، شرح ديوان الحماسة، الفارسي، (٣٥٤/٣).

(٦٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٥٠/١).

(٦١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره، (٢٤٥/٢)، وأخرجه ابن جرير، (١٠/٢٦٦)، وابن أبي حاتم، (١٦٣٤/٥)، وعزه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر، وذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين-، (١٥٩/٢)، بلفظ: فكان شركاً في طاعتها لإبليس في تسميتهما إياه: عبد الحارث، ولم يكن شركاً في عبادة.

م	أثر الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ	عددها
١	في غريب القرآن الكريم	١٧١
٢	في إيضاح المعنى القرآني	١٧٣
٣	في توجيه القراءات	١٩
٤	في نسبة اللغات إلى القبائل	٤٩
٥	الشَّوَاهِدُ اللَّغَوِيَّةُ	١٨٣
٦	الشَّوَاهِدُ الْفَقْهِيَّةُ	١٦
٧	الشَّوَاهِدُ الْعَقْدِيَّةُ	٨

وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ ثُلُوبًا (٦٢) يريد: أَنَّهُ خَاضِعٌ لَهُ مُطِيعٌ، وَلَمْ يُرَدَّ أَنَّ الضَّيْفَ رَبَّهُ، وَقَدْ يَفْعُ الْإِشْتِرَاكُ فِي الْأَسْمَاءِ مَعَ وَقُوعِ اخْتِلَافٍ فِي الْمَعْنَى كَمَا يَقَالُ لِمَمْلُوكٍ زَيْدٌ: هَذَا عَبْدُ زَيْدٍ، ثُمَّ يُقَالُ: إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَدْ جَمَعَهُمَا اللَّفْظُ، وَالْمَعْنَى مُخْتَلَفٌ» (٦٣).

وقد بلغ عدد الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ مِنْ دِيَّوَانِ الْحَمَاسَةِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (٤١٣) شَاهِدًا، وَفِيمَا يَلِي جَدُولٌ بَيَانِي لِحَصْرِ الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ الْوَارِدَةِ فِي دِيَّوَانِ الْحَمَاسَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالتِّي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا الْبَحْثُ:

الخاتمة

وفي الختام أحمَدُ اللهَ تعالى على ما وفقنني وأعانني به؛ لِإِتِمَامِ هَذَا الْبَحْثِ، وَلَوْلَاهُ سُبْحَانَهُ مَا تَمَّ جُهِدٌ، وَلَا خُتِمَ سَعْيٌ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ، وَفِيمَا يَلِي مُوجِزٌ لِأَهَمِّ مَا تَوَصَّلْتُ إِلَيْهِ مِنَ النَّتَائِجِ وَالتَّوَصِيَّاتِ، وَهِيَ كَالآتِي:

أهم النتائج:

- تَمَيَّزَ أَبُو تَمَّامٍ فِي اخْتِيَارَاتِهِ الشَّعْرِيَّةِ لِديوانه وَتَمَكَّنَهُ فِي دَقَّةِ نَقْلِهِ لَهَا؛ أُولَتْ لِديوانه قِيَمَةٌ عِلْمِيَّةٌ لَدَى الْمُفَسِّرِينَ، حَيْثُ فَضَّلُوهُ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الدَّوَاوِينِ الشَّعْرِيَّةِ، بَلْ وَجَعَلُوا جَمِيعَ مَا فِيهِ مِمَّا يَصِحُّ الْإِسْتِشْهَادُ بِهِ.

(٦٢) وَهِيَ أَبْيَاتُ الشَّاعِرِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ الْمَنْقَرِيِّ، وَمَعْنَى الْبَيْتِ: أَيُّ أَتَكَفُّ مِنْ خِدْمَةِ الضَّيْفِ مَا يَتَكَفُّهُ الْعَبِيدُ، لَا أَسْتَكْفُ وَلَا أَنْفَ، وَلَيْسَ لِي مِنْ أَخْلَاقِ الْعَبِيدِ وَطَبَائِعِهِمْ إِلَّا تِلْكَ، يَرِيدُ إِلَّا تِلْكَ الْخِدْمَةَ، أَوْ تِلْكَ الْخَلِيقَةَ، يَنْظُرُ: دِيَّوَانِ الْحَمَاسَةِ، أَبُو تَمَّامٍ، (٣١٦/٢)، شَرْحُ دِيَّوَانِ الْحَمَاسَةِ، الْأَصْفَهَانِي، (ص: ١١٧٠).
(٦٣) الْبَسِيطُ، الْوَاحِدِيُّ، (٥١٦/٩، ٥١٧).

- تنوعت آثار الشواهد الشعرية من ديوان الحماسة في تفسير القرآن الكريم بناءً على تنوع مناهج المفسرين في تفسيرهم.
 - أغلب الشواهد الشعرية من ديوان الحماسة في التفسير اللغوي (من معاني القرآن، وغريبه)، فقد بلغ عدد الشواهد مئة وواحد وسبعون (١٧١)، وتمثل قرابة ٤١% من مجمل شواهد الديوان في التفسير.
 - يعتمد المفسرون كثيرًا الاستدلال بالشاهد الشعري من ديوان الحماسة في بيان المعنى القرآني، ويكتفون به عن غيره من الأدلة الأخرى.
 - قد يُستدل بالشاهد الشعري على أكثر من موضع في تفسير القرآن الكريم؛ فقد يرد لبيان غريب ألفاظ القرآن، مع نسبة اللغات إلى القبائل.
 - قد يُستدل بأكثر من شاهد شعري من شواهد الديوان على تفسير موضع واحد من القرآن الكريم.
 - يكثر عند بعض المفسرين الاستدلال بالشاهد الشعري الواحد على مسألة واحدة من مسائل القرآن الكريم في مواضع متفرقة؛ فمثلاً: يستدلون على مسألة بلاغية أو نحوية تكررت في مواضع متعددة بالشاهد الشعري ذاته، ويكثر ذلك عند ابن عاشور في بيان المسائل البلاغية والنحوية.
- أهم التوصيات:**
- الاعتناء بتدريس طلبة الدراسات القرآنية الشعر العربي من دليل اللغة؛ لأنه يُعين على فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً سليماً من الخطأ والزلل؛ وتكون مادته معتمدة على ما استشهد به أئمة التفسير؛ كالطبري، وابن عطية، والقرطبي، وغيرهم.
 - السعي لعمل موسوعة شاملة للشواهد الشعرية في تفسير القرآن الكريم، وتقسيمها حسب الموضوعات ومن ثمّ دراستها.
 - بحث توظيف الشواهد الشعرية في فهم القرآن الكريم عند المفسرين-دراسة موازنة ومقارنة-.
 - اعتناء الباحثين في الدراسات الفقهية بجمع الشواهد الشعرية المُستدل بها في تفسير آيات الأحكام، والاستفادة منها في استخراج الأحكام الفقهية.
 - دراسة الإعجاز البياني للقرآن الكريم من خلال الشواهد الشعرية/ أو دراسة علاقة الشعر بالإعجاز البياني للقرآن الكريم.
 - ختاماً.. سعيث لإنجاز البحث بكل ما أملك من جهد ووقت؛ فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله

- العليَّ العظيم وأتوب إليه، وأسأل الله أن يتقبَّلَ هذا العمل بقبول حسن، ويبارك فيه، وينفعني به والمسلمين إنَّه وليُّ ذلك والقادر عليه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن استنَّ بسنته واتَّبَعَ هداه إلى يوم الدِّين *

فهرس المصادر والمراجع

الحماسة الصغرى (الوَحْشِيَّات)، حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب (ت ٢٣١هـ)، المُحقّق: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، محمود محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة ط٣، [ب.ت].

الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ١٣٩، ٤هـ - ١٩٧٤م.

البخلاء، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط٢، ١٤١٩ هـ

الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م.

الأُمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيزون بن هارون القالي (ت ٣٥٦هـ)، المحقق: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦م.

الآمل والمأمول، يُنسب لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ولا يُقطع بنسبته إليه، والأرجح أنه لابن المزبان الباحث، ط١، [ب.ت].
النوادر في اللُغة، أبو زيد الأنصاري، المُحقّق: محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط١، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور (ت ٢٨٠هـ)، المُحقّق: أحمد الألفي، مطبعة مدرسة والده عباس الأول، القاهرة، ط١، ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م.

البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.



تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣ هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ط١، ١٩٨٤ هـ.

تحفة الأحوزي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣ هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، [ب.ت.].
التعريفات الفقهية، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م)، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧ هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.

تفسير القرآن، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩ هـ)، المحقق: سعد بن محمد السعد، دار المآثر - المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م.
تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

تفسير القرآن من الجامع لابن وهب، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (المتوفى: ١٩٧ هـ)، المحقق: ميكولوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣ م.

تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت ٢١١ هـ)، دار الكتب العلمية، المحقق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، سنة ١٤١٩ هـ.

تفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ)، المحقق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي القيرواني (ت ٢٠٠ هـ)،
المحقق: الدكتورة هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مجلس دائرة المعارف
العمانية بحيدر آباد الدكن - الهند، ط١، ١٣٥٢-١٣٥٥ هـ

سنن ابن ماجه، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت ٢٧٣)، دار الرسالة
العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥)، المحقق: محمد محيي
الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، ط١، [ب.ت].

سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣)، دار المعرفة
للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

سنن الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥)، مؤسسة الرسالة،
بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠ هـ)، المحقق:
محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ٢٠٠١ م.

سمط اللآلي في شرح امالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري
الأندلسي (ت ٤٨٧ هـ)، المحقق: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت
- لبنان، ط١، [ب.ت].

شرح كتاب الحماسة للفارسي، أبو القاسم زيد بن علي الفارسي (ت ٤٦٧ هـ)،
المحقق: د. محمد عثمان علي، دار الأوزاعي - بيروت، ط١، [ب.ت].

شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت
٤٢١ هـ)، المحقق: غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١،
١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

شرح ديوان الحماسة، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا (ت
٥٠٢ هـ)، دار القلم - بيروت، ط١، [ب.ت].

- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الجيل -
بيروت، مصورة من الطبعة التركية المطبوعة في استانبول، سنة ١٣٣٤ هـ.

العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ط١، [ب.ت].

معجم الشعراء، للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت ٣٨٤ هـ)، المحقق: الأستاذ الدكتور كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب (ت) العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

الأمالي، أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيزون بن هارون القالي (ت ٣٥٦ هـ)، المحقق: محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٤٤ هـ - ١٩٢٦ م.

معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠ هـ)، المحقق: دكتور أحمد مختار عمر، دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

البسيط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري (ت ٤٦٨ هـ) المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ..

الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١)، المحقق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.

النِّقَات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي البُستي (ت ٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م. الطبقات الكبير، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠ هـ)، المحقق: الدكتور علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة - مصر، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢ هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الرازي (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩ هـ.

تفسير عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني (ت ٢١١هـ)، دار الكتب العلمية، المحقق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، سنة ١٤١٩ هـ.

أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

السبعة في القراءات، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت ٣٢٤هـ)، المحقق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، ط٢، ١٤٠٠ هـ.

-الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت ٣٧٠ هـ)، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق - بيروت، ط٤، ١٤٠١ هـ.

حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت حوالي ٤٠٣ هـ)، المحقق: سعيد الأفغاني [ت ١٤١٧ هـ]، الناشر: دار الرسالة، ط١، [ب.ت].

طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (ت ٢٣٢هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، ط١، [ب.ت].

الألفاظ، ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق (ت ٢٤٤هـ)، المحقق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط١، ١٩٩٨ م.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١ هـ)، المحقق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

ديوان القطامي، المحقق: الدكتور إبراهيم السامرائي، وأحمد مطلوب، دار الثقافة، لبنان- بيروت، ط ١، ١٩٦٠م.

البخلاء، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ٢، ١٤١٩ هـ

الآمل والمأمول، ينسب لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، ولا يُقطع بنسبته إليه، والأرجح أنه لابن المزبان الباحث، ط ١، [ب.ت].

البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الليثي الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٤٢٣ هـ.

العقد الفريد، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

ديوان عروة بن الورد، المحقق: أسماء أبو بكر محمد، دار الكتب العلمية، لبنان- بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨م.

معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، المحقق: أحمد يوسف النجاتي / محمد علي النجار / عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة - مصر، ط ١، [ب.ت].

معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، ط ١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

الدر المصون للسمين الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط ١، [ب.ت].

تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ط ١، ١٩٨٤ هـ.

الإصابة في تمييز الصحابة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، المحقق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤١٥ هـ.

جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، دار الغرب الإسلامي - بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٩٦ - ١٩٩٨ م.

تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، المحقق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٢، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري (ت ٣٩٩هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر - القاهرة، ط ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م



المقاصد التحسينية و أثرها في الدعوة إلى الله

Objectives of improvement and their impact on the call to God

إعداد

هلا بنت مناور العتيبي

Hala Munawar Al Otaibi

جامعة القصيم - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم أصول الفقه

Doi: 10.21608/jasis.2024.367244

٢٠٢٤ / ٥ / ١٩

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٦ / ١

قبول البحث

العتيبي، هلا بنت مناور (٢٠٢٤). المقاصد التحسينية و أثرها في الدعوة إلى الله. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشريعة*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨ (٢٩)، ٤٠٩ - ٤٣٨.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

المقاصد التحسينية و أثرها في الدعوة إلى الله

المستخلص:

يدور البحث حول دراسة العلاقة بين المقاصد التحسينية الشرعية والدعوة إلى الله عز وجل وأثرها هذه المقاصد في مجال الدعوة لله تعالى ، ويشتمل البحث علي التعريف بالمقاصد التحسينية ، وبيان المقصود بالدعوة إلى الله تعالى ، وتوضيح المقاصد التحسينية وما يتصل بها ، ومكملات المقاصد التحسينية وما يتصل بها ، والمقاصد التحسينية والدعوة إلى الله ، وأثر المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله . ولقد استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي في عرض موضوعها . ويهدف البحث إلي : بيان علاقة المقاصد التحسينية بمقصد حفظ الدين والدعوة إليه ، التعريف بضوابط اعتبار المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله ، وتوضيح أثر تطبيق المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله ببعض الأمثلة . ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة :

- المقاصد التحسينية هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المندسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق.
- المقاصد التحسينية قد ثبتت وتقررت باستقراء الأدلة والنصوص الشرعية – الكلية والجزئية –
- من أهمية المقاصد التحسينية أنها تظهر محاسن الدين وجمال تعاليمه مما يحث غير المسلمين على اعتناقه.
- الكلمات المفتاحية :** المقاصد التحسينية – الدعوة إلى الله – المكملات – أثر – العلاقة.

Abstract:

The research revolves around studying the relationship between the legitimate objectives of improvement and the call to Allah Almighty and the impact of these objectives in the field of calling to Allah Almighty. The research includes defining the objectives of improvement, explaining what is meant by calling to Allah Almighty, clarifying the objectives of improvement and what is related to them, and complementing the objectives of improvement and what is related to them, the objectives of improvement and the call to Allah, and the effect of the objectives of improvement on the call to Allah. The researcher



used the inductive and analytical method in presenting her topic. The research aims to: Explain the relationship of the objectives of improvement to the purpose of preserving the religion and calling to it, introducing the controls for considering the objectives of improvement in the field of calling to Allah, and clarifying the impact of applying the objectives of improvement in calling to Allah with some examples. Among the most prominent results reached by the researcher:

-The objectives of improvement are adopting what is appropriate of the good qualities of customs, and avoiding the impurities that are reprehensible by the predominant minds, and this is included in the section of good morals.

-The objectives of improvement have been established and determined by extrapolating evidence and legal texts - both comprehensive and partial-

-One of the important aspects of improving objectives is that they highlight the virtues of religion and the beauty of its teachings, which encourages non-Muslims to embrace it.

Keywords: improvement purposes - calling to Allah – the complements - impact – the relationship.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، القائل في كتابه المبين : {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} ^(١) والصلاة والسلام على سيد الدعاة وخاتم النبيين الذي أرسله الله داعيًا إليه بإذنه بأجمل الشرائع وأكمل الفضائل فقال في حقه : {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} ^(٢) ورضي الله عن الصحابة والتابعين الذين دعوا بدعوته واهتدوا بهديه وممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

من مميزات الدعوة الإسلامية أنها دعوة أخلاقية، والمتبصر بمقاصد الشريعة يلحظ المكانة العظيمة التي تحتلها مكارم الأخلاق فيها حتى كان إتمامها هو غاية دعوة

^١سورة فصلت، آية ٣٣.

^٢سورة القلم ، آية ٤ .

النبي -ﷺ- بقوله " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (٣) فمن هذه المكانة العظيمة قدمت في هذا البحث ما يوضح أثر المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله.

• مشكلة البحث :

جاء البحث كمحاولة علمية للإجابة عن سؤال: ما علاقة وأثر المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله عز وجل؟

أسئلة البحث :

- ماهي علاقة المقاصد التحسينية بالدعوة إلى الله وأهميتها؟
- ماهي ضوابط اعتبار المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله؟
- ما هو أثر تطبيق المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله؟

• أهداف البحث :

- بيان علاقة المقاصد التحسينية بمقصد حفظ الدين والدعوة إليه.
- بيان ضوابط اعتبار المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله.
- توضيح أثر تطبيق المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله ببعض الأمثلة.

• أهمية البحث :

١-يستمد موضوع البحث أهميته من أهمية الدعوة إلى الله -تعالى- وفضلها وأذكر بعضاً منها:

- أن الدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء الأولى و السبب في انتشار الدين وقيامه.
- استقامة أحوال الناس بالدعوة إلى الله وصلاح دينهم وديناهم.
- المثوبة والأجر الجزيل للداعين إلى دين الله تعالى بإحسان و رحمة.
- ٢- أن المقاصد التحسينية الدعوية متعلقة بمقصد حفظ الدين وهو من أهم المقاصد.
- ٢- أن الأخذ بالمقاصد التحسينية يحقق أهداف الدعوة إلى الله عز وجل .
- ٣- أن تطبيق المقاصد التحسينية يؤثر في نشر تعاليم الشريعة في أحسن الصور وأكملها.

- ٤-تطبيق المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله، هو سير على منهج النبي -صلى الله عليه وسلم - في دعوته واهتداء بهديه العظيم في سنته.
- ٥-تطبيق المقاصد التحسينية في الدعوة يحقق للدعاة و المدعوين سعادة الدنيا والآخرة.

^٣ أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (ح ٩٠٧٤)، (٢ / ١٨٧٩) .

• الدراسات السابقة :

١- (المقاصد التحسينية دراسة أصولية تطبيقية) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم أصول الفقه بجامعة أم القرى، من إعداد : فاطمة عبدالرحمن السفياي ، عام ١٤٣٣ هـ.

٢- (المقاصد التحسينية عند الأصوليين ضوابطها و أثرها الفقهي) رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في قسم أصول الفقه بجامعة الجزائر ، من إعداد : ليلي شادة ، عام ١٤٣٥ هـ.

و هما رسالتان عامتان في باب المقاصد التحسينية ضمّنت فيهما كلاً من الباحثين أثر المقاصد التحسينية في تطبيقات فقهية من أبواب متنوعة، ويفترق بحثي عنهما في دراسة أثر المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله، بشكل خاص.

• منهج البحث : اتبعت في بحثي المنهج الاستقرائي التحليلي .

• إجراءات البحث :

١- وثقت المادة العلمية من المصادر الأصلية بذكر اسم الكتاب والمؤلف والجزء والصفحة .

٢- عزوت الآيات القرآنية وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية في الحاشية.

٣- خرجت الأحاديث النبوية الواردة في صلب البحث وذلك بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث من مظانها.

• خطة البحث : يشتمل البحث على تمهيد وأربعة مباحث على النحو التالي :

التمهيد: يشتمل على تعريف مفردات البحث وفيه مطلبين :

المطلب الأول: تعريف المقاصد التحسينية.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة إلى الله.

المبحث الأول : المقاصد التحسينية و ما يتصل بها :

المطلب الأول: أقسام المقاصد التحسينية .

المطلب الثاني: أمثلة على المقاصد التحسينية.

المطلب الثالث: الأدلة على المقاصد التحسينية.

المطلب الرابع : أهمية المقاصد التحسينية .

المبحث الثاني : مكملات المقاصد التحسينية وما يتصل بها :

المطلب الأول : تعريف المكملات وشرطها .

المطلب الثاني: أهمية مكملات المقاصد التحسينية.

المطلب الثالث : أمثلة على مكملات المقاصد التحسينية.

المبحث الثالث: المقاصد التحسينية و الدعوة إلى الله.

المطلب الأول: مقصد حفظ الدين وأهميته.
المطلب الثاني: علاقة المقاصد التحسينية بمقصد حفظ الدين والدعوة إليه.
المطلب الثالث: ضوابط اعتبار المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله.
المبحث الرابع : أثر المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله.
المقصد الأول: الدعوة بالحكمة.
المقصد الثاني: الدعوة بالموعة الحسنة.
المقصد الثالث: التأسّي بالقدوة الحسنة في مكملات الدين.
المقصد الرابع: إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم.
المقصد الخامس: الإحسان إلى الجار الكافر
المقصد السادس: عيادة المريض الكافر
المقصد السابع: العدل مع المظلوم الكافر
المقصد الثامن: النهي عن قتل النساء والصبيان في الجهاد
المقصد التاسع: الإهداء للكافر
المقصد العاشر: قبول الهدية من الكافر
المقصد الحادي عشر: تسوية الصفوف في الصلاة.
المقصد الثاني عشر: الحث على الطهارة من النجاسات
الخاتمة وتشمل أهم النتائج والتوصيات .
المصادر والمراجع

التمهيد:

المطلب الأول : تعريف المقاصد التحسينية :

لغة : المقاصد التحسينية مؤلفة من جزأين موصوف و صفة ، هما (المقاصد والتحسينية).

أ) المقاصد لغة: جمع مقصد، والمقصد مصدر ميمي مشتق من الفعل قَصَدَ يَقْصِدُ قصداً فهو قاصد ^(٤)، والقصد له معانٍ لغوية كثيرة منها:

١- استقامة الطريق ^(٥) .
٢- طلب الشيء و إتيانه يقال قَصَدْتُ الشيء وله و إليه قَصِداً من باب ضرب طلبته بعينه ^(٦) .

٣- الاغْتِمَادُ، وَالْأَمُّ، قَصَدَهُ، وَلَهُ، وَإِلَيْهِ، يَقْصِدُهُ، هُوَ إِنِّيان شَيْءٍ وَأَمِّهِ ^(٧) .
ب) التحسينية لغة: لفظ مأخوذ من الحسن، "الحُسْنُ ضِدُّ القُبْحِ ونقيضه وهو نَعَتْ لما حَسُنَ" ^(٨) ، و"الحُسْنُ، بالضم الجَمَالُ، وظاهره ترادفهما" ^(٩) و"التَّحْسُنُ : التَّجَمُّلُ ومنه حَسَّنْتُ الشيءَ تَحْسِيناً أي زَيَّنْتُهُ" ^(١٠) .

فالمقاصد التحسينية في اللغة : هي الأمور الدالة على الحسن و الجمال.
- اصطلاحاً: عرف الأصوليون المقاصد التحسينية بتعاريفات عديدة أذكر منها:
- تعريف الإمام الجويني بأن المقاصد التحسينية هي "ما لا يتعلق بضرورة [حاجة] ولا [حاجة] عامة ولكنه يلوح فيه غرض في جلب مكرمة أو في نفي نقيض لها

^٤ ينظر : لسان العرب لابن منظور (٣٦٤٢ / ٥).

^٥ ينظر : المرجع السابق (٣٦٤٢ / ٥).

^٦ ينظر : المصباح المنير للفيومي (٥٠٥ / ٢).

^٧ ينظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي (٣١١ / ١)، مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥ / ٥) .

^٨ لسان العرب (١١٤ / ١٣).

^٩ تاج العروس للزبيدي (٤١٨ / ٣٤).

^{١٠} المرجع السابق (٤٢٩ / ٣٤ - ٤٣٠).

ويجوز أن يلتحق بهذا الجنس طهارة الحدث وإزالة الخبث وإن أحببنا عبرنا عن هذا الضرب وقلنا: ما لاح ووضح النذب إليه تصريحاً كالتنظيف" (١١)
وعند الإمام الغزالي هي "ما لا يرجع إلى ضرورة ولا إلى حاجة ولكن يقع موقع التحسين والتزيين والتيسير للمزايا والمزائد ورعاية أحسن المناهج في العادات والمعاملات" (١٢)

وعرفها الإمام الشاطبي "بالأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المندسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق" (١٣)
وعند الطاهر بن عاشور هي "المصالح التحسينية ما كان بها كمال حال الأمة في نظامها حتى تعيش أمنة مطمئنة، ولها بهجة منظر المجتمع في مرأى بقية الأمم، حتى تكون الأمة الإسلامية مرغوباً في الاندماج فيها أو في التقرب منها. والحاصل أنها مما تراعى فيها المدارك الراقية البشرية" (١٤)
ومما يتضح أن هذه التعريفات متقاربة المعنى تدور حول مكارم الأخلاق وتحصيل مافيه مكرمة ودفع مافيه منقصة للفرد والمجتمع حتى يبلغ أكمل الأحوال.

المطلب الثاني: تعريف الدعوة إلى الله .

لغة : الدعوة مصدر دعا (١٥)، و"دعا إلى الشيء حثه على قصده يقال دعاه إلى القتال و دعاه إلى الصلاة و دعاه إلى الدين و إلى المذهب أي: حثه على اعتقاده" (١٦) ، ومنه ومنه الدعاء وهو الرَغْبَةُ إلى الله تعالى (١٧) " و"تطلق الدعوة على الدين والمذهب حقاً كان أم باطلاً سمي بذلك لأن صاحبه يدعو إليه، ومنه قول الله تعالى {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ}" (١٨)

١١ البرهان للجويني (١٣١/٢).

١٢ المستصفي للغزالي (٤٤١/١).

١٣ الموافقات للشاطبي (٢٢/٢).

١٤ مقاصد الشريعة للطاهر بن عاشور (٢٤٤/٣).

١٥ ينظر : مختار الصحاح للرازي (ص ١٠٠).

١٦ ينظر : المعجم الوسيط (٢٨٦ /١) .

١٧ القاموس المحيط (٤١٩ /٣).

١٨ الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٢٠/٢٠).

اصطلاحًا : الدعوة إلى الله جاءت في قوله تعالى {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} .^(١٩)
وعرفت الدعوة اصطلاحًا بعدة تعريفات أذكر منها :

- " هي تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة " ^(٢٠) .
- " الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه " ^(٢١) ،

وعرفت بأنها "نداء الناس إلى الله تعالى إيمانًا به و تصديقًا وإلى دين الإسلام إجابة وتحققًا"^(٢٢) . والواقع أن هذه التعريفات لاتضاد بينها وكلها تكمل بعضها في بيان مفهوم الدعوة ، و تختار الباحثة التعريف الأول لمناسبته لموضوع البحث ؛ حيث نص التعريف على تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع حياتهم.

المبحث الأول : المقاصد التحسينية وما يتصل بها :

المطلب الأول: أقسام المقاصد التحسينية :

تقسم المقاصد التحسينية باعتبار موافقتها للقياس وعدمه إلى قسمين :

القسم الأول: في موافقتها للقياس.

القسم الثاني: في مخالفتها للقياس.

القسم الأول: المقصد التحسيني الموافق للقياس:

وهو مالا يقع في معارضة قاعدة شرعية ، مثل: إزالة النجاسة فإن النجاسة مستقذرة في الجبال واجتنابها من المهمات في باب مكارم الأخلاق والعادات الحسنة، ومثل آداب الأكل والشرب.

القسم الثاني : المقصد التحسيني المخالف للقياس:

وهو مايقع في معارضة قاعدة شرعية معتبرة ويمثل لهذا بالمكاتبه، فإنها و إن كانت مستحسنة لأنها تكون عونًا على حصول العتق وإزالة الرق فهي من مكارم الأخلاق غير أنها في الحقيقة بيع الرجل ماله بماله.

^{١٩} سورة يوسف، آية ١٠٨ .

^{٢٠} المدخل إلى علم الدعوة لمحمد البيانوني (ص١٧).

^{٢١} مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٥٨ / ١٥).

^{٢٢} مبادئ علم أصول الدعوة لمحمد يسري(ص ١٤) .

وجه مخالفتها للقواعد الشرعية : أن العبد مال لسيده وما يكسبه العبد مال لسيده أيضاً فتكون مكاتبة السيد عبده بيع ماله بماله فلو حكم على المكاتبة بالقاعدة الجارية في نظائرها وهي امتناع بيع الشخص ماله بماله لحكم بعدم الجواز لعدم الفائدة ؛ لأن بيع الإنسان ماله بماله لحكم بعدم الجواز لعدم الفائدة؛ لأن بيع الإنسان ماله بماله تمليك لما يملكه بما يملكه وذلك تحصيل حاصل وهو عبث خالٍ عن الفائدة ، ثم إن البيع لا بد فيه من وجود عاقلين حقيقة أو حكماً ولا وجود هنا إلا لواحد^(٢٣)

المطلب الثاني: أمثلة على المقاصد التحسينية :

أمثلة المقاصد التحسينية كثيرة فالشريعة جاءت داعية إلى مكارم الأخلاق وأحسنها، وأذكر على سبيل التمثيل لا الحصر بعض الأمثلة:

- في العبادات : إزالة النجاسة -وبالجملة الطهارات كلها- وستر العورة، وأخذ الزينة، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات، وما أشبه ذلك.

- في العادات، كآداب الأكل والشرب، ومجانبة المأكّل النجسات والمشارب المستخبثات، والإسراف والإقتار في المتناولات.

- وفي المعاملات، كالمنع من بيع النجاسات، وفضل الماء والكلاء، وسلب العبد منصب، الشهادة والإمامة، وسلب المرأة منصب الإمامة، وإنكاح نفسها.

- وفي الجنايات، كمنع قتل الحر بالعبد، أو قتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد. وهذه الأمثلة تدل على ما سواها مما هو في معناها، فهي راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقدانها بمخل بأمر ضروري ولا حاجي، وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين.^(٢٤)

المطلب الثالث: الأدلة على اعتبار المقاصد التحسينية :

المقاصد التحسينية ثبتت وتقررت بعدد كبير من الأدلة والنصوص الشرعية -الكلية والجزئية- وبالنظر فيها عن طريق الاستقراء وتتبع الجزئيات والقرائن والمعطيات الشرعية المختلفة بغرض التوصل إلى تقريرها واعتبارها مكملاً ومقوياً للمصالح الضرورية والحاجية^(٢٥) ، ومن الأدلة على اعتبار المقاصد التحسينية على سبيل المثال لا الحصر :

• من القرآن الكريم :

^{٢٣} ينظر : مقاصد الشريعة وعلاقتها بالأدلة (٣٣٠ - ٣٣٤).

^{٢٤} ينظر : الموافقات (٢ / ٢٢ - ٢٣).

^{٢٥} ينظر : علم مقاصد الشريعة لنور الدين الخادمي (ص ٩١)

١- قول الله تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ } (٢٦)
وجه الاستدلال: عموم أمر الله تعالى لنا بالإحسان، "وَالْإِحْسَانُ هو فعل كل مندوب إليه" (٢٧)

٢- قول الله تعالى {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} (٢٨)
"زينتكم: أي ما يستر عورتكم" (٢٩)
وجه الاستدلال : "أن القرآن الكريم يأمر بكل ما فيه فضيلة ومدنية وتحضر ونظافة ومروءة من الطيب والسواك والثياب الساترة، وكل مستحسن في الشريعة لا يقصد به الخيلاء. والأمر بالستر عند كل مسجد: معناه عند كل موضع سجود، وهذا يشمل جميع الصلوات التي يجب فيها ستر العورة، ويدخل مع الصلاة: مواطن الخير كلها" (٣٠)

٣- قول الله تعالى { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } (٣١)
وجه الاستدلال : " أن هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع الناس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به الناس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم، {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} أي: بكل قول حسن وفعل جميل، وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك، إما تعليم علم، أو حث على خير، من صلة رحم، أو برّ والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية، ولما كان لا بد من أذية الجاهل، أمر الله تعالى أن يقابل الجاهل بالإعراض عنه وعدم مقابلته بجهله، فمن أذاك بقوله أو فعله لا تؤذه، ومن حرمك لا تحرمه، ومن قطعك فاصل، ومن ظلمك فاعدل فيه" (٣٢)
من السنة النبوية :

٢٦ سورة النحل، آية ٩٠ .

٢٧ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، (٣/ ٤١٦)

٢٨ سورة الأعراف، من آية ٣١ .

٢٩ تفسير الجلالين (٢ / ٤٨٤).

٣٠ التفسير الوسيط للزحيلي (١ / ٦٥٠).

٣١ سورة الأعراف، آية ١٩٩ .

٣٢ تفسير السعدي (ص ٣١٣)

١- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال " يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَسِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا " (٣٣)

وجه الاستدلال: أن أمر النبي بالبشارة ونهيه عن التنفير، هو من محاسن الشريعة.
٢- عن علي بن عبد الله أنه سمع عمر بن أبي سلمة يقول كُنْتُ غُلَامًا فِي حَجَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَتْ يَدِي تُطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَا غُلَامُ سَمِعَ اللَّهُ وَكُلُّ بِمِينِكَ وَكُلُّ مِمَّا يَلِيكَ" (٣٤)

وجه الاستدلال: أن هذا الحديث اشتمل على ثلاثة آداب في المقاصد التحسينية وهي : التسمية في أول الطعام، والأكل باليمين؛ مخالفة للشيطان ، والأكل مما يليه.

المطلب الرابع: أهمية المقاصد التحسينية :

تظهر أهمية المصالح التحسينية من الوجوه التالية :

١- أن بها يظهر جمال الأمة وكمالها وحسن أخلاقها وبديع نظامها حتى يُرغب في الاندماج فيها والدخول في شريعتها (٣٥)

٢- أن المصالح التحسينية خادمة للحاجية والضرورية (٣٦)

٣- أن المقاصد التحسينية حامية للمقاصد الحاجية إذ قد يلزم من اختلال التحسيني بإطلاق اختلال الحاجي بوجه ما (٣٧)

٤- أن التحسينات كالفرع للأصل الضروري ومبنية عليه لأنها تكمل ما هو حاجي أو ضروري، فإذا كملت ما هو ضروري فظاهر وإذا كملت ما هو حاجي فالحاجي مكمل للضروري والمكمل للمكمل مكمل (٣٨)

المبحث الثاني : مكملات المقاصد التحسينية وما يتصل بها :

المطلب الأول: تعريف المكملات وشرطها:

أولاً: تعريف المكملات لغة واصطلاحاً:

٣٣ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، (ح ٦٩)، (١/ ٣٨).

٣٤ أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأطعمة، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين، (ح ٥٠٦١)، (٥/ ٢٠٥٦).

٣٥ ينظر: مقاصد الشريعة للطاهر بن عاشور (٢/ ٢٤٤).

٣٦ ينظر : الموافقات (٢/ ٤٢).

٣٧ ينظر: الموافقات (٢/ ٣١).

٣٨ ينظر : الموافقات (٢/ ٣٣).

لغة : الكمال: التمام، وهما مترادفان، كما وقع في الصحاح وغيره^(٣٩) ومنه كملت الشيء أي جملته و أتممته^(٤٠)

-اصطلاحاً : عرفت المكملات اصطلاحاً بعدد من التعريفات أذكر منها : " هي جملة الأحكام التي تجعل المقاصد الضرورية و الحاجية و التحسينية تامة كاملة ومكتسبة على أحسن الوجوه وأفضلها"^(٤١) ، وقال الشاطبي بعد أن أورد المقاصد الثلاثة " كل مرتبة من هذه المراتب ينضم إليها ما هو كالتتمة والتكملة مما لو فرضنا فقداه لم يخل بحكمتهما الأصلية"^(٤٢)

شرط المكمل : هو أن لا يعود اعتباره على أصله بالإبطال؛ لأن في إبطال الأصل إبطال التكملة^(٤٣)

المطلب الثاني : أهمية مكملات المقاصد التحسينية والأمثلة عليها :
أولاً: أهمية مكملات المقاصد التحسينية :

- ١- تحسين صورة المقصد التحسيني و جعله سائراً على المألوف.
- ٢- سد الذريعة المؤدية إلى الإخلال بالحكمة المقصودة من المقصد التحسيني.
- ٣- تحقيق مقاصد أخرى تابعة غير المقصود الأصلي، كما في اشتراط الكفاءة في النكاح، فإنه يحقق مقاصد أخرى من دوام النكاح وتمام الألفة بين الزوجين وفي ذلك تقوية للمقصد الأصلي وتدعيم له.
- ٤- دفع مفاسد أخرى حاصلة في طريق الحصول على المقصد الأصلي، كما في اشتراط التماثل في القصاص حتى لا تنشأ مفاسد من الأحقاد وإثارة العداوات^(٤٤)

ثانياً : أمثلة على مكملات المقاصد التحسينية :

- مندوبات الطهارة مثل البدء باليمين قبل الشمال والغسل ثلاثاً .
- ترك إبطال الأعمال المدخول فيها وإن كانت غير واجبة حتى لا يعتاد المكلف إبطال عمله الذي شرع فيه قبل أن يتمه.

^{٣٩} ينظر: لسان العرب (٣٩٣٠/٥)، تاج العروس (٣٥٢/٣٠).

^{٤٠} ينظر: تاج العروس (٣٥٣/٣٠).

^{٤١} علم المقاصد الشرعية لنور الدين الخادمي (ص ٩٧)

^{٤٢} الموافقات (٢٤/٢)

^{٤٣} ينظر : الموافقات (٢٦/٢)

^{٤٤} ينظر : مقاصد الشريعة و علاقتها بالأدلة ٣٤٢ .

-حسن الاختيار في الضحايا والعقوبة.
-الإحسان في المعاملة عموماً .^(٤٥)

المبحث الثالث: المقاصد التحسينية و الدعوة إلى الله.

المطلب الأول : مقصد حفظ الدين .

أولاً: المقصود بالدين: الحق المنزل من رب العالمين على خاتم الأنبياء و المرسلين محمد ﷺ وهو الدين الإسلامي الحنيف الذي تكفل الله سبحانه بحفظه، ولا يقبل دين سواه.

ثانياً: أهمية حفظ الدين : هو أهم مقاصد الشريعة الإسلامية ولايمكن أن يكون هذا المقصد العظيم معرضاً للضياع والتحريف والتبديل لأن في ذلك ضياعاً للمقاصد الأخرى وخراباً للعالم بأسرها، والله تعالى قد تكفل بحفظ الدين، قال تعالى: { إِنَّا نَحْنُ نَرُفُّ الدَّعْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ }^(٤٦)

ثالثاً: ما يتم به حفظ الدين :

أ) من جانب الوجود: وذلك بالمحافظة على ما يقيم أركانه ويثبت قواعده ويكون بـ:
أولاً: العمل به: إن هذا الدين ما شرع إلا ليعمل به فالدين اعتقاد وعمل وإن كل مسلم ليعلم أثر الدين حين يطبقه في واقع الحياة.

ثانياً: الحكم به : الحكم بالدين ضرورة من ضرورات حفظه وتطبيق أحكامه وسد الباب على أهل الأهواء المنحرفة، والمذاهب الهدامة.

ثالثاً: الدعوة إليه : وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ويمكن تلخيص الدعوة إلى الله تعالى فيما يلي:

-في الدعوة إلى الله تعليم للجاهل وهناك من لم يسمع بهذا الدين بالمرة.
-في الدعوة إلى الله كشف للشبهات التي تثار حول الدين وإظهار للحقيقة الناصعة لهذا الدين.

-في الدعوة تقويت للفرصة على أعداء الإسلام الذين ينشرون مذاهبهم الباطلة.
-في الدعوة إلى الله تحقيق لشمول الدين في الزمان والمكان والأشخاص فهو ليس محدد بالزمان والمكان والأشخاص.

رابعاً : الجهاد في سبيل الله :فهو من أعظم وسائل حفظ الدين وحمايته وإنقاذ المستضعفين.

^{٤٥} ينظر : الموافقات (٢٥/٢)

^{٤٦} سورة الحجر ، آية ٩ .

ب) حفظ الدين من جانب العدم: وذلك بدرء الفساد الواقع أو المتوقع عليه وذلك برد كل ما يخالفه من الأهواء والبدع^(٤٧)

المطلب الثاني: علاقة المقاصد التحسينية بمقصد حفظ الدين والدعوة إليه.

يقول الشاطبي " إن كل حاجي وتحسيني إنما هو خادم للأصل الضروري ومؤنس به ومحسن لصورته الخاصة إما مقدمة له أو مقارناً أو تابعاً" وهذا ينطبق على المقاصد التحسينية مع كلية الدين فهي تتعلق بها إما سابقة وإما مقارنة أو تابعة لها.

المطلب الثالث : ضوابط اعتبار المقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله :

- الضابط الأول: أن تكون محققة وحافظة لمقصد من مقاصد الشريعة، وهي: حفظ الدين والنفس والنسل والعقل والمال، قال الإمام الغزالي: "لكننا نعني بالمصلحة: المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومآلهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة".

ومن أمثلة ذلك: إقامة احتفالات حفظ القرآن الكريم، إذ في هذه الاحتفالات إدخال السرور على قلوب الطلاب، وفيها مظهر من مظاهر تعظيم كتاب الله تعالى، ففي هذه الاحتفالات مصلحة تحقق مقصداً من مقاصد الشريعة، وهو الاهتمام بالدين والعناية به، ولا شك أن القرآن الكريم هو أصل أصول الإسلام.

٢- الضابط الثاني: ألا تكون مصادمة لأصل من أصول الشرع، كأن تكون مخالفة لنص أو إجماع أو قياس جلي،

ومن أمثلة ذلك: قطع يد السارق، فقد ذهب بعض المفكرين إلى أن الحكم بقطع يد السارق كان في وقته وظروفه يحقق المصلحة ويلائهما، وأما اليوم فلم يعد كذلك، وأن مصلحة الدعوة تقتضي القول بحبسه، والعمل على إصلاحه؛ حتى لا يؤدي ذلك إلى النفرة من الدين.

وهذه المصلحة ملغاة غير معتبرة؛ لأنها مخالفة لنص صريح في كتاب الله، قال تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} (٤٨) فالمصلحة كل المصلحة تكون بالقيام بما أمر الله تعالى، وذلك حينما يستوفي هذا الحكم شروطه ولوازمه، وأما تطبيق الحدود دون مراعاة شروطها ولوازمها فهو ظلم للناس وللشريعة ذاتها.

^{٤٧} ينظر : مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة (١٩٨-٢٠٣)

^{٤٨} سورة المائدة ، آية ٣٨ - ٣٩ .

٣- الضابط الثالث: أن تكون المصلحة يقينية أو غلب على الظن اعتبارها، قال المرداوي: "مهما وجدنا مصلحةً غلب على الظن أنها مطلوبة للشرع، فنعتبرها؛ لأن الظن مناط العمل"، أي: يغلب على الظن وجود هذه المصلحة، وليست مصلحة موهومة.

ومن أمثلتها: إقامة المراكز الصيفية للناشئة، فقد عُلم من التجربة حصول نفع كبير منها، وكفَّ شر كثير بالقيام بها، فهي تفسح المجال للشباب للهو المباح، واستغلال الوقت في الخير، وبذلك يضعف تعرُّضهم لمواطن الانحراف ومجالس الفساد والشرور.

٤- الضابط الرابع: أن تكون المصلحة عامة لا خاصة، ويعني ذلك أنها توضع لمصلحة عموم الناس، وليس لمصلحة جهة معينة أو شخص معين.

ومثال ذلك: أن تكون جماعة في سفينة، وقد وقعوا في خطر، فلو رَمَوْا واحدًا منهم في الماء لنجا البقية، وإلا فهم جميعًا في خطر، فهذه مصلحة ليست كلية عامة، ولذلك فلا رخصة لهم بذلك.

٥- الضابط الخامس: ألا تكون هذه المصلحة في العبادات؛ لأن أمر العبادات أمر توقيفي، يلزم فيه الاتباع، ولأنَّ معاني العبادات لا تُدرك على وجه التفصيل، كما لا تُدرك وجوه المصالح فيها إلا بدلالة الشرع.^(٤٩)

المبحث الرابع : أثر المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله.
المقصد التحسيني : الدعوة بالحكمة .

• أولاً : بيان المقصد :

(أ) تعريف الحكمة : هي "الإصابة في الأقوال والأفعال ووضع كل شيء موضعه"^(٥٠)

• ثانياً : الأدلة على المقصد: أذكر منها :

- قوله تعالى : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمُعَظَّةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ^(٥١)

• ثالثاً : الأثر التحسيني :

^{٤٩} ينظر : ضوابط المصلحة الدعوية، لعبدالرحمن بن عبدالله الجميلي، مقال على شبكة الانترنت.

^{٥٠} مدخل إلى علم الدعوة (ص ٢٤٥)

^{٥١} سورة النحل ، آية ٢٥ .

الأخذ بالحكمة في الدعوة إلى الله تعالى يؤدي إلى اختيار التصرف المناسب للموقف المناسب وذلك بحسب الأحوال والمواقف فمن رفق ولين إلى شدة و عنف، ومن عفو وصفح إلى شدة وبطش فليس من الحكمة في شيء وضع الشدة موضع اللين أو بالعكس، وكذلك التدرج في تطبيق الأولويات ولاسيما في معالجة الأشخاص والأوضاع العامة ، وذلك مثل منهج القرآن الكريم في أول تنزيله ^(٥٢) .

المقصد التحسيني : الدعوة بالموعة الحسنة .

• **أولاً: بيان المقصد :** الموعظة الحسنة في الأسلوب الدعوي ترادف النصيحة ولها أشكال عديدة منها :

-القول الصريح اللطيف اللين، قال تعالى { وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا } ^(٥٣)

-الإشارة اللطيفة المفهومة.

-التعريض، والكناية المؤدية والتورية.

-القصة والخطابة المؤثرة.

-الترغيب والترهيب.

وما إلى ذلك من أساليب مباشرة و غير مباشرة تؤثر بالمدعوين وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة ^(٥٤)

• **ثانياً : الأدلة على المقصد :**

أذكر منها :

- قوله تعالى : {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} ^(٥٥)

• **ثالثاً: الأثر التحسيني :**

- "قبول الموعظة وسرعة الاستجابة لها غالباً

- غرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين

- محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها -إذا لم يستجيبوا - ممن يعظهم موعظة حسنة فلا يجاهرون بمنكراتهم على الأقل" ^(٥٦)

المقصد التحسيني : التأسى بالقدوة الحسنة في مكملات الدين:

^{٥٢} ينظر : مدخل إلى علم الدعوة (ص ٢٤٥-٢٥٥).

^{٥٣} سورة البقرة ، آية ٨٣ .

^{٥٤} ينظر : مدخل إلى علم الدعوة (ص ٢٥٨- ٢٥٩)

^{٥٥} سورة النحل ، آية ٢٥ .

^{٥٦} مدخل إلى علم الدعوة (ص ٢٦١).

• أولاً: الأدلة على المقصد :

-قوله تعالى : { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } ^(٥٧)

-قوله تعالى { قَدْ كَانَ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ } ^(٥٨)

- قوله تعالى { أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدِهِ } ^(٥٩)

• ثانياً: الأثر التحسيني :

-أن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس بمختلف مستوياتهم حتى الأمي منهم فتكون
المنفعة أعم وأشمل بالقدوة الحسنة في الدعوة إلى الله تعالى
-عمق التأثير في النفس البشرية وسرعة استجابتها للأمر العملية أكثر من استجابتها
للأمر النظرية ^(٦٠)

المقصد التحسيني : إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم.

• أولاً : بيان المقصد :

أ) تعريف المؤلفة قلوبهم : " هم السادة المطاعون في عشائهم ممن يرجى إسلامه،
أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه أو إسلام نظيره أو جباية الزكاة ممن لا
يعطيها أو الدفع عن المسلمين " ^(٦١) .

ب) حكم إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم : اختلف العلماء في بقاء سهم المؤلفة قلوبهم
من الزكاة فمنهم من قال بسقوط سهم المؤلفة قلوبهم بانتشار الإسلام وغلبته؛ لأن الله
تعالى أعز الإسلام، وأغنى عنهم وعن استمالتهم إلى الدخول فيه، والصحيح ما صدر
به قرار مجمع الفقه الفقهي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي: أن المؤلفة قلوبهم من
مصارف الزكاة الثمانية وسهمهم باقي لم يسقط ولم ينسخ ويكون حسب الحاجة
والمصلحة فحيثما وجدت المصلحة أو دعت إليه الحاجة عُمل بهذا السهم سواء للمسلم
الجديد تثبيتاً لإيمانه وتعويضاً عما فقده وكذلك إعطاء الكافر إذا رجي إسلامه أو دفعاً
لشره عن المسلمين ^(٦٢)

^{٥٧} سورة الأحزاب، آية ٢١ .

^{٥٨} سورة الممتحنة ، آية ٤ .

^{٥٩} سورة الأنعام ، آية ٩٠ .

^{٦٠} مدخل إلى علم الدعوة (ص ٢٧١).

^{٦١} الشرح الكبير لابن قدامة (٦٩٦/٢).

^{٦٢} ينظر: قرارات وتوصيات مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي المنعقد
في دورته الثامنة عشر في ماليزيا ٢٠٠٧م، قرار رقم ١٦٥ ، (١٨/٣).

• ثانيًا : الأدلة على المقصد :

١- قول الله تعالى : { إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٦٣)

٢- عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْمَا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ: «أَيُّ قَوْمٍ أَسْلَمُوا، فَوَاللَّهِ إِنْ مُحَمَّدًا لَيُعْطِيَ عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ» فَقَالَ أَنَسٌ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسَلِّمَ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يُسَلِّمُ حَتَّى يَكُونَ الْإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا» (٦٤)

٣- قال صفوان بن أمية «وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَأَبْغَضُ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرَحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ» (٦٥)

• ثالثًا : الأثر التحسيني : "عطاء هؤلاء من قبيل الدفاع عن الإسلام والدعوة له فإعطاء المؤلفة قلوبهم من قبيل ما نسميه اليوم (الدعاية) ولذلك كان حقاً أن نجعل من مصارف الزكاة تمويل الدعاية للإسلام وبيان مزاياه ليعلم حقيقته من لم يكن يعلم" (٦٦) وفي ذلك ترغيباً لهم في الإسلام ويدل على الرحمة والإحسان بهم، وحب الخير والهداية للإنسان، ودليل كذلك على أهمية إيصال الدعوة إلى الناس وإزالة العقبات التي تمنع ذلك من رئاسة أو مال أو جاه ، سعيًا إلى هدايتهم .

المقصد التحسيني : الإحسان إلى الجار الكافر.

• أولاً : الأدلة على المقصد :

١- قوله تعالى : { وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا } (٦٧) وجه الدلالة من الآية : قوله تعالى (والجار الجنب) قيل أنه هو الجار المشرك (٦٨)

٦٣ سورة التوبة ، آية ٦٠ .

٦٤ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل ، باب ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه ، (ح ٢٣١٢) ، (٤ / ١٨٠٦) .

٦٥ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه، (ح ٢٣١٣) ، (٤ / ١٨٠٧) .

٦٦ روح الدين الإسلامي لعفيف عبد الفتاح (ص ٣٥٢) .

٦٧ سورة النساء ، آية ٣٦ .

٦٨ ينظر : تفسير الطبري (٨ / ٣٣٩) .

٢- الاستدلال بعمومات نصوص الحث على الإحسان إلى الجار ومنها :
- عَنْ أَبِي شَرِيحٍ الْخَزَاعِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَسْكُتْ» (٦٩)
- عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغَفَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ إِذَا طَبَخْتَ مَرْقَةً، فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ» (٧٠)
- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةً لِمَجَارَتِهَا وَلَوْ فَرَسَيْنِ شَاةٍ" (٧١) ومعناه: لا تمتنع جارة من الصدقة والهدية لجارتها لاستقلالها واحتقارها الموجود عندها، بل تجود بما تيسر، وإن كان قليلاً كفرس شاة، وهو خير من العدم.

• ثانياً: الأثر التحسيني :

الإحسان إلى الجار بإكرامه و هديته وتعهده مما يزيد الألفة و الترابط في المجتمع ويساهم في زيادة المحبة والتواصل بين الناس، و يسهم في تشجيع غير المسلمين في دخول الإسلام بإعطائهم صورة حسنة عن المسلمين.

المقصد التحسيني : عيادة المريض الكافر.

• أولاً : بيان المقصد :

(أ) حكم عيادة المريض الكافر: الأصل جواز زيارته و عيادته حال صحته ومرضه ولا دليل يمنع من ذلك بل هو من عموم برهم والإحسان إليهم وفيه مصلحة تأليفهم على الإسلام (٧٢)

٦٩ أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير وكون ذلك كله من الإيمان ، (ح ٤٨)، (١ / ٦٩).

٧٠ أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر و الصلة والآداب، باب الوصية بالجار والإحسان إليه، (ح ٢٦٢٥)، (٤ / ٢٠٢٥).

٧١ أخرجه البخاري، كتاب الهبة، باب فضل الهبة والتحريض عليها، (ح ٢٥٦٦)، (٦ / ٤٣٥).

٧٢ الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوي (٤ / ١٦٩) ، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣ / ٣٢٢)

• ثانيًا : الأدلة على المقصد :

-ثبوت عيادة النبي لمرضى كفار وذلك في عدة مواطن أذكر منها :
 ١- عيادته لعمه أبي طالب في مرض موته: "ورد في الصحيح أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ أَيُّ عَمٍّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَحَاجُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ يَا أَبَا طَالِبٍ تَرَعْبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَمْ يَزَالَا يُكَلِّمَانِي حَتَّى قَالَ آخِرَ شَيْءٍ كَلَّمَهُمْ بِهِ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَتِهِ عَنْهُ فَتَزَلَّتْ { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ } وَتَزَلَّتْ { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ } " (٧٣)

٢- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه-، قَالَ: «عَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَهُودِيًّا» (٧٤)

٣- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَرَضَ فَاتَّاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُوذُهُ فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَقَالَ لَهُ أَسْلِمَ فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ أَطْعَ أَبَا الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ. (٧٥)

• **ثالثًا : الأثر التحسيني :** عارض المرض والسقم يذكر الإنسان بحقيقته ويشعره بضغفه وحاجته إلى شفاء خالقه، وهي فرصة مناسبة لدعوة المشركين إلى الإسلام وتذكيرهم بأن الله تعالى هو الشافي، ودعوتهم لاعتناق دين الإسلام كما في عيادتهم من التخفيف عليهم ومواساتهم فيظهر جانب الإحسان والرحمة في ديننا يحثهم على اعتناقه.

المقصد التحسيني : العدل مع المظلوم الكافر.

• أولاً : الأدلة على المقصد :

^{٧٣} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، (ح ٣٨٨٤)، (٩ / ٤٨١).

^{٧٤} أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الذمي والجزية، باب إباحة قضاء حقوق أهل الذمة إذا كانوا مجاورين قطع في إسلامهم، (ح ٤٣٨٣)، (١١ / ٢٤٢).

^{٧٥} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، (ح ١٣٥٦)، (٣ / ٣٣٨).

١- قول الله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (٧٦)

وجه الاستدلال :أي: لا يحملنكم بغض {قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا} كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط، بل كما تشهدون لوليكم، فاشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له، ولو كان كافرا أو مبتدعا، فإنه يجب العدل فيه، وقبول ما يأتي به من الحق، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله، فإن هذا ظلم للحق (٧٧)

٢- الاستدلال بعموم نصوص أحاديث الحث على نصرة المظلوم : ومنها :
- حديث الزَّيَّادِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه أنه قال : أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ أَمَرَنَا بِعِيَادَةِ الْمَرِيضِ وَاتِّبَاعِ الْجَنَازَةِ وَتَشْمِيتِ الْعَاطِسِ وَإِجَابَةِ الدَّاعِي وَرَدِّ السَّلَامِ وَنَصْرِ الْمَظْلُومِ وَإِزَارِ الْمُقْسِمِ وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ

عن خَاتَمِ الذَّهَبِ أَوْ قَالَ حُلُقَةِ الذَّهَبِ وَعَنْ لُبِّسِ الْحَرِيرِ وَالذِّيْبَاجِ وَالسُّنْدُسِ وَالْمِيَاثِرِ" (٧٨)

٢- استجابة دعوة المظلوم على من ظلمه ولو كان كافراً، ومن الأحاديث التي ورد فيها ذلك:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا فَفُجُورُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ (٧٩)

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : انْقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ. (٨٠)

المقصد التحسيني : العدل قيمة إنسانية عظيمة يقوم عليها صلاح المجتمعات، ويعيش بها الناس في أمان وطمأنينة والإسلام هو دين العدل السماوي لجميع الناس فتحقيق المساواة والعدالة هو من محاسن الإسلام العظيمة التي تدعو الكفار إلى اعتناقه حين يجدون أثر تحقيق مبدأ العدل معهم في حياتهم وفي خصوماتهم.

^{٧٦} سورة المائدة ، آية ٨.

^{٧٧} تفسير السعدي (ص ٢٢٤)

^{٧٨} أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأشربة، باب آنية الفضة، (ح ٥٨٦٨)، (٥/ ٢٢٩٧).

^{٧٩} أخرجه الإمام أحمد مسنده، (ح ٨٧٨١)، (٢/ ٢٦٧).

^{٨٠} أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (ح ١٢٥٧٧)، (٣/ ١٥٣).

المقصد التحسيني : النهي عن قتل النساء والصبيان في الجهاد.

• أولاً : الأدلة على المقصد :

١- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ وَجِدْتُ أَمْرًا مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصَّبْيَانِ ^(٨١)

"أجمع العلماء على العمل بهذا الحديث وتحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يقاتلوا فإن قاتلوا قال جماهير العلماء يقتلون" ^(٨٢)

٢- عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: "اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدُرُوا، وَلَا تَمْتَلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا" ^(٨٣)

• ثانيًا : الأثر التحسيني : مما يشجع غير المسلمين لاعتناق الإسلام مشاهدتهم لجوانب الرحمة العظيمة كتحريم قتل النساء والصبيان في الحروب على العكس مما يفعله الكفار من قتلهم بلا رحمة و لا تفريق بين القوي والضعيف والصغير والكبير.

المقصد التحسيني : الإهداء للكافر .

• أولاً : بيان المقصد :

(أ) حكم الإهداء للكافر: يحرم إهداء الكافر بمناسبة عيده الديني بإجماع العلماء ^(٨٤)؛ لأن فيه موافقة وإقراراً وإعانة لما هو فيه من الضلال ويجوز اهداؤه فيما عداه تأليفاً لقلبه وتحبيباً له في الإسلام بشرط أن لا يكون من المعادين المقاتلين ^(٨٥)

^{٨١} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قتل النساء والصبيان في الحرب ، (ح ٣٠١٥) ، (٥٦٥/٧)

^{٨٢} شرح النووي على صحيح مسلم (٣٨ / ١٢)

^{٨٣} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير ، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بأداب الغزو و غيرها، (ح ١٧٣١) ، (١٣٥٧/٣)

^{٨٤} رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين (٧٥٤ / ٦) ، الاقناع للمقدسي (٢ / ٤٩) ، اقتضاء الطريق المستقيم لابن تيمية (٨ / ١٤)

• ثانيًا: الأدلة على المقصد :

١- قوله تعالى : " { لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } " ^(٨٦) ذهب المفسرون في تفسير هذه الآية إلى أن الإهداء للكفار والتعارف والتواصل من الإحسان المطلوب سواء أكانت هذه العلاقة في ديار المسلمين أم في غير ديار المسلمين.

٢- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُنِيبُ عَلَيْهَا " ^(٨٧) " يقبل الهدية وينيب عليها " : أي يعطي الذي

يهدي له بدلها، والمراد بالثواب المجازاة " ^(٨٨)

٣- جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُلٌّ فَأَعْطَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْهَا خُلَّةً فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَوْنِيهَا وَقَدْ قُلْتُ فِي خُلَّةٍ عَطَارِدٍ مَا قُلْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَمْ أَكْسُهَا لِتَلْبَسَهَا فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَحَا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا " ^(٨٩)

٤- عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ قَدِمْتُ عَلَى أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَفَنَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْتُ " وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ " ^(٩٠)

• ثالثًا: الأثر التحسيني : الهدف من التهادي التأليف إعطاء صورة حسنة لقلوب هؤلاء الكفار عن الدين الإسلامي وهذا منهج الرسول في قبوله للهدايا من غير المسلمين أي من باب تأليف القلوب .

المقصد التحسيني: قبول الهدية من الكافر.

• أولاً: بيان المقصد:

^{٨٥} روضة الطالبين للنووي (٢ / ٢٧١) .

^{٨٦} سورة الممتحنة ، آية ٨ .

^{٨٧} أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة ، باب المكافأة في الهبة ، (ح ٢٥٨٥) ، (٦ / ٤٦٣) .

^{٨٨} فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (١ / ٢٥٧)

^{٨٩} أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب يلبس أحسن مايجد ، (ح ٨٨٦) ، (٢ / ٢٩٨) .

^{٩٠} أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الهدية للمشركين ، (ح ٢٦٢٠) ، (٦ / ٥١٣) .

أ) حكم قبول الهدية من الكافر : ذهب أكثر العلماء إلى جواز قبول الهدية من الكافر بشرط أن لا يكون من المعادين المقاتلين^(٩١)

ب) متى يحرم قبول هدية الكافر؟ : يحرم قبول هدية الكافر إذا اعتراها مانع خارجي عنها وذلك في عدة صور منها:

١- إذا كانت الهدية ذبيحة كتابي ذبحت لأجل العيد أو جزءاً منها أو مطبوخاً بها فمع أن ذبائح الكتابي حلال علينا لكن الأحوط الامتناع عنها إن كانت مذبوحة لعيد لديهم لأنها تكون عادة مما أهل لغير الله به، فذبائح الأعياد لا تقبل إن كانت من غير أهل الكتاب على الأصل بتحريمها، وذبائح الكتابي في العيد لا تقبل لما يخشى أن تكون مما أهل لغير الله به.

٢- إذا كانت الهدية محرمةً علينا مطلقاً كقنينة خمر أو طعام من الخنزير أو لعبة قمار أو مجلة خليعة ونحو ذلك.

٣- أما إن كانت الهدية حراماً من وجه دون آخر؛ كأن يهدي حريراً أو ذهباً للرجال فيجوز قبولها ثم تباع أو تهدى لمن يجوز له استخدامها.

٤- إذا كانت الهدية تعبر عن طقوس دينية عندهم كالصليب وبعض أنواع الشموع وغير ذلك، للنهي العام عن التشبه بهم^(٩٢)

وما عدا ذلك لا بأس بقبول الهدية والحلوى والأطعمة المباحة من الكافر في عيده مالم تكن من ذبائح ذلك العيد، تأليفاً لقلبه كما فعل رسول الله ﷺ.

• ثانياً : الأدلة على المقصد :

١- "عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَيُثِيبُ عَلَيْهَا"^(٩٣)

٢- "عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : أَهْدَى كِسْرَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَبِلَ مِنْهُ ، وَأَهْدَى لَهُ قَيْصَرٌ فَقَبِلَ مِنْهُ ، وَأَهْدَتْ لَهُ الْمُلُوكُ فَقَبِلَ مِنْهَا"^(٩٤)

٣- ماورد في قصة إسلام سلمان الفارسي رضي الله عنه، وفيها : « جاء سلمان إلى رسول الله حين قدم المدينة بمائدة عليها رطب فوضعها بين يدي رسول الله. فقال

^{٩١} روضة الطالبين للنووي (٢ / ٢٧١).

^{٩٢} الدليل الفقهي أحكام وتوضيحات معاصرة،

<https://www.fikhguide.com/almibt3th/68>

^{٩٣} أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الهبة وفضلها، باب المكافأة في الهبة، (ح ٢٥٨٥)، (٤٦٣ / ٦).

^{٩٤} أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (ح ٧٧٤)، (٩٦ / ١).

رسول الله: ما هذا يا سلمان ؟ قال : صدقة عليك وعلى أصحابك. قال : ارفعها فإننا لا نأكل الصدقة، فرفعها وجاء من الغد بمثله فوضعه بين يديه. فقال : ما هذا يا سلمان ؟ قال : صدقة عليك وعلى أصحابك. قال : ارفعها فإننا لا نأكل الصدقة، فجاء من الغد بمثله فوضعه بين يديه يحمله. فقال : ما هذا يا سلمان، فقال هدية لك، فقال : رسول الله ﷺ: ابسطوا " (٩٥) فقبل النبي ﷺ - الهدية.

٤- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أكيدر ملك دومة الجندل أهدى إلى النبي - ﷺ (٩٦).

• ثالثاً : الأثر التحسيني : قبول هدايا الكفار صورة حسنة لهم عن محاسن الدين وبحثهم على اعتناق الإسلام.

المقصد التحسيني : تسوية الصفوف في الصلاة.

• أولاً : بيان المقصد :

(أ) حكم تسوية الصفوف في الصلاة: سنة باتفاق العلماء (٩٧)

• ثانيًا : الأدلة على المقصد : أذكر منها :

١- عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ" (٩٨)

٢- عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي وَكَأَنَّ أَحَدُنَا يُلْزَقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمُهُ بِقَدَمِهِ" (٩٩)

• ثالثاً : الأثر التحسيني: تسوية الصفوف أثناء صلاة الجماعة شعييرة عظيمة تدل على تلاحم المسلمين و تماسكهم وتعطي صورة حسنة عن الإسلام لغير المسلمين.

المقصد التحسيني : الحث على الطهارة من النجاسات.

• أولاً : بيان المقصد :

^{٩٥} ينظر : أخرجه الإمام أحمد في مسنده، (ح ٢٣٤٦٣)، (٥٤٥٣/١٠).

^{٩٦} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة و فضلها، باب قبول الهدية من المشركين، (ح ٢٦١٦)، (٥٠٧/٦).

^{٩٧} المجموع للنووي (٢٢٥ / ٤)، المغني لابن قدامة (١٢٦ / ٢).

^{٩٨} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب إقامة الصف من تمام الصلاة، (ح ٧٢٣)، (١٣٤ / ٢).

^{٩٩} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان باب إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم في الصف، (ح ٧٢٥)، (١٣٦ / ٢).

(أ) تعريف الطهارة هي : "ارتفاع الحدث وما في معناه وزوال الخبث." (١٠٠)
حرص الإسلام في تشريعاته على الأمر بالطهارة وكمالها وذلك بالعديد من الأحكام منها:

-الوضوء، شرع الوضوء للصلوات الخمس في اليوم واللييلة .
- الغسل وهو غسل جميع البدن وجوباً بعد الحيض والنفاس والجماع، وصح عن النبي -ﷺ- قوله "حق لله على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يغسل رأسه وجسده" (١٠١)

-الأخذ بخصال الفطرة الواردة في قول النبي -ﷺ-: الفطرة خمس الختان، والاستحداد، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وقص الشارب" (١٠٢)

• **ثانياً: الأدلة على المقصد :** منها قول الله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } (١٠٣)، وقوله تعالى : { وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ } (١٠٤)

• **ثالثاً: الأثر التحسيني:** يظهر الأمر بالنظافة و الطهارة جمال الدين لأن النظافة مما تدعو إليه الفطر السليمة وتميل له النفوس القويمة، أما عند غير المسلمين فالقذارة تعتبر نوعاً من الزهد وقربة إلى الرب، فعند إشاعة قيمة النظافة كجزء من تعاليم الدين الحنيف يظهر بذلك جانب من جوانب الدعوة لغير المسلمين بحثهم على اعتناق الدين الموافق للفطرة.

• الخاتمة:

في ختام هذا البحث أجمل أهم النتائج التي توصلت إليها وببعض التوصيات على النحو التالي:

^{١٠٠} كشف القناع للبهوتي (ص ٢)

^{١٠١} أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة، (ح ٨٤٩)، (١٧٧/٤).

^{١٠٢} أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قص الشارب ، (ح ٥٨٨٩)، (١٢/١٥)

^{١٠٣} سورة المائدة ، آية ٦ .

^{١٠٤} سورة المدثر ، آية ٤ .

- ١- المقاصد التحسينية هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب المندسات التي تأنفها العقول الراجحات، ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق.
- ٢- المقاصد التحسينية قد ثبتت وتقررت باستقراء الأدلة والنصوص الشرعية – الكلية والجزئية –
- ٣- من أهمية المقاصد التحسينية أنها تظهر محاسن الدين وجمال تعاليمه مما يحث غير المسلمين على اعتناقه.
- ٤- المقاصد التحسينية في الدعوة إلى الله عز وجل تخدم مقصد حفظ الدين وهو من أهم المقاصد .
- ٥- للمقاصد التحسينية في مجال الدعوة إلى الله ضوابط ينبغي اعتبارها.
- ٦- تطبيق المقاصد التحسينية يحقق مقاصد الدعوة إلى الله تعالى.
- ٧- تطبيق المقاصد التحسينية يؤثر في نشر دعوة الدين الإسلامي في أحسن الصور وأكملها.

• التوصيات :

توصي الباحثة بأهمية تناول هذا البحث بدراسة شاملة لأثر المقاصد التحسينية المتعلقة بالدعاة والمدعويين و وسائل الدعوة وأساليبها، خاصةً فيما استجد من وسائل العصر الحديث وأثر ذلك في نشر دعوة الدين الإسلامي.

المصادر والمراجع:

- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (ت ٧٢٨ هـ)، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، مطبعة السنة المحمدية، ط٢، ١٣١٩ هـ
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (ت ٧٢٨ هـ)، الفتاوى الكبرى، ط١، ٦م، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨ هـ / ١٩٧٨ م.
- ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم، (ت ٧٢٨ هـ)، مجموع الفتاوى، (ت/عبد الرحمن بن محمد بن قاسم)، ط١، ٣٥ م، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ابن حبان، محمد بن حبان بن معاذ التميمي (ت ٣٥٤ هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، ط٢ مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م.
- ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، (ت ٧٧٣ هـ)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، (ت/عبد العزيز ابن باز)، ط١، ١٣ م، دار الفكر، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
- ابن عابدين، محمد أمين بن عمر، (ت ١٢٥٢ هـ)، رد المحتار على الدر المختار، ط٢، ٦م، دار الفكر-بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، (ت ٥٤٢ هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ هـ
- ابن قدامة، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد (ت ٦٨٢ هـ)، الشرح الكبير على متن المقنع، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع
- ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن محمد، (ت ٦٢٠ هـ)، المغني، ط١، ١٠ م، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م.
- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، (ت ٧١١ هـ)، لسان العرب، ط١، ١٥م، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، (ت ٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري، ط٣، ١م، دار قرطبة، بيروت، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١ هـ)، كشف القناع عن متن الإقناع، ٦م، دار الكتب العلمية.
- البيانوني، محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٤١٥ - ١٩٩٥ م
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٧٨ هـ)، البرهان في أصول الفقه، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

- الخدومي، نور الدين بن مختار، علم المقاصد الشرعية، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢١-٢٠٠١ م، دار الكتب العلمية - بيروت
- الرازي، محمد بن أبي بكر عبدالقادر، (ت ٦٦٦هـ)، مختار الصحاح، (ت/يوسف الشيخ محمد)، ط٥، الدار النموذجية، بيروت، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، (ت:مجموعة من المحققين) دار الهداية.
- الزحيلي، : دوهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، ط١، دار الفكر - دمشق- ١٤٢٢ هـ
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد (المتوفى: ٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة
- طبارة ، غيف عبدالفتاح ، روح الدين الإسلامي، دار العلم للنشر، ١٩٩٣ م.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المستصفى، دار الكتب العلمية.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (٨١٧هـ) ، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦ - ٢٠٠٥ م.
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي، (ت ٧٧٠ هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط١، ٢م، المكتبة العلمية - بيروت.
- الفرويني، أحمد بن فارس، (ت ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة ، (ت/ عبدالسلام هارون) ، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- للخمي، إبراهيم بن موسى، (ت ٧٩٠هـ)، الموافقات، (ت/حسن آل سلمان)، ط١، ٧م، دار ابن عفان، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار الدعوة.
- المحلي ، جلال الدين محمد بن أحمد، (ت ٨٦٤ هـ) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، (ت ٩١١هـ) تفسير الجلالين، دار الحديث - القاهرة، ط١
- المرداوي، أبو الحسن علي بن سليمان، (ت ٨٨٥هـ)، الإنصاف في معرفة الراجح من الاختلاف، ط٢، ١٢م، دار إحياء التراث العربي.
- مسلم، أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، (ت ٢٦١هـ)، صحيح مسلم، (ت/محمد فؤاد عبدالباقي)، ط٥، ١م، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤١٩-١٩٩٨ م.

مقاصد الشريعة الإسلامية، الطاهر بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت ١٣٩٣ هـ) مطبعة السنة المحمدية - القاهرة .

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦ هـ) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٢،

النووي، أبو زكريا محيي الدين، (ت ٦٧٦ هـ) ، روضة الطالبين و عمدة المفتين، (ت/زهر الشاويش)، ط ٣، ١٢ م، المكتب الإسلامي - بيروت، ١٤١٢ هـ ،

١٩٩١ م.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦ هـ)، المجموع شرح المذهب، ط ١، دار الفكر.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت الموسوعة الفقهية الكويتية، ط ٢ (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، ٤٥ م، دار السلاسل - الكويت.

يسري، محمد سعد، مبادئ علم أصول الدعوة دراسة تأصيلية، ط ٢، دار الرسالة، ٢٠٠٥ م.

اليوبي، محمد بن سعد بن أحمد، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية،

دار الهجرة، ١٤١٨-١٩٩٨ م



الرواة الواردين في السنن الأربعة وقال فيهم ابن

حجر لين الحديث - عرض وتحليل

The narrators mentioned in the four Sunans, and Ibn Hajar said that the hadith was soft - presentation and analysis

إعداد

هلا بنت علوش العتيبي

Hala Alloush Al Otaibi

جامعة القصيم – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - قسم السنة وعلومها

Doi: 10.21608/jasis.2024.367245

٢٠٢٤ / ٥ / ١٩

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٦ / ١

قبول البحث

العتيبي، هلا بنت علوش (٢٠٢٤). الرواة الواردين في السنن الأربعة وقال فيهم ابن حجر لين الحديث - عرض وتحليل. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر ، ٨ (٢٩)، ٤٣٩ - ٤٦٠.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

الرواة الواردين في السنن الأربعة وقال فيهم ابن حجر لين الحديث - عرض وتحليل المستخلص:

لما كان الحافظ ابن حجر من الأئمة البارزين في علم الحديث جرحاً وتعديلاً، وشرحاً وتفصيلاً، وإعلالاً وتصحيحاً، كان البحث عن مصطلح لين الحديث" عنده وأثره في الراوي . وتكمن مشكلة البحث في عدم معرفة مرتبة مصطلح لين الحديث عند ابن حجر في كتبه تورث سوء الفهم في حكمه . ولقد استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي الوصفي في عرض موضوعات بحثها . ويهدف البحث إلي : الكشف عن جهود علماء الحديث وإظهارها في حفظ السنة النبوية من خلال علم الرجال ، والوقوف على معنى قول ابن حجر في الراوي "لين الحديث" ، ومعرفة من له رواية من أصحاب السنن الأربعة من هؤلاء الرواة . ومن أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة :

- اجتهاد ابن حجر وتميزه في علوم الحديث.
- قواعد العلم النظري قد تختلف في أحوال عن الواقع العملي التطبيقي.
- مصطلح لين الحديث عند ابن حجر من مراتب الجرح.
- الكلمات المفتاحية : لين - ابن حجر - الحديث النبوي الشريف - الرواة .

Abstract :

Since Al-Hafiz Ibn Hajar was one of the prominent Imams in the science of Hadith in terms of analysis and modification, explanation and detail, explanation and correction, this research was done about the term "soft Hadith" according to him and its effect on the narrator. The problem of this research lies in not knowing the rank of the term "soft Hadith" according to Ibn Hajar in his books, which leads to misunderstanding in his ruling. The researcher used the inductive, descriptive approach in presenting the topics of her research. The research aims to: reveal and demonstrate the efforts of Hadith scholars in preserving the Sunnah of the Prophet through the knowledge of men of Hadith, and to find out the meaning of Ibn Hajar's statement by the narrator, "soft Hadith," and to know who has a narration among the four narrators of the Sunan. Among the most prominent findings that the researcher reached:



- Ibn Hajar's diligence and distinction in the sciences of Hadith.
- The rules of theoretical science may differ in circumstances from applied practical reality.
- According to Ibn Hajar, the term "soft Hadith" is one of the stages of analysis.

Keywords: Soft- Ibn Hajar - the noble Prophet's Hadith - narrators.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه.

أما بعد...

فإن العلوم الشرعية من أشرف العلوم وأحسنها؛ فهي السبيل إلى الهداية والرشاد، والفلاح والنجاة، وقد اختار الله الأنبياء لشريعته وهم أذكى الناس عقولاً، وأزكا هم نفوساً، لأشرف تلك المنزلة وإن من أشرف العلوم بعد العلم بكتاب الله العلم بسنة رسول الله ﷺ.

ولا يخفى على كل ذي لب أن ما ينسب إلى رسول الله ﷺ منه الصحيح ومنه غير ذلك، ومعرفة ذلك ليس بالأمر الهين، بل هو أمر شاق لا يقوم به إلا من رزقه الله فهماً ثاقباً، حفظاً واسعاً، ومعرفة تامة بمراتب الرواة إلى غير ذلك من الأمور ... وما المؤلفات التي ألقت في الجرح والتعديل والعلل والتاريخ، وعلوم الحديث إلا لبيان صحيح الحديث وضعيفه، ولمعرفة أهل الضعف والثقات.

ولما كان علم الجرح والتعديل له الأهمية الكبرى في علوم الحديث؛ لأن صحة الحديث وضعفه مبنية على ثقة وضعف رجاله، كان البحث في هذا الموضوع. ولما كان الحافظ ابن حجر من الأئمة البارزين في علم الحديث جرحاً وتعديلاً، وشرحاً وتفصيلاً، وإعلالاً وتصحيحاً، كان البحث عن مصطلح لين الحديث" عنده وأثره في الراوي.

مشكلة البحث:

عدم معرفة مرتبة مصطلح لين الحديث عند ابن حجر في كتبه تورث سوء الفهم في حكمه.

أهداف البحث:

١. الكشف عن جهود علماء الحديث وإظهارها في حفظ السنة النبوية من خلال علم الرجال.
٢. الوقوف على معنى قول ابن حجر في الراوي "لين الحديث".
٣. معرفة من له رواية من أصحاب السنن الأربعة من هؤلاء الرواة.

حدود البحث:

كتب العلل والسؤالات ، وكتب الرجال، وكتب السنن.

منهج البحث:

سلكت في بحثي المنهج الاستقرائي الوصفي، وذلك بجمع الرواة الذين قال فيهم ابن حجر: "لين الحديث" في السنن الأربعة، والوصف في عرض أقوال النقاد فيهم.

إجراءات البحث:

- أ. التعريف بالراوي المترجم له على النحو التالي:
- ١- أذكر اثنين من شيوخه وذلك من خلال تهذيب الكمال وأقدم من تكون له رواية عنهم في الكتب السنة
- ٢- أذكر اثنين من تلاميذه وذلك من خلال تهذيب الكمال وأقدم من تكون له رواية عنهم في الكتب السنة.
- ٣- في بعض الرواة أذكر أكثر من اثنين من شيوخه وتلاميذه وذلك لقلتهم وهذا مما نحتاجه في البحث لبيان حال الراوي.
- ٤- لا أذكر الشيوخ إذا كانوا من أصحاب السنن الأربعة .
- ٥- ترجمة جميع الرواة المتفق عليهم في السنن الأربعة فأما غير المتفق اكتفي بذكر راوي واحد.

٦- رتبت الرواة حسب وفاة أصحاب السنن الأربعة.

ب- سرد أقوال أئمة الجرح والتعديل في الراوي على النحو التالي:

- ١- ترتيب أقوال الأئمة حسب الوفاة.
- ٢- اعتمدت في نسبة هذه الأقوال الرجوع إلى كتب أئمة النقد نفسها وأخذ أقوالهم منها إلا في حالات فقد وجدت أقوالهم عند أئمة آخرين.
- ج- في ذكر خلاصة أقوال الأئمة على الراوي ذكرت ما ذهب إليه الإمامين ابن حجر والذهبي.

د - نظرت في أقوال الأئمة وخلصت إلى ما يذهب إليه ابن حجر.

الدراسات السابقة:

- ١- مصطلح لين الحديث عند المحدثين، إروان سننري مجلة الحديث، ٢٤، ٢٠١١.



- ٢- مصطلح لا يتابع عليه ودراسة تطبيقية على الراوى لين الحديث في تقريب التهذيب، خلود محمد سويلم، جامعة الكويت مجلس النشر العلمي، ٢٠١٦.
- ٣- الرواة الذين لينهم ابن حجر في التقريب ورمز لهم وليست لهم رواية في السنن الأربعة، رائد بن طلال بن عبد القادر، مجلة البحوث الإسلامية س٣، ع ١٤، ٢٠١٧.
- ٤- الرواة الذين قال فيهم ابن حجر: (لين الحديث) ولهم رواية في السنن الأربعة جمعاً ودراسة: مشاعر عبد الرحيم أحمد محمد جامعة أم درمان الإسلامية - السودان العمل حالياً بجامعة المجمعة المملكة العربية السعودية، المقالة ٥، المجلد ٢٨، العدد ٨٥، يناير ٢٠٢٣، المجلة العلمية لكلية الآداب جامعة أسيوط / مصر .
- ٥ - الرواة الذين قال فيهم ابن حجر "الين" أو "فيه لين" في كتابه "تقريب التهذيب" وخرّج لهم البخاري خارج كتابه "الجامع الصحيح" دراسة تحليلية: أحمد ريماندا بن خليل، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الحصول علي درجة الماجستير في أصول الدين، كلية أصول الدين، جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية، سلطنة بروني دار السلام، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م .

خطة البحث:

- المقدمة: وفيها : مشكلة البحث، وأهدافه ، وحدوده ، ومنهجه ، وإجراءاته ، والدراسات السابقة ، وخطة البحث .
- المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن حجر.
- المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته.
- المطلب الثاني: أهم مصنفاته ووفاته.
- المبحث الثاني: مصطلح لين الحديث.
- المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحاً.
- المطلب الثاني: مرتبته عند ابن حجر.
- المبحث الثالث: عرض الراوة الذين قال فيهم ابن حجر لين الحديث وروى له أصحاب السنن الأربعة.
- المطلب الأول: من اتفق بالرواية عنه في السنن الأربعة..
- المطلب الثاني: من اتفق بالرواية عنه ثلاثة من أصحاب السنن الأربعة.
- المطلب الثالث: من اتفق بالرواية عنه اثنان من أصحاب السنن الأربعة.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.
- المصادر والمراجع.

المبحث الأول: ترجمة موجزة لابن حجر المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ونشأته:

هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن أحمد ، يلقب بشهاب الدين ويكنى أبا الفضل واشتهر بابن حجر، وكان أصلهم من عسقلان، وهي مدينة بساحل الشام من فلسطين، وأما مولده فهو في الثاني والعشرين من شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة على شاطئ النيل بمصر^(١)، مات عنه والده وهو طفل في شهر رجب سنة سبع وسبعين فأدخل الكتاب بعد إكمال خمس سنين وكان لديه ذكاء وسرعة حافظة بحيث إنه حفظ سورة مريم في يوم واحد ، وحج في أواخر سنة أربع وثمانين وجاور بمكة في السنة التي بعدها وهي سنة خمس فسمع بها اتفاقا على العفيف الشوري صحيح البخاري وهو أول شيخ سمع عليه الحديث وبحث في عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي وعلى عالم الحجاز الحافظ أبي حامد محمد بن ظهيرة ثم في سنة ست سمع صحيح البخاري بمصر على عبد الرحيم بن رزين وسمع بها بعد التسعين فطلبه من جماعة من شيوخها والقادمين إليها من ذوي الإسناد العالي كابن أبي المجد والبرهان الشامي وعبد الرحمن بن الشيخة والحلاوي والسويداوي ومريم بنت الأذري، ورحل إلى دمشق في سنة اثنتين وثمانمائة فأدرك بها بعض أصحاب القسم ابن عساكر والحجار ومن أجاز له التقى سليمان بن حمزة وأشباهه ومن قرب منهم، وحج مرات وسمع بعدة من البلاد كالحرمين والإسكندرية وبيت المقدس والخليل ونابلس والرملة وغزة وبلاد اليمن وغيرهما على جمع من الشيوخ، ومسموعاته ومشايخه كثيرة جدا لا توصف ولا تدخل تحت الحصر ، اشتغل ودأب فحصل فنونا من العلم وأول ما كان نظره في الأدب والتاريخ وأخذ علم الحديث عن الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الحرمين بن الحسين العراقي وانتفع به وهو أول من أذن له في إقرائه، وتفقه على جماعة منهم شيخ الإسلام سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان البلقيني والشيخ سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن الملقن والشيخ برهان الدين إبراهيم بن موسى الأبناسي وأخذ الأصول عن نصرية الإسلام العز عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن جماعة، وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى، ولي مشيخة الحديث وتدریس الفقه بآماكن من الديار المصرية وولي بها نيابة القضاء مرات ثم اعتزل.^(٢)

(١) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر ، (١) (١٠١ - ١٠٥)، ينظر: توضيح المشتبه ، (٢/ص ١٢٨) .

(٢) لخط الألفاظ بليل طبقات الحفاظ ، (ص ٢١١-٢١٢) .



المطلب الثاني: أهم مصنفاته ووفاته

تصانيف الإمام الحافظ كثيرة جليلة، منها: "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" ، "لسان الميزان" ، "الإحكام لبيان ما في القرآن من الأحكام" ، "ديوان شعر" ، "الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف" ، "ذيل الدرر الكامنة" ، "القاب الرواة" ، "تقريب التهذيب" في أسماء رجال الحديث ، الإصابة في تمييز أسماء الصحابة" و "تهذيب التهذيب" في رجال الحديث ، "تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة" ، تعريف أهل التقديس" ويعرف بطبقات المدلسين، بلوغ المرام من أدلة الأحكام" ، "المجمع المؤسس بالمعجم المفهرس" ، "تحفة أهل الحديث عن شيوخ الحديث" ، "نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر" في اصطلاح الحديث "المجالس" ، "القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد" ، "ديوان خطب" ، تسديد القوس في مختصر الفردوس للدبلي" ، "تبصير المنتبه في تحرير المشتبه" ، "رفع الإصر عن قضاة مصر" ، "إنباء الغمر بأبناء العمر" ، "إتحاف المهرة بأطراف العشرة" حديث ، الإعلام في من ولي مصر في الإسلام" ، "نزهة الألباب في الألقاب" ، "الديباجة" في الحديث، فتح الباري في شرح صحيح البخاري" ، "التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير" ، "بلوغ المرام من أدلة الأحكام" ، و "تغليق التعليق" في الحديث.(٣)

فلما كان في أواخر ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة توفي وصلي عليه قبيل صلاة الظهر بمصلى المؤمنين بالرميلة خارج القاهرة وكان له مشهد عظيم حضر الصلاة عليه السلطان وأتباعه والعلماء ونقل نعشه إلى القرافة الصغرى فدفن فيها بتربة بني الخروبي ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له مغفرة جامعة.(٤)

المبحث الثاني: مصطلح لين الحديث

المطلب الأول: تعريفه لغة واصطلاحاً

اللين لغة: ضد الخشونة يقال في فعل الشيء اللين لان الشيء يلين لنا وليانا وتلين وشيء لين ولين، مخفف منه، والجمع البناء. ويقال: ألنته وألننته على النقصان والتمام مثل أطلته وأطولته. واستلانه عده لنا، وتلين له تملق والليان بالفتح المصدر من اللين، وهو في ليان من العيش أي رخاء ونعيم وخفض وإنه لذو ملينة أي لين الجانب. وتقول العرب: رجل هين لين.(٥)

(٣) الأعلام للزركلي ، (ص ١٧٨) ، ينظر: الخط الألاحظ بديل طبقات الحفاظ ، (ص ٢١٣) .

(٤) لخط الألاحظ بديل طبقات الحفاظ (٢١٥) ينظر: الضوء اللامع الأهل القرن التاسع ،

(٢/ص ٤٠) .

(٥) لسان العرب ، (١٣/ص ٣٩٤) .

اللين اصطلاحاً: عرف الدارقطني اللين بأنه: «لا يكون ساقطاً متروك الحديث ، ولكن مجروحاً بشيء لا يسقط عن العدالة»، وعرفه ابن أبي حاتم: «وإذا أجابوا في الرجل بلين الحديث ، فهو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتباراً»^(٦).

المطلب الثاني: مرتبته عند ابن حجر:

قال ابن حجر في المرتبة السادسة في مقدمة تقريب التهذيب : من ليس له من الحديث إلا القليل ، ولم يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله ، وإليه الإشارة بلفظ : مقبول ، حيث يتابع ، وإلا فلين الحديث» انتهى.^(٧)
إذا فلين الحديث له شروط ثلاثة:

- ١- أن يكون قليل الحديث.
 - ٢- أن لا يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله.
 - ٣- أن ينفرد بالحديث فلا يتابع.
- وهذا المصطلح لابن حجر خاص بالتقريب وبيان ذلك:
"أن الشرط الأول: قلة حديث من يوصف باللين. وهذا أمر لا علاقة له بمن يقال فيه (لين) كما هو واضح لمن تصفح شيئا من كتب الرجال.
وثانيها: أن لا يثبت فيه ما يترك حديثه من أجله. وهذا أيضاً لا علاقة له بمن يوصف بلين وذلك أن الراوي إذا كان صدوقاً وبدرت منه أو هام نادرة يقولون فيه : صدوق ربما أخطأ، أو يخطئ، أو يهيم، فإن زادت قليلاً جداً قالوا فيه صدوق له أو هام، فإن زادت قالوا: صدوق سيء الحفظ، فإن زادت قالوا فيه لين، وتركوا كلمة صدوق.^(٨)
ثم قال: "فإن زادت قليلاً قليلاً قالوا: لين الحديث. فحينما يقول الإمام أحمد : مثلاً : فلان لين الحديث، لم يقلها وهو ينظر إلى قول غيره فيه ضعيف، لكن لم يثبت لأحمد ضعفه، ولم يتبين له سببه، لذلك قال فيه لين الحديث. لا، إنما قالها وقد سبر الرجل وتتبع أحاديثه.

فوجده من حيث الديانة والعدالة سليماً، إلا أن في أحاديثه ما يؤخذ عليه، ووصلت هذه المآخذ إلى نسبة تقتضي تليينه ، مع ملاحظة النسبة بينها وبين ما روى. وثالثها: تفرد الراوي بالحديث ليقال فيه لين الحديث. وهذا لا يعرف في المصطلحات العامة العلماء الجرح والتعديل، إنما يلاحظون التفرد وعدمه حين التطبيق العملي وحكمهم على حديث ما بالصحة أو الضعف، لا في حال الجرح والتعديل"^(٩)

^(٦) الكفاية في علم الرواية ، (ص ٢٣) .

^(٧) تقريب التهذيب ، (ص ٢٣) .

^(٨) المرجع السابق ، (ص ٢٧) .

^(٩) تقريب التهذيب ، (ص ٢٧) .

المبحث الثالث: عرض الرواة الذين قال فيهم ابن حجر لين الحديث وروى لهم أصحاب السنن الأربعة

المطلب الأول: من اتفق بالرواية عنه في السنن الأربعة

الراوي الأول: بشير بن المهاجر الكوفي الغنوي

قال المزي: رأى أنس بن مالك ، وروى عن الحسن البصري ، وعبد الله بن بريدة وعكرمة مولى ابن عباس، ويحيى بن عبد الرحمن التيمي روى عنه جعفر بن عون، وحاتم بن إسماعيل، وغيرهما^(١٠)

أقوال النقاد فيه:

قال يحيى بن معين بشير بن المهاجر ثقة .^(١١)

قال أحمد ابن حنبل: منكر الحديث، قد اعتبرت أحاديثه، فإذا هو يجيء بالعجب^(١٢) .

قال البخاري: يخالف في بعض حديثه^(١٣)

قال العجلي: كوفي ثقة.^(١٤)

وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به.^(١٥)

وقال النسائي: ليس به بأس^(١٦)، وقال: ليس بالقوي^(١٧)

قال العجلي: قلت لأحمد بن حنبل: بشير بن المهاجر يروي عن ابن بريدة قال: كوفي

مرجيء

منهم يتكلم^(١٨)

قال ابن حبان في الثقات: روى عن أنس ولم يره دلس عنه وكان يخطيء كثيرا.^(١٩)

قال ابن عدي: ولبشير بن مهاجر أحاديث عن ابن بريدة وغيره وقد روى ما لا يتابع عليه وهو ممن يكتب حديثه وإن كان فيه بعض الضعف^(٢٠) .

^(١٠) تهذيب الكمال ، (٤/ص ١٧٧ - ١٧٩) .

^(١١) تاريخ ابن معين بروايه ابن محرز ، (١/ص ٩٧) .

^(١٢) الضعفاء الكبير ، (١/ص ١٤٣) .

^(١٣) التاريخ الكبير ، (٢/ص ١٠١) .

^(١٤) تاريخ الثقات ، (ص ٨٢) .

^(١٥) معاني الأخبار في شرح أسامي رجال معاني الأكثر ، (١/ص ١٠٤) .

^(١٦) تهذيب الكمال ، (٤/ص ١٧٢) .

^(١٧) الضعفاء والمتروكون ، (ص ٢٣) .

^(١٨) الضعفاء الكبير للعقيلي ، (١/ص ١٤٣) .

^(١٩) الثقات ، (٦/ص ٩٨) .

^(٢٠) الكامل في ضعفاء الرجال ، (٢/ص ١٨٢) .

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه صدوق لين الحديث رمى بالإرجاء^(٢١)، وذهب الذهبي إلى أنه ثقة فيه شيء^(٢٢).

الراوي الثاني: مصعب بن شيبة بن جبير بن شيبة بن عثمان بن أبي طلحة القرشي العبدي، المكي الحجبي.

روى عن : أبيه شيبة بن جبير بن شيبة وطلق بن حبيب وغيرهما روى عنه ابنه زرارة بن مصعب بن شيبة وزكريا بن أبي زائدة وغيرها.^(٢٣)

أقوال النقاد فيه:

قال محمد بن سعد : كان قليل الحديث^(٢٤)

قال يحيى بن معين : ثقة^(٢٥)

قال أحمد بن حنبل : روى أحاديث مناكير^(٢٦)

قال العجلي: مكي ثقة^(٢٧)

وقال أبو حاتم : لا يحمده ، و ليس بقوى^(٢٨)

وقال النسائي: مصعب منكر الحديث^(٢٩)

وقال ابن عدي: تكلموا في حفظه^(٣٠)

وقال الدارقطني : ليس بالقوي ، و لا بالحافظ^(٣١) ، وقال في موضع آخر : ضعيف^(٣٢).

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث^(٣٣) وذهب الذهبي إلى أن فيه ضعف^(٣٤).

^(٢١) تقريب التهذيب ، (ص ١٢٥)

^(٢٢) الكاشف ، (١/ص ٢٧٢) .

^(٢٣) تهذيب الكمال ، (٢٨/ص ٣٢) .

^(٢٤) الطبقات الكبرى ، (٥/ص ٤٨) .

^(٢٥) الجرح والتعديل ، (٨/ص ٣٠٥) .

^(٢٦) المرجع السابق ، (٨/ص ٣٠٥) .

^(٢٧) تاريخ اللغات ، (ص ٤٣٠)

^(٢٨) المرجع السابق ، (ص ٤٣٠)

^(٢٩) الإلزامات والتتبع ، (ص ٣٤٠)

^(٣٠) تغذيب التهذيب ، (١٠/ص ١٤٧) .

^(٣١) السنن ، (١/ص ١١٣) .

^(٣٢) المرجع السابق ، (١/ص ١٣٤) .

الراوي الثالث: الوليد بن أبي الوليد : عثمان ، وقيل ابن الوليد ، القرشي أبو عثمان المدني، مولى عثمان بن عفان، (و قيل مولى ابن عمر).
روى عن أنس بن وجابر بن عبد الله وغيرهما. روى عنه بكير بن الأشج وحيوة بن شريح، وغيرهما^(٣٥).

أقوال النقاد فيه:

روى له البخاري في "الأدب" وفي "أفعال العباد".^(٣٦)
قال أبو زرعة: ثقة.^(٣٧)

قال أبو عبيد الأجري: سألت أبو داود عنه فقال خيراً^(٣٨).
قال ابن حبان ربما خالف على قلة روايته.^(٣٩)

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث^(٤٠) وذهب الذهبي إلى أنه ثقة^(٤١)
الراوي الرابع: أبو المطوس ، هو يزيد ، وقيل عبد الله بن المطوس ، وقيل يزيد بن المطوس، (و قبل لا يسمى).

عن أبيه، عن أبي هريرة "من أفطر يوماً من رمضان وعنه حبيب بن أبي ثابت،
وقيل: عن حبيب بن أبي ثابت، عن عمارة بن عمير عنه، وفيه اختلاف غير ذلك على حبيب بن أبي ثابت.^(٤٢)

أقوال النقاد فيه:

قال يحيى بن معين: أبو المطوس اسمه عبد الله بن المطوس، أراه كوفياً ثقة^(٤٣)
وقال أبو داود: اختلف على سفيان وشعبة فيه أبو المطوس أو ابن المطوس قال الترمذي بعدما أورد حديث من أفطر يوماً من رمضان ...^(٤٤) والذي في سنده أبو

^(٣٣) تقريب التهذيب ، (ص١٣٣) .

^(٣٤) الكاشف ، (٢/ص٢٦٧) .

^(٣٥) تهذيب الكمال ، (٣١/ص١٠٨) .

^(٣٦) المرجع السابق ، (٢١/ص١٠٩) .

^(٣٧) الخرج والتعديل ، (٩/ص١٩) .

^(٣٨) سوالات الأخرى لأي داود ، (٢/ص١٨٤) .

^(٣٩) الثقات ، (٢/ص٧) .

^(٤٠) تقريب التهذيب ، (ص٥٨٤) .

^(٤١) الكاشف ، (٢/ص٣٥٦) .

^(٤٢) تهذيب الكمال ، (٣٤/ص٢٩٩) .

^(٤٣) رواه عنه ابن أبي خيثمة، ونقله الدارقطني في العلل ، (٨/ص٢٧٣) .



المطوس : وسمعت البخاري يقول: " أبو المطوس: اسمه يزيد بن المطوس ولا أعرف له غير هذا الحديث^(٤٥)
وقال أبو حاتم: لا يسمى^(٤٦)
قال ابن حبان: يروي عن أبيه ما لا يتابع عليه لا يجوز الاحتجاج بأفراده^(٤٧)
خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث^(٤٨)، وذهب الذهبي إلى أنه ضعف ، تفرد بحديثه عن أبيه عن أبي هريرة ولا يعرف هو ولا أبوه^(٤٩)
المطلب الثاني: من اتفق بالرواية عنه ثلاثة من أصحاب السنن الأربعة من الذين اتفق بالرواية عنه أبو داود والترمذي وابن ماجه:
الراوي: عبد الرحمن بن حبيب بن أردك المدني ، المخزومي مولا هم ، و يقال حبيب بن عبد الرحمن بن أردك.

روى عن عبد الواحد بن عبد الله النصري، وعبد الوهاب بن بخت، وعطاء بن أبي رباح، وعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. وروى عنه حاتم بن إسماعيل ، وعبد العزيز بن محمد الدراوردي وغيرهما^(٥٠)
أقوال النقاد فيه:

روى له أبو داود والترمذي وابن ماجه حديثاً واحداً عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ثلاثة جدهن جد، وهزلهن جد: النكاح والطلاق والرجعة^(٥١)
نقل الذهبي عن النسائي أنه قال: منكر الحديث، وأعقب الذهبي بقول النسائي: أنه صدوق وله ما ينكر^(٥٢).

^(٤٤) أخرجه الترمذي (أبواب الصوم عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الإفطار متعمداً) ، (٣/ص ٩٢) ، ح (٧٢٣) .
^(٤٥) سنن الترمذي ، (٣/ص ٩٢) .
^(٤٦) الجرح والتعديل ، (٩/ص ٤٤٨) .
^(٤٧) الضعفاء والمتروكون لابن الجوزي ، (٣/ص ٢٤٠) .
^(٤٨) تقريب التهذيب ، (ص ٦٧٤) .
^(٤٩) ميزان الاعتدال ، (٤/ص ٥٧٤) .
^(٥٠) تهذيب الكمال ، (١٧/ص ٥٢) .
^(٥١) أخرجه الترمذي في أبواب الطلاق واللعان عن رسول الله ﷺ ، باب ما جاء في الجد والهزل في الطلاق) ، (٣/ص ٤٨٢) ، ح (١١٨٤) ، وأخرجه أبو داود في (كتاب الطلاق، باب في الطلاق على الهزل) ، (٢/ص ٢٢٥) ح (٢١٩٤) .
^(٥٢) ميزان الاعتدال ، (١/ص ١٤٥) .

ذكره ابن حبان في كتابه "الثقات". (٥٣)

وقال الحاكم في "المستدرک": عبد الرحمن بن حبيب من ثقات المدنيين. (٥٤)

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث (٥٥)، وذهب الذهبي إلى أن فيه لين (٥٦)

من اتفاق الرواية عنه أبو داود والترمذي والنسائي:

الراوي: محمد بن يحيى بن قيس السبئي المأربي، أبو عمر اليماني.

روى عن سفيان الثوري، وعبد الملك بن جريج، ومعمّر ابن راشد، وموسى بن عقبة،

وأبيه يحيى بن قيس المأربي، ويزيد بن عبد الله بن عون. وروى عنه قتيبة بن سعيد،

ومحمد بن المتوكل العسقلاني، وغيرهما. (٥٧)

أقوال النقاد فيه:

روى له أبو داود والترمذي حديثاً واحداً عن أبيض ابن حمّال أنه وقد إلى رسول الله

ﷺ فاستقطعه الملح فأقطعه إياه، فقال له رجل: يا رسول الله تدرى ما أقطعتك الماء

العد، فارتجعه منه، و سأله ما يحمى من الأراك؟ قال: ما لم تبلغه أخفاف الإبل

.. (٥٨)

وروى له النسائي حديثين في باب إحياء الموات. (٥٩)

ذكره ابن حبان في كتابه "الثقات". (٦٠)

قال ابن عدي: منكر الحديث أحاديثه مظلمة منكورة (٦١)

قال الدارقطني: يحدث عن ابن جريج ثقة، وأبوه كذلك. (٦٢)

(٥٣) الثقات، (ص ٢٧٧)

(٥٤) المستدرک على الصحيحين، (٢/ص ٢١٦).

(٥٥) تقريب التهذيب، (ص ٣٣٨)

(٥٦) الكاشف، (١/ص ٦٢٥).

(٥٧) تهذيب الكمال، (٢٧/ص ١٠).

(٥٨) أخرجه الترمذي في (أبواب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في القطائع)،

(٣/ص ٢٥٦) ح (١٣٨٠)، وأخرجه أبو داود في (كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في

إقطاع الأرضين)، (٣/ص ١٣٩).

(٥٩) أخرجه النسائي في كتاب إحياء الموات، باب ما يحمى من الأراك (٥/ص ٢٢٨)،

ح (٥٧٣٧)، وفي (كتاب إحياء الموات باب الإقطاع)، (٢/ص ٢٣٧)، ح (٥٧٣٥).

(٦٠) الثقات، (ص ١٠٩)

(٦١) الكامل في ضعفاء الرجال، (٧/ص ٤٧٢، ٤٢١).

(٦٢) سوالات البرقاني للدارقطني، (ص ١٢)

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث ^(٦٣)، وقال الذهبي: وثق. ^(٦٤)
من الذين اتفق بالرواية عنه أبو داود والنسائي وابن ماجه
الراوي: مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي المدني.
روى عن: إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، وأبيه ثابت بن عبد الله بن الزبير
وغيرهما. وروى عنه عبد الله بن المبارك، عبد العزيز بن محمد الدراوردي
وغيرهما ^(٦٥).

أقوال النقاد فيه:

قال محمد سعد: كان قليل الحديث. ^(٦٦)
قال يحيى بن معين: ضعيف ^(٦٧)
قال أحمد: أراه ضعيف الحديث ^(٦٨)
قال أبو حاتم: صدوق كثير الغلط، ليس بالقوي ^(٦٩)
له عند النسائي حديث عن محمد بن المنكر عن جابر في كتاب قطع السارق، قال
النسائي عقبه مصعب ثابت ليس بالقوي ويحيى بن القطان لم يتركه وهذا الحديث ليس
بصحيح، ولا أعلم في هذا الباب حديثا صحيحا عن النبي ﷺ ^(٧٠)
قال ابن أبي حاتم: سئل أبي زرعة عنه فقال: ليس بقوي ^(٧١)
وذكره ابن حبان في كتابه "الثقات" وقال: وقد أدخلته في الضعفاء وهو ممن استخرت
الله فيه ^(٧٢)
وقال ابن حبان في كتابه "المجروحين": منكر الحديث، انفرد بالمناكير عن المشاهير
فلما كثر منه استحق مجانيه حديثه. ^(٧٣)

^(٦٣) تقريب التهذيب ، (ص ١٢)

^(٦٤) الكاشف ، (٢/ص ٢٣) .

^(٦٥) تهذيب الكمال ، (٢٨/ص ١٩٠١٨) .

^(٦٦) الطبقات الكوي ، (داره ٢٩)

^(٦٧) تاريخ ابن معين (رواية الدليمي) ، (ص ٢٠٠٨) .

^(٦٨) العلل ومعرفة الرجال ، (٢/ص ٤٨٨) .

^(٦٩) الجرح والتعديل ، (٨/ص ٣٠١) .

^(٧٠) أخرجه النسائي في كتاب (قطع السارق، باب قطع اليدين والرجلين من السارق)،

(٤/ص ٤١) . ج (٧٤٢٩)

^(٧١) الجرح والتعديل ، (٨/ص ٣٠١) .

^(٧٢) الثقات ، (٧/ص ٤٣٨) .

قال الدارقطني: مدني، ليس بالقوي. (٧٤)

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث (٧٥)، وذهب الذهبي إلى أنه لين لغلطه (٧٦)
المطلب الثالث: من اتفق بالرواية عنه اثنان من أصحاب السنن الأربعة
من الذين اتفق بالرواية عنه أبو داود وابن ماجه
الراوي: حميد بن وهب القرشي، أبو وهب المكي، ويقال الكوفي.
روى عن إسماعيل بن أبي خالد، وعبد الله بن طاوس، ومسعر بن كدام، وهشام بن عروة.

روى عنه عامر بن إبراهيم الأصبهاني، ومحمد بن طلحة بن مصرف (٧٧)

أقوال النقاد فيه:

قال ابن المدني حميد القرشي يروي عن ابن طاوس، مجهول. (٧٨)
قال البخاري: حميد بن وهب القرشي عن ابن طاوس في الخصاب، منكر الحديث
روى عنه

محمد بن طلحة الكوفي. (٧٩)

روى له أبو داود وابن ماجه حديثاً واحداً عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس: "أن النبي ﷺ مر عليه رجل، وقد خضب بالحناء، فقال: «ما أحسن هذا»، ثم مر بآخر، قد خضب بالحناء والكتم فقال: هذا أحسن من هذا، ثم مر بآخر قد خضب بالصفرة فقال: هذا أحسن من هذا كله"، رواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة.
ورواه أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة جميعاً عن إسحاق بن منصور السلولي عن محمد بن طلحة (٨٠)

(٧٣) المجروحين، (٣/٢٩).

(٧٤) سوالات البرقاني، ت مجدي السيد، (ص٦٩)

(٧٥) تقريب التهذي، (ص٢٣٣)

(٧٦) الكاشف، (٢/٢٤٧).

(٧٧) تهذيب الكمال، (٧/١٠٧).

(٧٨) تقريب التهذيب، (٣/٤٦).

(٧٩) التاريخ الكبير، (٣/٣٥٩).

(٨٠) أخرجه أبو داود في (كتاب الترجل، باب ما جاء في خصاب الصفرة)، (٤/٨٧)،

(٤٢١١)، وأخرجه ابن ماجه في كتاب اللباس، باب الخصاب بالصفرة)، (٢/١١٩٨).

(٣٤٢٧).

قال العقيلي حميد بن وهب روى عن ابن طاوس ولا يتابع عليه وحميد مجهول في النقل.^(٨١)

قال ابن حبان في المجروحين: حميد بن وهب القرشي يروي عن ابن طاوس، روى عنه محمد بن طلحة الكوفي، ممن يخطئ حتى خرج عن حد التعديل ولم يغلب خطوه صوابه حتى استحق الجرح وهو لا يحتج به إذا انفرد.^(٨٢)

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث^(٨٣)، واختار الذهبي حكم البخاري.^(٨٤)

من الذين اتفق بالرواية عنه أبو داود والترمذي

الراوي: الحسين بن يزيد بن يحيى الطحان الأنصاري ، أبو علي ، وقيل أبو عبد الله الكوفي.

روى عن حفص بن غياث ، وعبد السلام بن حرب وغيرهما ، وروى عنه وأبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة وغيرهما^(٨٥).

أقوال النقاد فيه:

قال أبو حاتم: لين الحديث^(٨٦)

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عنه مسلم بن الحجاج^(٨٧)، وبين ابن حجر أنه خارج الصحيح^(٨٨)

وذكره ابن حبان في "الثقات"^(٨٩).

خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث^(٩٠)، واختار الذهبي حكم أبو حاتم.^(٩١)

من الذين اتفق بالرواية عنه أبو داود والنسائي:

^(٨١) الضعفاء الكبير ، (١/١٦٩) .

^(٨٢) المجروحين ، (١/٢٦٢) .

^(٨٣) تقريب التهذيب ، (١٨٢) .

^(٨٤) الكاشف ، (١/٢٥٦) .

^(٨٥) تهذيب الكمال ، (٦/٥٠٢) .

^(٨٦) الجرح والتعديل ، (٢/٦٧) .

^(٨٧) المصدر السابق ، (٢/٦٧) .

^(٨٨) تقريب التهذيب ، (٢/٣٢٤) .

^(٨٩) الثقات ، (١٨٨٨) .

^(٩٠) تقريب التهذيب ، (١/١٦٩) .

^(٩١) الكاشف ، (١/٣٣٧) .



الراوي: عمرو بن هاشم أبو مالك الجنبي الكوفي.
روى عن إسماعيل بن أبي خالد ، وعبيد الله بن عمر العمري وغيرهما، روى عنه
ومحمد بن عبيد المحاربي ، ويحيى بن معين وغيرهما^(٩٢)
أقوال النقاد فيه:

قال ابن سعد: كان صدوقاً، ولكنه كان يخطئ كثيراً^(٩٣).
وقال أحمد: صدوق ، ولم يكن صاحب حديث^(٩٤).
وقال البخاري فيه نظر^(٩٥).
وقال مسلم: ضعيف الحديث^(٩٦).
وقال أبو حاتم: لين الحديث، يكتب حديثه^(٩٧).
وقال النسائي: ليس بالقوي^(٩٨).
وقال ابن حبان: كان يقلب الأسانيد ويروي عن الثقات مالا يشبه حديث الأثبات، لا
يجوز الاحتجاج بخبره^(٩٩).
وقال ابن عدي له أحاديث غرائب حسان، إذا حدث عن ثقة فهو صالح الحديث، وإذا
حدث عن ضعيف كان يكون فيه بعض الإنكار، وهو صدوق إن شاء الله^(١٠٠).
قال الحاكم: ليس بالقوي عندهم^(١٠١).
خلاصة القول:

ما ذهب إليه ابن حجر أنه لين الحديث أفرط فيه ابن حبان^(١٠٢)، واختار الذهبي
حكم النسائي وغيره: ليس بالقوي^(١٠٣).

^(٩٢) تهذيب الكمال ، (٢٢/ص٢٧٣-٢٧٤) .

^(٩٣) الطبقات الكبرى ، (٩/ص٣٩٢) .

^(٩٤) الضعفاء الكبير ، (٣/ص٢٩٤) .

^(٩٥) التاريخ الكبير ، (١/ص٣٨١) .

^(٩٦) الكنى والأسماء ، (٣/ص٧٥٥) .

^(٩٧) الجرح والتعديل ، (١/ص٣٦٧) .

^(٩٨) تهذيب التهذيب ، (٨/ص٢٨) .

^(٩٩) المجروحين ، (٢/ص٧٧) .

^(١٠٠) الكامل في ضعفاء الرجال ، (٦/ص٢٤٥) .

^(١٠١) تهذيب التهذيب ، (٨/ص٩٨) .

^(١٠٢) تقريب التهذيب ، (ص٤٢٧) .

^(١٠٣) الكاشف ، (٢/ص٩٠) .

وابن حبان في رأبي أنه لم يفرط فيه وإنما هو قاسي في العبارة وحكمه مقارب لحكم عامة المحدثين.

الخاتمة

وهذا عرض موجز لرواة من أصحاب السنن الأربعة، فما كان فيه من صواب فمن الله وحده، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ونبينا محمد صاحب السنة العطرة والهدي الشريف القويم ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وعلى كل ما سار على دربهم إلى يوم الدين.

أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث:

١. اجتهاد ابن حجر وتميزه في علوم الحديث.
٢. قواعد العلم النظري قد تختلف في أحوال عن الواقع العملي التطبيقي.
٣. مصطلح لين الحديث عند ابن حجر من مراتب الجرح.
٤. هذا المصطلح قد يرتفع حكم العمل به إذا وجد منابع له فينتقل إلى المقبول.
٥. هؤلاء الرواة مما يتفق غالب أهل النقد على ضعفهم.
٦. اتفق أصحاب السنن الأربعة بالرواية عن أربعة رواة منهم.
٧. قد تكون الرواية عن بعضهم ليس ارتضاء بل لبيان ضعفهم.

المصادر والمراجع

١. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
٢. الإلزامات والتتبع أبو الحسن الدارقطني (ت: ٣٨٥ هـ)، ت: مقل بن هادي دار الكتب العلمية، ط ٢.
٣. تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي)، أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (ت: ٢٣٣ هـ)، ت: أحمد محمد نور سيف، دار المأمون للتراث، دمشق.
٤. تاريخ ابن معين (رواية ابن محرز، زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (ت: ٢٣٣ هـ)، ت (الجزء الأول): محمد كامل القصار، مجمع اللغة العربية دمشق، ٢ م ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
٥. تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي الكوفي (ت: ٢٦١ هـ)، دار الباز، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م.
٦. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: ٢٥٦ هـ)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ٨ م طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.
٧. تقريب التهذيب أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ)، ت محمد عوامة دار الرشيد، سوريا، ط ١، ١٤٠٦ - ١٩٨٦.
٨. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢ هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤ م، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٩. تهذيب الكمال يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزني (ت: ٧٤٢)، ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٣٥ م ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.
١٠. توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، محمد بن عبد الله (أبي بكر القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين الشهير بابن ناصر الدين (ت: ٨٤٢ هـ)، ت محمد نعيم العرقسوسي مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٠ م، ط ١، ١٩٩٣ م.
١١. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، أبو حاتم، الدارمي، البستي ت: ٣٥٤ هـ)، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ٩ م ط ١، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣.
١٢. الجرح والتعديل، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٩ م، ط ١، ١٢٧١ هـ - ١٩٥٢ م.

١٣. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ)، ت: إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٣ م، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م
١٤. سوالات أبي بكر البرقاني للدارقطني في الجرح والتعديل، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني (ت: ٤٢٥ هـ)، ت: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع.
١٥. سوالات الأجرى لأبي داود أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث (ت: ٢٧٥ هـ)، ت: محمد علي قاسم العمري عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
١٦. سوالات البرقاني للدارقطني رواية الكرجي عنه، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب، أبو بكر المعروف بالبرقاني (ت: ٤٢٥ هـ)، ت: عبد الرحيم محمد أحمد القشقرى، كتب خانة جميلي - لاهور، باكستان، ط ١، ١٤٠٤ هـ.
١٧. سوالات محمد بن عثمان بن أبي شيبة لعلي بن المديني، علي بن عبد الله بن جعفر المديني أبو الحسن (ت: ٢٣٤) ت موفق عبد الله عبد القادر، مكتبة المعارف، الرياض ١٤٠٤ هـ.
١٨. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩ هـ)، ت: أحمد شاكر وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ٥ م، ط ٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.
١٩. سنن الدارقطني علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت: ٣٨٥ هـ)، ت: السيد عبد الله المدني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م.
٢٠. الضعفاء الكبير، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي المكي ت: ٣٢٢ هـ)، ت: عبد المعطي أمين قلججي، دار المكتبة العلمية، بيروت، ٤ م، ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٢١. الضعفاء والمتروكون، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: ٣٠٣ هـ)، ت: محمود إبراهيم زايد دار الوعي حلب، ط ١، ١٣٩٦ هـ.
٢٢. الضعفاء والمتروكون جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ)، ت: عبد الله القاضي دار الكتب العلمية، بيروت، ٣ م، ط ١، ١٤٠٦ هـ.
٢٣. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢ هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ٦ م.

٢٤. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (ت: ٢٣٠ هـ)، ت إحسان عباس دار صادر بيروت، ٨ م، ط ١، ١٩٦٨ م.
٢٥. العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي (ت: ٣٨٥ هـ)، ت: محفوظ الرحمن زين الله السلفي دار طبية الرياض ١١ م، ط ١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٠ م، وم ١٢ إلى م ١٥ ت محمد بن صالح بن محمد الدباسي، دار ابن الجوزي، الدمام، م ١٢ - م ١٥، ط ١، ١٤٢٧ هـ.
٢٦. العلل ومعرفة الرجال أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١ هـ)، ت: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني، الرياض، ٣ م، ط ٢، ١٤٢٢ هـ.
٢٧. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨ هـ)، ت: محمد عوامة الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، ٢ م ط ١، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.
٢٨. الكامل في ضعفاء الرجال، أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت: ٣٦٥ هـ)، ت: عادل أحمد عبد الموجود علي محمد معوض. عبد الفتاح أبو سنة، الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٢٩. الكفاية في علم الرواية أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣ هـ)، ت: أبو عبد الله السورقي وإبراهيم حمدي المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
٣٠. الكنى والأسماء، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١ هـ)، ت عبد الرحيم محمد أحمد القشيري عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ٢ م ط ١، ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٣١. لحظ الألفاظ بذيّل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي العلوي الأصفوني ثم المكي الشافعي (ت: ٨٧١ هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٢. لسان العرب محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١ هـ)، دار صادر، بيروت، ١٥ م ط ٣، ١٤١٤ هـ الطبعة: الثالثة.
٣٣. المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ، أبو حاتم الدارمي، البستي (ت: ٣٥٤ هـ)، ت: محمود إبراهيم زايد، دار الوعي، حلب، م، ١٣٩٦ هـ.

٣٤. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: (٤٠٥ هـ)، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ٤ م ط ١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٥. مغاني الأخيار في شرح أسامي رجال معاني الآثار، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى : ٨٥٥ هـ)، ت: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت ، ٣ م ، ط ١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

٣٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: (٧٤٨ هـ) ، ت: علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ، ٤ م ط ١، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.



منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة

Al-Jawzjani's approach to wounding with heresy

إعداد

أيمن بن محمد بن عمر سخاخني
Ayman Muhammad Omar Sakhakhni

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الحديث والدراسات الإسلامية - قسم

علوم الحديث الشريف

أ.د/ أنيس بن أحمد بن طاهر جمال
Anis Ahmed Taher Jamal

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - كلية الحديث والدراسات الإسلامية - قسم

علوم الحديث الشريف

Doi: 10.21608/jasis.2024.367246

٢٠٢٤ / ٦ / ١٢

استلام البحث

٢٠٢٤ / ٦ / ٣٠

قبول البحث

سخاخني، أيمن بن محمد بن عمر وجمال، أنيس بن أحمد بن طاهر (٢٠٢٤). منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة. *المجلة العربية للدراسات الإسلامية والشرعية*، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٨ (٢٩)، ٤٦١ - ٤٧٤.

<http://jasis.journals.ekb.eg>

منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة

المستخلص:

منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة هو منهج تحليلي يستخدمه العلماء المسلمون لتحديد صحة أو ضعف الرواة الذين ينقلون الأحاديث النبوية. يعتبر الجوزجاني واحدًا من أبرز علماء الحديث الذين استخدموا هذا المنهج في دراسة الأحاديث ورواتها. ويستند منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة إلى الاهتمام بالدراسة الشاملة للرواة وتحليل أقوالهم وآرائهم في البدع والمسائل العقدية والفقهية. يُعتبر البدعة هنا عبارة عن أفكار أو أفعال جديدة تصدر عن الرواة وتتعارض مع المنهج النبوي الأصيل. ويتضمن منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة مراحل مختلفة، بدءًا من تجميع معلومات الرواة والتحقق من صحة وثوقيتهم، ومن ثم دراسة آرائهم ومواقفهم من البدعة. يعتبر الجوزجاني أن الرواة الذين يتبنون البدعة قد يكونون غير قادرين على نقل الأحاديث النبوية بشكل صحيح. وعند تحليل الرواة، يعتمد الجوزجاني على معايير محددة لتقييم صدقيتهم وضبطهم. منهجه يشمل دراسة تفاصيل حياة الرواة وتاريخهم الشخصي والعلمي، والاستدلال بأراء العلماء السابقين فيهم. ويتسم منهج الجوزجاني بالتدقيق والدقة، وهو يشكل أساسًا هامًا في علم الحديث الإسلامي. يساهم هذا المنهج في تأكيد صحة الرواة والحفاظ على سلامة الأحاديث النبوية، ويعزز الثقة في المصادر الأصلية للتعاليم الإسلامية. باختصار، يُعد منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة أداة قيمة لتحليل الرواة وتحديد صحة الأحاديث، ويساهم في الحفاظ على تراث الحديث النبوي الشريف ونقله بدقة وأمانة.

Abstract:

Al-Jawzjani's approach to wounding heresy is an analytical approach used by Muslim scholars to determine the authenticity or weakness of narrators who transmit the Prophetic hadiths. Al-Jawzjani is considered one of the most prominent hadith scholars who used this approach in studying hadiths and their narrators. Al-Jawzjani's approach in criticizing heresy is based on interest in the comprehensive study of narrators and analyzing their sayings and opinions on innovations and doctrinal and jurisprudential issues. Here, heresy is considered to



be new ideas or actions issued by narrators that conflict with the authentic prophetic approach. Al-Jawzjani's approach to denouncing heresy includes various stages, starting with collecting the narrators' information and verifying the authenticity of their reliability, and then studying their opinions and positions on heresy. Al-Jawzjani considers that narrators who embrace heresy may be unable to transmit the Prophetic hadiths correctly. When analyzing narrators, Al-Jawzjani relies on specific criteria to evaluate their credibility and accuracy. His approach includes studying the details of the narrators' lives and their personal and scientific history, and inferring the opinions of previous scholars about them. Al-Jawzjani's approach is characterized by scrutiny and accuracy, and it forms an important basis in the science of Islamic hadith. This approach contributes to confirming the authenticity of narrators and preserving the integrity of the Prophet's hadiths, and enhances confidence in the original sources of Islamic teachings. In short, Al-Jawzjani's approach to wounding heresy is a valuable tool for analyzing narrators and determining the authenticity of hadiths, and contributes to preserving the heritage of the noble Prophet's hadith. And convey it accurately and honestly.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} ^١
{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} ^٢
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} ^٣

أما بعد: فإن السنة النبوية من الذكر الذي أنزله الله - سبحانه وتعالى، وهي مبنية للقرآن الكريم قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ^٤، وقد نقلت إلينا السنة النبوية عن طريق الرواة، فكان لزاما الفحص عن النقلة، والبحث عن أحوالهم، ومعتقداتهم؛ لما له من تأثير على رواياتهم، وممن أكثر العناية بهذا الجانب الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني (ت: ٢٥٩هـ)، وسنتكلم بإذن الله عن منهجه - رحمه الله - في الجرح بالبدعة، وسيكون ذلك بتمهيد، وفصلين، ولكل فصل مباحث.

تمهيد

البدعة هي الإحداث في الدين قال ﷺ: "وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة" وقد عرف العلماء - رحمهم الله - البدعة، وأفضل تعريف لها هو ما ذكره الشاطبي - رحمه الله - حيث قال: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه".
وقسم علماء الحديث المبتدعة إلى قسمين الأولى: بدعة مكفرة، كالتجهم. والثانية: بدعة غير مكفرة كالذكر الجماعي.
أما رواية صاحب البدعة المكفرة فقد اختلفوا فيها على أقوال:

^١ [ال عمران: ١٠٢]

^٢ [النساء: ١]

^٣ [الأحزاب: ٧٠]

^٤ [النحل: ٤٤]

^٥ رواه أبو داود، وصححه الألباني سنن أبي داود (٢٠١ / ٤)

^٦ الاعتصام للشاطبي (٥٠ / ١)



ف قيل: ترد روايته مطلقا، وهو قول الأكثرين قال السخاوي: "لم يتعرض ابن الصلاح للتصحيح على حكاية خلاف فيها، وكذا أطلق القاضي عبد الوهاب في الملخص، وابن برهان في الأوسط عدم القبول، وقالوا: لا خلاف فيه^٧، وقيل: لا ترد مطلقا، كاه الخطيب في الكفاية حيث قال: "وقال جماعة من أهل النقل والمتكلمين أخبار أهل الأهواء كلها مقبولة، وإن كانوا كفارا وفساقا بالتأويل"^٨، وقيل: ترد رواية من يستحل الكذب^٩.

وضابط الكفر بالبدعة هو ما نقله السخاوي عن ابن دقيق العيد حيث قال: "الذي تقرر عندنا أنه لا تعتبر المذاهب في الرواية؛ إذ لا نكفر أحدا من أهل القبلة إلا بإنكار قطعي من الشريعة، فإذا اعتبرنا ذلك انضم إليه الورع، والتقوى فقد حصل معتمد الرواية، وهذا مذهب الشافعي حيث يقبل شهادة أهل الأهواء^{١٠} قال: وأعراض المسلمين حفرة من حفر النار، وقف على شفيرها طائفتان من الناس: المحدثون، والحكام فأشار بذلك إلى أنهم من أهل القبلة فتقبل روايتهم، كما نرثهم ونورثهم، وتحري عليهم أحكام الإسلام^{١١}.

وأما رواية صاحب البدعة غير المكفرة فقد اختلفوا في قبولها على أقوال: ف قيل ترد روايته مطلقا، وقيل: يقبل مطلقا إلا إن اعتقد حل الكذب، وقيل: يقبل من لم يكن داعية إلى بدعته، ولم يكن ما يرويه مقويا لبدعته وهذا هو الصحيح^{١٢} وسبب الاختلاف في رواية المبتدع هو: الخوف من انتشار بدعته واغترار العامة به. قال ابن دقيق العيد^{١٣}.

^٧ فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٧٢ / ٢)

^٨ الكفاية في علم الرواية (ص: ١٢١)

^٩ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص: ١٠٣)

^{١٠} نقل الخطيب عن الشافعي أنه قال: وتقبل شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية من الراضة لأنهم يرون الشهادة بالزور الموافقيهم الكفاية في علم الرواية (ص: ١٢٠)

^{١١} فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٧٣ / ٢)

^{١٢} انظر نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص: ١٠٣)

" نرى أن من كان داعية المذهب المبتدع متعصبا له متجاهرا بباطله أن تترك الرواية عنه إهانة له، وإخمادا لبدعته؛ فإن تعظيم المبتدع تنويه لمذهبه به اللهم إلا أن يكون ذلك الحديث غير موجود لنا إلا من جهته فحينئذ تقدم مصلحة حفظ الحديث على مصلحة إهانة المبتدع

^{١٣} (الاقتراح في بيان الاصطلاح (ص: ٥٩)

الفصل الأول: الإمام الجوزجاني

المبحث الأول: اسمه، ونسبه، وكنيته:

هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي^{١٤} قال السمعاني: "بفتح السين وسكون العين، وفي آخرها الدال المهملات. هذه النسبة إلى عدة قبائل^{١٥}، الجوزجاني^{١٦} قال ابن حجر: "بضم الجيم الأولى، وزاي، وجيم".^{١٧}

المبحث الثاني: أشهر شيوخه:

سمع من: عبد الصمد بن عبد الوارث، وأبي عاصم، وأبي صالح كاتب الليث، وبشر بن عمر الزهراني، وزيد ابن الحباب، وحجاج الأعور، وعفان، وجماعة.^{١٨}

المبحث الثالث: أشهر تلامذته:

سمع منه أبو داود والترمذي والنسائي، والحسن بن سفيان، وأبو زرعة الدمشقي، وأبو زرعة الرازي، وأبو حاتم، وابن خزيمة، وأبو بشر الدولابي، وابن جرير الطبري، وجماعة.^{١٩}

المبحث الرابع: ثناء العلماء عليه:

قال الخلال: "إبراهيم جليل جدا كان أحمد بن حنبل يكتابه ويكرمه إكراما شديدا^{٢٠}. وقال النسائي: "ثقة"^{٢١}. وقال الدارقطني: "كان من الحفاظ المصنفين والمخرجين الثقات"^{٢٢}. وقال ابن عدي: "كان يسكن دمشق، وكان أحمد يكتابه، فيتقوى بكتابه، ويقروءه على المنبر"^{٢٣}.

^{١٤} نسبة إلى القبيلة قال العجلي: "إبراهيم السعدي من ولد عمر بن سعد قال المحقق (البستوي): لعله يعني عمر بن سعد بن أبي وقاص. الثقات (١/ ٢١٠)

^{١٥} الأنساب للسمعاني (٣/ ٢٥٥)

^{١٦} قال ابن الأثير: "هذه النسبة إلى مدينة بخراسان مما يلي بلخ يقال لها جوزجانات، والنسبة إليها: جوزجاني اللباب في تهذيب الأنساب (١/ ٣٠٨)

^{١٧} تقريب التهذيب (ص: ٩٥)

^{١٨} (تهذيب التهذيب (١/ ١٨٢)

^{١٩} المصدر السابق

^{٢٠} المصدر السابق

^{٢١} المصدر السابق

^{٢٢} المصدر السابق

^{٢٣} (الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٥٠٤)

وقد عده ابن تيمية من الجهابذة حيث قال: "ومن تأمل كتب الجرح والتعديل المصنفة في أسماء الرواة، والنقلة، وأحوالهم - مثل كتب يحيى بن سعيد القطان، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، والبخاري، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني السعدي، ويعقوب بن سفيان الفسوي، وأمثال هؤلاء الذين هم جهابذة، ونقاد، وأهل معرفة بأحوال الإسناد.... إلخ^{٢٤}. وقال الذهبي: "الثقة الحافظ، أحد أئمة الجرح والتعديل"^{٢٥}. وقال ابن كثير: خطيب دمشق، وإمامها، وعالمها، وله المصنفات المشهورة المفيدة، منها: المترجم، فيه علوم غزيرة، وفوائده كثيرة"^{٢٦}. وقال ابن العماد: كان من كبار العلماء، ونزل دمشق، وجرح وعدل، وهو من الثقات^{٢٧}.

المبحث الخامس: وفاته:

اختلف المؤرخون في سنة وفاته، فقال ابن حبان: "مات بعد سنة أربع وأربعين ومائتين"^{٢٨} وقال أبو سعيد بن يونس: "إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق التميمي يكنى أبا إسحاق جوزجاني قدم مصر سنة خمس وأربعين ومائتين، وكتبت عنه، وكانت وفاته بدمشق سنة ست وخمسين ومائتين"^{٢٩}، وقال أبو الدحداح: في سنة تسع وخمسين ومائتين مات إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، يوم الجمعة، مستهل ذي القعدة^{٣٠} وهذا هو الصحيح، واختاره الأكثرون كابن كثير^{٣١}، وابن العماد^{٣٢}، والذهبي^{٣٣}، وابن حجر^{٣٤}، وغيرهم.

^{٢٤} منهاج السنة النبوية (١/ ٦٦)

^{٢٥} ميزان الاعتدال (١/ ٧٥)

^{٢٦} البداية والنهاية (١١/ ٣٨)

^{٢٧} شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ٢٦٣)

^{٢٨} الثقات (٨/ ٨٢)

^{٢٩} تاريخ دمشق لابن عساكر (٧/ ٢٨١)

^{٣٠} المصدر السابق.

^{٣١} البداية والنهاية (١١/ ٣٨)

^{٣٢} شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣/ ٢٦٣)

^{٣٣} الكاشف (١/ ٢٢٧)

^{٣٤} تهذيب التهذيب (١/ ١٨٢)

المبحث السادس: مؤلفاته:

وصف الإمام الجوزجاني بأنه ممن صنف، وكتب كما ذكر ذلك الدارقطني، وابن العماد، وسأذكر لك بعض ما عرفت من مصنفاته:

- ١ - مسائل الإمام أحمد^{٣٥}.
- ٢ - إمارات النبوة. (مطبوع)
- ٣ - أحوال الرجال. (مطبوع)
- ٤ - المترجم^{٣٦}.

المبحث السابع: شبه حول عقيدة الجوزجاني:

الإمام الجوزجاني كغيره من الأئمة أخذ عقيدته من الكتاب والسنة، وكان شديداً على أهل البدع يقول - رحمه الله - : "فتوقوا إخواني هذه الطبقة أشد التوقي؛ فإن للبدعة رائحة تبدو إذا اشتمها ذووا الألباب تأذى من رائحة عرفها، والمصرح ببذعته ظنين؛ لتهمته عليكم عند أقوام مردود عليه دعاؤه؛ لبذعته التي هو منسوب إليها ، فازوروا عند ملاقاتهم عنهم، وعيسوا في وجوههم؛ إعلاما منكم إياهم خلافهم، ولا تلقوهم ببسط الوجوه فضلا عن المعانقة، والمصافحة؛ إعراضا منكم عن كتاب الله فإنه قال: { لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم }^{٣٧}.

وقد رمي - رحمه الله - بالنصب، وهو : نصب العداوة لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه -. وممن رماه بذلك الدارقطني - رحمه الله - حيث قال: "لكن كان فيه انحراف عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه ؛ اجتمع على بابيه أصحاب الحديث، فخرج إليهم، وأخرجت جارية له فزوجة"^{٣٨} ، لتذبح، فلم تجد أحداً يذبحها، فقال: سبحان الله لا يوجد من يذبحها، وقد ذبح علي بن أبي طالب في صحوة نيفا، وعشرين ألفاً^{٣٩}.

وكذلك ابن حبان - رحمه الله - حيث قال : وكان حريزي المذهب، ولم يكن بداعية إليه، وكان صلبا في السنة حافظا للحديث إلا أنه من صلابته ربما كان يتعدى طوره^{٤٠}، قال ابن حجر: "نسبة إلى حريز بن عثمان المعروف بالنصب"^{٤١}

^{٣٥} تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢/ ٢٤٨)

^{٣٦} البداية والنهاية (١١/ ٣٨)

^{٣٧} أحوال الرجال (ص: ٣٦٥)

^{٣٨} يقال للذكر من أولاد الدجاج فروج والأنثى فروجة المخصص (٢/ ٣٤٨)

^{٣٩} سؤالات السلمي للدارقطني (ص: ٣٢٩ . ٣٣٠)

وكذلك ابن عدي - رحمه الله - حيث قال: "وكان شديد الميل الى مذهب أهل دمشق في التحامل على^{٤٢} علي. ومن المتقرر أن الراوي إذا اجتمع فيه تعديل، وتجريح فلا يقبل الجرح إلا مفسر^{٤٣}، فذكروا شبهات لهذا الجمرح:

الشبهة الأولى: قصة الفروجة، وذبحها

روى ابن عساكر بسنده عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: وذكر لي - يعني: الدارقطني - إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، فقال: اجتمع على بابه أصحاب الحديث، فخرج إليهم، فأخرجت جارية له فروجة؛ لتذبح، فلم تجد أحدا يذبحها، فقال: سبحان الله لا يوجد من يذبحها، وقد ذبح علي بن أبي طالب في ضحوة نيفا وعشرين ألفاً^{٤٤}.

والجواب: هذه القصة لا تصح لأمرين:

الأول: أنها من رواية أبي عبد الرحمن السلمي، وقد نسبوه إلى الوضع. قال الخطيب البغدادي: "وقال لي محمد بن يوسف القطان النيسابوري: كان أبو عبد الرحمن السلمي غير ثقة وكان يضع للصوفية الأحاديث^{٤٥}، ونقل ابن الصلاح عن الواحدي المفسر - رحمه الله - أنه قال: "صنف أبو عبد الرحمن

السلمي (حقائق التفسير)، فإن كان قد اعتقد أن ذلك تفسير، فقد كفر^{٤٦}.

الثاني: الدارقطني إنما ولد بعد وفاة الجوزجاني ببضع وأربعين سنة^{٤٧}.

وذكر ابن عساكر طريقاً آخر عن عبد الله بن أحمد بن عبدس قال: "كنا عند إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، فالتمس من يذبح له دجاجة، فتعذر عليه فقال: يا يا قوم تعذر علي ذبح دجاجة، وعلي بن أبي طالب قتل سبعين ألفاً في وقت واحد"، أو كما قال^{٤٨}

^{٤٠} الثقات لابن حبان (٨١/٨، ٨٢)

^{٤١} تهذيب التهذيب (١٨٣/١)

^{٤٢} الكامل في الضعفاء (٥٠٤/١)

^{٤٣} انظر تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٣٦٢/١)

^{٤٤} تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٨١/٧)

^{٤٥} تاريخ بغداد (٤٢/٣)

^{٤٦} فتاوى ابن الصلاح (١٩٧/١)، وانظر تاريخ الإسلامت بشار (٢٠٨/٩)، ولسان الميزان

لابن حجر: أبو غدة (٩٢/٧)

^{٤٧} التتكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢٩٥/١)

^{٤٨} المصدر السابق.

والجواب: قال المعلمي - رحمه الله : لابن عديس ترجمة في تاريخ بغداد) و (تهذيب تاريخ ابن عساكر) ليس فيها ما يبين حاله فهو مجهول الحال، فلا تقوم بخيره حجة، وفوق ذلك فتلك الكلمة ليست بالصريحة في البعض؛ فقد يقولها من يرى أن فعل علي عليه السلام^{٤٩} خلاف الأولى، أو أنه اجتهد فأخطأ، وفي (تهذيب التهذيب عن ميمون بن مهران قال: كنت أفضل علياً على عثمان، فقال عمر بن عبد العزيز : أيهما أحب إليك رجل أسرع في المال، أو رجل أسرع في كذا - يعني : الدماء - قال: فرجعت، وقلت: لا أعود ، وهذا بين في أن عمر بن عبد العزيز، وميمون بن مهران كانا يريان فعل على خلاف الأولى، أو خطأ في الاجتهاد، ولا يعد مثل هذا نصباء إذ لا يستلزم البعض بل لا ينافي الحب، وقد كره كثير من أهل العلم معاملة أبي بكر الصديق المانعي الزكاة معاملة المرتدين، ورأوا أنه أخطأ، وهم مع ذلك يحبونه ويفضلونه^{٥٠}. علي رضي الله عنه بأن يقال عليه السلام من دون سائر الصحابة، أو كرم الله وجهه، وهذا وإن كان معناه صحيحاً ولكن ينبغي أن يسوى بين الصحابة في ذلك؛ فإن هذا من باب التعظيم، والتكريم، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين تفسير ابن كثير (٢٣٨ / ١١)

الشبهة الثانية: أقوال الجوزجاني في أهل الكوفة
قال ابن حجر : فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب، وذلك لشدة انحرافه في النصب، وشهرة أهلها بالتشيع^{٥١}.
وقد أجاب عن هذه الشبهة محقق كتاب أحوال الرجال حيث قال: "درست أقوال الجوزجاني في هذا الكتاب قولاً قولاً، وقارنتها بأقوال الأئمة الآخرين، فتبين لي أن الجوزجاني لم ينفرد، ولم يشذ في جرح أحد منهم، ولا تجاوز الحد، ولا خرج عن المعقول عن الواقع في وصفهم الله^(٥٢)
وأيضاً قد وثق الجوزجاني بعض المعروفين بالتشيع كجعفر بن سليمان الصبعي سيأتي.

وأيضاً للجوزجاني أحاديث في فضائل آل البيت، فقد روى النسائي في كتابه (خصائص علي) قال: "أخبرني إبراهيم بن يعقوب قال حدثنا وهب بن جرير أن أبا عبد الله قال سمعت محمد بن عبد الله بن أبي يعقوب عن ابن أبي نعم قال: كنت عند ابن عمر فأتاه رجل فسأله عن دم البعوض يكون في ثوبه أيسلي به فقال ابن عمر ممن

^{٤٩} لا تقال كلمة - عليه السلام - إلا للأنبياء. قال ابن كثير: "وقد غلب في هذا في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد

^{٥٠} التتكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢٩٥ / ١)

^{٥١} لسان الميزان (٢١٢ / ١)

أنت قال من أهل العراق قال من يعذرني من هذا يسألني عن دم البعوض وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : هما ريحانتي من الدنيا^{٥٢}.

وأيضاً قال النسائي : "أخبرنا إبراهيم بن يعقوب قال: أنا أبو النعمان قال: أنا داود بن أبي الفرات، عن علباء بن أحمر، عن عكرمة عن ابن عباس قال: خط رسول الله - ﷺ - في الأرض أربع خطوط

ثم قال: هل تدرون ما هذا؟ قالوا : الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أفضل نساء

أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون^{٥٣}.

وفي الكنى للدولابي قال: "حدثنا إبراهيم بن يعقوب السعدي قال: حدثنا عبد الله بن الربيع قال: حدثنا أبو أسامة، عن أبي ضمرة عبد الله بن المستورد قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة أن رسول الله ﷺ أبصر الحسن بن علي مقبلاً فقال: «اللهم سلمه وسلم منه»^{٥٤}.

وبهذا يتبين أن نسبة مذهب النواصب للإمام الجوزجاني لا تصح، ولم تثبت عنه، وبالله التوفيق.

الفصل الثاني: منهج الجوزجاني في الجرح بالبدعة المبحث الأول: المبتدع الكذاب والكذاب:

قسم الإمام الجوزجاني المتهمين في الرواية إلى أربع مراتب، والذي يخص البدعة مرتبتان، فالمرتبة الأولى: هو المبتدع الكذاب، والمرتبة الثانية: الكذاب الذي لم يعرف ببدعة. قال - رحمه الله - : "وسأصفهم على مراتبهم، ومذاهيبهم منهم الرائع عن الحق، كذاب في حديثه.

ومنهم الكذاب في حديثه لم أسمع عنه ببدعة، وكفى بالكذب بدعة^{٥٥}.
وأصحاب هاتين المرتبتين لا يقبل حديثهم، مثال المبتدع الكذاب: عمرو بن شمر. قال عنه الجوزجاني: "كذاب رائع^{٥٦}.

^{٥٢} (ص: ١٥٥)

^{٥٣} فضائل الصحابة (ص: ٧٤)

^{٥٤} الكنى والأسماء للدولابي (٢/ ٦٨٠)

^{٥٥} (أحوال الرجال (ص: ١١)

^{٥٦} أحوال الرجال (ص: ٧٣)

المبحث الثاني: المبتدع صدوق اللهجة:

ثم ذكر رحمه الله - أصحاب المرتبة الثالثة، وهو : المبتدع صدوق اللهجة. قال - رحمه الله : "ومنهم زائع عن الحق، صدوق اللهجة، قد جرى في الناس حديثه، إذ كان مخذولا في بدعته مأمونا في روايته، فهو لاء عندي ليس فيهم حيلة إلا أن يؤخذ من حديثهم ما يعرف إذا لم يقو به بدعته فيتهم عند ذلك^{٥٧}. فقبل - رحمه الله - حديث أصحاب هذه المرتبة لكن بشروط، وهي:

- ١- أن يكون صدوق اللهجة. ٢- أن يكون مأمونا في روايته. ٣- أن يكون حديثه معروفا. ٤- أن لا يروي ما يقوي به بدعته.

مثاله: جعفر بن سليمان الضبعي، قال عنه الجوزجاني: روى أحاديث منكورة، وهو ثقة متماسك، كان لا يكتب^{٥٨}.

وفي تاريخ الإسلام: قال ابن معين لا يكتب حديثه. وقال البخاري: منكر الحديث. وقال ابن حبان رافضي يشتم الصحابة، ويروي الموضوعات عن الثقات، وقال أسيد بن زيد: سمعت حسينا الجعفي يقول: كان عمرو بن شمر يومهم فمكنت ثلاثين سنة أجهد أن أسد ان اسبقه إلى المسجد أو ا أخرج بعده فلم أقدر. وقال ابن عدي عامة ما عنده غير محفوظ، وقال النسائي وغيره متروك الحديث). (٤ / ١٧١)

وفي تاريخ الإسلام: (هو من عباد الشيعة وصالحيهم وثقه ابن معين، وليته غيره، وقد حج وذهب إلى صنعاء اليمن، فأكثر عنه عبد الرزاق، وحمل عنه رأيه وتشيع به وقد قبل الجعفر بن سليمان تشتم أبا بكر، وعمر؟ قال: لا، ولكن بغضا يا لك، وفي صحة هذه عنه نظر، فإنه لم يكن رافضيا حاشاه وقال زكريا الساجي قوله بغضا يا لك إنما عني به جارين له، كان قد تأذى بهما اسمهما أبو بكر وعمر. قال على ابن المديني: أكثر جعفر بن سليمان عن ثابت وكتب عنه مراسيل فيها مناكير وقال ابن سعد كان ثقة فيه ضعف وقال محمد بن عثمان بن عن ابن معين: كان يحيى بن سعيد لا يحدث عن جعفر بن سليمان، ولا يكتب حديثه، وكان عندنا ثقة). (٤ / ٥٩٣)

الخاتمة

نستخلص مما سبق ما يلي:

- ١ - البدعة هي: "طريقة في الدين مخترعة، تظاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد الله سبحانه.

^{٥٧} أحوال الرجال (ص: ١١)

^{٥٨} أحوال الرجال (ص: ١٨٤).

- ٢- رواية صاحب البدعة المكفرة ترد مطلقا.
 - ٣- ضوابط العلماء في قبول رواية المبتدع هي: أن يكون صدوق اللهجة، ومأمونا في روايته، وحديثه معروف، وأن لا يروي ما يقوي بدعته.
 - ٤- لم تثبت تهمة النصب عن الإمام الجوزجاني.
 - ٥- لا يرد الإمام الجوزجاني رواية المبتدع مطلقا بل في مذهبه في رواية المبتدعة تفصيل كما تقدم.
- والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر:

- الاعتصام للشاطبي (١ / ٥٠)
فتح المغيث بشرح ألفية الحديث (٢ / ٧٢)
الكفاية في علم الرواية (ص: ١٢١)
نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (ص: ١٠٣)
الاقتراح في بيان الاصطلاح (ص: ٥٩)
لأنساب للسمعاني (٣ / ٢٥٥)
تقريب التهذيب (ص: ٩٥)
الكامل في ضعفاء الرجال (١ / ٥٠٤)
منهاج السنة النبوية (١ / ٦٦)
ميزان الاعتدال (١ / ٧٥)
البداية والنهاية (١١ / ٣٨)
شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٣ / ٢٦٣)
تاريخ دمشق لابن عساكر (٧ / ٢٨١)
الكاشف (١ / ٢٢٧)
تهذيب التهذيب (١ / ١٨٢)
تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢ / ٢٤٨)
أحوال الرجال (ص: ٣٦٥)
سؤالات السلمي للدارقطني (ص: ٣٢٩ . ٣٣٠)
الثقات لابن حبان (٨ / ٨١، ٨٢)
تاريخ دمشق لابن عساكر (٧ / ٢٨١)
تاريخ بغداد (٣ / ٤٢)
فتاوى ابن الصلاح (١ / ١٩٧)، وانظر تاريخ الإسلامت بشار (٩ / ٢٠٨) ، ولسان
الميزان لابن حجر: أبو غدة (٧ / ٩٢)
التتكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (١ / ٢٩٥)
التتكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (١ / ٢٩٥)
فضائل الصحابة (ص: ٧٤)
الكنى والأسماء للدولابي (٢ / ٦٨٠)